السبيل

إلى إنهاض المسلمين

آية الله العظمى
السيد محمد الحسيني الشيرازي
دام ظله

مؤسسة الفكر الإسلامي

السبيل

إلى إنهاض المسلمين

الطبعَة السابعة

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

مؤسسة الفكر الاسلامي

حارة حريك - بئر العبد - خلف البنك اللبناني الفرنسي - ص. ب: ٥٩٥٣/١٣ شوران - بيروت - لبنان .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

يعتبر افتقاد عنصر التنظيم باباً رئيسياً تدرج في حيثياته وتفاصيله جميع الأسباب التي أدّت وما زالت تؤدي إلى ضعف واضمحلال الحالة الإسلامية خلال القرن الأخير.

وكما أن افتقاد هذا العنصر هو السبب الرئيسي لما تُعانيه الحالة الإسلامية اليوم كذلك يجب أن تنطلق الحلول المطلوبة لمواجهة حالات الإضمحلال والضعف الحالية من هذا الموقع، أي بإيجاد حالة متماسكة ومتكاملة من التنظيم.

ليس المطلوب بالطبع إيجاد أُسس تنظيمية، فإن مثل هذه الأسس موجودة في القرآن الكريم وفي تراث رسول الله ﷺ وأهل بيته الطيبين الطاهرين، إنما المطلوب هو أن يتصدىٰ مطّلع ومتفهم للقرآن الكريم ولتراث أهل البيت عليهم السلام لمهمة ترسيم الخطوط التنظيمية للعمل الإسلامي وفق مفاهيم وآليات العمل الحديثة، كما يفترض في مثل هذا الطرف أن يكون ذا خبرة في مجال العمل الميداني في الدعوة إلى الإسلام.

آية الله العظمىٰ السيد محمد الشيرازي من القادة الكفوئين المؤهلين لإيجاد مثل هذا الترسيم المطلوب، فمجموعته الفقهية التي أربت مجلداتها على المئة والعشرين على سبيل المثال تشهد له بسعة الإطلاع، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن آثاره الميدانية في مختلف المواقع التي تواجد عليها، أو التي تواجد له فيها ممثلون تدلل دلالة واضحةً على علوّ همته من جهة، ومن جهة أخرىٰ تدلل علىٰ اكتسابه خبرة عبر عقود من سنيّ العمل الجهادي الميداني.

هذا الإطلاع وتلك الخبرة صاغها الإمام الشيرازي في كتابه الذي بين يديك كمنهج عمل إلىٰ الله عزَّ وجلّ وترسيخ دعائم الإلتزام والإيمان عند المسلمين.

إننا لا نقول بالطبع أن هذه يجب أن تكون الأطروحة الأولىٰ والأخيرة في

هذا المجال، ولكننا نتمنىٰ أن تكون هذه الأطروحة منطلقاً لأطروحات أخرىٰ يتقدم بها رجال الفكر الإسلامي وأن تتكامل هذهِ الأطروحات ويعزز بعضها بعضاً ويقوّى بعضها بعضاً وصولاً إلىٰ الصيغة الأمثل لمشروع نهضة إسلامية حديثة نحن بأمس الحاجة إليها.

ومؤسستنا إيماناً منها بأهميةِ دعم وترسيخ أسس الوعي والتنظيم في قطاعات عملنا الإسلامي أقدمت علىٰ طبع هذا الكتاب طباعةً فاخرة مع استخراج مصادر الآياتِ القرآنية الشريفة والأحاديث والروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام وإضافة شروح على بعض فقراته وكل أملنا أن نساهم في دفع عجلة التقدم الثقافي الإسلامي.. والله المستعان..

القسم الأول

شؤون الحركة الإسلامية وأسسها الستة

الأساس الأول

(التوعية)

١ ـ إلى حكومة ألف مليون مسلم.

٢ ـ الأمة: بين المأساة والعلاج.

٣ ـ إعطاء الرشد الفكري للأمة الإسلامية.

٤ ـ الحاكم الأعلى بانتخاب المسلمين.

٥ ـ كيف نصوغ الذهنية الإسلامية؟

٦ ـ نشر الوعي في البلاد الأجنبية.

٧ ـ لماذا تحررت البلاد بالأمس وسقطت اليوم؟

٨ ـ لنثقف المسلمين قبل أن يثقفهم غيرنا.

٩ ـ تحويل الثقافة الجاهلية إلى ثقافة إسلامية.

١٠ ـ الثقافة تصنع المعجزات.

١١ ـ إقامة الدولة الاسلامية واجبة.

(١)

إلى حكومة ألف مليون مسلم[١]

إقامة الحكومة الاسلامية الواحدة هو الحكم الذي كان يرفرف على أذهان جماهير الأمة الإسلامية على مد التاريخ، وهو الهدف السامي العظيم الذي أُريق على مذبحه دماء ملايين الشهداء في البلاد الإسلامية وغيرها، وإقامة الحكومة الإسلامية الواحدة هو الشبح الذي أرّق ليل الجبابرة، وجعلهم يجنّدون كل طاقاتهم للحؤول بين المسلمين وبين هذا الهدف، فما هي الأسس والمقومات التي تقوم عليها هذه الحكومة؟ وكيف يجب العمل لاقامتها؟ سنجيب على هذين السؤالين بشيء من التفصيل باذن الله.

يجب علينا أن نعيد الحكومة الإسلامية الواحدة التي أسسها رسول الله ﷺ، فقد ذكر المؤرخون أن النبي ﷺ استطاع في زمان حياته الشريفة أن يوحد بين حكومات الجزيرة العربية (مكة، يثرب، والطائف) وما أشبه، ثم اليمنين والبحرين وأخيراً الكويت[٢] والخليج.

وقد سار المسلمون بعد رسول الله ﷺ على هذا المسير نفسه، فكانت الدولة الإسلامية في أيام الحكام الأولين وفي أيام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حكومة واحدة.

وقد كان تحت نفوذ الامام امير المؤمنين عليه السلام أكثر من خمسين دولة من

---

(١) لا يخفى ان عدد نفوس المسلمين في العالم اليوم بلغ حوالي ألف وخمسمائة مليون مسلم... وهناك أرقام علمية تدل على ذلك.

(الناشر).

(٢) لم تكن الكويت في ذلك اليوم كما هي عليه الآن، بل كانت صحاري تسكنها القبائل، وقد ذكر قسم من المؤرخين ان معركة ذات السلاسل وقعت في صحاري الكويت.

هذه الدول الموجودة على الخارطة اليوم ـ على ما ذكره البعض ـ.

إن هذه الحدود الجغرافية الحالية حدود مصطنعة كوّنها الجهل الداخلي والاستعمار الخارجي، فأي معنى لأن توضع الحدود أمام المسلم وهو في بلده ـ الوطن الإسلامي الكبير ـ؟ أليس هذا خلاف قول الله تعالى: **﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾**؟[1].

إذن من الضروري ان تتظافر الجهود لأجل إسقاط هذه الحدود وهذه القوانين المصطنعة، التي تفرق المسلمين بعضهم عن بعض، حتى تتوحد بلاد الإسلام كما كانت فيكون الألف مليون مسلم لأنفسهم حكومة واحدة.

وليس هذا أمراً مستغرباً ففي الصين الشيوعية كانت هناك سابقاً حكومات عديدة لكنها ـ تمكنت وتحت قوانين وضعية ـ أن توحد بلادها في دولة واحدة ذات ألف مليون نسمة.

أما نحن فنريد توحيد البلاد الإسلامية تحت ظل القوانين الإلهية حتى تكون بلداً واحداً، فيسير المسلم من طنجة إلى جاكرتا ومن دكا إلى طرابلس وهكذا، ويشعر بأنه في بلده. ولا ترفع أمامه في كل بلد حدود استعمارية وقوانين جاهلية وضعية.

أما كيف يتم التوصل إلى هذا الهدف الكبير؟. فالجواب بما يلي.

أولاً: بالتوعية الإسلامية الواسعة النطاق على صعيد الأمة كلها حتى يعي المسلم وظيفته، وذلك بطبع ونشر ما لا يقل عن ألف مليون كتاب توعوي ـ اقتصادي، سياسي، اجتماعي، تربوي، عقائدي ـ. . .

ثانياً: بالتنظيم: بأن ننظم ما لا يقل عن عشرين مليون مسلم، لأنّ المسلمين ألف مليون نسمة، فيكون في دائرة توجيه كل شخص منظم خمسون انساناً مسلماً.

وبهذين الأمرين نتمكن من إعادة الحكم الإسلامي والذي قوامه أمران:

الأمر الأول: أن تكون كل القوانين مستقاة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية/ ٩٢.

الأمر الثاني: أن يكون الحاكم الأعلى للدولة انساناً مرضياً لله سبحانه، وذلك بان تتوفر فيه شروط القيادة الإسلامية، ويكون منتخباً من قبل اكثرية الأمة كما دلت على ذلك الآيات والروايات.

(٢)

الأمة: بين المأساة والعلاج

يبلغ عدد المسلمين ـ حسب بعض الإحصاءات ـ ألف مليون، لكنهم مبعثرون جغرافياً وإقليمياً ولغوياً، ويعيشون تحت سيطرة الإستعمار والإستغلال. أما قوانينهم فقد أصبحت وضعية بعد ما كانت إلهية، وإنما أصابهم هذا التبعض والتشتت لعدم اتخاذهم الإسلام منهجاً عملياً في الحياة، وقد صدق الله سبحانه وتعالى حيث قال: **﴿ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشةً ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾**[(١)].

ان الاصطدام بسلسلة من المشاكل هو النتيجة الطبيعية للذين يعرضون عن ذكر الله ولا يطيعون أوامره في الدنيا، وفي الآخرة الخسران المبين، وقد رأينا قصة المسلمين في الدنيا بأم أعيننا، فالمسلمون قد تشتتوا وتفرقوا وصاروا طرائق قدداً، ونُصبتْ الحدود المصطنعة بين بلادهم، فبينما كان المسلم أخ المسلم أصبح عدواً له ـ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار ـ: نزلت هذه الآية في شأن الكفار، أما الآن فقد صارت منطبقة على المسلمين وها هم المسلمون متأخرون في كل مكان، ثقافياً وسياسياً واقتصادياً وما الحرب العراقية ـ الإيرانية التي شنها البعث ضد الأمة في العراق وفي إيران إلا لعبة استعمارية راح ضحيتها الشباب العراقي المسلم والإيراني المسلم، وقد بلغ عدد من قتل من الجانبين ـ حسب بعض الإحصاءات أكثر من مئتي ألف.

لماذا يحدث هذا؟

والجواب: إن البعث هو الذي أشعل هذه الحرب وأمريكا وإسرائيل

---

(١) سورة طه، الآية/: ١٢٤ و ١٢٦.

وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين يدعمونه ويمدونه بالخطط والأساليب والمال والسلاح.

ولكن: ما هو موقعنا نحن؟!

لماذا تنتهك أعراضنا؟

لماذا تهدم بلادنا؟

لماذا تصادر أموالنا؟

لماذا تصرف أموالنا في شراء السلاح وفي سبيل القتل وإراقة الدماء؟

قبل زمن ليس بالبعيد نشأت حرب بين الأخوة الأكراد والأخوة العرب.

(الحرب العراقية ـ العراقية) وقد دامت ما يقارب عشرين سنة، وإلى الآن!!

ولكن: لماذا حدثت هذه الحرب؟

هنالك فئات تؤمن بالقومية، والقومية ليست من الإسلام، وفي الحديث عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام «من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بِهَنِ أبيه ولا تكنوا».

فالافتخار بالقوميات، أو بالقبليات، أو بالإقليميات، أو باللغات، هذه كلها أعمال جاهلية، القومية ليست إلا ديدن أبي جهل وأبي لهب وكفار الجاهلية، فلماذا اتخذهم قسم من المسلمين شعاراً ومنهجاً؟. القومية العربية ـ التي دامت إلى الآن ـ القومية الفارسية، في زمان الشاهين، القومية التركية في زمان أتاتورك، القومية الكردية، وإلى آخر القوميات، هذه القوميات هي التي سببت ضياع فلسطين.

قتلونا في فلسطين، ولبنان، ومصر، والأردن، والجزيرة العربية (البريطانيون وعملاؤهم قتلوا في وجبة واحدة في أطراف الجزيرة العربية أكثر من مئة وخمسين ألف إنسان مسلم).

وقتلونا في الفلبين، وكشمير، وارتيريا، والأوغاوين، وبورما، والباكستان الشرقية والغربية ـ يوم انفصال الباكستان شرقها عن غربها ـ، وقتلونا في اليمن وشطروها نصفين.

منذ قرن ونحن نقتل ونسجن وتهتك اعراضنا لماذا؟. لاحظوا البلاد الأوربية

الشاسعة والتي يبلغ نفوسها ما يقارب ستمائة وخمسين ومليون نسمة، فمنذ أربعين سنة لا توجد فيها حروب ولا انقلابات عسكرية والحروب والانقلابات تقع بكثرة في البلاد الإسلامية، وهي ليست إلا أحابيل المستعمرين والمستكبرين، فقد جاؤوا إلى بلادنا لتقطيعنا وتمزيقنا ونهب خيراتنا وسفك دمائنا وتعذيبنا في السجون والمعتقلات.

والآن: يوجد في سجون البعث في العراق أكثر من ثلاثمائة ألف إنسان مسلم يرزح تحت نير ظلمهم، فيهم الشيخ المسن والعجوز المسنة والشاب والشابة والطفل والطفلة!.

كيف حدث هذا؟. هل لحزب البعث هذا الحق؟، وبأي حق جاؤوا إلى الحكم؟، نعم بحق الدبابة والقوة!،فعل حزب البعث كما يفعل اللص وقاطع الطريق، انه يسحب مسدسه عليك ويأمرك بنزع ملابسك وإخراج أموالك ويستولي على مقدراتك، الشيء نفسه فعله حزب البعث، فقد جاؤوا في منتصف الليل بتخطيط من أمريكا وبريطانيا وإسرائيل معاً.

ان اعراضنا عن الله وعن قوانين الله وعن توحيد المسلمين سبَّبَ هذه المشاكل، ولا علاج الا ان نرجع إلى حكم الله سبحانه وتعالى، لتوحيد المسلمين وإقامة حكومة الف مليون مسلم، لا حدود بينها ولا سدود ولا قيود ولا شروط.

يجب أن تكون البلاد الإسلامية موحدة، والوحدة الإسلامية لا تتحقق في الواقع الخارجي إلا بعد شعور وحدوي في اعماق نفوس المسلمين، فالأمة واحدة والرب واحد والكتاب واحد والنبي واحد والشريعة الإسلامية قائمة على الكتاب والسنة، وعلينا ان نتبعها حق الاتباع، وليس الإسلام منحصراً في الصلاة والصيام وتعمير المسجد وما أشبه فقط، بل هذه اجزاء من الإسلام، وهناك أجزاء أخرى منها توحيد البلاد الإسلامية تحت لواء واحد.

(٣)

إعطاء الرشد الفكري للأمة الإسلامية

لقد ذكرنا في ما مضى ضرورة اقامة حكومة ألف مليون مسلم، ومثل هذا الحكم لا يتحقق الا بازالة الحدود الجغرافية واللغوية والقومية بعد أن تُزال

الحواجز النفسية، لأن هذه الحدود والفواصل الخارجية منبعثة في الحقيقة عن الحدود والحواجز النفسية: هذا عراقي، وهذا كويتي، وهذا مصري، وهذا إيراني، وهذا باكستاني، وهذا هندي، وهذا تركي.. كل هذا صحيح، لكن ليتعارفوا لا ليتناكروا!

يعني ان العراقي والايراني كلاهما اخوة في كل شيء، والباكستاني والكويتي كلاهما اخوة في كل شيء، اما ان الباكستاني لا يدخل الكويت إلا بتأشيرة دخول، واجازة، ودعوة، وجواز، - وبالعكس - فهو الشيء الذي يخالفه الاسلام، كما يخالف الخمر والقمار والبغاء وغيرها من المحرمات، بل لعل هذا المحرم اشد من سائر المحرمات، لأنه يسبِّبُ تقاطع المسلمين وتدابرهم، ويسبب سيطرة الأجنبي عليهم كما سيطرت الشيوعية على أفغانستان وطاجكستان وأرمينيا وتركمنستان وآذربايجان وقرقيزا وقازقستان، وسيطرت أميركا وإسرائيل وبريطانيا على الشرق الأوسط.

إن الواجب هو ان نوحّد الجهود ونعيد وحدتنا ووحدة امتنا. اما كيف ذلك؟ فبأمور: يأتي في طليعتها:

نشر الوعي الإسلامي فمن الواجب على كل مسلم أن ينشر الوعي الإسلامي العقائدي والاقتصادي والسياسي والشرائعي والاجتماعي والتربوي والعسكري والزراعي والصناعي والاستقلالي، في كل البلاد الإسلامية بواسطة الإذاعات والصحف والمجلات والنوادي والكتب والمؤتمرات وغيرها.

إننا لو طبعنا ألف مليون كتاب ووزعنا هذه الكتب في كل البلاد الإسلامية فستكون حصة كل فرد مسلم كتاباً واحداً، وهذا أقل الواجب، فاللازم علينا أن نشمّر عن سواعدنا لطبع مثل هذا القدر من الكتب - على أقل التقدير - في سبيل التوعية.

هكذا تنشر الثقافات المنحرفة

لقد اذاع راديو إسرائيل إن الكتب التي وزعت داخل إسرائيل بلغت ما يقارب خمسة عشر مليون كتاباً في سنة واحدة[1] ومعنى ذلك أن كل إسرائيلي حصل

---

(١) إضافة إلى برامج ثقافية آخرى كملايين الأفلام (الناشر).

على ما يقارب خمسة كتب من الطفل الصغير إلى الشيخ الكبير، فإسرائيل تعطي لشعبها الفكر المنحرف الظالم، وتكرس الجهود للمزيد من التسميم الفكري والثقافي، فلماذا لا نفعل مثل ذلك بالفكر الواعي لأَجل ألف مليون مسلم ونحن اصحاب حق؟.

ان الاسلام يحرّض على الكتاب والكتابة والقراءة، وأول سورة نزلت في القرآن ـ على المشهور ـ سورة ﴿إقرأ﴾ وفيها القراءة والكتابة، وقد قال الرسول الأكرم ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»[1] وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لوددت أن اصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتىٰ يتفقهوا»[2] والتفقه بمعنى التفهم، وأحد جزئياته فهم الحياة.

وفي حديث آخر للإمام الصادق عليه السلام «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[3]، واللوابس جمع لابسة أي: الأشياء المشتبهة والتي تسبب له انحرافاً وتحطماً.

فإذا طبعنا ألف مليون كتاب ووزعناها على المسلمين نكون قد قمنا بشيء من التوعية.

قبل عدة سنوات كتبت بعض المجلات: أنّ الاتحاد السوفيتي طبع ووزع في سنة واحدة فقط واحداً وعشرين ملياراً من الكتب، وكانت نفوس العالم أنذاك أربع مليارات.

ولقد ترجم كتاب ماوتسي تونغ (الكتاب الأحمر) إلى أربعمائة لغة رغم عدم مرور حتى نصف قرن على تاريخ انتشار (الماركسية المادية).

وفي المقابل نرى أن القرآن الكريم ورغم مرور زهاء خمسة عشر قرناً على نزوله على نبي الإسلام ﷺ لم تتجاوز ترجماته الـ(٢٣٠) ترجمة! كما ذكره بعض المطلعين، لماذا تركنا التوعية في حين تمسك بها الآخرون؟.

لقد قال أمير المؤمنين عليه السلام «الله الله في القرآن لا يسبقنكم بالعمل به غيركم»[4].

---

(١) البحار: ج ١ ص ١٧٧ ح ٥٤.
(٢) الكافي: ج ١ ص ٣١ ح ٨.
(٣) الكافي: ج١ ص ٢٧ ح ٢٩.
(٤) نهج البلاغة: الوصية ٤٧.

لقد تركنا توعية الناس ونشر المعارف الإلهية فتأخرنا وقام المبطلون والمنحرفون بنشر أفكارهم فتقدموا، وتلك هي سنة الله في الحياة.

إن التوعية والتثقيف لألف مليون مسلم هي إحدى الأسس الرئيسية في تحقيق حكومة الألف مليون مسلم، ولأهمية الوعي والرشد الفكري نجد الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**إن إبراهيم كان أمة**﴾[1] فالله تعالى يعتبر إبراهيم عليه السلام أمة والسبب هو رشده الفكري كما قال تعالى: ﴿**ولقد اتينا إبراهيم رشده**﴾[2].

وفي سبيل إعطاء الرشد الفكري للمسلمين علينا بالجهاد، الجهاد بالقلم واللسان وبمختلف وسائل الإعلام العصرية المؤثرة، وهذا أفضل من الجهاد في المعركة، ولذا نجد الحديث الشريف يقول: «مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء»[3] بحاجة لماذا؟.

إن السبب واضح، ذلك إن القلم واللسان هما اللذان يسببان تحرك الناس نحو الجهاد في ميادين القتال، إضافة إلى أنهما هما اللذان يحفظان الشريعة ويحافظان على مكتسبات الجهاد في المعارك..

إن مداد العلماء أمثال: الصدوق، المفيد، الكليني، المجلسي، المرتضى العلامة المحقق، الشهيدين وغيرهم هو الذي اوصل الينا تعاليم الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وقوانين الاسلام ودساتيره، وهو الذي أوصل الينا انباء غزوات النبي صلى الله عليه وآله وجهاده، وانباء ثورة الإمام الحسين عليه السلام وإستشهاده، إن القلم والكتاب هو الذي حفظ لنا كل ذلك، وهو الذي اوصل الثقافة الإسلامية الينا كاملة غير منقوصة.

وبعملية التثقيف الواسعة النطاق هذه نكون قد أدينا بعض واجبنا الذي افترضه الله علينا وخطونا الخطوة الأولى في طريق تحقيق الحكومة الإسلامية العالمية الواحدة.

---

(١) سورة النحل: الآية/ ١٢٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية/ ٥١.

(٣) ميزان الحكمة: ج٦ص ٤٥٧.

(٤)

الحاكم الأعلى بانتخاب المسلمين

لكي تتحرك مختلف فصائل الأمة نحو إقامة حكومتها الإسلامية الكبرى، ينبغي أنْ تكون علي بصيرة من أمرها، وتعرف جيداً طبيعة الحكم والقيادة التي ستشرف على إدارة شؤونها وتقرر لها مصيرها. وتخطط لمستقبلها. .

ومما يكشف عن أهمية هذا الأمر ما ورد في الحديث الشريف: «كانت الخلاقه قبلَ الخليقة» أيْ أن الله عيّن الخليفة قبل خلق البشرية. ومن الواضح أن إحدى أهم مهام الخليفة هو تطبيق حكم الله في الأرض وإقامة الحكومة العادلة.

والآن سنذكر جانبين من جوانب اسلوب الحكم الإسلامي:

أولاً: إن من الشروط الأساسية في الحكومة تحقيق الشورى والاستشارة في كافة المجالات حيث قال الله تعالى: ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾[1]. فرئاسة الحكومة تكون عبر انتخابات حرة ينتخب فيها الحاكم تبعاً لأكثرية الآراء شرط أن تتوفر فيه: المواصفات التي إشترطها الله سبحانه كالعدالة والاجتهاد في الأمور الدينية والاطلاع على شؤون الدنيا إلى آخر ما هو مذكور في كتب الفقه المفصلة.

وكذلك في كل إقليم وناحية من نواحي البلاد الإسلامية يجب أن ينتخب الناس مرجعاً يكون حاكماً لهم فإقليم العراق، أو إيران أو أندونيسيا أو الباكستان. . إلخ كل ينتخب حاكماً، ويجب أن يخضع حكام البلاد الإسلامية للحاكم الأعلى ـ الذي ينتخب أيضاً بأكثرية الآراء ـ.

ومن الضروري أن تجري انتخابات عامة بين فترة وأخرى ـ كل أربع أو خمس سنوات مثلاً ـ لانتخاب الحاكم العام والحكام المحليين حسب رأي الأكثرية أيضاً. .

فإذن. . الحكم في الإسلام ليس وراثياً دكتاتورياً كما أن الحاكم الذي يأتي إلى الحكم عبر انقلاب عسكري مرفوض من قبل الإسلام حتى لو كان الحاكم

(١) سورة الشورى: الآية/ ٣٨

مسلماً إذا الإسلام يشترط آراء الأكثرية، هذا إضافة إلى أن الاستقراء أثبت لنا أن كل الذين قاموا بانقلاب عسكري في البلاد الإسلامية كانوا مرتبطين أو ارتبطوا فيما بعد بالقوى الاستعمارية.

ومما يؤيد ضرورة ولزوم كون الحاكم منتخباً بأكثرية الآراء حديث سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث أوجب عليه السلام على المسلمين عندما يموت إمامهم أو يقتل ظلماً أن لا يعملوا عملاً ولا يقدموا يداً ولا رجلاً قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً عفيفاً عالماً ورعاً عارفاً بالقضاء وبالسنة يجبي فيئهم ويقيم حجهم ويجمع صدقاتهم[1] - إلى آخر الخبر - .

وقد ورد مثل هذا الحديث أيضاً عن الإمام الرضا عليه السلام باختلاف يسير في بعض الألفاظ.

إننا إذا أعطينا هذا الوعي للمسلمين فإنَّ الحكومات العسكرية والوراثية وغير الاستشارية تُرفض تلقائياً، والموجودة منها سوف تزول طبيعياً.

ثانياً: من الضروري توحيد البلاد الإسلامية كلها تحت لواء حكومة إسلامية واحدة ذات ألف مليون مسلم.

والسؤال هو: ماذا نصنع بالرؤساء الحكام حالاً؟

والجواب: نصنع بهم كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله بأهل مكة بعد الفتح.

فالحكام لو كان فيهم من تجتمع فيه الشروط ورضيت به أغلبية الأمة يتحتم اقراره في منصبه، وإن لم يكن كذلك عادوا افراداً عاديين ولا يعرض لهم. اذ «الإسلام يجبّ ما قبله»، ولذا نجد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عندما فتح مكة عفا عن حكامها ومجرميها ولم يؤاخذهم بما سبق منهم، فقد عفا عن أبي سفيان وصفوان وغيرهما، واصدر قراراً عاماً (إذهبوا فأنتم الطلقاء). وهكذا لم يقتل النبي صلى الله عليه وآله أحداً ولم يسفك الدماء ولم يصادر الأموال ولا ولا.. كل ذلك أوجب استقرار حكومة النبي صلى الله عليه وآله فعندما أراد صلى الله عليه وآله مغادرة مكة، عيّن عتاب بن أسيد - وهو شاب عمره زهاء العشرين سنة! - حاكماً على مكة - عاصمة التحركات المناهضة للنبي

---

(١) الوسائل: ج ٦ ص ١٢٤ باب ٤ من أبواب زكاة الغلاّت ح ١.

ﷺ أكثر من ٢٠ سنة! ـ ولم يجعل معه حرساً ولا شرطة ولا أجهزة ولا مخابرات ولا أي جهاز عسكري أو ارهابي آخر، ثم غادر النبي ﷺ مكة ولم تحدث فيها أية اضطرابات حتى توفي النبي ﷺ:[١].

فكيف إستطاع شاب واحد أن يحافظ على استقرار عاصمة استراتيجية كمكة المكرمة؟ أليس ذلك لسياسة (اللاعنف) التي اتخذها النبي ﷺ تجاه أهل مكة؟

إذن على أصحاب الأقلام والمفكرين أن يعطوا للناس الوعي بضرورة كون الحكومة استشارية، ووجوب إقامة حكومة عالمية واحدة، ولزوم اتخاذ سياسة اللاعنف في كافة المجالات[٢].

(٥)

كيف نصوغ الذهنية الإسلامية؟

لبناء الشخصية الإسلامية ثقافياً نمر بمرحلتين طبيعيتين هما:
الهدم أولاً.. والبناء ثانياً..

---

(١) هذا واقع مثالي نأمل أن يحقق بعد تطبيق الأحكام الإسلامية الأولية وهو بحاجة إلى زمن طويل. وليس المقصود أن تكون الدولة الإسلامية بلا مؤسسات عسكرية وشرطة بعد قيامها وحتى بعد تطبيقها الإسلام. وللتفصيل يراجع كتاب (إلى حكم الإسلام) لسماحة المؤلف دام ظله.
(الناشر)

(٢) لعل هذا الكلام بحاجة إلى توضيح أكثر.. يتم بـ:
ألف:
مسألة العفو عن الحكام الحاليين في البلاد الإسلامية ترتبط بصورة مباشرة بالمصلحة العامة وبظروف الحكومة الجديدة فعلى سبيل المثال: هناك حكّام مجرمون وخونة شعروا بقرب سقوطهم عن العرش المهزوز مثل طاغوت العراق. فاتخذوا استعدادات كبيرة لمصيرهم الأسود. وأرصدوا الأموال الضخمة لذلك وشكلوا التنظيمات السرية.. ويحتمل قوياً إنهم بعد قيام حكومة الإسلام يشنون حرباً عسكرية واسعة عبر سلسلة طويلة من عمليات الإغتيال والتفجير والمؤامرات التي لا نهاية لها..
في مثل هذا الواقع فما هو الأفضل: إثارة عواطف العدو وجرّ الويلات على الحكومة الجديدة. أم محاولة ذكية لا خماده بعدم استخدام العنف مع رموزه؟
ب:
ليس كل الحكام مجرمين. أو على الأصح إن نسبة الإجرام تختلف من حاكم سياسي أو ديني إلى آخر.. وفيهم من لم يشترك باراقة دم أو هتك عرض أو... لكنه ولعدم كفاءته ووعيه ارتكب ما لم يجب عليه أن يرتكبه. فهل يحاسب كمحاسبة صدام وببرك كرمل مثلاً؟ أم ماذا.

فالمرحلة الأولى هي تحطيم الثقافات الاستعمارية الغازية، وهدم البنى الفكرية المستوردة.

وهذا يعني معرفة الأمراض الكامنة في جسد الأمة الإسلامية، ومعرفة كيفية تحقق الهيمنه الاستعماريه علينا، وما هي خططه ومؤامراته التي يحركها ضد الإسلام من وراء الكواليس؟، وذلك لأن الإنسان ما لم يعرف المرض لا يستطيع معرفة العلاج، وكذلك علينا معرفة اسباب تخلفنا، وعلل استعمارنا واستغلالنا وعوامل سيطرة الدكتاتوريين والعملاء علينا، وأسباب تبعض المسلمين وتشتتهم إلى دويلات متناحرة؟. ولمعرفة الحلول والأجوبة علينا أن نعرف السياسة الإسلامية، كيف هي وكيف تطبق في الظروف الحاضرة؟ والاقتصاد الإسلامي والإجتماع في الإسلام، والزراعة، والتجارة، والصناعة، والجيش، والحرب والسلم، والعلاقات الدولية، والأحلاف والمعاهدات وتحقيق الحرية، وتوزيع القدرات في مراكزها الطبيعية؟

ذلك أن لكل واحد منها اسلوباً وطريقة خاصة في الإسلام يجب معرفتها ثم معرفة كيفية تطبيقها في الزمن المعاصر.

ومنذ أكثر من قرن حتى الآن قامت جهات اسلامية عديدة لاجل اعادة الإسلام إلى الحياة، كحركة السنوسي في ليبيا، والمهدي في السودان، وجمال الدين الأسد الآبادى، ومحمد عبده، والمجدد الشيرازي، والأخوند الخراساني، والإمام ميرزا محمد تقي الشيرازي قائد ثورة العشرين وغيرهم كثيرون.

ولكن ـ ومع الأسف الشديد ـ لم كان يمكن اقامة الحكومة الإسلامية الواحدة، وعاد المسلمون عبيداً بايدي الشرق والغرب فلماذا كان ذلك؟

ان السبب ـ كما تدل عليه جملة من القرائن ـ هو ان الأمة كانت تعتمد على الجزء السلبي فقط، اما الجزء الإيجابي في طرح برنامج بديل متكامل فلم يكن مطروحاً عندها، او كان ولكن لم يخرج إلى حيِّز التنفيذ.

وهذا ما يجب أنْ نتداركه في حركتنا الإسلامية العالمية القادمة.

فالواجب معرفة الجزء الإيجابي ـ أيضاً ـ والذي هو عبارة عن: كيفية الحكم في المستقبل وفقاً للمقاييس الإسلامية.

ومن الضروري نشر هذا الوعي بين الجماهير عبر مئات الملايين من الكتب

التي تضع بديلاً متكاملاً جوانبه، محددة برامجه، واضحة معالمه، بينة أساليبه وأهدافه . .

وما لم نفعل ذلك سوف تتكرر المأساة مرة اخرى.

وهذا مثال حيّ يوضح لنا ذلك: -

فالمسلمون هم الذين تحركوا وكانوا السبب في إسقاط الحكومة الأموية فلماذا لم يقع الحكم في أيدٍ امينة؟ بل استلم ازمة الحكم ثلة من العباسيين الذين قاموا بالجرائم ذاتهاالتي كان يرتكبها الأمويون؟

السبب في ذلك أن المسلمين لم يكن لديهم وعي إسلامي كامل، فتصوروا أن أبا مسلم الخراساني وأبا سلمة الخلال والمنصور والسفاح وأشباههم لو أستلموا الحكم فستمطر السماء ذهباً، ولم يفكروا أنَّ الخلافة من حق الإمام المعصوم عليه السلام وهو أجدر الناس بها، فكيف يسلمونها لغيرهم؟

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: لم يفكروا أن القدرات لو تجمعت بيد شخص واحد أو حزب واحد أو عائلة واحدة لاستأثروا بها ولاسكرتهم كما أسكَرَتْ الذين من قبلهم قال الله تعالى: ﴿**إن الإنسان ليطغى ان رآه استغنى**﴾[1] وورد في الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام «من ملك استأثر»[2].

هؤلاء نسوا الإمام المعصوم عليه السلام ونسوا اساس الشورى الذي قرره الله - بعد الإمام - فاستلمت الحكم مجموعة اضاعت مكاسب الثورة كلها. . ثم بعد ذلك عندما تبيّن لديهم انحراف السلطة العباسية لم يقاومها الأكثرون، أليس ذلك لعدم الوعي؟ ونتيجة لاستفراد العباسيين بالحكم ودكتاتوريتهم بدأت التصفيات الداخلية شديدة عنيفة بينهم، حتى ان أبا مسلم الخراساني - قائد الثورة ضد الأمويين - لم يسلم منها، ولقد عرف أبو مسلم ذلك فقد قال: أن مثلي والخليفة العباسي كمثل عابد رأى عظام أسد بالية فدعى الله أن يحييه مرة أخرى ولما استجاب الله دعاءه واعاده حياً قفز الأسد على العابد ليفترسه فقال له العابد: أتفترسني وانا طلبت من الله احياءك؟ فاجابه الاسد: انك كما احييتني تستطيع بدعاء واحد ان تميتني، ولذلك فضلت قتلك قبل ان تقتلني . .

---

(١) سورة العلق: الآية/ ٦ - ٧.

(٢) نهج البلاغة: قصار الحكم رقم ١٦٠.

ويستمر ابو مسلم قائلاً ان الخليفة العباسي يفكر التفكير ذاته، فانا الذي قمت بالثورة وجئت به الى كرسي الخلافة ولعلي استطيع ان اقوم بثورة اخرى ضده واطيح به، لذا يرى ان من الافضل ان يقضي عليّ قبل ان أقضي عليه!!.

إن أكل الثورة لأبنائها طبيعي في حالة غياب الوعي الجماهيري وفي حالة عدم توزيع القوة وانحصارها بفئة واحدة.

إذن: يجب علينا.

أولاً: تحطيم الأنظمة الجائرة الحاكمة في بلادنا.

وثانياً: معرفة الطريق الطبيعي المؤدي إلى اقامة حكومة إسلامية مكانها وفق الأسلوب الإلهي، وان نعرف كيفية تحقيق الحريات فيها، والتقدم الصناعي والثقافي، ونعرف كيفية توزيع القدرات؟ وكيفية احياء نظام الإقتصاد الإسلامي - الذي يغاير الإقتصاد الرأسمالي والشيوعي والاشتراكي والتوزيعي وكيف نستطيع إزالة الحدود المصطنعة والجمارك؟ وكيف نتمكن من اسقاط الضرائب اللاسلامية، وكيف نزيل الربا من البنوك عملياً دون أن تصاب البنوك باضطرابات مالية؟ وإلى آخر القائمة..

وإذا قمنا بذلك كله نكون قد قمنا ببند من بنود تشكيل الحكومة الإسلامية العالمية الواحدة وتبقى بنود اخرى سنتطرق لها في المباحث الآتية إن شاء الله.

(٦)

نشر الوعي في البلاد الأجنبية

إن الإقتصار على تثقيف المسلمين المتواجدين في بلاد الإسلام فقط بالثقافة الإسلامية يؤدي إلى تحجيم الحركة الإسلامية وعدم توسعها، ومن هنا فإن من الضروري نشر الوعي الإسلاميّ المتكامل في البلاد الأجنبية أيضاً.

ويعتمد ذلك على دعامتين:

أ - تثقيف المسلمين المتواجدين في البلاد الأجنبية بالثقافة الإسلامية وتعليمهم كيفية التبليغ للإسلام، واعداد المسلمين في البلاد الأجنبية الكبيرة، ففي فرنسا يوجد ما يقارب اربعة ملايين مسلم، وفي المانيا أكثر من هذا الرقم، وفي الصين أكثر من مئة مليون مسلم، وكذلك في الاتحاد السوفياتي، وفي أمريكا

ثلاثة ملايين من المسلمين السود، وأعداد كبيرة من غيرهم أيضاً، وفي بريطانيا ما يقارب المليون إلى غير ذلك.

ب ـ إيصال صوت الإسلام إلى الكفار والمعادين للإسلام عبر محطات للإذاعة مخصصة لهذا الغرض وبكل اللغات، وكذا عبر المجلات والجرائد والصحف وبكثافة كبيرة وكذا نشر الكتب التي تبيِّن لهم ماهية الإسلام واهدافه الإنسانية، وذلك لهدايتهم أو على الأقل للتخفيف من عدائهم للإسلام.

ذلك أن الدعايات الشيوعية والصهيونية والصليبية أثَّرَتْ على الكثيرين، وصورت لهم الإسلام ديناً وحشياً قاسياً، ولذا لا تقابل تحركات الحكومات الأجنبية ضد المسلمين ـ حرباً كانت أو مجازر أو تصفيات أو غير ذلك ـ بمخالفة تذكر من قبل شعوبهم بل وتلقى التأييد منهم ـ على الأغلب ـ.

ان الصهيونية تسيطر على أكثر من ألف جريدة خارج إسرائيل، بينها أمهات الجرائد العالمية وذلك أحد أسباب تمكنها من كسب الرأي العام الغربي بل والعالمي إلى جانبها رغم كونها غاصبة ومحتلة ورغم ان تعداد نفوسها لا يتجاوز العشرين مليون نسمة (أي نسبة ٥٠٪ من المسلمين). ونحن رغم أن عددنا ألف مليون ورغم اننا أصحاب الحق الشرعيّ ورغم اننا حيثما وجدنا كنا مضطهدين محرومين مشردين، مع ذلك لا نحاول ايصال صوتنا إلى العالم بل لا نمتلك حتى جريدة واحدة واسعة الانتشار تعرف العالم الى جانب من أفكارنا ومظلوميتنا!

لقد حرض الإسلام على طلب العلم ـ يقول الله تعالى: **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾**(١) وقوله **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**(٢).

وفي الحديث: «مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء»(٣) «قيمة كل امرىء ما يحسنه»(٤) «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة»(٥).

إضافة إلى ذلك فقد جعل الإسلام تعلم بعض العلوم واجباً عينياً والبعض الآخر واجباً كفائياً، والسؤال هو لماذا كل ذلك؟

---

(١) سورة المجادلة: الآية/ ١١.
(٢) سورة الزمر: الآية/ ٩.
(٣) ميزان الحكمة: ج ٦ ص ٤٥٧.
(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم رقم ٨١.
(٥) البحار: ج ١ ص ١٧٧ ح ٥٤.

إن من أسباب ذلك: رفع المستوى الفكري للمسلمين وجعلهم علماء في كافة المجالات حتى لا يكونوا عرضة للتمزق والتحطم أثر ضربات الأعداء وحتى يستطيعوا المقاومة أمام الأعداء بل وجر الأعداء إلى صفوفهم أيضاً إذ يكونون بأقلامهم مناراً للضالين وسراجاً للمسترشدين وضياءاً للجاهلين، ذلك أن المسلم الجاهل لا يستطيع إقناع الآخرين بأفكاره عكس العالم العامل.

إذن من الضروري إعطاء الأجانب نظرة صحيحة عن الإسلام ويتم ذلك عبر:

أ ـ تثقيف ملايين المسلمين المقيمن في البلاد الأجنبية.

ب ـ تأسيس وتكوين محطات الإذاعة والتلفزة، والمجلات والصحف.

ج ـ تأسيس مؤسسات التبليغ الإسلامي في كل دولة اجنبية، وتكون مهمة كل مؤسسة تكوين فروع وممثلين عنها في كافة أنحاء الدولة، ليكونوا على اقلّ تقدير ألف ممثل وفرع، مهمتم بيع ونشر وتوزيع الكتب والمجلات. وإلى جنب ذلك يقومون بمهمة الاتصال بشعوب تلك البلاد ومثقفيها وتكوين علاقات معهم مقدمة لهدايتهم وتوجيههم.

وليس تحقق ذلك خيالاً سوفسطائياً أو حلماً بعيداً عن الواقع، بل انه امر واقعي، ولكنه يحتاج إلى جهود مضنية قد تستمر عشرين سنة أو أكثر او اقل حتى يتحقق الهدف المنشود.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء يطير بهمته كما يطير الطائر بجناحيه».

فإذا كنا من ذوي الهمم العالية والإرادات القوية فإننا سنصل إلى تحقيق أهدافنا السامية بإذن الله تعالى.

(٧)

لماذا تحررت البلاد بالأمس وسقطت اليوم؟

الثقافة هي التي ترسم للاجيال مسيرتها، وهي التي تحدد طريقة تعامل الأمة مع الأحداث والوقائع، وهي التي تعين مستقبل الأمة.

فالثقافة الإسلامية الأصيلة تجعل الأمة تسير سيراً متميزاً في الحياة فكرياً

وعملياً، ونظرياً، وسلوكياً، والمسلمون في الصدر الأول تحلوا بهذه الثقافة فحرروا نصف الكرة الأرضية بعد اقل من ثلث قرن من بداية جهادهم المقدس في السنة الأولى للهجرة.

والمسلمون قبل ستة عقود ـ وفي العراق بالذات ـ امتلكوا قسماً من هذه الثقافة عام ١٩١٨ م ـ ١٩٢٠ م حيث استطاع المسلمون العراقيون ـ وعددهم لا يزيد على الاربعة ملايين نسمة وبقيادة آية الله العظمى الإمام الراحل الشيخ محمد تقي الشيرازي الانتصار على أعظم امبراطوريات العالم، الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس (بريطانيا)، القوة العظمى الوحيدة ذلك اليوم فكيف استطاعوا ذلك؟

السبب هو أن ثقافتهم كانت ثقافة الدين والفضيلة والقرآن والسنة واتباع القيادة المرجعية رغم انهم لم يكونوا يمتلكون أسلحة حربية متطورة ولا اجهزة مخابرات حديثة، وانما كانوا مجرد عشائر وقبائل لا حضارة حديثة لهم، ولكن الثقافة الإسلامية هي التي جعلتهم يقاومون ويقدمون الألوف من الضحايا في سبيل دفع المعتدين، ثم بعد ذلك استطاع الإمام الشيرازي تشكيل الحكومة الإسلامية في كربلاء المقدسة، ولولا وفاة القائد لجرت الأحداث على غير ما جرت، ولكن وبعد مرور فترة زمنية استطاع العملاء كعبد الكريم قاسم وعبد السلام وعبد الرحمن عارف وأخيراً عفلق وحزب البعث من السيطرة على هذا الشعب وسومه سوء العذاب ﴿يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم﴾[1]! ـ ذلك بكل صراحة ووضوح. فما السبب؟.

السبب واضح: ألابناء ـ ككل ـ لم يسيروا على طريق الآباء وكما قال تعالى: **﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾**[2] وابتعدوا عن الثقافة الاسلامية وانغمسوا بالثقافة الاستعمارية لذلك حلت الثقافة الاستعمارية محل الثقافة الإسلامية الأصيلة، ثقافة التحلل، ثقافة اللامبالاة وعدم الإحساس بالمسؤولية.

ان الآباء حاربوا بريطانيا لان ثقافتهم كانت ثقافة إسلامية، بيد ان الأبناء ركعوا لها فما هو الفارق؟ إن الفارق هو ان الثقافة الاستعمارية استطاعت التغلغل في اذهانهم وعندما تغيرت الثقافة تغير كل شيء.

---

(١) سورة القصص: الآية/ ٤.

(٢) سورة مريم: الآية/ ٥٩.

ونحن لا نستطيع تحرير العراق، فلسطين، لبنان، أفغانستان... وكل الدول الإسلامية المستعمرة، إلا بتبديل ثقافة هؤلاء الرازحين تحت نير الظلم والاستبداد إلى ثقافة إسلامية اصيلة يتمسكون بها بقوة وصلابة وفي كل الظروف، وتحت اية ضغوط.

ونستطيع ان نعرف هذه الحقيقة من احدى قضايا الإمام الشيرازي في العراق ابان ثورة العشرين، اذ انها تدلنا على الصلابة في التمسك بالثقافة الإسلامية وأهميتها في المقاومة:

القضية ينقلها رئيس بلدية البريطانيين في كربلاء، وكان مسلماً ولكن خدعه البريطانيون نتيجة قلة وعيه السياسي والديني فقبل هذا المنصب من قبل الغزاة يقول: أراد كوكس - الحاكم البريطاني العام في العراق - زيارة الشيخ محمد تقي الشيرازي قائد الثورة، ولكن الإمام الشيرازي رفض ذلك بشدة قائلاً: (ما دامت بريطانيا تستعمر العراق فلا أسمح له بزيارتي) ورغم شدة الضغط الذي وُجّه للقائد الشيرازي كي يقبل بالزيارة رفض.

وأخيراً وبعد ما عجز كوكس عن الزيارة طلب مني - والكلام لرئيس البلدية - أنْ إذهب إلى دار الإمام الشيرازي ثم وبعد قليل يأتي هو - أي كوكس - ودون إعلام مسبق - إلى الدار إذ لو علم الإمام الشيرازي لمنعه من الزيارة ودخول الدار.

يقول رئيس البلدية: ذهبت إلى دار الإمام فرحب بي وقدم الخادم الشاي لي، وبعد مدة جاء كوكس فقلت للإمام الشيرازي بعجلة وأرتباك: (لقد جاء كوكس الحاكم العسكري البريطاني العام) وكنت اتوقع من الميرزا أن يحترمه ويقوم له، لكن الميرزا اطرق برأسه إلى الارض، ودخل كوكس وجلس وتكلم مع الميرزا بكلمات لكن دون ان يسمع اي جواب، ودون ان يرفع الميرزا حتى بصره اليه، ومكث كوكس مدة هكذا، حتى أنّ الخادم لم يأت له بالشاي!

اخيراً، قام كوكس وقد احمر وجهه خجلا وامتلأ غضباً وذهب، فقلت للميرزا: يا شيخنا إني موظف بسيط عند هؤلاء في ادارة البلدية، ومع ذلك عندما جئت احترمتني ورددت سلامي وامرت لي بالشاي، وعندما جاء كوكس هو يمثل حكومة بريطانيا العظمى لم تعر له اي اهتمام فلماذا؟

يقول رئيس البلدية: هنا رفع الإمام الشيرازي رأسه وقال: يا فلان انت رجل مسلم تشهد الشهادتين ولذا احترمتك رغم ان طريقتك خاطئة في قبولك هذا المنصب من قبل هؤلاء الكفار، ولكن كوكس رجل كافر أجنبي مستعمر، ولو

كنت أعلم بانه يريد المجيء لم اكن أءذن له بالدخول في داري والجلوس على بساطي فكيف ارحب به؟!

نعم.. هذه الثقافة الرسالية الصلبة هي التي رسخها القائد في الشعب العراقي، وبهذه الثقافة استطاعوا دحر الأعداء وتسجيل تاريخ مشرق من البطولة والجهاد والنضال في سبيل الله والاستقلال والحرية.

كانت هذه الثقافة هي التي طردت الإنجليز للمرة الثانية من العراق إبان الحرب العالمية الثانية، وذلك بقيادة آية الله العظمى السيد حسين القمي في كربلاء المقدسة، وآية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني في النجف الأشرف، وسائر العلماء الأعلام.

وكانت هذه الثقافة ايضاً هي التي طردت الانجليز من ايران في ثورتي التنباك والمشروطة المشهورتين، وكذلك طردت الشاه وأسياده من البلاد.

ان الغربيين والشرقيين عرفوا أن سر هذه الثورات يكمن في الثقافة، التي يحملها هؤلاء المسلمون، ولذا حاولوا تغيير هذه الثقافة وبالفعل استطاعوا تبديلها إلى ثقافة استعمارية او مخلوطة على احسن الفروض، ولذا تسنى لهم استعمار البلاد الإسلامية سنين طويلة وحتى الآن، واستطاعوا تقطيع البلاد الإسلامية، وفصل بعضها عن بعض بحدود مصطنعة، كما استطاعوا نسخ القانون الإسلامي وابداله بالقوانين الشرقية او الغربية..

ان الثقافة الإسلامية واضحة المعالم، وهي موجودة في الكتاب والسنة والكتب الفقهية والإسلامية بشكل متكامل، فإذا استطعنا اعادة هذه الثقافة وتعميمها فعندئذ تكون قد تقدمنا خطوة اخرى في طريق تحقيق الحكومة الإسلامية العالمية الواحدة.

(٨)

لنثقف المسلمين قبل أن يثقفهم غيرنا

إن التثقيف ـ كما سبق ـ امر بالغ الأهمية، اذ انه سبب التغيير إلى الأحسن او إلى الاسوأ..

وقد اغفل المسلمون اهمية التثقيف وتناسوه في الوقت الذي ادرك الغربيون والشرقيون اهميته وراحوا يعملون بكل طاقاتهم في هذا السبيل.

وهذه بعض الامثلة التي تدلنا على كيفية عمل الاجانب في هذا المجال.

أ ـ نقل هذه القصة احد علماء طهران وعمره يناهز الثمانين، قال: قبل حوالي ٧٠ سنة ـ وكنت انذاك طفلا أذهب إلى الكتاتيب، في احدى المدن المقدسة في العراق، بينما كنت أذهب في الصباح الباكر إلى المدرسة اذا بي أرى في السوق الكبير ازدحاماً وتجمعاً كبيراً، فاتجهت إلى مركز التجمع وإذا بي أرى رجلين يحمل احدهما على رأسه كمية من الكتب وهو يعطي كل رجل كتاباً، وكان رفيقه يعطي لكل إنسان أخذ كتاباً عشر روبيات ـ أي ما يعادل مثقالاً من الذهب ـ ذلك اليوم ـ. يقول العالم: تقدمت واخذت كتاباً وعشر روبيات، وانا لا أعرف ماهية الكتاب، وعندما رجعت إلى الدار واريته لمن في المنزل تبين انه كتاب يبشر للمسيحية!

هكذا في بلدة مقدسة يوزعون كتبهم مع اعطاء الرشوة.. ولذا نراهم سيطروا على أغلب دول العالم رغم ما في دينهم من خرافات، وأن بروز عفلق وحزب البعث على الساحة العراقية من الثمار الطبيعية لتلك الجهود التي دامت أكثر من نصف قرن وبتركيز شديد (كل من سار على الدرب وصل)، والله سبحانه يعطي كل إنسان حسب سعيه وجهده في هذه الحياة يقول تعالى:

﴿كُلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربِّكَ وما كان عطاء ربك محظورا﴾[1]. ففي الدنيا يمد الله الكافر والمؤمن، كُلاً حسب سعيه كما امد موسى عليه السلام وفرعون، وامد إبراهيم عليه السلام ونمرود، وامد عيسى عليه السلام وهيردوس، وامد النبي صلى الله عليه وآله وأبا جهل، وأمير المؤمنين عليه السلام ومعاوية، والحسين عليه السلام ويزيد، هذه هي سنة الله في الحياة حتى تظهر السرائر **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾**[2] فالصليبيون والصهاينة والشيوعيون لو عملوا أكثر منا تقدموا بالطبع والعكس بالعكس.

ب ـ نقل أحد العلماء قال: قبل أكثر من ربع قرن كنت في السيارة راجعاً من الكاظمية ـ حيث مرقد الإمامين الكاظم عليه السلام والجواد عليه السلام ـ إلى بغداد ثم كربلاء، وعند مرورنا ببغداد وصلنا إلى الجسر، وعندما وقفت السيارة عند الإشارة الحمراء رأينا رجلاً يتقدم ويقذف في كل سيارة بمجموعة من الكتب وعندما نظرت

---

(١) سورة الإسراء: الآية/ ٢٠.

(٢) سورة هود: الآية/ ٧.

إلى الكتب التي رمِيت في سيارتنا رأيتُها عشرةً تقريباً مطبوعة طباعة جميلة جذابة وبعضها مجلد، تبشر بالمسيحية.

هكذا كانوا يعملون قبل ربع قرن واما الان فانظروا كيف يعملون؟.

ج ـ في حديث لاحد الأصدقاء يقول: «كنت اعمل في سوق الصفارين ببغداد وهو سوق كبير، والعاملون فيه كلهم مسلمون، وكنت واحداً من الصفارين وقد كان دأب احد المسيحيين ان يأتي كل أسبوعين أو كلّ شهر مثلاً، ويقدِّمُ لكل صفار كتاباً وربما كان الكتاب مجلداً ضخماً بقيمة دينار كامل، وعندما كان المبشر المسيحي يخرج من السوق، كان الصفارون يُلقون بالكتب في النار (في الكورة التي يستخدموها لاعمالهم، حيث إنهم يعلمون أنها كتبُ مسيحية وحفظ كتب الضلال محرم).

يقول الاخ: فكرت ذات مرة ان أقول للمسيحي واقع الحال حتى يمتنع عن الاستمرار في توزيع الكتب، وبالفعل عندما جاء هذه المرة ووزع الكتب واراد الذهاب عقبته وقلت له: انك تعلم أيها المبشر المسيحي ان هؤلاء مسلمون وهم يحرقون هذه الكتب التي تعطيها لهم، فلماذا تفعل ذلك؟ إذ أنها جهود لا طائل تحتها ولا ثمرة لها، قال: فتبسم المسيحي وقال: اني اعلم بذلك منذ اليوم الاول لاني رأيت بطرف عيني احراقهم للكتب!!

فقلت له: اذن ما الداعي لما تفعل؟

قال: صحيح ان هؤلاء يحرقون الكتب ولكن ربما لا يحرق أحدهم الكتاب، بل يذهب به إلى داره فيقع الكتاب في يد ابنه أو ابنته، فيطالعه وتطالعه ويؤثر عليهما ولو جزئياً، وهذا ربح لنا!!.

هكذا يضحون بالمال والأتعاب والطاقات في سبيل تحريف شخص واحد!؟

هؤلاء يعملون هكذا، اما نحن فاننا لم نستطع تثقيف حتى شبابنا وفتياتنا وهذا هو سبب تأخرنا، ولذا تجد كثيراً من المسلمين لا يعرفون شيئاً عن: الفكر الإسلامي، السياسة الإسلامية، الإجتماع والإقتصاد و.. في الإسلام، كما لا يعرفون شيئاً عن كيفية عمل المستعمرين في بلادنا واساليبهم وخططهم، ولا يعرفون كيف يواجهونهم ويسدون الطريق عليهم.

ان تغلب القوى الاستعمارية علينا يعود إلى عدم تثقيفنا انفسنا والآخرين،

وسبب جهلنا ليس بالدين فقط بل بالدنيا أيضاً، وفي الحديث «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[1] كما تقدم، وعكسه غير العارف بالطبع.

إننا لو كنا علماء بالدنيا وأساليبها فهل كانت فلسطين مستعمرة صهيونية؟ وهل كانت لبنان تستعمرها فرنسا أبان الحرب العالمية الثانية ثم يحكمها الصليبيون؟ وهل كانت أفغانستان يحتلها الروس عسكرياً وبقوة السلاح؟ وهل كانت الفليبين ـ التي يشكل المسلمون ربع شعبها ـ يحكمها ماركوس ثم يقتل من مسلميها أكثر من مئة ألف؟ وهل..؟

لماذا كل ذلك؟

لأننا أصبحنا جاهلين، عديمي الثقافة، فاقدي الدراية، فقراء للمعرفة عراة عن الفهم الديني والدنيوي، ولذا خسرنا ديننا كما خسرنا دنيانا، حسب ما جاء في الحديث الشريف: «من لا معاش له لا معاد له».

إذنْ فعلينا جميعاً أن نساهم في عملية التثقيف حتى نستطيع تحرير المسلمين من كيد الكفار والمستعمرين، وإقامة حكم الله على وجه الأرض.

(٩)

تحويل الثقافة الجاهلية إلى ثقافة إسلامية

قلنا فيما مضى أن الثقافة هي التي تعين أتجاه الإنسان، أنْ خيراً فخير، أو شراً فشر.

مثلاً: الشخص الذين يذهب إلى المبغى فانما توجهه ثقافتهُ نحو ذلك، والذي يذهب إلى المسجد فانما يسير بدافع من ثقافته..

هذا في الجزئيات، وكذلك الامر في الكليات، فالثقافة إذا تحولت لدى المسلمين من ثقافة إستعمارية إلى ثقافة اسلامية تحولوا هم أيضاً من الانحطاط والاستغلال والعبودية إلى العزة والتقدم والاستقلال.

وعندما نتطلع إلى تاريخ المسلمين قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره، نشاهد

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٧ ح ٢٩.

ذلك بوضوح، فعندما كانت عقليات (الغاب) وثقافة (الانا) تحكم الناس كانت أعمالهم هي النهب والحرب والسرقة وشرب الخمر وتعاطي البغاء، وكانوا متخلفين فكرياً واقتصادياً وفي سائر المجالات.

ولكنهم بعد الإسلام - على أثر تحول ثقافتهم إلى ثقافة ربانية رحمانية، وإلى ثقافة «احب لاخيك المسلم ما تُحبّ لنفسك»[1]، نشاهد حدوث انقلاب واسع وعميق في ضمير الشعب وحياته، فلا خمر ولا فجور ولا مشاحنات ولا حروب تطحن الأخوَةَ بعجلاتها، بل حروب لتحرير من بقي تحت الظلم من المستضعفين، وبذلك تمكن هؤلاء ان يشكلوا اعرق حضارة في التاريخ، هؤلاء خرجوا عن طَوْقِ الشهوات وسلخوا عن أنفسهم عبودية الأهواء والملذات فصاروا أحراراً يعملون للعقيدة والمبدأ والإنسانية.

هذا أحدهم: شاب من احدى القبائل القاطنة في اطراف المدينة المنورة مات أبوه - رئيس القبيلة - وتولى الرئاسة محله عمُه الذي كانت له بنت جميلة وثروة عريضة وزعامة على القبيلة.

هذا الشاب كان مرشّحاً لان يكون زوجاً للفتاة، وفي حالة وفاة عمه يرث الزعامة والمال والمكانة الإجتماعية المميزة..

كان يذهب هذا الفتى إلى المدينة كل شهر لاجل شراء ما تحتاجه القبيلة، وذات مرة وأثناء جولته في المدينة رأى رجلاً يخطب في ساحة تحيط بها جدران أربعة قصيرة على مجموعة من الناس، وقف يسمع، جذبته الخطبة: سأل رجلاً: من الخطيب ومن المستمعون؟.. اجابه الرجل: الخطيب، محمد رسول الله ﷺ والجالسون هم المسلمون، وهذا المحوطة مسجد بناه المسلمون.

رجع الشاب إلى قبيلته وفي الشهر التالي عاد إلى المدينة للاشتراء وذهب إلى المسجد للاستماع، وفي المرة الثالثة والرابعة كان يحس بانه ينجذب اكثر فاكثر نحو هذا الرسول الجديد.

وفي احد الايام خاطب عمه: يا عم لماذا تشتري كل شهر مرة، فلنشتر كل اسبوع مرة حتى تكون البضائع والمواد التي نشتريها جديدة!، وقبل العم وهكذا

(١) الكافي: ج ٢ ص ١٧٠ ح ٥.

اصبح باستطاعة الشاب أن يستمع إلى الرسول كل اسبوع مرة واحدة وبعد مدة أسلم الشاب وجاء إلى عمه قائلاً: يا عم قد أسلمت.

قال العم: اصبوت إلى دين محمد.؟

قال: إنَّ دين محمد هو الإسلام لا انحراف فيه.

قال العم: يا بني لو اصررت على اسلامك فلن ازوّجك ابنتي.

أجابه الشاب: هذا هيّن، لا رغبة لي في النساء.

قال له العم: وسوف امنعك من دخول بيتي.

أجابه الشاب: ان ذلك سهل، فارض الله واسعة.

قال له عمه: سأحرمك الثروة.

اجابه: ان الثروة مال فانٍ وزائل.

فقال: ستحرم عن رئاسة القبيلة.

أجابه الشاب: إنني لا اريد الزعامة.

فقال له العم: يجب عليك أن تنفصل عن قبيلتنا.

اجابه: سوف اخرج.

قال له العم: وعليك ان تنزع كل ملابسك وتعطيها لي.

أجابه: لا بأس.

فجرده عمه القاسي كل ملابسه وتركه عارياً، ولما رأته امه عارياً حنت عليه واعطته فراشاً، شَقَّهُ نصفين وجعله إزاراً ومئزراً لبسهما، ثم اتجه نحو المدينة ووصلها ليلاً - وليس معه أيُّ شيء - واتجه نحو المسجد ونام الليل فيه، وعندما جاء الرسول ﷺ إلى صلاة الصبح رأى شاباً غريباً فسأله من أنت؟ فذكر له الشاب اسمه الجاهلي فقال له الرسول إن اسمك هو عبد الله ذو البجادين - البجاد هو الفراش الذي لَفَّهُ الشاب حول نفسه...

وبدأ الشاب يأتمر باوامر الإسلام حتى استشهد في احدى المعارك.

ماالذي غير شخصية عبد الله ذي البجادين، وأحدث انقلاباً في ضميره؟ إن الذي تغير في هذا الشاب هو ثقافته فأحدثت فيه هذا التغيير الهائل.

هذه هي آثار الثقافة، فالتغيير الثقافي يسبب تغيير المناهج العملية و المناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية.. إلخ.

إنّ علينا أنْ نغير الثقافة الجاهلية، يقول تعالى: (**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**)[1] ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون**﴾[2] ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾[3] ويقول تعالى: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً**﴾[4]..

إن في المسلمين أفراداً يحملون ثقافة إسلامية راقية دون شك ولكن الكلام حول الأغلبية الساحقة منهم، هؤلاء علينا تغييرهم، وإحدى الخطوات في طريق التغيير هي طبع ألف مليون كتاب توعوي في مختلف النواحي: سياسياً وإقتصادياً واجتماعياً وزراعياً ومعاملياً وتربوياً، وفي مجال الحريات والشورى إلى غير ذلك.

وإحدى مجالات التغيير أنْ يعرف المسلم العربي أنه أخ للمسلم الهندي وللفارسي وللتركي و.. وبالعكس كما جعل رسول الله ﷺ بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وأبا ذر العربي أخوَةً لا يمتاز أحدهم على الآخر إلاّ بالتقوى، فاللغة واللون والقوميات والجغرافيات ليست هي المقاييس السليمة وليست سبباً لأ فضيلة هذا على ذاك.

إذا استطعنا صنع ذلك كله نستطيع حينئذ أنْ نقول إننا خطونا خطوة مؤثرة في سبيل حكومة الألف مليون مسلم، وإن التجارب في سبيل توحيد الأمم تحت راية واحدة غير نادرة في التاريخ فقد استطاع ماوتسي تونغ الملحد أن يوحُد الصين تحت راية الكفر ونفوسها مئات الملايين، وكذلك استطاع غاندي توحيد الهنود ونفوسهم في ذلك الوقت مئات الملايين..

ونحن بالطبع نستطيع ذلك شرط العمل المستمر الدائب تحت راية القرآن وتعاليم السنة المطهرة.

---

(١) سورة المائدة: الآية/ ٤٤.

(٢) سورة المائدة: الآية/ ٤٧.

(٣) سورة المائدة: الآية/ ٤٥.

(٤) سورة النساء: الآية/ ٦٥.

(١٠)

الثقافة تصنع المعاجز

إن إقامة الحكومة الإسلامية العالمية الواحدة واجب شرعي كالصلاة والصوم والخمس والزكاة، كما يستفاد ذلك من الأحاديث الكريمة، والتثقيف هو احد أهم أركان اقامة هذه الحكومة فان الثقافة هي التي تغيِّر مسيرة الإنسان إلى الاحسن أو الاسوأ وقد ذكرنا لذلك بعض الأمثلة واليكم مثالاً آخر:

الفضيل بن عياض سارق معروف، وقاطع للطريق له عصابة قوية مرهوبة الجانب مشتهرة بالفساد، اضافة إلى اللصوصية والسرقة، وكانوا اذا دخلوا قرية من القرى نهبوا الاموال وهتكوا الاعراض وقتلوا من يقف أمامهم، وساعدهم على هذا ضعف الحكومة وعدم اهتمامها بشؤون رعاياها..

ذات مرة شاهد الفضيل فتاة قرب إحدى القرى، خاطبها بلهجة الأمر: اخبري اباك انني سآتي الليلة وأحل ضيفاً عليكم وعليه أن يهيئك لي.

ارتعدت الفتاة خوفاً من مصيرها المظلم، وجاءت واخبرت عائلتها، أخذ الاب والام وكلُّ العائلة بالبكاء والنحيب، ولكن لا مفرّ لهم، فهم مضطرّون للاستجابة إلى الفضيل لانه بالاضافة إلى هتكه عرضهم بالقوة سيقتلهم أيضاً.

وفي ظلام الليل البهيم، إقترب الفضيل من القرية والعائلةُ ساهرةٌ باكيةٌ متضرعةٌ إلى الله كي ينجيهم من هذا الطاغي..

وتسلق الفضيل الجدار، وإذا به يسمع صوتاً شجياً يقرأ القرآن ويترنم بآيات تدوّي في فضاء الليل الساكن، استمع الفضيل فتناهت إلى سمعه الآية التالية:

﴿ألم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾(١)

إرتجف الفضيل بشدة وهو يستمع إلى هذه الآية، لقد نفذت الآية المباركة إلى اعماق قلبه وهزته، بدا وكأن صاعقة قد سقطت عليه، اضطرب قلبه وجرت دموعه على خديه، وهو يتذكر ماضيه الأسود، قال لنفسه: «نعم آن لي أنْ يخشع قلبي لذكر الله» ولعل الله قد استجاب دعاء تلك العائلة التي تضرعت إليه.

---

(١) سورة الحديد: الآية/ ١٦.

وتاب الفضيل إلى الله توبة نصوحاً وهو على السطح، ومن هناك خاطب أهل الدار: يا أهل الدار: أنا الفضيل، ولقد تبت إلى الله، وأنا أعتذر إليكم حيث إنني أرعبتُكم. وأخفتكم، ثم خرج من الدار هائماً على وجهه في نصف الليل حتى وصل إلى خربة فنزل فيها ينتظر الصباح ليرجع إلى المدينة، ويُظهر توبته للناس، وبينما هو غارق في بحار التفكير في الخربة، إذا به يسمع صوت شخص يتحدث إلى آخر قائلاً: من الافضل ألاّ تتحرك قافلتنا في هذا الوقت من الليل، فربما قطع فضيل وعصابته علينا الطريق.

فاجابه آخر: اننا أقوياء مسلحون جيداً، وإذا تعرض لنا فضيل وعصابته فإننا سنضطرهم للفرار.

وهنا صاح فيهم الفضيل: أيتها القافلة سيري بسلام فقد تاب فضيل وها أنا هو لا خوف عليكم منه، ولكن القافلة لم تصدِّقْ أن هذا هو الفضيل.. إقترب الفضيل من القافلة وهو يبكي وينتحب وينثر التراب على رأسه، وعندما رأته القافلة عرفته.

ومنذ ذلك الوقت تحول الفضيل إلى عابد زاهد، حتى أخذ يضرب به المثل في العبادة الزهد والفضيلة والتقوى.

ما الذي قلب هذا الرجل وغيره جذرياً؟ أهو «البوليس» أم القانون أم المال أم الزوجة..؟ كلا إن الثقافة القرآنية هي التي غيّرته إلى فرد صالح، وجعلته من الشخصيات البارزة في التاريخ، نعم.. إن للثقافة هذا الدور البارز.

(مس بيل) الجاسوسة البريطانية تقول في مذكراتها: «إننا وجدنا ان الذين حاربونا في العراق ابان الحرب العالمية الأولى كانوا هم السبب وراء فشلنا، وكان محركهم العلماء، وقد رأينا ان القضاء على هذه المقاومة لا يتم الا عبر فصلِ الشعب عن العلماء، بحيث لا يتبع الشعب قيادته، ولاجل تحقيق ذلك، كان لا بد لنا من تغيير ثقافة الشعب، وذلك عبر فتح المدارس في كل النواحي والالوية وتربية الطلاب فيها كيفما نحب» وبالفعل صنعوا ذلك واستطاعوا تغيير ثقافة الجيل الجديد..

نعم إن عفلق وحزب البعث ما هم الا ثمار تلك الجهود الثقافية التغييرية التي بذلها الاستعمار البريطاني، فاصبح السادة الاعزة عبيداً اذلة للمستعمرين.

ان عملنا على الصعيد الثقافي ضعيف جداً، ولقد كان العمل الثقافي في طليعة مهام المسلمين السابقين، واليكم بعض النماذج البسيطة على ذلك:

فأكبر المكتبات الإسلامية في العراق وإيران حالياً لا تتجاوز كتبها المئة ألف كتاب على أكبر تقدير، بينما نشاهد ان مكتبة نصير الدين الطوسي قبل مئات السنين وحدها كانت تحتوي على أربعمائة ألف كتاب رغم ان كل الكتب في ذلك الزمن كانت مخطوطة! وأغلب الكتب الان مطبوعة.

ومكتبة أحد الفاطميين في مصر كانت تحتوي على مليون وستمائة ألف كتاب كلها مخطوط.

وفي المقابل، نجد ان مكتبة واحدة في احدى بلاد الإستعمار، في الوقت الحاضر تحتوي على تسعة ملايين كتاب، ومكتبة أخرى في دولة استعمارية أخرى تحتوي على ٣٦ مليون كتاب! قارنوابين: ١٠٠ ألف و٣٦ مليون كتاب كم هو الفارق؟!

نحن المسلمين كنا سابقاً منبع العلم ومصدر الإشعاع والتقدم العلمي، وكانت عواصمنا الإسلامية كالأندلس وبغداد ونيشابور وخراسان وقم والحلة وأصفهان والنجف وكربلاء مراكز لاستقطاب الطلاب والعلماء حتى من الأجانب إلى جامعاتنا الإسلامية الكبيرة في تلك العواصم.

أما الآن فقد انعكس الأمر أصبحت بلاد الكفار والملحدين قواعد انطلاق يشدون الرحال إليها لطلب التقدم العلمي والتكنولوجي، وأصبح المسلمون هم الذين (غالباً ما) يصحب ذلك تأثرهم باتجاهات الكفار السياسية والفكرية.

لقد جاء في تقرير «إنه ومنذ سنة ١٩٥٠ ميلادية هرب من الشرق الأوسط إلى الغرب وإلى أمريكا أكثر من نصف مليون مثقف من مختلف الطبقات والاختصاصات».

إن الثقافة لهي ركن هام من أركان اقامة الحكومة الإسلامية العالمية وعلى كل فرد ان يساهم بالقدر الممكن، فهذا يطبع الوف الكتب والآخر ينظّم مئات الشباب والثالث يتكفل باصدار جريدة أو مجلة ذات مستوى جيد، وهكذا.

(١١)

إقامة الدولة الإسلامية واجبة

قد أشرنا في مبحث سابق إلى لزوم الإهتمام لاجل إقامة حكومة اسلامية عالمية، تضم كل المسلمين في حكومة انتخابية مرضية لله سبحانه.

وربما يستشكل على ذلك، بأن بعض الروايات تدل على عدم امكان تحقق حكم إسلامي قبل ظهور الإمام المهدي عليه الصلاة والسلام؟

والجواب: إن الروايات الواردة بهذا الشأن، لا بد وان تحمل على أحد محامل أربعة:

١ ـ التقية، حيث أنهم عليهم السلام، أرادوا الحفاظ على أنفسهم لتبقى جذور المقاومة حية، قال سبحانه: ﴿**الا أن تتقوا منهم تقاة**﴾[١].

وقال عليه السلام: «**التقية من ديني ودين آبائي**»[٢].

٢ ـ أو المراد الحكومة العالمية لكل أهل العالم، فإنه لا تنسى إلا للإمام المهدي عليه السلام.

٣ ـ أو المراد اجراء العدالة الواقعية، حيث أن الإمام يعلم الواقع دون غيره، وانما غيره يعمل حسب ظواهر الأدلة.

٤ ـ وأما المراد من يدعوا إلى نفسه، لا إلى القيادة الواقعية التي هي قيادة من عينة الله سبحانه للحكم.

ويؤيد ما ذكرنا، أن ثلاثة من الائمة عليهم السلام دعوا للمختار (رحمه الله)، وقد حكم زهاء خمس سنوات على شرق العالم الإسلامي، فهل كان حكمه باطلاً؟ وهل الأئمة عليهم السلام يدعون لحاكم باطل؟ بل وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يسميه بالكَيِّس، وهل الذي يحكم باطلا كيّس بنظر الإمام عليه السلام؟ وهكذا علماء كبار لا شك في فقههم وعدالتهم، أمثال الناصر والرضي والمرتضى والمفيد (رحمهم الله) كانوا من أصدقاء الدولة البويهية، والعلامة الحلي كان من أعوان

---

(١) سورة آل عمران: الآية/ ٢٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٢١٩ ح ١٢.

خدابنده، والمجلسيان والشيخ البهائي والمحقق الكركي والميرالداماد ومن أشبههم كانوا من أنصار ووزراء الدولة الصفوية، وكاشف الغطاء (رحمه الله) أعطى الوكالة لبعض القاجاريين، والشيخ محمد تقي الشيرازي أقام الدولة الإسلامية في العراق، بعد أن طرد الإنكليز، إلى غير ذلك وهنالك روايات تؤيد ما ذكرناه.

ففي الكافي، في خبر صحيح، عن العيص ابن القاسم قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وانظروا لانفسكم، فوالله ان الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي فإذا وجد رجلاً هو اعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرجه ويجيء بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها، والله ولو كانت لاحدكم نفسان، يقاتل بواحدة يجرب بها، ثم كانت الاخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة، وانتم أحق ان تختاروا لانفسكم. إن اتاكم آت فانظروا على اي شيء تخرجون، ولا تقولوا خرج زيد فإن زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، وانما دعاكم إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، ولو ظهر لوفى بما دعاكم اليه، انما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه، فالخارج منا اليوم إلى اي شيء يدعوكم إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله: فنحن نشهدكم انا لسنا نرضى به، وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد، وهو إذا كانت الروايات والاولوية أجدر الأ يسمع منا الا من اجتمعت بنو فاطمة معه. فوالله ما صاحبكم الا من اجتمعوا عليه إذا كان رجب، فاقبلوا على اسم الله، وإن أحببتم أنْ تتأخروا إلى شعبان فلا ضَيْر، وإن أحببتم ان تصوموا في أهاليكم فلعلّ ذلك يكون أقوى لكم، وكفاكم بالسفياني علامة»[1].

فإن هذا صحيح يدل على صحة قيام زيد، لانه كان قيامه لله، وكان يدعو للإمام عليه السلام بخلاف من كان قيامه لغير لله، ولا يدعوا إلى الإمام، كدعاة العباسيين والتعريض بهم في هذا الحديث، واجتماع بني فاطمة تتحقق برضا الإمام، وإنْ لم يجتمع سواهم ـ كما ذكروا في باب الاجماع ـ والظاهر أن أمر الإمام بالتأخير إلى شعبان وشوال، لاجل ان يتبين الأمر لهم بأن الدعاة لا يدعون إلى الإمام عليه السلام.

---

(١) الكافي: ج ٨ ص ٢٦٤ ح ٣٨١.

واخيرُ الحديث تسلية، لهم بأنهم - المعاصرين للإمام عليه السلام - حيث تفوتهم الدعوة، لأنه لا دعوة في ذلك الحال إلى الإمام العدل، فإنهم سيدركون الإمام المهدي عليه السلام ويقومون معه.

وفي رواية أخرى، عن العلل، عن الصادق عليه السلام: «ان اتاكم منا آت ليدعوكم إلى الرضا منّا فنحن نشهدكم أنّا لا نرضى انه يطيعنا اليوم وهو وحده، وكيف يطيعنا إذا ارتفعت الرايات والإعلام»[1]... وظاهره عدم الجواز إن كان الاتي لا يدعوا إلى الإمام ولا يطيع الإمام، أما اذا كان بخلاف ذلك، فإن دعوته صحيحة واتباعه صحيح.

وعن عيون الأخبار، عن ابن أبي عبدون، عن الرضا عليه السلام [في حديث] أنه قال للمأمون: «لا تقس أخي زيد إلى زيد بن علي، فإنه كان من علماء آل محمد صلى الله عليه وآله، غضب لله، فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله»[2]، ولقد حدثني أبو موسى بن جعفر عليه السلام أنه سمع أباه جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «رحم الله عمي زيداً، انه دعا إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله، ولو ظفر لَوَفَىٰ بما دعا إليه، لقد استشارني في خروجه، فقلت: ان رضيت ان تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك» [إلى أن قال:] فقال الرضا عليه السلام: «ان زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق، وإنه كان اتقى لله من ذلك، أنه قال: ادعوكم إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[3].

وعن ابن ادريس، في آخر السرائر - بسنده - قال: ذُكر بين يدي أبي عبد الله عليه السلام: من خرج من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد صلى الله عليه وآله، ولوددت أن الخارجي من آل محمد صلى الله عليه وآله خرج وعليَّ نفقة عياله[4].

أقول: ولعل قدح الإمام الرضا عليه السلام، لزيد أخيه أمام المأمون كان تقية، كما يؤيده خبر السرائر. وما ورد من انهم عليهم السلام كانوا ينتقصون اصحابهم خوف

---

(١) العلل: ص ٥٧٨ ح ٢.
(٢) عيون الأخبار: ج ١ ص ١٩٤ باب ٢٥ ح ١.
(٣) عيون الأخبار: ج ١ ص ١٩٥ باب ٢٥ ح ١.
(٤) الوسائل: ج ١١ ص ٣٩ باب ١٣ من أبواب جهاد العدو ح ١٢ نقلاً عن السرائر.

العثور بهم، ويمثلونهم بالسفينة التي عابها الخضر عليه السلام، لئلا تؤخذ من قبل الملك الظالم، ويؤيده قول الإمام عليه السلام في شهداء فخ: «ان الانصار لم يفوا بما وعدوا رسول الله صلى الله عليه وآله» فانهم لو كانوا خرجوا بغير حق وبدون جواز شرعي. فهل كان للأنصار أن يساعدوهم؟ أو كان اللازم الاجتناب عنهم؟

وكذلك يؤيده أشعار دعبل بمحضر الإمام الرضا عليه السلام في رثاءِ شهداء كوفان وفخ وجوزجان، فان تقرير الإمام الرضا عليه السلام له دليل على صحة خروجهم، والاّ فهل كان الامام الرضا عليه السلام يؤيد لو ذكر أبا مسلم وأبا سلمة غيرهما من الذين خرجوا على بني اميه؟.

وعن يحيى بن الجندل، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: «رجل من أهل قم يدعوا الناس إلى الحق يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف، ولا يملون من الحرب ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعاقبة للمتقين»[1].

(١) ثم إن جملة من الروايات الناهية سندها غير صحيح، مثلا في سند بعضها(الخليلي) و(الجيلاني) و(ابن نصر) وأمثالهم من الكذابين والغلات وفاسدى المذهب ـ كما في الرجال ـ.

الأساس الثاني

(التنظيم)

طريق النصر الالتزام بما نقول:

١ ـ التنظيم: الأرضية الصلبة لحكومة ألف مليون مسلم.

٢ ـ تنظيم غير المسلمين.

٣ ـ توحيد الحركات.

٤ ـ التنظيم الاستشاري.

٥ ـ التنظيم التوعوي.

٦ ـ التنظيم الحديدي.

٧ ـ لا لصنمية التنظيم.

٨ ـ جماهيرية التنظيم.

٩ ـ إرضاء التنظيم للناس.

١٠ ـ تنظيم المؤسسات والجمعيات.

(١)

التنظيم: الأرضية الصلبة لحكومة ألف مليون مسلم

تناولنا في الحلقات السابقة: الأساس الأول الذي تُبنى عليه الحكومة الإسلامية الواحدة ذات الألف مليون مسلم، وكان ذلك الأساس هو «التوعية».

وفي هذه الحلقات نتناول الأساس الثاني للحكومة الإسلامية الواحدة، وهو «التنظيم».

إنّ التنظيم واجب شرعي وسنة كونية، وضرورة حيوية ملحة بالنسبة إلى الأمة الإسلامية.

فالتنظيم - أولاً - واجب شرعي، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ونظم أمركم».

والتنظيم هو - ثانياً - سنة كونية.. فقد خلق الله سبحانه الكون كله منظماً، وقال - تعالى - في ذلك:

﴿مِنْ كل شيء موزون﴾[(١)].

فقطرات الامطار منظمة وموزونة، وكذلك الأشجار، الحيوانات، الرمال، الأنجم، وسائر الكائنات الأخرى..

واما بالنسبة إلى الإنسان: فقد جعل الله سبحانه الجانب الجسدي منه خاضعاً للتنظيم الكوني العام، فالقلب، والرئة، والكبد، والكلية وسائر الأجهزة كلها تعمل

---

(١) سورة الحجر: الآية/ ١٩.

بانتظام واتساق.. وان طروء أي اختلال على احدى هذه الاجهزة يعني: المرض، أو الموت!، ولكن الله سبحانه جعل تنظيم الجوانب العملية والاجتماعية والسلوكية للإنسان، بيد الانسان نفسه. وعلى الإنسان ألاّ يشذ عن القوانين التي تحكم الكون، لانه عندئذ سيصاب بالإنهيار والدمار.

والتنظيم هو ـ ثالثاً ـ ضرورة حيوية.. وقوة، وقد قال الله سبحانه:

﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة﴾(١)

أما إذا لم ننظم أنفسنا ـ في تنظيم واسع كبير ـ فسيعترينا الضعف، ويتغلب علينا الأعداء، وإنّ واقعنا المعاصر خير دليل على ذلك.. فإن المسلمين يبلغ عددهم ـ حالياً ـ ألف مليون مسلم، ولكنّ بلادهم واقعة تحت السيطرة الاستعمارية. فقطعة من بلادهم بيد الشيوعية العالمية، وقطعة أخرى بيد الرأسمالية العالمية، وقطعة ثالثة بيد الصهيونية، وسائر بلادهم خاضعة لألوان مختلفة من الاستعمار المعلن أو المبطن.

وإننا بدون التنظيم لن نستطيع مواجهة التحديات المعاصرة، ولن نتمكن من الوقوف أمام الشرق والغرب، وعملائهما.

والعالم المعاصر يعتمد على «التنظيم».. فقد جاء في تقرير: أن للصهاينة خمسة ملايين منظم، وجاء في تقرير آخر: إن للاتحاد السوفيتي بين إثني عشر مليون إلى خمسة وعشرين مليون منظم، وللصين الشيوعية ما لا يقل عن عشرين مليون منظم، وللبلاد الأوروبية التسع ـ مع أمريكا ـ: خمسين مليون منظم ـ سواء في التنظيمات القومية أو الحزبية أو الثقافية أو غيرها ـ.

هل يمكن العيش ـ في مثل هذا الجو المشحون بالتنظيمات ـ بلا تنظيم؟! أم أن النتيجة لن تكون إلا التبعثر والتمزق والانهيار؟!

لقد قلت لبعض مسلمي لبنان ـ قبل عشر سنوات أو أكثر ـ: إنّكم ستواجهون مصيراً سيئاً إن لم تنظموا أنفسكم.

قالوا: ومن اين تقول ذلك؟!

قلت: من منطق التاريخ، ومنطق الأحداث.

قالوا: وكيف؟!

---

(١) سورة الأنفال: الآية/ ٦٠.

قلت: إنّكم محاطون بتنظيم صليبي في داخل لبنان، وبتنظيم صهيوني في اسرائيل، فإنتم بين تنظيمين معاديين ومع ذلك فإنكم مبعثرون، ومن الطبيعي ان ينتصر من له تنظيم على من لا تنظيم له، ولا يكفي أنْ يقول أحد: إنني مع الحق ولا يعمل شيئاً، لان الحق يأمرك بالتنظيم، يأمرك بأن تعلو ولا يعلى عليك، يأمرك أن تأخذ بالأسباب الطبيعية لا أنْ تجلس وتكسل وتقول: إنني على صراط الله، والآخرون على صراط الشيطان!

وماذا كانت النتيجة؟!

إنها المشاكل والكوارث التي شاهدها الكلّ بام أعينهم.

وسواء كان السبب هو: القصور أو التقصير فإن النتيجة حصلت، كما في سائر الأسباب الطبيعية، فان من لم يشرب الماء ـ ولو لعدم وجود الماء ـ لا بد أن يصيبه الضرر. ان النتيجة ليست متوقفة على العلم والجهل، أو الإمكان وعدمه فالدنيا دار أسباب ومسببات، والمسببات تتولّد ـ بشكل قهري ـ من الأسباب سواء وجدت الأسباب بعمد، أو بغير عمد.

وإن لنا لعبرة كبيرة في حياة رسول الله ﷺ.. حيث أنه كان يُخضعُ كلّ شؤونه للتنظيم الدقيق.

فمثلاً: في حرب «بدر» كان المسلمون زهاء ثلاثمائة، والكفار زهاء ألف، وكان الكفار مدججين بالسلاح، أما المسلمون فكانوا شبه عزّل.. وفي قبال ذلك لم يكتف الرسول ﷺ بامتلاك المسلمين للإيمان القلبي، وإنما أضاف إلى ذلك التنظيم الخارجي. فقد ذكر بعض المؤرخين: أن الرسول ﷺ جعل كل مئة من أصحابه في دائرة ظهور بعضهم إلى بعض ووجوههم إلى الخارج.. وعندما بدأ المشركون بهجومهم على المسلمين لم يستطيعوا من الإحاطة بهم، وتبعثروا حول هذه الحلقات الكبيرة.

وبهذا التنظيم ـ مضافاً إلى الإيمان ـ إستطاع المسلمون أن ينتصروا على الكفار الذين لم يكونوا يمتلكون التنظيم.

أما بالنسبة إلى كيفية التنظيم؟!

فإن كل فرد يستطيع ذلك.. وذلك إما بالانتماء إلى إحدى المنظمات الإسلامية المستقيمة، وهي موجودة بحمد الله في كثير من البلاد الإسلامية،

وأما أن يبدأ تنظيماً جديداً بنفسه.. وذلك بأن يلتقي بأربعة من الأفراد الصالحين، يغذيهم بالفكر السليم، وينظّمهم.. ثم ينظم كل واحد من هؤلاء ـ بعد استيعابهم للفكر والتنظيم ـ اربعة آخرين، فيصبح المجموع عشرين. وبهذه الطريقة يتصعد التنظيم ـ على نحو التصاعد الهندسي، لا على نحو التصاعد العددي ـ حتى يبلغ الألوف والملايين..

وإذا سرنا في هذا الطريق فإن الله معنا.

و﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.[1]

(٢)

تنظيم غير المسلمين

التنظيم ـ الذي هو مقدمة لإقامة حكومة ألف مليون مسلم ـ يجب أن لا يقتصر على البلاد الإسلامية فحسب، بل عليه أن يستوعب البلاد الأجنبيّة أيضاً.. وذلك بأمرين:

أ ـ تنظيم المسلمين القاطنين في تلك البلاد.

ب ـ تنظيم أهالي تلك البلاد الذين ليسوا بمسلمين، ولكنهم يستعدّون للمساهمة في إقامة حكم الإسلام، حيث يجدون أنفسهم تحت الضغط والكبت والإرهاب، وحيث يجدون في الإسلام المعاني السامية، والحريات الواسعة، وقلة الضرائب، وغير ذلك.

وقد أرانا التاريخ: كيف كان الكفار يستقبلون المسلمين ويحتضونهم، لأنهم كانوا يجدون الإسلام هو المخلص الوحيد الذي ينقذهم من حكوماتهم الجائرة[2].

هذا من جانب..

ومن جانب آخر.. فإن تطبيق قانون «المؤلفة قلوبُهُم» سيكون عاملاً مساعداً على نجاح هذا العمل.. فقد قال جمع من الفقهاء: إن قانون «المؤلفة قلوبهم» يشمل صنفين:

---

(١) سورة مُحمَّد: الآية/ ٧.

(٢) راجع كتاب «كيف إنتشر الإسلام؟».

الصنف الأول: ضعاف الإيمان **﴿فان أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منهاإذا هم يسخطون﴾**[1] ـ كما جاء في الآية الكريمة ـ. وهؤلاء يعطون شيئاً من المال من اجل أن يشتدّ دينهم، وتثبت أركان الإيمان في قلوبهم.

والصنف الثاني: الكفار الذين يراد استمالتهم إلى الإسلام، فيعطون شيئاً من الزكاة أو غيرها من بيت المال، ليكونوا عوناً للمسلمين في إقامة الإسلام.

وباجتماع هذه العوامل: الكبت الذي يعيشه الكفار، الحريات والمعاني السامية المتوفرة في الإسلام، قانون «المؤلفة قلوبهم» يمكن لهذا العمل النجاح.

والواقع: أن هذا العمل ـ تنظيم غير المسلمين ـ هو: واجب شرعي أولاً، ووسيلة لمواجهة التحديات الحضارية التي تعيشها امتنا ـ ثانياً ـ.

لقد مارس الغربيون والشرقيون مثل هذا العمل بالنسبة إلى المسلمين بالامس، وهم يمارسون مثل هذا العمل اليوم.. فمن الشاهد انهم ينظمون قسماً من شبابنا لكي يكونوا عملاء لهم..

فالبعثيون عملاء لبريطانيا واسرائيل واميركا.

والشيوعيون: عملاء للغرب، أو الشرق.

وهكذا الوجوديون، والقوميون، وغيرهم..

إنهم يجنّدون شبابنا في سبيل الكبت، فلماذا لا نجنّد شبابهم في سبيل التحرر والإصلاح ولا نقصد تحرير بلادنا فحسب، بل بلادهم أيضاً، فإن الحرية الحقيقية إنما هي في الاسلام، قال الله سبحانه **﴿ويضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾**[2].

وفيما يلي نذكر نموذجاً واحداً مما فعل المستعمرون في بلاد الإسلام: قبل أن يحتل البريطانيون إيران، أرسلوا مجموعة من عملائهم إلى داخل إيران، وخصوصاً إلى العشائر المحيطة بالحدود وقد أظهر هؤلاء العملاء الاسلام ـ كذباً ونفاقاً ـ كستار لأعمالهم الشيطانية، واخذوا يضلّلون قسماً من الشباب السذّج،

---

(١) سورة التوبة: الآية/ ٥٨.

(٢) سورة الإعراف: الآية/ ١٥٧.

حتى انخرطوا في التنظيم الغربي البريطاني، وأصبح هؤلاء الشباب ـ فيما بعد ـ ركائز للاستعمار البريطاني في ايران.

وقد تزوج أحد هؤلاء العملاء من إحدى فتيات العشائر ـ بعد ان أظهر الإسلام ـ. وبعد أن استطاع أن يضلل مجموعة من الشباب، ويخرطهم في «التنظيم البريطاني»، وجد ان مهمته قد انتهت، فباع زوجته لقرويّ مقابل شراء حمار، وركب الحمار، واتجه نحو «بوشهر»، حيث باع حماره هناك، وركب السفينة، وأبحر إلى «لندن»!

هكذا عمل المستعمرون في إيران.

وأما تركيا فقد أراد المستعمرون سحبها إلى الإلحاد الكامل. . وإزالة حتى المظهر الإسلامي منها. . ومن اجل تحقيق هذا الهدف بعثوا بمجموعة من عملائهم إلى «تركيا» من أجل افساد الشباب، وتخريب البلاد. .

وفي هذا الإطار ينقل أحد اليهود ـ وكان في مهمة استعمارية في «انقره» ـ الحادثة التالية، فيقول:

«بعد أنْ انتهت مهمتي، ونظمت العدد المطلوب من الشباب، صممت على ألاّ أخرج من البلاد الا بعد افسادها. فتعاونت مع شاب تركي ـ كان في تنظيمنا ـ حتى تمكنّا من تفجير «البنك العثماني» الذي كان في انقرة، مما أحدث في العالم أثراً طيباً»! ـ حسب تعبيره ـ.

هكذا ضلل المستعمرون شبابنا، ولا زالوا يضللون!

فالواجب علينا ان نقابل بالمثل، وان نرد الحجر من حيث جاء! بفارق واحد هو انهم يعملون في سبيل الهدم، ونحن نعمل في سبيل البناء، هم يعملون في سبيل الاستعباد، ونحن نعمل في سبيل التحرير. هم يعملون في سبيل الهوى والشيطان، ونحن نعمل في سبيل الله والإنسان.

كما أن على المسلمين المتواجدين في البلاد الأجنبية ـ وهم يبلغون الملايين. ـ ان يبدأوا بتنظيم أنفسهم، وبتنظيم الأجانب، ليكونوا عوناً للمسلمين في الوصول إلى الحكومة الإسلامية العالمية الواحدة.

﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾.

(٣)

توحيد الحركات

إنَّ التصاعد النسبيّ للوعي الحيوي في البلاد الإسلامية والتحديات المصيرية التي واجهت الأمة، عملاً على انبعاث حركات إسلامية كثيرة في مختلف البلاد ـ الإسلامية وغير الإسلامية ـ.

فهنالك حركة في إيران، وأُخرى في العراق، وثالثة في الخليج. وحركات أخرفي الهند، والباكستان، والمغرب، ومصر، والسودان.. وحركات أو فروعُ حركات في أميركا، وأوربا، واليابان، والصين، والإتحاد السوفيتي إلخ.

إن من الضروري أنْ تنصهر كل هذه الحركات في حركة واحدة.. ما دام الهدف واحداً، وما دامت المشكلة واحدة.. فالجميع يَشْكون من الاستعمار، والاستغلال، والدكتاتورية، والتخلف الحضاري، وما أشبه.

واختلاف الاجتهادات لا يضر بالوحدة، فان الإختلاف امر طبيعي في الإنسان، والعاملون ـ مهما كانوا مخلصين ـ لا بد ان يختلفوا في الاجتهادات. وحلّ «اختلاف الاجتهادات» ـ في الحركة العالمية الموحدة ـ يتمّ بالعمل بـ «أكثرية الآراء» حسب موازين الشورى الإسلامية.

فإذا توحدت هذه الحركات تكون قوة كبيرة أمام الإستعمار الخارجي، والتخلف الداخلي.. وبذلك يمكن أنْ تقام الحكومة الإسلامية الواحدة ذات الألف مليون مسلم.

إنَّ من الأمور المهمة التي حققها رسول الله ﷺ «توحيد المسلمين». وكان ذلك من الأسباب الرئيسية لتقدم الإسلام،وقد قال أحد العلماء: «قام الإسلام على كلمتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة».

وفي هذا الصدد يذكر المؤرخون:

إن سرعة انتشار الإسلام في العالم ـ بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة ـ أَدهشت الفرس والروم.. وقد أخذ «ملك الروم» يسأل من كل قادم من الجزيرة العربية عن النبي ﷺ، ومزاياه، وخصوصياته، ليعرف مدى صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسبب هذا التقدم الغريب؟

وذات يوم أُخبر الملك بان هناك تاجراً مسيحياً مرّ على الجزيرة العربية - في طريقه من اليمن إلى العاصمة الرومية - فأمر الملك باحضاره.

ولما حضر سأله الملك: هل مررت على «يثرب» - اي المدينة -؟!

أجاب: نعم.

قال الملك: وهل رأيت محمداً؟

قال: لا.

سأل الملك: وهل سمعت بمعجزات عنه؟ فانه يدعي النبوة، ولا بد لكلّ نبي من معجزة؟

أجاب: لم أسمع شيئاً، ولم أسأل عن ذلك، فإنني تاجر ولا يهمني ذلك.

قال الملك: هل سمعت عن اخلاقه، وسلوكه؟

قال: نعم سمعت شيئاً واحداً.

فتلهّف الملك لسماع الشيء وقال: ما هو؟

فأجاب التاجر: سمعت أن محمداً لما ورد المدينة أستطاع أنْ يصلح بين قبيلتين «الأوس» و«الخزرج» - وكان الصراع قائماً بينهما مئة عام - وقد صاروا الآن أخوة متحابيّن، يعملون معاً في سبيل تقديم الإسلام.

قال الملك: حسبك، فإن من أخلاق الأنبياء الإصلاح بين الناس، ومن أخلاق السلاطين المستبدّين التفرقة بين الناس.

.. هكذا عمل النبي ﷺ على توحيد المسلمين..

وفي النصوص الإسلامية تحريض شديد على الوحدة والتوحيد، فقد جاء في الحديث الشريف: «خير الولاة من جمع المختلف، وشر الولاة من فرّق المؤتلف».

وجاء في القرآن الكريم حول فرعون:

﴿إنّ فرعون علا في الارض، وجعل أهلها شيعاً﴾[1].

---

(١) سورة القصص: الآية/ ٤.

وفي القرآن الكريم: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[1].
﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تَفَرقوا﴾[2].
﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[3]

وورد في الدعاء ـ بالنسبة إلى الإمام الحجة عليه السلام ـ: «جامع الكلمة على التقوى».

إذن فمن الضروري أنْ نسعى لتوحيد الحركات الإسلامية.. وفي هذا السبيل يجب علينا أنْ نتجاوز عن السيئات، ونتغاضى عن الأخطاء، ونتناسى المشاحنات والمطاحنات.. يقول الله سبحانه:

﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[4].
﴿وما يُلقَّاها إلا الذين صبروا وما يلقّهاإلاّ ذو حظٍ عظيم﴾[5].

فإذا تم ذلك.. فإن القيادة العامة لهذه الحركات المتحدة تستطيع من تحقيق الأهداف.. فتقرر ـ مثلاً ـ صنع اضراب عام لقضية معينة في يوم محدد. فتضرب الأسواق كلها من «طنجة» إلى «جاكرتا» ومن «كابل» إلى أقاصي الغرب وبذلك ـ وأمثاله ـ يرى المستعمرون أن لا قرار لهم في بلاد الإسلام، فيحملون عصاهم، ويرحلون!

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المسلمون يد على مَنْ سواهم»[6] ولم يقل النبي صلى الله عليه وآله: المسلمون يد متصافقة، لأنه يريدهم وحدة واحدة.. فإن الإنسان إذا أراد أن يدفع عنه المهاجم ضربه بجمع يده الواحدة.. وهكذا الأمة إذا أرادتْ دفع الغزاة والمستعمرين.

ونؤكد هنا ـ مرة أخرى ـ: بأن هذا التنظيم الإسلامي العام الواحد يجب أنْ يحتوي على ما لا يقل من (عشرين مليون منظم) حتى يكون بإزاء كل خمسين مسلم موجه واحد ـ وهذه هي أقل نسبة مطلوبة ـ.

والله الموفق وهو المستعان.

---

(١) سورة الأنفال: الآية/ ٤٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية/ ١٠٣.
(٣) سورة الأنبياء: الآية/ ٩٢.
(٤) سورة فصّلت: الآية/ ٣٤/ ٣٥.
(٥) أمالي الطوسي: ص ٢٦٩.

(٤)

التنظيم الاستشاري

من الضروري أن يكون التنظيم استشارياً، لا إستبداديا، فالاستشارية ما وضعت على شيء إلاّ سببت تقدمه وازدهاره، بينما الاستبداد ما وضع على شيء إلا سبب تأخره وانهياره. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من استبد برأيه هلك»[١].

والإسلام يُحبذ «الاستشارة» في كل شيء حتى في الأُمور الصغيرة.. يقول الله سبحانه:

﴿فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾[٢].

أي: أن أحد الأبوين إذا أراد فطام الطفل عن الرضاع فعليه أن يستشير الآخر حول: هل من الأفضل استمرار إرضاع الطفل، أو فطامه؟! وإذا كانت الاستشارة مرغوبة فيها في مثل هذا الأمر الصغير، فكيف بالأمور السياسية والثورية التي يتوقف مصير الأمة عليها؟

وقد طبق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مبدأ (الاستشارة) في شؤونه.. رغم اتصاله بالوحي ووفور عقله، وقوة ادراكه، حتى يتعلم المسلمون منه ذلك..

وفي التاريخ: إن بعض الكفار جاءوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله - في قصة مفصلة - يريدون منه التمر، فقال النبي صلى الله عليه وآله: استشير اصحابي في ذلك.

وعندما استشارهم الرسول صلى الله عليه وآله أشاروا عليه بان لا يعطيهم التمر.. فطلب النبي صلى الله عليه وآله أولئك الكفار وقال: ان أصحابي أبوا أن أعطيكم التمر.

ان التنظيم يجب أن يكون استشارياً من القمة إلى القاعدة.. أما قانون «نفذ ثم ناقش» فليس إلا قانون المستعمرين والمستبدين.. وقد رأينا كيف ارتطم أصحاب هذا القانون الخاطىء في اوحال التأخر والاستعمار والاستبداد.

والقانون الصحيح هو: «استشر، وقلّب وجوه الرأي، وخذ برأي الأكثرية حسب موازين الشورى الإسلامية - ثم نفذ...».

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم رقم ١٦١.

(٢) سورة البقرة: الآية/ ٣٣٣.

وقد قال علي عليه السلام لأصحابه:

«إنّ لكم عليّ إعطاء المشورة».

إن الاستشارة تعرف الإنسان على الخطأ والصواب.. وتأخذ بيده إلى الطريق السليم.

وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وترى قفاك بجمع مرآتين».

فالانسان لا يستطيع أن يرى قفاه بنفسه، ولكنه اذا جمع مرآتين: مرآة أمامه، ومرآه خلفه. فعند ذلك يستطيع ان يرى قفاه..

وهكذا غوامض الأمور لا يمكن ادراكها وفهمها الا باجتماع الأفكار والعقول.

وقد ذكر المؤرخون: إن إحدى القبائل العربية ـ قبل ظهور الإسلام ـ كانت موفقة في امورها: في سياستها، واقتصادها، وحربها، وسلمها، وغير ذلك.. فأجاب: إننا لا نقدم على أي عمل إلاّ بعد ان نستشير الخبراء، ونأخذ بافضل الاراء، وبذلك تقل أخطاؤنا، ويزداد تقدمنا.

لقد قسم الله (العقل) بين عباده.. وعلى الإنسان أنْ يَضُم عقول الآخرين إلى عقله حتى يتجنب المزالق، ويهتدي إلى سواء السبيل.

والحادثة التالية تؤكد هذه الحقيقة:

«البهلوي الأول ـ رضا شاه ـ كان من عملاء الاستعمار.. وعندما وصل إلى الحكم عمل على تحطيم إيران: سياسياً، وثقافياً، واقتصادياً، ودينياً و... وكان ضمن ما عمل: أن هدم المساجد، وجعلها اسطبلات، وهدم المدارس العلمية وجعلها مراقص وملاهي ومخامر ومقامر.. وفرض السفور الاجبار على النساء..

وذات مرة طلب الشاه (إمام) جمعة طهران وقال له: الواجب عليك ان تشكل مجلساً مختلطاً من الرجال والنساء العاريات، وتدعوا إلى هذا المجلس رجال الدين والخطباء والعلماء باعتبارك امام جمعة طهران، وان لم تفعل ذلك فسوف اقتلك، واصادر أموالك..

يقول العالم:

تحيرت في أمري، واستمهلت البهلوي اسبوعاً حتى افكر فيما اصنع.. وقد خطر ببالي أن اذهب إلى أحد العلماء الكبار كي أستشيره في الأمر.. فذهبت إليه وقلت له: بم تشير علي؟!

فقال: إعلم ان للإنسان مالاً وجسماً وعرضاً وديناً، وعلى الإنسان ان يضحي بماله في سبيل جسمه، وإذا دار الأمر بين التضحية بالجسم أو العرض فعلى الإنسان أن يفدي بجسمه في سبيل الحفاظ على عرضه، وإذا دار بين الثلاثة (المال والجسم والعرض) وبين الدين فالواجب أنْ يفدي بهذه الثلاثة في سبيل الدين.

ثم قال لي: «يا فلان انك عمرت طويلاً، ولم يبق من عمرك إلا القليل، وإنك إذا قتلت في سبيل الدين فسوف تذهب إلى جنان الله، أمّا لو عملتَ بما قال الشاه فمصيرك في الدنيا العار، وفي الاخرة النار إذهب إلى البهلوي وقل له: لا أفعل ما طلبتَ، وافعل بي ما شئت».

قال العالم: فاستقرت نفسي، ولما حل الموعد ذهبت إلى البهلوي وقلتُ له: إنني لا أفعل ما طلبتَ.

قال: ولِمَ؟

قلت: لأنني غير مستعد ان أبيع ديني بدنياي.

قال: سوف أقتلك.

قلت: لا يهمني ذلك.. وان أقتل الآن في طاعة الله خير لي من ان ألقاه وقد عصيته.

قال العالم: فغضب البهلوي غضباً شديداً.. ولكني توسلت إلى الله سبحانه ان ينقذني من شر هذا الطاغوت.. وفعلا: استجاب الله دعائي، ولم يصلْ إلي سوء.. وحفظتُ ديني ببركة استشارة ذلك العالم).

وهكذا يجب ان يكون التنظيم استشارياً في كل اموره.. حتى يتجنب الأخطاء، ويتوقىٰ العثرات.

(٥)

التنظيم التوعوي

التوعية على قسمين:

القسم الأول: التوعية العامة.. وهي التي تعمل على إعطاء «الرشد الفكري» لألف مليون مسلم ـ وقد سبق الحديث حولها ـ.

والقسم الثاني: التوعية الخاصة.. وهي التي تعمل على إعطاء «الوعي المركز العميق» لكل أفراد التنظيم.

فالتنظيم إذا لم يَكُنْ توعوياً، لم ينجح في تخطيطه، وعمله، وسلوكه، أولاً ويقع ألعوبة بيد المستعمرين والمستبدين، ثانياً.

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«قَصَمَ ظهري إثنان: عالم متهتك، وجاهل متنسك»[1].

فالعالم الذي لا يتقيد بالموازين، والعابد الملتزم الذي لا يفقه الأمور.. كلاهما يؤدي بالأمة إلى البوار..

وفي التاريخ الإسلامي شواهد كثيرة على ذلك..

فقد كان للإمام أمير المؤمنين عليه السلام جيش منظم، لكن لم تسنح الفرصة للإمام عليه السلام كي يغرس الوعي في جميع أفراد هذا الجيش - مبايعة الإمام بالخلافة، وبين شنّ الحرب عليه -.

ولذلك رأينا كيف انقلبت مجموعات من هذا الجيش (الخوارج) رأساً على عقب.. فبينما كانوا يحاربون الأعداء تحت لواء الإمام في حرب (الجمل) أخذوا بمحاربة الإمام نفسه في (النهروان)!.

إذن.. فمن الضروري أنْ يهتم القائمون بالتنظيم لإعطاء الوعي الشامل العميق لأفراد التنظيم حتى يفقهوا الدنيا، ويفقهوا الدين.. لكي يفهموا كيفية تطبيق الإسلام في العصر الحاضر؟ وكيفية دحر الاعتداء؟ ويعرفوا ماذا يحيك المستعمرون ضد المسلمين من المؤامرات؟وما هي كيفية إفشال هذه المؤامرات؟.

قبل ثلاثة عقود كتب رجل ألماني اسمه (بول اشميد) كتاباً سماه (الإسلام قوة الغد)، ويذكر في هذا الكتاب: إن على الحكومات الغربية أن توحّد صفوفها وتكرس جهودها لأجل إعادة الحرب الصليبية - مرة أخرى - ضد المسلمين، وأنه إذا لم تفعل الحكومات الغربية ذلك فسوف ينتصر المسلمون عليهم.

ثم يستدل على هذه المقولة بأن المسلمين يمتلكون أربع قوى هائلة، وإذا

---

(١) البحار: ج ٢ ص ١١١ ح ٢٥.

وعى المسلمون لما يمتلكونه من قوى جعلوا منها حرية قاتلة ضد الغرب. .

وما هي هذه القوى؟ إنها ـ كما يقول اشميد ـ:

أ ـ خصوبة النسل. . فهم يؤمنون بتعدد الزوجات، وبكثرة النسل لان نبيهم قال: «تناكحوا تناسلوا، تكثروا، فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة، ولو بالسقط»[1]. وهذا ما يسبب كثرة عددهم.

ب ـ القوة الاقتصادية. . فهم يملكون بحيرات الذهب الأسود ـ النفط، روح الاقتصاد المعاصر ـ ويمتلكون معادن هائلة لا من النهوض فحسب وإنما من السيطرة على الغرب أيضاً.

ج ـ الموقع الاستراتيجي. فإن بلادهم تقع بين الشرق والغرب.

د ـ الدين الوَثّاب. . فإن دينهم دين عالمي تقدمي. . وليس دينا قومياً أو قبلياً أو جامداً. . والمسلمون يَرَوْن أنفسهم مكلفين بنشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

ثم يحذّر اشميد الحكومات الغربية ـ مرة أخرى ـ من المسلمين، وينصحها بأنْ تشن الحرب الصليبية ضد المسلمين، ولكنْ بأسلوب عصري.

هذا ما ذكره هذا الكاتب قبل حوالي ثلاثين عاماً.

وقد شاهدنا هذه «الحرب الصليبية» بصيغتها العصرية متمثلة في: قومية ناصر، ووجودية سارتر، ورأسماليه فهد، وبعثية عفلق. . وشاهدناها متمثلة في إسرائيل الغاصبة ـ رأس الحربة الاستعمارية في المنطقة ـ. . وشاهدناها متمثلة في تبديل الثقافة الإسلامية إلى ثقافة شرقية وغربية. . في الماسونية، والبهائية، وسائر الأحزاب الاستعمارية. .

وعلى كل حال. .

فإن من الضروري أنْ يعي التنظيم ما يدور حوله. . أن يعي ماذا يعمل المستعمرون وعملاؤهم ضد المسلمين. . وكيف أنهم متحدون ـ رغم اختلاف مصالحهم وأفكارهم ـ أمام المسلمين: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود**

(١) البحار: ١٠٠ ص ٢٢٠ ح ٢٤.

والنصارىٰ أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[1] وكيف خططوا حتى أجروا أنهار الدماء في بلادنا.. في أفغانستان.. لبنان.. فلسطين.. الحدود العراقية الإيرانية.. أرتيريا.. الفلبين.. وفي بورما.. وغيرها..

هذا في الجانب السلبي..

وفي الجانب الإيجابي، على التنظيم أن يفهم - بعمق -: السياسة الإسلامية. الاقتصاد الإسلامي. الثقافة الإسلامية. المجتمع الإسلامي. الدولة الإسلامية.. و.. و..

فإذا وعى التنظيمُ أصبح تنظيماً قوياً صامداً «تزول الجبال ولا يزول» - وإلا كان أفراده «همجاً رعاعاً، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق»[2]! ولن يكون المصير - عندئذ - إلاّ التقهقر والإنهيار!

(٦)

التنظيم الحديدي

كان الأساس الثاني من اسس إقامة حكومة الألف مليون مسلم: (التنظيم) بينما كان الأساس الأول: (التوعية) وقد ذكرنا في بحث سابق موضوعاً حول ضرورة تنظيم الحركات. أما في هذا الحلقة فيدور الحديث حول وجوب أن يكون التنظيم حديدياً مع حرية القاعدة، وكيف يكون التنظيم كذلك؟

التنظيم الحديدي يجب أنْ تتوفر فيه شروط:

الشرط الأول: إطاعة القاعدة للقيادة إطاعة كاملة وعن اقتناع.

الشرط الثاني: انتخاب القاعدة للقيادة لأنه إذا لم يكن هنالك انتخاب من القاعدة للقيادة انتخاباً حراً لا يكون التفاعل بين القمة والقاعدة تفاعلاً عن اقتناع ومن أعماق النفس. وبذلك يتحول التنظيم ديكتاتورياً. والديكتاتورية لا بدّ من أن تزول إنْ عاجلاً، أم آجلاً. لأنّ الاستبداد خلاف طبيعة البشر. فالأمة التي يحكمها

---

(١) سورة المائدة: الآية/ ٥١.

(٢) نهج البلاغة: قصار الحكم رقم ١٤٧.

المستبدّون لا بدّ من أنْ تثور ذات يوم. كما أن القاعدة التي تحكمها قمة مستبدة تصبر ولكن لا تمضي مدة طويلة حتى تثور على القمة وتُسقطها، فالقمة يجب أنْ تنفّذ أوامرها تنفيذاً حرفياً. بينما يجب في قبال ذلك أن تكون القمة منبثقة عن القاعدة ومختارة من قبلها عبر انتخابات حرة مئة في المئة.

هذان شرطان أساسيان لأجل أن يكون التنظيم حديدياً، فلا ينفذ فيه خارج منه. ولا يكون التنظيم مترجرجاً ومبعثراً ورخواً، وبمثل هذا التنظيم يمكنهُ التقدم بالأمة إلى الأمام.

ثم يجب - ثالثاً - في التنظيم الحديدي ألاّ يعاقب المخالف - عن حسن نية - عقاباً يسبب له الإنعزال، كالعقوبات الجسدية او العقوبات المالية. وإنما يجب أنْ تكون العفوية عقوبة أدبية قبل ذلك.

فإذا كان التنظيم هكذا: قمة وقاعدة وعلى فرض المخالفة تكون العقوبة أدبية. فإن هذا التنظيم يأخذ بالتوسع والانتشار، ويستهوي الناس فيكبر هذا التنظيم.. ويكبر.. ويكبر.. حتى يستوعب العالم الإسلامي كله.

إن لنا في قضايا رسول الله ﷺ خيرُ أسوة.

فمثلاً: وجوب إطاعة القاعدة للقمة إطاعة حرفية درس نستلهمه من قصة معركة أُحُد. حيث هيّأ المشركون جيشاً ضخماً لكي يحاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتلاقى الجمعان والتحما في معركة عنيفة في مكان يبعد عن المدينة المنورة مقدار فرسخ، ويسمى بـ (أُحُدْ) - وحيث كان هناك جبل يسمّى بجبل أحد، كان من الممكن أنْ يهجم منه المشركون على المسلمين، لذا فقد أمر رسول الله ﷺ جماعة من المسلمين،وهم زهاء خمسين مسلماً بقيادة صحابيّ يسمى بـ(عبد الله) أن يكونوا على الجبل، وقال لهم: احموا ظهورنا وأضاف: لا تبرحوا مكانكم سواء غَلَبْنا أم غُلِبْنا.

والتقى الجمعان، وقاتلَ المسلمون، وأبلوا بلاءاً حسناً، وقَتَلوا جماعة من المشركين، وأخيراً: انهزم المشركون أمام زحف الإسلام وحكمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وعندما أخذ المسلمون في جمع غنائم الحرب، قال أصحاب «عبد الله» ما لنا ها هنا وإخواننا يجمعون المال وقدانهزم المشركون وَوَلوْا الدُبُر؟

قال عبد الله: إنَّ رسول الله ﷺ أمرَ بذلك فلا تخالفوا أمره.

. . ولكن الدنيا حَلَيتْ في أعين جماعة منهم ـ وكان السبب أَنهم كانوا جديدي عهد بالإسلام ولم يكن الدين قد أخذ بمجامع قلوبهم، فتركوا أوامر عبد الله وأوامر الرسول ﷺ، وكلما هتف بهم عبد الله ألاَّ يبرحوا أماكنهم لم ينفع كلامه، فنزلوا من الجبل وأخذوا يجمعون الغنائم مع سائر المسلمين.

وانتهز الكفار الفرصة، وهاجموا المسلمين من الخلف ـ بقيادة خالد أبن الوليد ـ وأخذوا يقتلون المسلمين ويُكثرون فيهم الجراح، وهكذا انهزم المسلمون وصار الغَلَبُ للكفار، ولكن النبي ﷺ صمد، ومعه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وبضع من المسلمين الآخرين. . وقاتلوا قتالاً شديداً حتى استطاعوا أن يُلحقوا الهزيمة للمرة الثانية بجيش الكفار، ولكن بعد أنْ قتل من المسلمين عناصر خيّرة تقارب السبعين ـ وكان فيهم حمزة سيد الشهداء ـ.

وهكذا إذا كان التنظيم رَخْواً، وخالفت القاعدة القمة، فإن الأمر لا بد وأن ينتهي إلى الفشل.

. . ولكن إذا خالفت القاعدة القمة ولم تُطِعْ أَوامرها فيجب أنْ تكون القمة حكيمة في اتخاذ الاجراءات المناسبة، فقد يقتضي الأمر العفو كما عفا رسول الله ﷺ عن المخالفين في (احُدٌ)، سواء الذين كانوا على الجبل وخالفوا أمر الرسول ﷺ بالبقاء على الجبل، أو الذين انهزموا أمام جيش الكفار الزاحف وتركوا الرسول ﷺ وحده، وقد ذكرنا في كتبنا الفقهية: أن الحاكم الإسلامي يستطيع أنْ يعفوَ عن المجرم إذا رأى ذلك صلاحاً.

وإذا رأت القمة العقوبة فالأفضل أن تجعل العقوبة، أدبية لا مادية أو جسمية، ولذا نرى أن الرسول ﷺ كان: يعفو عن المتخلفين أو يضع عليهم عقوبة أدبية فمثلاً:

في غزوة تبوك تخلف ثلاثة أفراد عن الجهاد مع رسول الله ﷺ والخروج معه، ولم يكن لهم عذر في ذلك، وعندما رجع الرسول رأى معاقبتهم حتى يرتدع غيرهم بذلك، فماذا فعل الرسول ﷺ؟ أمر المسلمين أن لا يجالسوهم ولا يؤاكلوهم ولا يسلموا عليهم ولا يجلسوا في مجلس هم فيه، بل إنه قال لزوجاتهم: اطبخن لهم الطعام ولكن لا تتكلمن معهم، ولا تقربن منهم في الفراش.

وبذلك وقع هؤلاء المتخلفون في حصار اجتماعي صارم حتى ضاقت عليهم أنفسهم، وكانت النتيجة: أنهم تابوا من عملهم، كما سبب ذلك: اعتبار الآخرين بهم.

وقد وَرَدَتْ قصتهم في القرآن الحكيم، حيث قال الله تعالى: **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾**[1].

وهكذا فإن من الضروري أنْ يكون تأديب القمة للقاعدة ـ المخالفة للأوامر ـ تأديباً صارماً ولكنْ أدبياً في نفس الوقت، فإن التأديب الأدبي والعقوبة الإجتماعية يسببان ارتداع الإنسان المخالف نفسياً، لأن العقوبة ليست من القمة، وإنما هي من أفراد المجتمع الذين لا يتكلمون معهم، ولا يعاشرونهم، ولا يحضرون في محضر هم فيه ـ مثلاً ـ.

وإننا لا نقول أنه يجب أن يكون العقاب هكذا دائماً، وإنما نقول يجب أن نتخذ من سيرة الرسول ﷺ درساً لكيفية جمع الشمل وعقاب المخالفين مخالفة سياسية (لأنَّ أمثال هذه المخالفات: سياسية، وليست مخالفات إجتماعية كالزنا وشرب الخمر، وقتل النفس كما هو واضح).

إذنْ.. فالواجب علينا إذا أردنا التنظيم الإسلامي الواسع النطاق لإنقاذ ألف مليون مسلم أن نجعل من تنظيمنا تنظيماً حديدياً، وحراً في الوقت ذاته، وإنما تكون الحرية: إذا كانت القمة منتخبة من قبل القاعدة، انتخاباً حراً ـ من ناحية ـ وكانت الأوامر نابعة من الاقتناع، لا من الإكراه والقسر من ناحية ثانية ـ..

(٧)

لا لصنمية التنظيم

يجب أن يكون التنظيم واقعياً لا صنمياً

يعني: لا يُجعل من التنظيم صنماً ويكون معياراً في الأخذ والعطاء والرد والقبول، وإنّما يكون وسيلة إلى إقامة ونشر العدل وتوسيع رقعة الإسلام وإنقاذ

---

(١) سورة التوبة: الآية/ ١١٨.

المسلمين من المستغلين، بل وإنقاذ غير المسلمين، فإنه كثيراً ما يصبح التنظيم صنماً ويكون هو المحور، لا الحق، وهذا أخطر ما يقع فيه التنظيم الإسلامي، لأنه إذا صار التنظيم صنماً فبطبيعة الحال لا يكون إسلامياً، لأن الحق يجب أن يُتبَع، والتنظيم يجب أن يكون آلة لتطبيق الحقِّ لا أنْ يكون معياراً فيبتعد عن الحق.

وإذا ابتعد التنظيم عن الحق سبّب ذلك أمرين:

الأمر الأول: انفضاض الناس عن التنظيم، لأنهم يريدون الحق فإذا رأوا التنظيم يسير في مسلك، والحق يسير في آخر اتبعوا الحق وتركوا التنظيم.

الأمر الثاني: حينئذ لا يكون التنظيم إسلامياً، وإنما يكون أهوائياً، والتنظيم الأهوائي لا يصل إلى الإسلام، وإنما يصل إلى ما يضاد الإسلام، وكيف يكون المبنى[1] غير إسلامي والبناء إسلامياً؟ فإن هذا غير معقول، لأنَّ المبنى يبنى عليه من نحوه كما هو واضح، وفي الأمثلة الإسلامية وغير الإسلامية قصص كثيرة في أنَّ «فاقد الشيء لا يُعطيه»، وأنَّ التنظيم لو لم يكن إسلامياً لا يمكن أن يعطي الإسلامية.

شاهد من التاريخ

جاء شخص إلى رسول الله ﷺ وقال: «يا رسول الله إنّ لي ولداً يضره أكل التمر وكلما نهيته لم ينته فأمرْهُ يا رسول الله بترك أكل التمر».. قال النبي ﷺ: «لا بأس» لكنه لم ينه الولد عن أكل التمر في ذلك اليوم، وإنما أخر النهي إلى اليوم الثاني، وفي الغد نهاه عن أكل التمر فانتهى، اطاعة للرسول ﷺ.

رأى الشخص رسول الله ﷺ بعد ذلك، وقال: «يا رسول الله لماذا لم تنه الولد في نفس اليوم؟» قال النبي ﷺ: «كنت في ذلك اليوم قد أكلت التمر وآكل التمر لا ينهى عن أكل التمر».

إنَّ كلام الرسول ﷺ صحيح اجتماعياً، وإنْ كان الأمرُ دائراً مدار الواقع يعني أنه يباح للإنسان أكل التمر، ولكن لا يصح له اجتماعياً أنْ ينهى عن ذلك، لأنَّ المنهيّ عنه لو رأى الناهي قد أرتكب ما ينهى عنه فلا يرتّب أثراً لكلام الناهي وإنما يقول: «إذا كان ما ينهى عنه صحيحاً فلماذا لم ينتهِ هو عنه؟ وإذا كان ما يأمر به صحيحاً فلماذا لا يأتمر به هو؟».

---

(١) المقصود بالمبنى هو: أساس البناء.

صحيح أن كثيراً من العقلاء يُفرّقون بين الأمر والمأمور والناهي والمنهي عنه، لكنّ النظرة الاجتماعية والتي يجب مراعاتها حسب قوله ﷺ: «إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أنْ نكلمَ الناس على قدر عقولهم»[1] تقضي أن يكون الإنسان عند أمره ونهيه، وإلا إذا رأيت إنساناً يأكل طيباً من الطعام ويقول لغيره كن زاهداً! لا بد وأنْ تقول في نفسك أو بلسانك: «اذا كان الزهد خيراً فلماذا لا تتزهد أنت؟» ومن الممكن أن يكون هو مقبلاً على الطعام الطيب لا من جهة الشهوة وإنما من جهة المرض، لكن من الطبيعي أنْ يرى الناس «العمل قبل القول»، ولهذا ورد في الحديث: «عِظُوا الناس بأعمالكم قبل أقوالكم».

هذا الشيء يجب على التنظيم مراعاته، فلا يكون صنماً يُعبد، ويكون الحق والباطل ميزاناً ينطبق عليهما التنظيم، لا أن ينطبق الحق والباطل على التنظيم.

في كلام للإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يقول: «يعطف الهوى على الهدى حين ما عطفوا الهدى على الهوى»[2] إن التنظيم الذي لا يلتزم بالحق لا يتمكن أن يدعوا إلى الحق، وإذا دعا إلى الحق كانت مهزلة وانطبق عليه قول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كَبُر مقتاً عند الله أنْ تقولوا ما لا تفعلون﴾**[3].

ومن كلام للإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: «لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين به»[4].

وفي قصة من قصص العلماء يُذكر: إن عبداً جاء إلى عالم وكان العالم خطيباً أيضاً وقال له: «إن لي مولى وهو من المخلصين لكم، وأنا في شدة ومولاي يحضر تحت منبركم وهو يطيعكم، فشوّقوه ليعتقني جزاكم الله خيراً».

قال العالم للعبد: لا بأس، ثم صعد المنبر في ذلك اليوم وبعد ذلك بأسبوع وشهر.. وشهور... ولم يتفوّهْ بكلمة في أستحباب عتق العبيد.

وذات ذاتَ تكلم حول أستحباب عتق العبيد، وأن «من أعتق عبداً أعتق الله بكل عضو من ذلك العبد عضواً من المولى من النار»[5].. وأخذ يقرأ الأحاديث

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٣ ح ١٥.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ١٣٨.
(٣) سورة الصف: الآية/ ٢.
(٤) نهج البلاغة: الخطبة: ١٢٩.
(٥) أنظر الفقية: ج ٣ ص ٦٦ باب ٤٨ ح١.

ويشوق الناس لعتق عبيدهم، وسيد العبد جالس تحت منبر العالم، فرجع إلى الدار وقال لعبدِه: «أنتَ حرٌّ لوجه الله تعالى، اذهب حيث شئت» فشكره العبد وجاء إلى العالم قائلاً: «جزاك الله خيراً إنَّ مولاي أعتقني، ولكنْ لي سؤال: هو لماذا لم تشوّق في اليوم الأول الموالي لعتق عبيدهم، والآن وبعد ما مضى على الطلب عدة شهور تكلمت حول عتق العبيد؟».

قالَ العالم: «نعم يوم طلبت مني لم يكن لي عبد ولم يكن لي مال ومن ذلك اليوم إلى هذا اليوم أخذتُ أجمع المال، واشتريت عبداً وأعتقته كي يكون كلامي مؤثراً في سيّدك، والله سبحانه وتعالى جعل التأثير في كلامي بعد عملي به ولهذا أعتقك مولاك».

هذا في الحقيقة مثل رائع لأنْ يكون الإنسان عند قوله لا أن يقول ما لا يعمل، لأن المجتمع يرفض كلامه عندئذ ولو كان معذوراً. إن التنظيم لو صار صنمياً لا تؤثر تعليماته وقراراته في القلوب «والموعظة إذا خرجت من القلب دخلت في القلب، وأما إذا خرجت من اللسان فلا تتجاوز الآذان».

فالتنظيم يجب أن يكون حقانياً لا صنمياً وأهوائياً، فإنه لو كان واقعياً وقال للناس اتبعوا الحق لأتبّعوه، وليس التنظيم معيار المدح والذم وإنما الحق هو المعيار، فيجب أن يكون في طريق الحق كي يكون إسلامياً.

طريق النصر الالتزام بما نقول

خلال الحرب العالمية الثانية بين الحلفاء وبين دول المحور، كانت الصحف الحرة في إحدى بلاد الحلفاء تهاجم الدولة إبان الحرب القاسية وتذكر أخطاء الدولة ونقاط ضعفها: «إنزعج الوزراء من هذه الصحف، وطلبوا من رئيس الوزراء أن يأمر بغلقها.

قال رئيس الوزراء: إننا نحارب هتلر لأجل ديكتاتوريته، فهل يصح أن نعمل بالديكتاتورية؟! فلماذا إذن نحارب الديكتاتوريين؟ إن الذي يحارب الديكتاتوريين يجب أن يكون ديمقراطياً ـ حسب اصطلاحهم ـ اما أن نكون نحن مستبدين ونقول للناس حاربوا المستبدين فهذا مستحيل.

وكلما أصر الوزراء على رئيسهم بأن يغلق تلك الصحف المعارضة رفض ذلك، فصار موقف رئيس الوزراء موضع إعجاب الجماهير وسبباً لانجذابهم إليه، وهذه سنة اجتماعية دائمة.

في الحقيقة من يحارب الديكتاتور يجب ألا يكون ديكتاتوراً، ومن يحارب الظلم يجب ألاً يكون ظالماً، ومن يحارب الكذب لا يكون كذاباً، والتنظيم الذي يحارب الأصنام البشرية والحجرية ويحارب ما هو ضد الإسلام لا يمكن أنْ يكون صنماً، وإلاً فلا جدوى من محاربته، لا إسلامياً ولا إجتماعياً، ومصيره النهائي هو الفشل المحتم، فلا بد لكل تنظيم أنْ يُراعي مقاييس الحق والواقع والصدق والصراط المستقيم، وبذلك يتوسع بإذن الله تعالى حتى يشمل كل بلد في العالم الإسلامي، ثم يقيم دولة إسلامية قوية ترفرف رايتها على ألف مليون مسلم بإذن الله تعالى، وما ذلك على الله بعزيز.

(٨)

جماهيرية التنظيم

معنى التنظيم الجماهيري

التنظيم الجماهيري يعني أن تكون مؤسسات التنظيم وعناصره ملتحمة بالجماهير، وأن ينظِّم طاقاتها ويقودها في معارك التحرر ضد الاستعمار والاستبداد، ولو فقد التنظيم صلته بالجماهير فسيعيش في الفراغ ولا يتطور، وبالنتيجة لا يستطيع تقديم الأمة إلى الإمام، ولا طرد الاستعمار من بلاد الإسلام، وإذا كان التنظيم جماهيرياً فالجماهير تغذيه.. فينمو ويتوسع حتى يستوعب العالم الإسلامي، وتحدث عندئذ اليقظة الكاملة والحركة الشاملة ثم مكافحة الاستعمار وطرده.

مقومات التنظيم الجماهيري

أمّا كيف يكون التنظيم جماهيرياً؟

فالجواب: إنه إنما يكون جماهيرياً إذا اعتمد على مقومين رئيسيين:

الأول: القيادة النموذجية النزيهة: -

إنَّ القائد لو أرتمى في أحضان الفساد، والإرتشاء، والإختلافات، والميوعة الخلقية، سقط من عين الجماهير وأنفضَّ الناس من حوله، والجماهير لا تسلّم زمام أَمرها إلاً إلى القائد النزيه، بناءاً على هذا فاللازم على القيادات التنظيمية أنْ

تكون في مستوى لائقٍ وسامٍ من النزاهة، وهذا العامل هو الذي جعل راية الأنبياء عليهم السلام تخفق على العالمَ، فإنهم كانوا في غاية النزاهة والعفة والزهد والخلق الكريم والفضيلة والتقوى والكرامة. وذلك واضح في شخصية عيسى، وإبراهيم الخليل، ولوط، وشعيب، وموسى الكليم، ويعقوب، ويوسف، ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين، وفي عليّ والأئمة الطاهرين عليهم الصلاة والسلام، وفي العلماء الراشدين وفي القادة المصلحين.

إن الذي يريد أن يقود الجماهير يجب أن يضبط أعصابه ويحفظ لسانه وعينه وأذنه وقلبه ولا يُقدِم على الدنيا، فقد قال عيسى عليه السلام: «الدنيا داء والعالم طبيب، فإذا رأيتم الطبيب يجر الداء إلى نفسه فاتهموه»[1].

وقال أيضاً: «الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها»[2].

وقال علي عليه السلام: «إن دنياكم هذه أهون عندي من عراق خنزير في يد مجذوم[3]»[4]، انظر كيف وصف أمير المؤمنين الدنيا؟ وصفها عليه السلام بأقذر جزء من الخنزير وهو المعاء الممتلىء بالأوساخ فضلاً عن أنه بيد مجذوم.

إذن عدم انفصال التنظيم عن الجماهير بحاجة إلى نزاهة القائد نزاهة كبيرة وشاملة، وكلما كان القائد التنظيمي أكثر نموذجية في النزاهة كان اطمئنان الناس واعتقادهم به أكثر والالتفاف حوله أشدّ، وبذلك ينجح التنظيم في التقدم واكتساب الجماهير إلى خطّه.

الثاني: إحترام الجماهير:

المقّوم الثاني للتنظيم الجماهيري هو اَحترام الجماهير، فإنّ كثيراً من التنظيمات يأخذها الغرور والعُجْب بنفسها، فتنظر إلى الناس نظرة احتقار، وترى نفسها هي العاملة والآخرون كلهم خاملون! وجزاء الناس لهذه التنظيمات اَحتقارها، وإِهانتها.. مما ينتهي بشكل تدريجي إلى السقوط.

يقول الشاعر:

---

(١) الوسائل: ج ١٤ ص ١٢ باب ٤ من أبواب مقدمات النكاح ح ٥.

(٢) البحار: ج ١٤ ص ٣١٩ ح ٢١.

(٣) العراق: الأمعاءه. المجذوم: المصاب بمرض الجذام: وهو تناثر اللحم من أطراف الجسم.

(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٣٦.

لسانك لا تذكر به سوءة أمريء فكلك سوآت وللناس السن
وعينك إنْ أبدت إليك معايباً من الناس قل يا عين للناس أعين

فمن آحتقر الناس آحتُقر ومن اتَّهم اتُّهم ومن ظَنَّ بالناس سوءاً ظَنُّوا به السوء، ومن دخل مدخل السوء تجنب منه الناس، فالواجب على القيادات التنظيمية أن يرّبوا تنظيمهم على احترام الناس واكرامهم بقضاء حوائجهم، وعدم بناء الحواجز دونهم - إلاً بالقدر الضروري - وآستيعاب طاقاتهم لينموا ويتوسع.

وفي سلوك الأنبياء والأئمة عليهم السلام الشيء الكثير من احترام الناس وآستماع آرائهم، فقد جاء في الروايات: «إنَّ رسول الله ﷺ جاءه أعرابي خشن وهو جالس في مسجده وحوله جماعة من الصحابة، فطلب من النبي ﷺ حاجته، فلم يتمكن النبي من قضائها في ذلك الوقت، وبصورة ترُضي الأعرابي، فأرجأه إلى وقت آخر، لكنّ الأعرابي كان سيىء الأدب فتكلم بما لا يليق أنْ يُقال عند النبي ﷺ فثارت حمية الأصحاب، وأرادوا تأديبه، إلا أنْ النبي أمرهم بالكفُ عنه، ثم توجه إلى الأعرابي وقالَ له: «تعال معي إلى الدار» فأصطحبه إلى الدار وأعطاه ما يرضيه وقال له: «هل رضيت عني؟»».

قال الأعرابي: «نعم، رضي الله عنك يا رسول الله» ومدحه.

قال له النبي ﷺ: «إذهبْ وقل لأصحابي إني أرضيتك وإنَّك راضٍ عني» فجاء إليهم في المسجد ومدح النبي ﷺ وأظهر رضاه عنه.

ويجدر بنا أن نتروى عند هذه الرواية لنسلط الضوء على أمور ثلاثة مهمة:

الأول: أن النبي ﷺ بفضل خلقه الكريم لم يرضَ أنْ يقابل الإساءة بالإساءة، بل قابلها بالإحسان، ليعُطي درساً حيوياً للعاملين على إصلاح المجتمع في التأثير فيهم بالأسلوب الأقرب للإيمان والتقوى، كما قال الله تعالى في القرآن الكريم: **﴿وانْ تعفوا أقرب للتقوى﴾**(١).

وقال أيضاً في محكم كتابه: **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**(٢).

وأن الرسول الأكرم ﷺ أكبر من أن يترك حتى إنساناً واحداً يغضب ولو في

---

(١) سورة البقرة، ال الآية/ك ٢٣٧.

(٢) سورة الاعراف: الآية/ ١٩٩.

أشد حالات الضرورة ـ إلاّ إذا لم يكن هنالك مناصٌ من ذلك ـ. إنه صلى الله عليه وآله وسلم لا ينظر إلى سلوكه من خلال الطرف المقابل فحسب، بل ينظر إلى مدى تأثير العمل في نفوس الناس، وما هو الانعكاس الذي يؤدي إليه وما نتائجه في تصرفات الناس، فالنبي ﷺ كان دائماً يلاحظ الجماهيرية.

الأمر الثاني: إن النبي ﷺ لم يصرف الأعرابي لشأنه حتى أرضاه، والواضح أن من سياسة النبي ﷺ أنه لا يترك إنساناً حتى يقنعه بما يعطيه، ولا يصرفه إلاّ وقد أرضاه، وكذلك كانت سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ في أقصى حالات الضرورة وما أندرها في حياة هذين العظيمين.

وقد ذكرنا في كتاب القضاء وغيره من «الفقه» إن الحاكم الإسلامي له حق العفو عن الحدود الشرعية كما عفى رسول الله ﷺ وعفى أيضاً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حسب ما رأيا من المصلحة.

الأمر الثالث: جاء في قصة الرسول الأعظم ﷺ والأعرابي، أن الرسول صلى الله عليه وآله قال له: «إذهب وقل لأصحابي إني أرضيتك وإنك راضٍ عني» وقد فعل الأعرابي ما أمر به. لكن لماذا هذا الأمر؟!

والجواب: إن النبي ﷺ يريد أن يُشعرَ أصحابه بأنهُ حتى الأعرابي لم يَغْضَبْ عليه، وإنْ لم تكن لذلك الأعرابي قيمة، وإنْ لم تكن هناك خشية من غضبه.

وهكذا تمكن الرسول ﷺ من تجميع الجماهير بصورة منقطعة النظير، وقد ورد في حديث أنّه قال: «خيرَ الولاة من جَمَعَ المختلف وشُر الولاة من فرّق المؤتلف».

وكيف كان، فالتنظيم إنما يكون جماهيرياً إذا أحتَرَمَ الجماهيرَ واستمع لآرائهم وانتقاداتهم البناءة.

كيف يتعامل التنظيم مع الجماهير؟

يقع كل تنظيم بين شوكتين: شوكة الجماهير التي تريد مساواة عناصر التنظيم معها، وشوكة الهدف حيث يجب أنْ تكون الوسيلة بيد التنظيم حتى يصل إلى الهدف، ولأجل ألاّ يتأثر بهذين الأمرين، يجب عليه أن يكون حازما عاقلاً مفكراً، وأنّ يعرف مداخل الأمور ومخارجها، كي لا يفقد الجماهير من جهة، ولا

يتوقف عن السير في طريق الهدف من جهة أخرى، فلأجل ألاّ يخسر الجماهير ولا يضيع الهدف يجب عليه أن يحترم الناس وأن يسير معهم خطوة إلى الأمام، وفي هذه الحالة يكون التنظيم جماهيرياً.

إني قد لاحظت في تاريخ كثير من الحركات الإسلامية منذ مئة عام أنّها فشلت في تقديم الأمة إلى الأمام، وإذا كانت قد قدمتها فقد كان التقدم وقتياً، بسبب أن تلك الحركات لم تكن تحترم شخصية الجماهير، وبالنتيجة انفصلت الجماهير عن تلك الحركات وظلت هي وحدَها في الميدان، تنادي وتستنهض الهمم، فلا تسَمعُ سوى صدى نداءاتها، وبانفصالهم عنها سقطت تلك التنظيمات. وما سقطت الحركات العاملة في العراق قبل ٢٥ ـ ٤٠ عاماً إلا لأجل ما ذكرناه، وقد كان مجموع الأحزاب في العراق أربعة وأربعون حزباً من مختلف التنظيمات والانتماءات، ولم تتمكن من شيء يذكر! لماذا..؟ للأمرين الذين سبقت الإشارة إليهما.

الأمر الأول: سقوط جملة من القيادات التنظيمية في أوحال المادة، الدور، القصور، السيارات، الوظائف، الأهواء، الشهوات، فكان الناس من جرّاء انغماس القادة في هذه الأشياء لا يطمئنون إليهم، فأدىّ إلى أنْ انْفَضَوْا من حولهم، والنتيجة الفشلُ الذريعُ الذي أصاب التنظيم.

والأمر الثاني: أنها كانت تزدري بالناس والجماهير وتهزأ بهم وتغمزهم وتترفع عنهم، وهكذا كانت الجماهير تقابلهم بالمثل والنتيجة الوحدة في الساحة حيث لا قاعدة جماهيرية ولا أناس مؤيدين.

إذن لو أردنا إقامة حكومة ألف مليون مسلم فعلينا أن نلتزم بمقومات التنظيم الجماهيري الواسع وعندئذ نتمكن من التقدم إلى الأمام بإذن الله تعالى.

(٩)

إرضاء التنظيم للناس

هذه الحلقة من الحديث هي ضمن السلسلة التي تناولت بحث مسألة التنظيم وضرورة جماهيريته والأسس التي يعتمد عليها، وسيدور البحث هنا حول (ضرورة ارضاء الجماهير)، وطبعاً (رضا الناس غاية لا تدرك)، لكنّ المقصود من ذلك هو

خدمة التنظيم للجماهير، ومحاولة جَذْب ودِّهم قدر المستطاع ضمن إطار رضا الله سبحانه.

الجماهيرية شيء صعب، لكنها محمودة العاقبة، وصعوبتها تنبع من أنّ للجماهير حاجاتها، والتنظيم إذا لم يُعط الجماهير مطاليبها فسرعان ما يخسرها، وإذا خسرها كان السقوط لا محالة.

أما أن إعطاء مطاليب الجماهير أمر صعب فذلك لأنّ الجماهير لها آراؤها وأفكارها وحاجاتها واسلوب عملها واجتماعاتها وغير ذلك، وهذه الأمور تضغط على التنظيم ضغطاً كبيراً، لكنّ تَحَمّل صعوبة إعطاء مطاليب الجماهير أسهل مِنْ تَحَمّل وجود الأعداء. ولا بدّ للإنسان أن يُواجه ضغطاً معيناً، إما ضغط الصديق وإما ضغط العدو، وضغط الصديق أسهل وأحمد عاقبة، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإن الجماهير لا تنظر إلى الهدف غالباً، بينما التنظيم وقياداته ينظران إلى الهدف بصورة مستمرة، ونظرا لاختلاف النظرتين ينشأ التناقض فيعيقهما جميعاً عن التقدم إلى الأَمام، فما العمل الذي يُحَصن التنظيم عن رفض الجماهير له؟

الواقع، يجب أن يكون التنظيم على قدر كبير من التعقل والحزم، حتى يتمكن من إطفاء الحرائق - لو صح التعبير - التي تَشبُّ بينه وبين شرائح معينة من الجماهير، وبذلك يستطيع الجمع بين الجماهيرية وبين الهدف، وهذا ليس بالأمر السهل، إلاّ أنه ممكن، ولذا نجد في حياة القادة الإصلاحية كالأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين وغيرهم أمثلة لهذا الأمر.

أمير المؤمنين (عليه السلام) والجماهير

الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان هو الرئيس الأعلى لأكثر من خمسين دولة - حسب التقسيم الجغرافي الإستعماري الحديث، وكانت دولة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أكبر دولة آنذاك، ورغم ذلك كان يخرج عَلَيْهِ السَّلَامُ من(دار الامارة) إلى الناس، ويتعقب أمورهم بنفسه، ويُوفر لهم حوائجهم فرداً فرداً، ويتحرّى رِضاهم. وذات مرة كان يَمُرّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في إحدى أزقة الكوفة وإذا به يرى آمرأة جالسة تبكي فتوجه إليها الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ قائلاً: «يا أمة الله لماذا جلوسُكِ هنا ومِمَ بكاؤُكِ؟».

قالتْ: «يا هذا إنَّ أهلي أرسلوني لأَشتري تمراً وآشتريتُه وذهبتُ به إلى الدار، وإذا بهم يأمرونني بردِّه، فرجعتُ به إلى التمّار وطلبتُ منه أن يسترجع التمر

وَيردَّ لي دراهمي، فلم يقبل بذلك، وأنا أَمَةٌ مملوكة، والآن أنا حائرة، إنْ رجعتُ إلى أهلي غضبوا عَلَيّ، والتمّار لا يقبل الإسترجاع فلا أعلم ماذا أصنع».

قال لها الإمام عليه السلام: «يا أمة الله قومي معي إلى التمّار».

فقامتْ مع الإمام عليه السلام وذَهَبا إلى التمّار وكان شاباً مغروراً، فنصحه الإمام قائلاً: «هذه أَمَة لا تملك من أمرها شيئاً فخذ التمر ورُدَّ عليها الدراهم».

لكنّ الشاب أخذ إناء التَمْر مِنْ يد المرأة ونَثَر التمر في الطريق وسَبَّ الإمام عليه السلام ـ وهو لا يعرفُهُ ـ وقال به: «ما أنت والتدخل بيني وبينها!».

فلم يتكلم الإمام شيئاً، وآنصرف الشاب إلى عمله، وتحيرتْ المرأة إذْ صار الأمر أصعب، فقد فقدتْ الدراهم والتمر، وفي فترة وجيزة حيث كان الشاب منشغلاً بعمله، مرتْ بعض شخصيات دولة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في السوق فلاحظوا الإمام واقفاً هناك، فأتوا ووقفوا إلى جانبه، وفجأة يلتفتُ الشاب إلى الرجل وإذا به يراه واقفاً وحوله كوكبة من شخصيات الدولة، فتحيّر من ذلك فمن هو هذا الرجل؟ ولماذا يجتمع هؤلاء حوله؟ وهم لا يتكلمون وكانّ على رؤوسهم الطير. فسأل مِنْ أحد أصدقائه مَنْ هذا؟ ومَنْ هؤلاء الواقفون حوله؟

فقال له: هؤلاء واقفون آحتراماً لهذا الرجل.

قال: ومن هذا الرجل؟

قال له: هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

أخذ الشاب يرتعد ويرتجف، وآصفرّ لونه وقفز من دكانه يقبّل قدم الإمام أمير المؤمنين ويقول: «يا أمير المؤمنين ما عرفتك، اعفُ عني، إرضَ عني يا أمير المؤمنين.

قال له الإمام عليه السلام: «إذهب وأَقِلْ الجارية وأعطِها دارهمها واجمع تمرَك، أما ما طلبت منّي أنْ أرضى عنك؟ فما أرضاني عنك ان أنت أرضيت الناس عن نفسك».

(هذه الكلمة الكبيرة سر النجاح، وهي دستور ليس للزعماء فحسب، بل لكلِ إنسان يريد أن يعيش بسلام ويكون محبوباً عند الجماهير: «ما أرضاني عنك إنْ أنت أرضيتَ الناس عن نفسك» القائد، العالم، الخطيب، رئيس الدولة،

الموظف، يجب أنْ يلاحظوا إرضاء الناس وإلاّ سقطوا)، ثم قفز التمار إلى الدكان وأخذ الدراهم وقدمها إلى الجارية، ثم جمع تمره وأرجَعَه إلى مكانه.

إنَّ الإمام عليه السلام كان يلاحظ ألاّ يكون حتى إنسان واحد غير راضٍ على امتداد الوطن الإسلامي الرحب.

فيجب على التنظيم أنْ يتخذ من هذا الأمر درساً لعمله الدائب في خدمة الجماهير، إن أصحاب النفسيات السلبية الذين يتصورون أنهم الأفضل، ويقول، ، أحدُهم: «إن هذا رأيي» أو: «أنا أكثر فهماً» أو: «إنَّ الجماهير لا تفهم وهي غير واعية» أو: «ما للجماهير والتدخل في هذه الشؤون» وما أشبه ذلك، نتيجتها انفضاض الجماهير من حول تنظيمهم وعدم توسعة التنظيم ونموّه، وعدم وصوله إلى المستوى المطلوب، فلا يتمكن من إنقاذ العالم الإسلامي ولا حتى بلد واحد.

إنَّ واجب التنظيم أنْ يلاحظ الجماهيرية على طول الخط، فإن الجماهير هي التي تتمكن من إنقاذ بلاد الإسلام لا جماعة خاصة من المثقفين فقط. إنَّ مَثَلَ الجماهير كمثل الماء إذا لم يكن ماء في البحر فلا تبقى الأسماكُ حية، والتنظيم مثله كمثل السمكة.

وقد نقل لي أحد المراجع عن قائد ثورة العشرين الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي ـ رحمة الله عليه ـ الذي أسس أول دولة إسلامية في كربلاء المقدسة، «إن الإمام الثائر قد التفتْ حوله الجماهير بصورة غريبة، الشيوخ والعشائر، الكبار والصغار، ضد بريطانيا الغاصبة، وكان وراء بريطانيا في ذلك اليوم أكثر من ألف مليون ـ الهند بكاملها والصين والشرق الأوسط ومناطق أخرى من أفريقيا وغيرها ـ لكنَّ هذا القائد الإسلامي المحنك تمكّن أن يطرد الاستعمار البريطاني من العراق وكان الإزدحام هائلاً حول الميرزا محمد تقي الشيرازي ومن الطبيعي أن المرجع وعمره كبير لا يتمكن أنْ يجمع بين القيادة الثورية وبين إعطاء حوائج الناس، وأنه رحمه الله قال لنا ـ نحن معاشر الطلبة ـ (وكنا صغاراً في ذلك اليوم):

«أيها الطلبة إني قبل الثورة كنت أتمكن من قضاء حوائجكم شخصياً وأما بعد الثورة فإني مشغول بالمسؤوليات، ولا أتمكن من قضاء حوائجكم شخصاً شخصاً، كما أنكم لا تتمكنون أنْ تَصِلوا إليّ للإزدحام الذي حولي، فإذا كانت لأحدكم حاجة فإني في كل يوم بعد صلاة الصبح أخرج إلى الشوارع الممتدة في أطراف

كربلاء المقدسة، فيتمكن كل طالب علم أو أي شخص آخر يريد لقائي على انفراد، أن يأتي في ذلك الوقت لأقضي حاجته».

هذا العالم الراوي للقصة يقول: إني شخصياً ذهبتُ إليه مرات عدة وعندي حاجة مادية أو معنوية وكنت أرى الإمام يمشي وحده، على النهر أو في الشارع المحاط بالأشجار، وأحياناً يذهب إليه فقير أو طالب أو جماعة لأخْذِ حاجاتهم وهكذا.

هذا الإمام الثائر، القائد الأعلى للمسلمين في ذلك اليوم كان يعطي بعض وقته لفرد فرد من أفراد الامة ويقضي حاجاتهم، وهذا هو سبب تمكنه من طرد بريطانيا من بلد المقدسات العراق، تَمَكَّنَ أنْ يطرد هذا الاستعمار من العراق، للمحبوبية المنقطعة النظير التي اكتسبها جرّاء أخلاقه الطيبة وجماهيريته الواسعة.

إذنْ، فإذا أردنا إنقاذ ألف مليون مسلم يجب علينا أنْ نؤسس أُسساً قائمة على التوعية والتنظيم، والتنظيم يجب أن يكون جماهيرياً ومحبوباً، ويجب أن نجعل كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي يقول فيها: «ما أرضاني عنك إنْ أنت أرضيتَ الناس عن نفسك»، شعاراً عملياً دائماً كي نصل إلى الهدف بإذن الله تعالى، وما ذلك على الله بعزيز.

(١٠)

تنظيم المؤسسات والجمعيات

تكثر التنظيمات في الوقت الحاضر في الهند، والباكستان، بنغلادش، وأفغانستان، والعراق، ومصر، وفلسطين، والخليج، وأندونيسيا، وتركيا، وغيرها. وإلى جنب هذه التنظيمات يوجد مفكرون كثيرون، ومكتبات، ودور نشر، ومطابع، ومجلات، وجرائد، وأحياناً مؤسسات إذاعية وتلفزيونية، وقد تمكن الشرق والغرب من جعل هذه التنظيمات والأجهزة الإسلامية متفرقة، كل واحد منها في ميدان بمفرده، فالشرق والغرب مجتمعون والتنظيمات الإسلامية متفرقة، ودائماً المُجتَمِع يغلب المتفرّق، وهذه سنّة الله من القِدمَ إلى الآن.

ولذا فمن الضروري على التنظيم الإسلامي الواعي الذي يريد إقامة حكم الله تعالى في الأرض، وإقامة حكومة ألف مليون مسلم أن يعمل، جادّاً لأجل أن

يصبّ كل هذه الأجهزة الإسلامية في تيار واحد عام، من جنوب بلاد الإسلام إلى شمالها، ومن شرقها إلى غربها، حتى تكون حركة واحدة وأمة واحدة كالبنيان المرصوص وتتمكن من أن تقاوم المستعمرين سواء الشرقيون منهم أو الغربيون أو وليدتهما ـ الصهيونية العالمية ـ وذلك ممكن بالكيفية التالية:

أن تجعل أولاً مسودة تعاون، على أساسها تتوحد كل القوى الإسلامية من منظمات وجمعيات وحركات..

وفي المرحلة الثانية، تُنتخب جماعة من المثقفين الذين يحملون الفكر الإسلامي حملاً جيداً ويلتزمون بالإسلام سلوكاً ومنهاجاً في حياتهم، وتكون مهمتهم صبّ طاقات الأحزاب والمنظمات والمكتبات ودور النشر والمؤلفين وما أشبه في تيار واحد.

أما في المرحلة الثالثة، فيتحرّكون لتشكيل قيادة واحدة، ويتمّ تشكيلها بأنتخاب الأكثرية، فتتخذ قرارات مناسبة لتكوين الحركة الاسلامية الواحدة، وكل القوى والأحزاب والمنظمات الإسلامية وغيرها تصبّ في هذا التيار الواحد، ويكون مثله كمثل النهر الكبير الذي يبتدىء بقطرات ثم تصبح عيوناً ثم أنهاراً صغيرة ثم أنهاراً متوسطة تصبّ في النهر الكبير.

وهذا الأمر ممكن ويسير إلاّ أنه يحتاج إلى حركة عاقلة وحازمة ومفكرة ومخلصة ومضحية تتمكن من توحيد هذه الجهود.

لقد فَعَل الرسول الأعظم ﷺ نفس الشيء ولكنْ بشكل آخر، كانت القبائل العربية قبل عهده ﷺ متنافرة وأحياناً متناحرة، فجاء الرسول ﷺ وأخذ يجمع القبائل حول كلمة (لا إله إلا الله) و(محمد رسول الله) وما يتبعها من وجوب تطبيق شرائع الإسلام، فوحّد القبائل والمدن وجعلها كلها في تيار واحد.

وَمَنْ يطالع حروب الرسول ﷺ يرى فيها الإتسّاع البشري، مثلاً في حرب بدر وهي أولى حروب الرسول ﷺ كانت الجماعة المسلمة التي خرجت للحرب زهاء ثلاثمائة، فأصبحوا للحرب التي تلتها ألفاً، وللحرب الثالثة ألفاً وثلاثمائة تقريباً، ثم ألفين ثم ثلاثة آلاف، وفي حرب أُخرىٰ بلغ عددهم سبعة آلاف، وفي فتح مكة عشرة آلاف مقاتل، وفي حرب حنين بلغ عدد الجيش الاسلامي أثني عشر ألفاً، ثم تصاعد عددهم إلى ثلاثين ألفاً في حرب تبوك، وأخيراً نرى أنّ

رسول الله ﷺ لما عزم على حجة الوداع تجمع حوله - كما تشير بعض الروايات - مئة وثلاثون ألفاً، وهذا التصاعد يعطينا دليلاً على إمكانية تصعيد التجمعات الإسلامية في العصر الحاضر.

في ذلك اليوم كانت القبائل وهي عبارة عن تجمّع طبيعي للإنسان، مصدره الولادة والإنتساب، أما اليوم فالتجمعات أصبحتْ ثقافية على شكل جمعيات وأحزاب وتنظيمات، وهذه المؤسسات في الإمكان أنْ نجمعها في تيار إسلامي واحد منظم وقويّ، وذلك بأجتماع منظمة إلى أخرى إلى ثالثة ورابعة و.....، إلى أن يأتي يوم يكون لنا فيه تيار إسلامي واحد من أقصى بلاد الإسلام إلى أقصاها.

وهذاالتيار الإسلامي الواحد يتمكن من التصرف في البلاد الاسلامية تصرفاً واحداً، ويلتف حوله المسلمون، وبعد ذلك فالويل للمستعمر الشرقي والغربي لو أرادا مواجهة هذا التيار، لأن هناك - بالإضافة إلى القوة الاسلامية العددية - تكون القوة الكيفية **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾**[1].

هذه القوة الكيفية غير موجودة لا في الشرق ولا في الغرب، فإذا جمعنا إلى هذه القوة الكيفية والقوة العددية أيضاً حسب قوله تعالى: **﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة﴾**[2] توحدت بلاد الإسلام تحت حكم الله تعالى الذي ينضوي تحت لوائه آنذاك ألف مليون مسلم، وآنئذ يرجع المسلمون إلى ما كانوا عليه من السيادة والسعادة والقوة ويتمكنون من إنقاذ المستضعفين من براثن المستغلين سواء في داخل بلاد الإسلام أو في خارجها (درس من التاريخ) كما قال ذلك القائد الإسلامي لرستم - القائد الفارسي - في حرب وقعت بين المسلمين والفرس حيث سأَلَهُ رستم ماذا تريدون؟

فأجابه القائد الإسلامي: إنّنا نريد أمرين: الأول: أن ننقذ أفكار البشر من الخرافة إلى الحقيقة، عبادة الملك، عبادة النار، عبادة البقر، عبادة الصنم، نريد إنقاذ الأفكار من هذه الخرافات الزائفة إلى عبادة الله الواحد القهار الخالق الرازق المحيي المميت الذي بيده كل شيء.

---

(١) سورة آل عمران: الآية/ ١٣٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية/ ٦٠.

قال رستم: ما أجمل هذا الشيء وما أجمل ما تدعون إليه، ثم ماذا هو الآمر الثاني؟

أجابه القائد الاسلامي: الأمر الثاني: «أن نُخرج عباد الله من ضيق الأرض إلى سعتها».

ماذا تعني هذه الكلمة: «أن نخرج عباد الله من ضيق الأرض إلى سعتها»؟ أنت إذا أردت السفر من بلدك إلى بلد آخر تحتاج إلى جواز «والروتينيات» الإدارية المعقدة. أليس هذا ضِيقاً. وإنما الإسلام يقول: الأمة واحدة، والأرض لله.

ثم إنك إذا أردت التجارة، أو الزراعة، أو الصناعة، أو العمل، أو العمارة، أو إبداء الرأي، أو إصدار صحيفة. فإنك تحتاج إلى الإجازة، والرواح والمجيء، والرسوم، والجمارك، والمكوس و.. وكل هذه الأمور تضييق على الإنسان..

لقد أصاب الإنسان الضيق حيث أعرض عن ذكر الله تعالى. يقول القرآن الحكيم: -

﴿ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك اتتك آياتنا فنسِيتَها وكذلك اليوم تُنسى﴾[1].

لقد وقعنا في ضِيق الأرض بعد تَرْكِنا أحكام الله سبحانه، ولا يمكن أن نُخرج أنفسنا من الضيق إلى السَعَة إلا إذا أطعنا الله في توحيد بلاد الإسلام، وتوحيد الأمة المسلمة تحت لواء (لا إله إلا الله، محمد رسول الله) وصار القرآن الكريم والسنة المطهرة دستوراً لحياتنا.

قال رستم للقائد الإسلامي: وما أجمل هذا الأمر الثاني أيضاً.

ثم وجه رستم كلامه للقائد الإسلامي وقال له: إذا قَبِلنا هذين الأَمرين، فهل تتركونا، وتعودون إلى بلادكم؟

أجاب القائد الإسلامي: نعم والله، إننا لا نحارب من أجل المال والسلطان والأرض.. وإنما نحارب لإنقاذ البشر من الخرافة إلى الحقيقة، ولإنقاذ المستضعفين من ضيق الأرض إلى سَعَتِها.

---

(١) سورة طه: الآية/ ١٢٤.

فقال رستم: وما أجمل هذا أيضا.. ولكنّ قومي لا يقبلون ذلك..

ثم وَقَعَتْ الحرب، وكانت كلمة الله هي العليا..

إننا إذا تمكنّا مِنْ توحيد القوى الإسلامية المختلفة في تيار واحد عالمي فإننا نستطيع عندئذ إنقاذ أنفسنا.. فلا ترى أثراً لإسرائيل الغاصبة، ولا للشيوعية المعتدية، ولا للغرب المستعمر.. ولا شيئاً من المشكلات التي يواجهها المسلمون اليوم..

ونسأل الله أن يجعل ذلك اليوم قريباً.

الأساس الثالث
(أخلاقيات الحركة الاسلامية)

١ ـ التعاون الاسلامي الشامل.

٢ ـ الإستقامة.

٣ ـ الصمود.

٥ ـ فهم ارتباطات الحياة.

٦ ـ زهد القادة.

٧ ـ عدم حبّ الشهرة.

٨ ـ الإخلاص.

٩ ـ العمل الدائب.

١٠ ـ التواضع.

١١ ـ التأهيل الذاتي للحركة.

١٢ ـ الابتعاد عن السلطات.

١٤ ـ قضاء حوائج الناس.

١٥ ـ الإتقان في العمل.

١٦ ـ الوفاء.

(١)

التعاون الإسلامي الشامل

التعاون هو الأساس الثالث من الأسس العامة للحركة، وهذا الأصل يجب أن يكون قَبْلَ الحركة، ومع الحركة، وبعد الوصول إلى دولة ألف مليون مسلم، بإذن الله تعالى.

والتعاون يعني نَبْذَ كل التَفْرقات، والتنسيق بين كافة المنظمات والأحزاب والجمعيات والمكتبات ودور النشر والمؤلفين ووسائل الإعلام وما أشبه. يجب علينا أن نفكر في التعاون تفكيراً جدّياً وأنْ نجعله تطبيقاً خارجياً، وإلاّ فالمستعمرون يفرّقون بيننا بألف إِسم وإِسم، ويُبدلون الحركة إلى التشتت ثم يهدمون الحركة جزءاً جزءاً، حتى تكون البلاد لقمة سائغة في أفواه المستعمرين من صليبيين وشيوعيين وصهاينة.

يقول الله تعالى: **﴿لَتَجِدَنّ أشدَّ الناسِ عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾**[١].

المشركون ذلك اليوم هم الشيوعيون هذا اليوم، واليهود ذلك اليوم هم الصهاينة في هذا اليوم.

وفي آية أخرى يقول الله تعالى: **﴿لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾**[٢].

والنصارى في ذلك اليوم هم الصليبيون في هذا اليوم المتمثلون في الدول الأوربية وأمريكا وما إليها.

فلنجعل التعاون بين كافة المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم واجتهاداتهم وبلادهم وقومياتهم وجنسياتهم وألوانهم وسائر المميزات بينهم، لنجعل توحيد الكلمة والتعاون هو الأصل العام الذي يرجع إليه الكل قبل الحركة ومع الحركة وبعد الحركة وحين الوصول إلى الدولة الإسلامية.

(١) سورة المائدة: الآية/٨٢.

(٢) سورة المائدة: الآية/ ٥١.

وإنّ الكل له الحق في إبداء الرأي والمناقشة وتحري الحقيقة لكن هذا شيء، والمحاربة وتبادل الإتهامات، والتفرقة، والتشتت، وابتعاد البعض عن البعض حتى يستنفع في ذلك المستعمر الكافر شيء آخر.

تاريخنا يؤكد ضرورة التعاون

إنَّ قائد ثورة العشرين الشيخ محمد تقي الشيرازي ـ رحمه ـ الله كان يعلم أَنَّ أكثرية الشعب العراقي هم الشيعة، أي زهاء ثمانين في المئة والسنة هم الأقلية. وكان الشيرازي مرجعاً للشيعة، وقد قام ضد الاستعمار البريطاني والْتَفَتْ حوله عشائر الفرات الأوسط، والعلماء، والخطباء، والوجهاء، والأثرياء، والكتاب، والمؤلفون، والشعراء، ومع ذلك لمّا أراد النهوض لطرد الاستعمار كان يقول: «يجب أنْ يشترك في النهضة الأخوان السنة» وكان يرسل إلى علمائهم وإلى شخصياتهم الرسل، ويأخذ آراءهم ويُوَحِّد الشيعة والسنة في النهضة، وبذلك اقتدى به الكل ـ الشيعة والسنة ـ لمحاربة الاستعمار ولطرده. كانت خطة حكيمة لأنه بدون هذه الخطة يتمكن الاستعمار من أن يصبغ حركة العراق بأنها حركة شيعية، ويثير الدفائن، ويسبب إبعاد السنة عن الحركة، وبالنتيجة يبقى الاستعمار جاثماً على صدر الشعب، ويضرب هذا الطرف بذلك الطرف، ويكون العراق مستعمرة بَدَلَ أن يكون دولة مستقلة.

لماذا فَعَلَ الإمام الشيرازي هذا العمل؟. واضحُ أنه فَعَلَهُ تطبيقاً لقوله تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾**[1]، وبالفعل تمكن من القضاء على الإِستعمار البريطاني، مع أن بريطانيا في ذلك اليوم كانت أكبر دولة في العالم، وكان العراق دولة صغيرة لا تصل نفوسها حتى خمسة ملايين، ووسائلها بدائية إلى أبعد الحدود وكثير من الشعب أُميّ.

إننا إذا أردنا إعادة حكم الله سبحانه وتعالى يجب أنْ نوحّد صفوفنا أَمام الأَعداء الواقعيين، وأنْ نجعل مِنْ مختلف القوميات والطوائف والألوان والقبليات وحدة واحدة حتى نتمكن من تحقيق هذا العمل الكبير بإِذن الله سبحانه وتعالى.

إن معنى ما ذكرناه ليس أنْ تُبدل طائفة مذهبهما بمذهب طائفة أخرى، أوْ

---

(١) سورة آل عمران: الآية/ ١٠٣.

يصافح بعضهم بعضاً مصافحةَ خلافَ عقيدتهِ، فإن ذلك لا يزيد الأمر إلاّ إعضالاً، بل لكل أنْ يعمل حسب مذهبه وقناعاته الأصولية والفقهية، وإنما يكونون صفاً واحداً في إعداة سيادة البلد الإسلامي الواسع والأمة الإسلامية الواحدة (أما البحث الحّر والإقناع والإقتناع فهو مرحلة أخرى لا ترتبط بما ذكرناه من توحيد الصف).

شاهد آخر حدث في إيران

وهو حادث من هذا القبيل، فإن أحد علماء أصفهان ويلقب (بآية الله الفشاركي) كان ضد السلطة، وكان يأمر وينهى وينتقد، فأنزعج منه حاكم اصفهان وكتب إلى ناصر الدين شاه قائلاً: في أصفهان، رجل يأمر الناس بالإبتعاد عن السلطة وبعدم إعطاء الضرائب ونحو ذلك.

فَكلّف الشاه جماعة أنْ يُبعدوا (آية الله فشاركى) إلى طهران، وفي ذلك اليوم - أيْ قبل حوالي مئة عام - كانت وسائل النقل منحصرة بالدواب. فركب هذا العالم دابتّه بصحبة جلاوزة الشاه وتوجه إلى طهران، وطال سفرهم إياماً ووصل الخبر إلى علماء طهران، وكان هناك عالمان بارزان يقتسمان تقليد «طهران» وكان بينهما بعض إختلاف النظر.

ذات ليلة كان أحد العالمين نائماً في فراشه، وإذا بالباب يُطرق فأسرع الخادم وفتح الباب، فرأى العالمُ الآخر على الباب.

تعجب الخادم وأسرع إلى سيده (العالم الثاني) صاحب الدار، وأخبره بأن العالم الفلاني على الباب، فأسرع العالم بدوره إلى باب الدار، وأستقبل زميله فدخلا البيت وجلسا، ولمّا أستقر بهما المجلس، قال العالم الزائر: إن طهران بيني وبينك وهذا الرجل (يقصد الشاه) إذا تمكن أن يهين آية الله الفشاركي فإن الدور يأتي غداً لنا.

إننا نؤمن بالله سبحانه وتعالى وبالآخرة وبقوانين الإسلام كافة.

ومن قوانين الإسلام وحدة الصف، وبالإضافة إلى ذلك يتوجه الخطر إلى دنيانا أيضاً. فالعقل والشرع متطابقان على أنْ نتحّد حتى ندفع الغائلة.

قال العالم صاحب الدار وكيف نتمكن؟

قال العالم الزائر: إنَّ نصف طهران يقلدونك والنصف الاخر يقلدونني، فلنرسل غداً من ينادي في الناس، وفي الشوارع والأسواق والأزقة: أنه بأمر

العالِمَيْن فلان وفلان (أنا وأنت) يجبُ على الناس غَلْقُ المحلات والنفير إلى خارج طهران لاستقبال (آية الله الفشاركي)، فإذا اتخذنا هذا الإِجراء لم يستطع الشاه من إِهانة الفشاركي.

إتفق العالمان على الخطة، وتعاونا وإذا بالأسواق والشوارع والدور تسمع في الصباح منادياً ينادي من قبل هذا العالِم، ومنادياً ينادي من قبل العالِم الآخر: أنه بأمر مرجع التقليد فلان أغلقوا الأسواق وأخرجوا إلى خارج طهران لاستقبال آية الله الفشاركي، فهرع الناس وأغلقوا دكاكينهم وخرجوا من البيوت إلى خارج طهران، فاجتمع في خارج طهران جمهور عظيم جداً.

أما الشاه فحينما سمع بهذه القصة صعد إلى سطح قصره ومعه وزيره (وكان يسمى بالصدر الأعظم) فنظرا وإذا بالناس يخرجون في مجموعات كبيرة والأسواق معطلة والدكاكين مغلقة.

توجه الشاه إلى الصدر الأعظم! وقال له ما هو الخلاص؟ إنَّ هؤلاء يتمكنون أنْ يرجعوا إلى قصري ويُنزلوني عن عرشي ويُسقطوا حكمى، أَرأيت كيف تعاون العالمان في طهران ضدّي؟

قال الصدر الأعظم: «العلاج أنْ تخرج أنت وجميع الوزراء لاستقبال العالم، وتسأل منه لماذا جاء إلى طهران وتَجاهَلَ القضية وتدعو (الفشاركي) إلى إحدى قصورك، وبذلك تخفف الوطأة وتكونُ قد ربحتَ المعركة».

قال الشاه: «لا بأس، نعمل هذا العمل». فنزل هو وركب عجلته ومعه وزراؤه واستقبلوا الفشاركي وطلبوا منه أن يأتي إلى أحد قصور الشاه، وسأله الملك «هل لك حاجة جئت من أجلها إلى طهران؟».

قال الفشاركي: «أنت طلبتني».

قال: «كَلاّ. أنا ما طلبتُك. فمَنْ بلغكَ هذا الخبر» المكذوب؟

قال «حاكمك في أصفهان» ـ وكان الحاكم في أصفهان في ذلك اليوم يسمى ظل السلطان ـ.

قال: «إنه أخطأ، والآن تَفَضّل عندي في داري ولَكَ كلُّ حوائجك، وما دمت في طهران فأنت في ضيافتي، ثم ترجع إلى حيث شئت بسلام».

قال الفشاركي «لا، إنَّ لي مكاناً أذهب إليه وأبقى عدة أيام حتى يزورني العلماء وأزورهم. وأتبادل الرأي معهم ثم أرجع إلى أصفهان بلدي».

وهكذا أُسقِطَ في يد الملك الذي أراد بالفشاركي السوء، وبقي الفشاركي في طهران مدة واكتسب هو قوة واكتسب العالِمانَ في طهران قوّة على قوتِهِما، ثم رجع الفشاركي إلى أصفهان بسلام.

وهكذا يكون التعاون سبباً للقوّة. فاللازم أنْ نعتبر بهذه القصص بالإضافة إلى أوامر الشرع وعمل رسول الله ﷺ.

فلنوحّدْ صفوفنا ونجعل من التعاون شعاراً عملياً لنا في الحركة، وقبل الحركة وبعد الحركة. وبذلك نتمكن من إقامة حكومة ألف مليون مسلم، على خلاف إرادة الشرقيين والغربيين، وإعادة سيادة الإسلام.

وكلمةُ الإسلام هي العليا، ولكنْ بشرط أن يعمل المسلمون بأوامر الإسلام، و(الإسلام يعلو) لكنْ لكلِّ شيء شرط (بشرطها وشروطها) كما قال الإمام الرضا عليه السلام في حديثه المشهور الذي ينقلُهُ مسنَدَاً عن آبائه الأطهار عن رسول الله ﷺ عن الله أنه قال: «كلمة لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أَمِنَ مِنْ عذابي»[1].

ثم قال عليه السلام: «بشرطها وشروطها وأنا من شروطها» وكلمة «أمِن مَنْ عذابي» قد يراد به الأعمّ من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

قال سبحانه في القرآن الحكيم: **﴿قل هو القادر على أنْ يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾**[2] لكنْ الآن نحن أصبحنا جماعات، وكلٌّ جماعة تحالف جماعة أخرى وبذلك تغلَّبَ الكفار علينا.

أقول: إنه لا شك أنَّ في المسلمين كثرة من العقلاء والمتدينين والذين يأتمرون بأوامر القرآن، وإنما القصد هو المؤامرات الإستعمارية المتمثلة في فتنة القوميات، والشيوعيات، والبعثيات، والديمقراطيات ـ على الاسلوب الغربي ـ هذه الأمور التي فرقت بيننا وجعلت منّا أمماً بعد أنْ كنّا أُمة واحدة.

(١) عيون الأخبار: ج ٢ ص ١٣٤ باب ٣٧ ح ٤.

(٢) سورة الإنعام: الآية/ ٦٥.

فالتوحيد للصفوف من أصول الحركة التي يجب أنْ نراعيها قبل الحركة وبعد الحركة وحين الحركة: التي هي عبارة عن تيار إِسلامي عالمي يجتمع فيها كل الأحزاب، كل المنظمات، كل المؤلفين، كل الصحف، كل دور النشر، كل المكتبات، كل الجمعيات (الإسلامية) وإلى غيرها، وما ذلك على الله بعزيز.

(٢)

الإستقامة

يجب أن يكون القائمون بالحركة الإسلامية العامة مستقيمين ـ سواء قبل الشروع بالتحرك أو خلاله أو بعده حين إِقامة حكومة ألف مليون مسلم.

فإِن الإِستقامة تُوجب جذب الناس حول المجاهد المستقيم، بالعكس من الإنسان الملتوي، فإِن الناس ينفضّون من حوله، وإِنْ زَعَم أنّه لن يُظهر ما يُخفي.

الاستقامة فيها صعوبات، هذا لا شكّ فيه، لكن المستقيم أَحْمَدُ عاقبة وأسهل في الوصول إلى الهدف، وأسرع سيراً من الفرد الملتوي الذي لا يصل إلى الهدف، ولو فرض أحياناً أنّه وصل إلى الهدف، فلا يمضي زمان إلاّ وينهار، فالاستقامة شرط، أساسي لحركة إسلامية، عالمية تسعى لقيادة ألف مليون مسلم.

وكلما آستطاع الإنسان السير في الطريق المستقيم، وأنْ يجعل ظاهره كباطنه وباطنه كظاهره، ويستمّر في عمله بدون تلكؤ وبدون تراجع وبدون إلتواء، فإنه يكون أقرب إلى النجاح.

فاللازم تربية القائمين على الحركة على روح الإستقامة والإِلتزام بها، قبل حركتهم ومع حركتهم وبعد الوصول إلى حكومة ألف مليون مسلم، وإبعادهم عن كل أنواع الإلتواء والإنحراف والزيغ.

ومما يذكر أنّ أحد وزراء حكومة الهند كان من حزب المؤتمر الذي أخذ الهند من يد الإِستعمار البريطاني، وكان هذا الرجل زاهداً في الحياة ويعمل من يوم التحاقه بالحركة إلى يوم وفاته لأجل رفعة الهند وخدمتها في نهجه، ومن الطبيعي انا لا نعترف إلا بالنهج الإسلامي، ولكن الله سبحانه وتعالى يُحبُّ الصفات الحسنة حتى في غير المسلم، كما ورد في حديث أن الله قدر في حاتم الطائي كرمه، وفي الحديث «يخفف عنه العذاب يوم القيامة».

وعلى أيِّ حال، فقد عمل هذا الرجل أكثر من خمسين سنة في حزب المؤتمر، وأخيراً انتهى به المطاف إلى الوزاره وبعد مدة مات.

وتكريماً له ذهب الوزراء بعد وفاته إلى قريته والتي كانت تبعد عن العاصمة الهندية عدة كيلومترات، وكانت القرية مسكناً لهذا الوزير أيام كونه وزيراً، وكان في مدة العمل يأتي إلى العاصمة الهندية لأجل إدارة شؤون الوزارة، وفي العطلة يذهب إلى قريته.

وعندما ذهبت هيئة الوزراء برفقة رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وحَشْدٍ من الشخصيات البارزة في الحكومة الهندية والجماهير إلى قرية هذا الرجل وجدوا داره داراً متواضعة جداً، وهي نفسها التي كان يسكنها في أيام نضاله، فكانت داراً من الدرجة الثالثة، لتواضعها، ولقلة أثاثها وعدم وجود الماء والكهرباء فيها.

فتعجب هؤلاء وأكرموا هذا الرجل بعد موته أكثر من إكرامهم له في حال حياته، حيث لم يدّخر مالاً ولم يهيىء قصراً ولم يوفر أثاثاً، وجعلوا داره ـ بتلك الحالة المتواضعة ـ متحفاً حتى يزورها الناس ويعتبروا بالإنسان المخلص والمضحي في سبيل هدفه، نعم أمروا بإيصال الماء والكهرباء والتبليط والتلفون إلى القرية، وحَسّنوا أحوالها تكريماً لذلك الوزير المتوفى المستقيم في هدفه.

وفي الأمثلة الإسلامية شيء كثير من هذا الطراز الرفيع من الزهد.

رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام والأئمة أهل البيت جميعهم عليهم السلام وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وغيرهم من تلاميذ الرسول ﷺ والأئمة، وإنما استشهدنا بقصة من حياة هذا الوزير حتى نعرف أنَّ الإنسان الذي له هدف، وإنْ لم يكن مسلماً يجب أنْ يراعي هدفه، ويكون مستقيما في عمله لا أنْ ينسى أصله وماضيه وخصوصياته، كما يحدث للزعماء كثيراً، فحال كونهم أناساً عاديين يكونون كالآخرين، فإذا وصلوا إلى شيء من الشهرة أو المال أو الجاه أو المنصب، رأيتهم تغيروا وصاروا على شكل آخر، إنَّ هؤلاء ليس فقط لا يحترمون الهدف وإنما هم يضرون الهدف لأنهم بعملهم هذا يدلّون على كذب أقوالهم.

وفي الأحاديث عن الأئمة الطاهرين عليهم الصلاة والسلام «كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم»[1] لا لأنَّ الإنسان يصف الصدق وهو يكذب، ويصف الشورى في الحكم فإذا وصل إلى الحكم صار ديكتاتوراً، ويصف العدل ويكون أظلم الناس

(١) الوسائل: ج ١ ص ٥٦ باب ١٦ من أبواب مقدمة العبادات ح ١ ـ ٢.

إذا وصل إلى الحكم، ويصف الإسلام وقوانين الإسلام ثم إذا وصل إلى الحكم ضرب كل ذلك عرض الحائط.

لقد ذكر المؤرخون إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمّا وصل إلى الكوفة، وهي عاصمة خلافته وعاصمة الدولة الإسلامية ذات خمسين دولة حسب التقسيم الحالي للدول (كما ذكره بعض الكتّاب) رآه شخص وهو يرتجف من البَرْد وبَرْد الكوفة بَرْد قارص. فقيل يا أمير المؤمنين: أنتَ بهذه الحالة خليفة وإمام وأمير المؤمنين، وفي العراق الشيء الكثير الوفير، وبيدِكَ أموال كثيرة، لا أموال الخلافة فحسب وإنما أموالك الشخصية أيضاً. حيث كان للإمام عليه السلام مزارع صنعها بنفسه أبان تنحيته عن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. فكيف ترتجف في هذا البرد؟

قال عليه السلام جواباً يجب أن يجعل درساً لكل الأجيال: «والله إن خرجت أنا منكم بغير رحلي وراحلتي إنّي لخائن وهذا هو ثوبي الذي جئت به من المدينة» وكان كما قال عليه السلام.

ولو كان من يقتدى بهذا الإمام عليه السلام وبرسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي يقود جماهير الأمة، فهل كان في الهند وحدها ثلاثمائة مليون جائع حسب التقرير العالمي؟ وهل كان في أمريكا واحد وثلاثون مليون جائع (انظروا كتاب «التحدي العالمي» وغيره فإنها تذكرُ مِنْ هذه التقارير الشيء المدهش).

على أي حال، القائمون بالحركة يجب أن يتسلحوا بأصول الحركة العامة، ومن جملتها الإستقامة. الإستقامة التامة حتى نصل إلى الهدف، وحتى تسبب الإستقامة لطف الله بنا كما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلمة له في نهج البلاغة: «فلما علم الله منا الصدق... أنزل علينا النصر»[1].

فإذا كنا مستقيمين وعلم الله منا الصدق والإستقامة، لا بدّ وأن ينزل علينا نصره، هذا من جهة الله، ومن جهة الغيب.

أمّا من جهة المجتمع: فالناس جبلوا على أنْ يلتفوا حول المستقيمين الصادقين.

وقد قال الله سبحانه في القرآن الحكيم: **﴿يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**[2].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥٦.

(٢) سورة التوبة: الآية/ ١١٩.

نسأل الله أن يوفقنا لذلك يجعلنا من الذين عملوا بما قالوا وقالوا بما يعملون، إنه ولي التوفيق.

(٣)

نزاهة القائمين بالحركة

يجب أن يكون القائمون بالحركة نزيهين لساناً، قلباً، أذناً، عيناً، يداً، رجلاً، جنساً، مالاً، أهلاً، وغير ذلك، لأن الإسلام بناءٌ متكامل، بينما غير الإسلام هدم، غير الإسلام ـ سواء الشيوعية أو الرأسمالية الغربية ـ يقول لك: إعملْ ما شئت فأنتَ مطلق في أنْ تعمل في ما تشاء،.. في قضايا الجنس.. في شرب الخمر والقمار.. في أن تسبّ وتتهم مَنْ تريد... ولذا لا يحتاج الذي ينظم إلى تلك الحركات إلى النزاهة، بل إِن القادة أنفسهم يأمرون الأفراد بعدم النزاهة، ويعدون الأجواء من أجل تلويث المنظمين.

وبالعكس: الحركة الإسلامية، فإنها حركة طاهرة، نزيهة، شريفة، طيبة، ويجب أن يتصف القائمون بها بالنزاهة الكاملة والطهارة الشاملة، وقد جعل الله سبحانه قادة الإسلام أفراداً معصومين، وكذا قادة جميع الأديان السماوية.

وقد قال تعالى في أهل البيت عليهم السلام: **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**[1].

وقال تعالى لإبراهيم وإسماعيل: **﴿طهِّرا بيتي﴾**[2].

إنَّ بيت الله طاهر، ومصحفه طاهر وقانونه طاهر، وقادة أديانه طاهرون، فيجب أن يتّصف قادة الحركة الإسلامية العالمية بغاية الطهارة والنزاهة والنظافة وألاَّ ينغمسوا في الملذّات، كالقصور والسيارات ـ ولو كان ذلك شيئا حلالاً فرضاً، لكن ما كل حلال يرتكب خصوصاً لمثل الإنسان الذي يريد أن يقود العالم الإسلامي ويُعطي مثالاً للمعنوية وللطهارة وللفضيلة والتقوى، بل يجب أن يكون في غاية النزاهة والطهارة:

(١) سورة الأحزاب: الآية/ ٣٣.

(٢) سورة البقرة: الآية/ ١٢٥.

لأنه إذا لم يعمل ذلك لا يوفقه الله سبحانه وتعالى، يقول الشاعر ـ وكان من طلاب العلوم الدينية، وكان يذهب إلى عالم اسمه «وكيع»، لكنه لم ينجح ولم يصل إلى نتيجة ـ:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وعلله بأن العلم فضل وفضل الله لا يؤتى لعاصي

والإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول في نهج البلاغة: «فلما علم الله منّا الصدق... أنزل علينا النصر»(١) يعني لما كنّا صادقين، في أعمالنا، في نزاهتنا في طهارتنا.. ألخ.. أنزل الله سبحانه وتعالى بعد ذلك علينا النصر.

القادة يجب أنْ يكونوا نظيفين، والحركة يجب أنْ تكون نظيفة، قبل الحركة، ومع الحركة، وبعد الحركة حين الوصول إلى الدولة الإسلامية الموحدة، ذات ألف مليون مسلم إن شاء الله تعالى.

إما إذا كان القائد غير نزيه، أوْ كانت الحركة غير نزيهة، أو كان القائمون بالتيار العالمي الإسلامي منغمسين في الفساد، في الرشوة، في حب الشهرة، في قضايا الجنس، في قضايا المباني والقصور والسيارات والأثاث والرياش وما أشبه، فلا بدّ من أنْ تنهدم هذه الحركة، لأن الله لا يوفقها، والناس لا يلتفون حولها، لأنَّ الناس لا يلتفون إلاَّ حول القائد الصحيح النظيف صاحب الفضيلة والتقوى.

وفي التاريخ تُذكر قصة حول عالِم خرج عن النظافة فالتحق بركب السلاطين، وصار من وعاظهم ومن أدوات قصورهم، فإنَّ أحد الخلفاء كان قد أستقطب جملة من العلماء، وجعلهم من أدوات بلاطه، وكان هناك عالِم يسمى: «شريك» وكان ورعا، زاهداً، تقياً، مبتعداً عن الملذات والملاهي، ولذلك لم يكن يلتحق بركب هذا الخليفة، وقد طلبه الخليفة ذات مرة وقال له: إني أطلب منك باعتبارك عالماً تقياً، أنْ تكون مستشاراً لي، فإني محتاج إلى الاستشارة، والإستشارة بحاجة إلى عالِم عامل، وأنت تعلم أنّه إذا صار مستشار الخليفة إنساناً ورعاً تقياً، أنتفعت الأمة بمثل هذا الخليفة.

قال شريك: لا أفعل.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥٦.

قال الخليفة: إذا لم تفعل ذلك، فاقبل أنْ تكون قاضي القضاة - أيْ وزير العدل - لأَن القضاة كثرون، وهؤلاء لا يستقيم بعضهم، فإذا أَردت إِصلاح أمة رسول الله ﷺ فكن رئيس القضاة حتى تهدي القضاة إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

قال شريك: لا أفعل - لأنَّه علم أَنَّ الاستشارة شرك، وأن رئاسة القضاة حَبَالَة يريد الخليفة بسببهما صيده وجعله من أدوات البلاط.

قال الخليفة: إذا لم تفعل هذا الشيء أيضاً، فإِني أطلب منك أن تكون مؤَدبَ أولادي، لأَنَّ أولادي سيصبحون في المستقبل خلفاء، فإذا رُبُّوا تربية إسلامية صحيحة أصلحوا البلاد وخدموا العباد، أَما إذا لم يُرَبَّوْا تربية صحيحة فَسَدوا وأَفَسدوا.

قال شريك: لا أَفعل هذا الشيء أيضاً.

ولمَّا رأى الخليفة أنَّ شريكاً لا يقبل طلباته، قال يا شريك: فتغد معنا هذا اليوم وهذا آخر طلبي منك.

قال شريك: لا بأس، لأَنَّ رسول الله ﷺ استحب إجابة المؤمن.

. . بقي شريك حتى الظهر، وأكل من مائدة الخليفة الدسمة بعد أنْ كان زاهداً يقتنع بخبز الشعير، وهناك عَمَلَتْ الأَكلة في روحه، وقد سأل رئيس طباخي الملك عن أحد الندماء: هل أَكَلَ شريك من طعام الخليفة؟ قال: نعم أَكَلَ الطعام.

فقال الطباخ: والله لا يفلح شريك بعد هذا أبداً.

وكان الأمر كما قال رئيس الطباخين، فقد قال شريك بعد الطعام للخليفة: إني فكرت أنْ أخدم البلاد والعباد، وإني مستعدٌ لأنْ أكون مشاوراً لك.

قال الخليفة: أحسنت، بارك الله لك. ثم قال شريك: وإِني فكرتُ أيضاً أنْ أكونَ رئيس القضاة، وفي ذلك خدمة المظلومين وإِعادة الأَمور إلى نصابها.

قال الخليفة: جزاك الله خيراً عن الإسلام والمسلمين.

ثم قال شريك: وفكرت أيضاً أن أكون مؤدباً لأولادك حتى يصبحوا بعدئذ خلفاء راشدين، وأئمة عدل.

قال الخليفة: أحسن الله لك، كما أحسنتَ إليّ.

ثم آنخرط شريك في قصر الخليفة وصار من عمال الظلمة، وكلنّا نعلم أنَّ العباسيين كالأمويين اساءوا إلى الإسلام إساءة بالغة نرى آثارها إلى اليوم.

وهكذا الذين يخرجون عن النزاهة، فإنهم لا بدّ وأنْ ينخرطوا في عمال الظلمة، وإنْ ينخرطوا في هدم الإسلام، ولذا قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فقولوا بئست الملوك وبئست العلماء، وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فقولوا نعمت العلماء ونعمت الملوك».

لأنه إذا كان العالم على باب الملوك ـ لا لحاجة الناس ولا لاضطرار وخوف وما أشبه من التقية الواردة في القرآن الحكيم، هذا العالم يكون من أهل الدنيا، وإذا كان العالم من أهل الدنيا فتُعساً له، وللملك، لأنّ المَلِك لا ينتصح عندئذ بنصائحه، وبالأحرى، إن لعالم لا ينصح المَلِك لأنه يحتاج إلى دنياه.

أمّا إذا كان الملوك والأمراء والرؤساء يذهبون إلى باب دور العلماء الأتقياء، فيظهر كون العلماء طيبين حتى أنهم لا يرضخون للملوك، ويتبيّن كون الملوك طيبين حتى أنهم يختلفون إلى أبواب العلماء.

الحركة الإسلامية يجب أن تكون في غاية التجرّد والنزاهة حتى تتمكن من استقطاب الناس حولها.

وندعوا الله سبحانه وتعالى أنْ يهب لنا من أمرنا رشداً، وما ذلك على الله بعزيز.

(٤)

الصمود

يجب أنْ يكون القائمون بالحركة اناساً صامدين، ولا يكونوا رخوين هشيّن وإنما صامدين، مثابرين، صابرين، حلماء لِمَا يرون من المشاكل. إن الطريق ليس مفروشاً بالورود والأزهار، وإنما بالأشواك، ولهذا نرى من جملة من الآيات الكريمة، أن الله سبحانه وتعالى يذكر ما كان يلاقي أنبياؤه من العَنَتِ والإرهاب والصعوبة النفسية والجسمية، وقد لَقِيَ رسول الله ﷺ ـ مع تحلّيه بأحسن الأخلاق، واتصافه بالعلم، واتصاله بالوحي ـ مختلف المصاعب حتى قال ﷺ:

«ما اوذي نبي مثل ما أوذيت».[1]

فهو ﷺ كما يكون أسوة لنا في الصلاة والصيام والحج، كذلك هو أسوة لنا في صموده ومثابرته وصبره وحلمه، ويجب أن نقتدي به حتى نتمكن من التقدم، لقد قالوا عنه أنه ساحر، مسحور، كاهن، شاعر، مجنون.. وغير ذلك حتى انتهى المطاف إلى أن أرسل المشركون عمه أبا طالب عليه السلام إليه ليقول له عنهم: أترك هذا الأمر. فاغرورقت عين رسول الله بالدموع وقال: «والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً».

وليس الصمود من القائمين بالحركة لأجل أن يمدحهم الناس، أو يصفقوا لهم، أو يكرمونهم الآن أو في المستقبل، إذا كان الأمر هكذا كان معناه: أنَّ هؤلاء لا يعملون للهدف، ولا يعملون لله، ولا يرون ثوابه، ويرجون مع الله غيره، ويوم القيامة يقال للمرائين اذهبوا واطلبوا أجركم ممن كنتم تعملون له، وإنما يجب الصمود وتلقّي الصدمات من الأعداء والأصدقاء برحابة صدر من أجل الله وحده، وقد قال الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء: «هَوَّنَ ما نَزَلَ بي أنّه بعين الله»[2].

يعني يجب أنْ يكون الإنسان صامداً لأَجل الله ولأَجل ثوابه ولأَجل رضاه لا لأَجل أنْ ينال الدنيا الآن أو في المستقبل.

إن هؤلاء الصامدين المخلصين هم الذين يتمكنون مِنْ النهوض بالحركة الإسلامية، ويوجد من هؤلاء الكثير من النماذج.

لقد اعتقلت حكومة نورى السعيد في العراق رجلاً، مسلماً، مجاهداً، مناضلاً وحكَمَتْ عليه بالسجن مدى الحياة لأنه كان يدعو إلى إقامة الدولة الإسلامية، وقد نَقَلَ لي أحدُ الخطباء قال: إن هذا الرجل كان صديقاً لي (فَوسَّطَني) والد هذا الشاب لكي أَذهب إلى بغداد عند نوري السعيد حتى أُفُكَّ ولده، فذهبتُ إلى بغداد وتعبتُ حتى وصلتُ إلى نوري السعيد - رئيس الوزراء ذلك اليوم -. فقلت له: إن هذا الولد شابٌ وقد غُرِّرَ به أولاً وثانياً: إنَّ له أباً

---

(١) كنز العمال: ج ٣ ص ٣٠ب ح ٥٨١٧ - ٥٨١٨.

(٢) البحار: ج ٤٥ ص ٤٦.

شيخاً، عالِماً، تقياً، وأُماً طاعنة في السن، وهذا ولدهم الوحيد، وله زوجة شابة وولد.. فلو أطلقت هذا الشاب.

وأخيراً قال نوري السعيد لي: إِذهب إلى الولد - في سجن نقرة سلمان - وقل له أنْ يكتب كتاباً خطياً ببراءته مما عمل سابقاً، وٱعتذاره منّي، وإنّي مستعد إذا فَعَلَ ذلك أنْ أتركه وشأنه.

يقول الرجل: ففرحتُ كثيراً وٱتجهتُ نحو نقرة سلمان، وذهبتُ إلى السجن، والحرُّ شديد، وليس في السجن حتى المروحة، فرأيت الشاب قد تغير، وقد لفحته الشمس، ومال لونه إلى السواد والسمرة الشديدة، والضعفُ آخذ منه مأخذه.. فرحب بي، ونقلت له القصة وأهديت إليه أشواق أبويه وزوجته، وذكرته بطفله الصغير، وقلت له: إرحم نفسك وأرحم أباك وارحم أمك وآرحم زوجتك وارحم طفلك وارحم مستقبلك، ثم قلتُ له: إنَّك إذا تبرأت من أعمالك السابقة خطياً وٱعتذرت إلى نوري السعيد فهو مستعدٌ أنْ يطلق سراحك.

قال هذا الخطيب: فتبسم الشاب وقال: يا فلان.. اذهب إلى نوري السعيد وقل له: لو أنك أبقيتني في هذا السجن، أو أسوء منه حتىٰ أموت. أو قَطّعوني قطعة قطعة فإني لا أتنازل عن مبدأي وفكرتي، وإن مستقبلي الجنة، وأما أَبي وأَمي وزوجتي وولدي فالله خليفة عليهم، وهل هم أفضل من زينب عليها السلام أو عائلة الحسين عليه السلام، وقل لنوري السعيد: إنَّ عليه أن يعتذر هو عما جنى على الإسلام والمسلمين.

يقول الخطيب: كلما حاولت أن يتنازل ولو بقدر شعرة لم يتنازل حتى يئست ورجعت، ونَقَلْت لأَبيه ولأَمه ولزوجته ما رأيتهُ.

هذا الصمود الهائل الذي نجده في رسول الله صلى الله عليه وآله، في علي عليه السلام، في فاطمة عليها السلام، في الحسن عليه السلام، في الحسين عليه السلام في الأئمة الطاهرين عليهم السلام، في العلماء المجاهدين، في الأخيار الطيبين، هو الذي سَبَّبَ توسُّعَ الإسلام إلى هذا الحد الذي نشاهده في هذا اليوم، ولو ٱتخذت الحركة الإسلامية العالمية العامة هذا الصمود شعاراً ودثاراً لأمكن الوصول إلى الهدف المنشود وهو حكومة ألف مليون مسلم بإذن الله تعالى.

إن الطريق صعب، فيه شماتة، فيه إهانة، فيه تُهَم، فيه السجون، فيه

المعتقلات، فيه المشانق، فيه كل شيء، لكن إذا تحمّل المسلمون مصاعب هذا الطريق وساروا فيه وصلوا.

وقد قرأتُ في تاريخ إسلام بعض مناطق روسيا: أنَّ سبعة من العلماء في إحدى مدارس قفقاز ـ وقفقاز كانت بيد الشيوعيين سابقاً وكانوا يسومهم الشيوعيون أسوء أنواع الكبت والإرهاب والسجن والتعذيب والتشريد ـ فكروا في أنفسهم أنهم عاكفون في هذه المدرسة، والناس ضالّون وكافرون فعليهم أن يبلغوا رسالات الله فاختاروا للتبليغ أسوأ مناطق روسيا في ذلك اليوم وحشية ووثنية وتم الاتفاق بينهم على أن يذهب أحدهم ويبلغ أولئك القوم رسالة الله تعالى، فإذا استجابوا له كتب إلى أصدقائه حتى يأتوا إليه، وإن لم يكتب إليهم كتاباً فذلك دليل على أنهم لم يستجيبوا له وقتلوه.

ذهب الأول، وبلغ رسالات الله، فاجتمع عليه الوثنيون وقتلوه ولما لم يأت الكتاب إلى أصدقائه الستة ذهب الثاني مع علمه بالخطر، فقتل..

ولما لم يأت كتابه إلى الخمسة الباقين، ذهب الثالث، ثم الرابع، وهكذا إلى أن قتلوا جميعاً..

وبعد ذلك أنار الله قلوب أولئك الغلاظ الشداد البرابرة، ودخل الإيمان في قلوبهم تدريجياً حتى سيطر الإسلام على كل تلك المنطقة.

وقد ألمحتُ إلى هذه القصة في كتاب «كيف انتشر الإسلام» فهناك تجدون شيئاً من هذه القصة، ولا زالت قبور هؤلاء العلماء المجاهدين السبعة موجودة إلى الآن في تلك المنطقة.

هكذا صمدوا، وهكذا صبروا، وهكذا ثابروا. **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾**[1].

وفي الحديث: «لا يخدع الله عن جنته» يعني أن الإنسان لا يتمكن إن يخدع الله سبحانه وتعالى بدون العمل وبدون الصمود وبدون الصبر وبدون الجهاد وكلنا نعلم أن من فروع الدين (الجهاد) والجهاد مأخوذ من الجهد ومنه اجتهد، يعني أن الإنسان يجتهد ويصبر، ويسير، ويصمد، ويحلم حتى يكون في طريق التقدم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية/ ٢٠٠.

فاللازم أن تجعل الحركة الإسلامية العالمية العامة من شعاراتها الواقعية الصمود، فإن الصمود من أصول الحركة التي تنتهي إلى حكم إسلامي زاهر لألف مليون مسلم بإذن الله سبحانه وتعالى، وما ذلك على الله بعزيز.

(٥)

فَهمُ ارتباطات الحياة

من الضروري على أفراد الحركة فهمُ روابط الحياة، فإنَّ الله سبحانه وتعالى جعل الحياة ذات روابط خاصة، وأسباب ومسببات، وعلل ومعاليل، واللازم على الإنسان الذي يريد هدفاً أن يتبع الطريق المجعول لذلك الهدف، فإن الله سبحانه وتعالى أبى أن يجري الأمور إلا بأسبابها ـ إلاّ إذا كان خارقاً للعادة أي إعجازاً، والإعجاز نادر، مثل إخراج الله سبحانه وتعالى ناقة صالح وفصيلها من الجبل. ومثل جعل الله سبحانه وتعالى عصا موسى حية تسعى، وإلى غير ذلك من معاجز الأنبياء وكرامات الأولياء، هذه خوارق ولا يقاس عليها عام ـ وقد أراد الدنيا، دنيا أسباب ومسببات، حتى أنه سبحانه حين ما يريد أن يبين كيف تمكن ذو القرنين من أنْ يجوب شرق الأرض وغربها قال **﴿ثم اتبع سبباً﴾**(١) يعني: أن ذا القرنين اتبع السبب حتى وصل إلى المسبب.

فإذا أردنا نحن المسلمين إقامة حكومة ألف مليون مسلم يجب أن نتبع الأسباب المنتهية إلى ذلك.

لقد جاء في بعض الكتب: إن عبد الحميد الخليفة العثماني الذي سقطت تركيا على يده، كان قد كتب لافتة ونصبها فوق رأسه في قصره، وكان مكتوباً على اللافتة هذه الرواية المرويّة عن رسول الله ﷺ ـ والتي أثبتها صاحب الوسائل في كتاب الإرث من الوسائل ـ «الإسلام يعَلو ولا يعُلى عليه»(٢).

فإذا قيل له ـ أي لعبد الحميد ـ إن الغرب تَقَدَّم في النظام، في صنع السلاح، في الصنايع وما أشبه مما يخشى منه أن يتغلب على الغرب على بلاد

---

(١) سورة الكهف: الآية/ ٨٩.

(٢) الوسائل: ج ١٧ ص ٣٧٦ باب ١ من أبواب موانع الارث ح ١١.

الإسلام كان يشير عبد الحميد إلى اللافتة فوق رأسه يعني «إن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» فالغرب لا يعلو علينا لأنا مسلمون وهم كفار والكفار لا يغلبون المسلمين!!

العقلاء كانوا يخافون أن يتكلموا بردٍّ عبد الحميد، لأن الديكتاتور لا يحب أن يتكلم أحد أمامه بما لا يشتهي، وإنما يريد المدح والتملق والتحسين. وما أشبه لكنهم كانوا يقولون في أنفسهم: الإسلام يعلو بأسبابه. لا أن الإسلام يعلو بدون سبب، إن الرسول الذي قال: «الإسلام يعلو، ولا يعلى عليه». هو الذي أتعب نفسه الشريفة ليل ونهار في تجهيز الجيوش، وجمع الرجال والسلاح وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾[1] أعدّوا لهم قوة السلاح، قوة التنظيم، قوة المال، قوة العلم، قوة المعاهدات وإلى غير ذلك من القوى.

وقد قال الله سبحانه: ﴿**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾[2] وعبد الحميد يقول: لا نحتاج إلى قوة ـ بلسان حاله ـ وإنما «الإسلام يَعلو ولا يَعلى عليه» وأخيراً سبّب فهمهُ الخاطىء وديكتاتوريته سقوط دولة آل عثمان ذلك السقوط الشنيع والذي نرى آثاره إلى الآن.

القائمون بالحركة الاسلامية يجب أنْ يفهموا، أنَّ الله قال في المنافقين: ﴿**ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾[3]، يعني صفة المنافق عدم العلم. بينما شيمة المسلمين: العلم، الفهم، الفقه ﴿**ليتفقهوا في الدين**﴾[4] الفقه هو الفهم والدين عبارة عما يُصلح شأن الإنسان في دنياه وفي آخرته.

الحركة الاسلامية العامة التي تريد إقامة حكومة ألف مليون مسلم يجب أن تفهم كيف تتصرف؟، كيف تَعْلَم؟ كيف تتعامل؟ كيف ترتبط؟ كيف تعاهد؟ وإلى غير ذلك من مقومات الحركة، لأن الله سبحانه وتعالى لم يجعل الحياة للمنافقين، وإنما للعاملين الواعين المخلصين، سواء كان مخلصاً في دنياه، أو كان مخلصاً في دينه. حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً**﴾[5] ـ أي ممنوعاً ـ.

---

(١) سورة الأنفال: الآية/ ٦٠.
(٢) سورة الأنفال: الآية/ ٦٠.
(٣) سورة المنافقون: الآية/ ٨.
(٤) سورة التوبة: الآية/ ١٢٢.
(٥) سورة الاسراء: الآية/ ٢٠.

يعني عطاء الله يشمل الكافر والمؤمن في دنياهما، وعطاؤه يشمل المؤمن وحده في الآخرة.

وعلى أي حال فالتفكر، التدبر، الاستشارة، فَهْم الروابط: العلل والمعلولات والأسباب والمسببات، كل ذلك يُعينُ الحركة في مسيرها وفي مصيرها وفي توسعها كماً وكيفاً.

يقول الحديث الشريف عن أبي ذرّ رضوان الله عليه: «كان أكثر عبادته التفكر»[1]، يعني كانت أكثر عبادة أبي ذر أنه يفكر.. كيف يصنع؟ كيف يعمل؟ كيف يتقدم؟ كيف يحارب؟ كيف يسكت؟ كيف يصمد؟، ولهذا رأينا كيف عالج أبو ذر ذلك الإنحراف العريض الذي حدث في الدولة الاسلامية بتلك الخطابات والكلمات والمواقف المشهورة. لأنه كان يفكر، لأنه كان يدبّر، لأنه كان يعمل.

وورد في حديث آخر حول لقمان الحكيم: إن لقمان كان كثير التفكير في العلل والمعلولات والأسباب والمسببات.

ومن الطبيعي أنْ يبقى الإنسان الذي يفكر ويُعَلم ويستشير ـ كلقمان ـ لا ثلاثة آلاف سنة وإنما مليون سنة وأكثر قال تعالى **﴿سنَّةُ الله في الذين خَلوا من قبل ولنْ تجدَ لسنةِ الله تبديلا﴾**[2] **﴿لا تجدُ لسنَّتنا تحويلا﴾**[3].

ينقل عن المنصور الدوانيقي الخليفة العباسي الغاصب: أنه ذات مرّة طلب شيخاً من شيوخ العباسيين ـ وكان طاعناً في السن ـ وقال له: إن رجلاً في المدينة خرج عليّ، فماذا ترى أن أعمل معه؟ فسأله الشيخ أسئلة ـ من باب تجاهل العارف ـ.

قال له: وما هي المدينة؟

قال: مدينة الرسول.

قال: كم اقتصادياتها؟

قال: لا اقتصاد لها إلا التمر والنخل القليل.

---

(١) البحار: ج ٦٨ ص ٣٢٣ حج ٦.

(٢) سورة الأحزاب: الآية/ ٦٢.

(٣) سورة الاسراء: الآية/ ٧٧.

قال الشيخ: وكم رجالها؟

قال: رجالها قليلون لا يَصِلون إلى خمسين ألف.

قال: وما موقعها، أي موقع المدينة المنورة؟

قال: موقعها في الصحارى.

فسأل الشيخ المنصور: ومن هذا الخارج عليك؟

قال: ولد من أولاد رسول الله من علي وفاطمة.

قال الشيخ: وهل هو محبوب لدى الجماهير؟

قال: نعم.

قال له: وهل له أنصار في غير المدينة؟

قال: نعم، له أنصار في سائر الآفاق في الكوفة، في البصرة، في مصر في فارس وفي غيرها.

بعد هذه الأسئلة قال الشيخ للمنصور: إذا أردت أن تقابله فاملأ البصرة عليه رجالاً وسلاحاً.

المنصور لم يقل شيئاً احتراماً لذلك الشيخ الطاعن في السن ولكنه هزأ به في نفسه وقال للشيخ: اذهب بسلام ونحن نشكرك على إشارتك.

ثم قال المنصور لندمائه: هذا الشيخ قد كبر وخَرِف، إني أقول له الخارج خرج عليّ بالمدينة، وهو يقول لي املأ البصرة عليه رجالاً وسلاحاً - وكان بين البصرة والمدينة في ذلك اليوم مسافة شهر أو أكثر -.

وتعجب الندماء من المستشار، ولكن لم يمض زمان إلاّ وسمع المنصور وهو في بغداد أنّ هذا السائر ضد الظلم جاء إلى البصرة والتفّ الناس حوله، وأخذ يحارب الدولة حرباً لا هوادة فيها.

تعجب المنصور كثيراً وفكر كثيراً ثم أرسل إلى ذلك الشيخ يطلبه وجاء الشيخ وقال الشيخ: هل كان لك علم الغيب حتى قلت أملأ البصرة عليه رجالاً وسلاحاً.

قال الشيخ: لا، وإنما أشرتُ عليك من نفس إجابتك، إن الرجل الثائر

عليك، المحبوب لدى الناس في داخل المدينة وخارجها، وهو من أولاد رسول الله وعلي وفاطمة عليهم السلام، وله أتباع كثيرون في العالم الإسلامي.. هذا الرجل لا يبقى في المدينة ذات الاقتصاد القليل والرجال القليلين، والمدينة تقع في صحراء يعني أنه ليس في أطرافها بلاد عامرة، وأول بلد عامر حول المدينة المنورة هي البصرة، والبصرة ذات رجال وذات سلاح. ففكرتُ أن هذا الرجل لا يبقى في المدينة لأنه لا يستطيع فيها أن يحارب الجيش الضخم الذي ترسله أنت لمحاربته، ولا بد أن يأتي إلى البصرة لأنها موضع الرجال والمال والسلاح إلخ..

تعجب المنصور من حنكة الشيخ واستحسن إشارته ثم جهز إلى البصرة جيشاً، ووقعت الحرب بين الجانبين مما انتهى إلى سقوط ذلك الثائر سقوطاً سطحياً، وإن كان قد عَمّق في نفوس المسلمين كُرْهَ المنصور وكُرْهَ العباسيين، وبَيّن لهم خطأ الحكم وأنحرافه عن منهاج الإسلام وعن منهاج العقل.

وعلى أي حال فإن فهم الأمور والإرتباطات وماذا يؤثر في ماذا؟ و ماذا ينتج ماذا؟ وماذا يُنتجه ماذا؟ وما هو السبب؟ وما هو المسبب؟ لماذا سقطنا نحن المسلمين؟ لماذا تقدم الغربيون والشرقيون؟ لماذا صرنا مبضعين مبددين؟ كيف العلاج؟ ما هو المسير؟ كيف المصير؟ كيف نتمكن أن نقيم حكومة ألف مليون مسلم فهماً وعملاً ومثابرة واستقامة وذهاباً وتضحية؟؟ كل ذلك ضروري للوصول إلى حكومة الألف مليون مسلم بإذن الله تعالى.

(٦)

زهد القادة

الواجب على القائمين بالحركة أن يتزهدوا في الدنيا، فإن الزهد يوجب أولاً كثرة العمل وثانياً التفاف الناس، فإن الناس جُبِلوا على الالتفاف حول من لا يرغب في المادة، وبالعكس من ذلك الذين يرغبون في الماديات فإن الناس يَنفضّون من حولهم.

لنفرض أن قائداً كان دخله السنوي ألف دينار. فإذا كان زاهداً في ملبسه ومسكنه وسائر شؤونه، صَرَفَ من هذا الألف مئة وأبقى التسعمائة لأجل الحركة، بينما إذا كان إنساناً راغباً صرف كل الألف لنفسه.

وإذا تصورنا أن الحركة تحتاج إلى عشرين مليون منظم، وفرضنا أن هؤلاء العشرين مليون صرفوا ثلاثة أرباع دخلهم لأجل إقامة حكم الله في الأرض، فكم يكون قدر تَقَدمِهم بالأمة إلى الأمام، وبالعكس إذا كانوا راغبين في المأكل والمنكح والمسكن. . فإنهم لا يتمكنون من التقدم.

وقد نُسب لعيسى المسيح عليه السلام أنه قال لأصحابه الحواريين: «إذا سافرتم لأجل الهداية والتبليغ فلا تأخذوا شيئاً إطلاقاً حتى حذاؤكم ارموه».

وفلسفة هذا الحكم ـ إذا كان عن عيسى المسيح ولا يبعد أن يكون منه عليه السلام لما نَعهدُهُ من سيرته الطاهرة ـ واضحة فإن الإنسان المُثقل لا يتمكن من الوصول إلى الهدف، ولذا جاء في كلمة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «تخففوا تلحقوا» والشاعر يقول:

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد، حتى نعله ألقاها

يعني أن هذا الإنسان الذي يقصد السفر ألقى حتى الأوراق التي كانت معه وألقى زاده، وألقى حتى نعله.

وهنا سؤال: فمن أين يتمكن الإنسان أن يأكل إذا ألقى زاده؟

أجاب عن هذا السؤال الرجل الشهم الذي حرك الشرق قبل مئة سنة تقريباً السيد جمال الدين الأفغاني ـ وهو أسد آبادي على المعروف، وأقرباؤه موجودون إلى الآن في أسد آباد من بلاد إيران وقد كان من تلاميذ الشيخ مرتضى الأنصاري رحمة الله تعالى عليه ـ.

هذا الرجل المجاهد لما ورد مصر وتحرك وحرك وأيقظ وأوعى وحذر وأنذر حكومة بريطانيا، حتى خَشِيتْ منه وأمَرَتْ عملاءها في مصر بإخراج هذا الرجل، ولما أركبوه القطار ليُخرجوه جاء جماعة من أصحابه وقدّموا له كيساً من الليرات الذهبية وقالوا له: سيدنا إنك في سفرك تحتاج إلى المال وهذه هدية متواضعة منّا لك حتى تستفيد بها في أكلك وشربك ومنزلك إلى أن تصل إلى الهدف.

فأجابهم السيد جمال الدين الأسد آبادي: اجعلوا هذا المال لأجل مشاريعكم فإني في غنى من هذا المال.

قالوا له وكيف تصنع، ولا نعهد عندك مالاً؟.

قال: نعم، لا مال عندي الآن لكن الأسد يجد فريسته فهو يصبح جائعاً

ويمسي وهو ممتلىء، ومثال الإنسان المَبَلغ والمجاهد هو مثال الأسد فإنه لا يحتاج أن يحمل المال، فحيث ورد فهناك أرض الله، وهناك رزق الله، والله قد تكفل لعباده بالرزق، وحتى إذا لم يجد الإنسان طعاماً شهياً، فإنه يتمكن أنْ يستعيش بالعشب ويشرب الماء المالح.

وهكذا لم يقبل السيد الأسد آبادي الكِيسَ وردَّهُ إليهم ليصرفوه في مشاريعهم.

إن الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها شيمة الأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين وعباد الله الصالحين والمصلحين، والسبب هو أنه يخفف حمله، وإذا انقطعت علاقة الإنسان بالدنيا تمكن من السير، وفي الآية الكريمة إشارة إلى ذلك حيث يقول الله تعالى: **﴿ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾**[(1)].

الانسان يجب أن يكون خفيف الحركة خفيف العمل، وقد قال رسول الله ﷺ بالنسبة إلى الزواج: «خير نسائكم ـ أو خير نساء أمتي ـ أقلهن مهراً»[(2)].

وقد ورد في حديث صحيح في الكافي: أن رسول الله ﷺ زوّج ابنته من علي صلوات الله عليهم أجمعين بستة وثلاثين درهماً يعني زهاء ثمانية عشر مثقالاً من الفضة فقط وفقط، مع أن الرسول كان في ذلك اليوم رئيس دولة وبإمكانه انفاق الشيء الكثير[(3)].

وقد جاء في حديث: أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في ليلة الزواج جاء بحفنة من الرمل، وفرش بذلك الرملِ الغرفةَ ليكون ذلك الرملُ عوضاً عن الفراش.

والمشهور عند الكل أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يسمى بأبي تراب، لأنَّه كانت يتوسد التراب وينام على التراب ويجلس على التراب.

وقد ورد: أن امرأة رأت الرسول ﷺ وهو جالس على التراب ويأكل بتواضع ـ وكانت المرأة بذيئة اللسان ـ فقالت جلسة كجلسة العبد!!

---

(1) سورة التوبة: الآية/ ٣٨.

(2) مكارم الأخلاق: ص ١٩٨.

(3) الكافي: ج ذ ص ٣٧٧ باب ماتزوج عليه أمير المؤمنين فاطمة (عليهما السلام).

فأجابها الرسول ﷺ قائلاً: وهل أنا إلاّ عبد؟

نعم هو عبد الله، والعبودية والقيادة للناس تقتضي ذلك، ولهذا نكرر في كل يوم مرات ومرات في تشهد الصلاة (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) ونقدِّم كلمة (العبد) على كلمة (الرسول) لأنَّ مقام العبودية لله جلّ وعلا مقام رفيع جداً.

وعلى كل حال: فإن الضروري على القادة أن يكونوا بالمستوى المطلوب من الزهد في زخارف هذه الحياة الدنيا. وإذا كان تزوّج الإنسان بمهر السنة وكان لباسه وفراشه ومأكله ومشربه وسفره وحضره وسائر شؤونه أشياءَ متواضعة.. فإنه يتمكن من التحرّك، ومن أن يكون أسوة للناس، وعندئذ يَلتفُّ الناس حوله، وإذا التفّ الناس حوله تمكن من السير بهم إلى الهدف.

لقد سار المسلمون الصالحون من أصحاب رسول الله ﷺ والأئمة، وسائر العلماء الراشدون وسائر المصلحين في كل جيل وجيل وفي طريق الزهد، وأخبار زهدهم وأخبار تقشفهم وأخبار اهتمامهم بالهدف مشهورة عند العام والخاص.

أحد علمائنا قبل مئة سنة يُسمىَ بالشيخ المرتضى الأنصاري، هذا الرجل العظيم الذي يُدَرِّس في كل الحوزات العلمية كتابان من كتبه وهما (الرسائل) و(المكاسب) بالإضافة إلى دراسة بعض كتبه الأخرى كرسالة (لا ضرر) ورسالة (التسامح في أدلة السنن) ورسالة (العدالة) وكتاب (الصلاة) وكتاب (الطهارة) وغيرها. إنما تمكن من السير إلى الأمام في العلم حتى صار علما في كل البلاد الإسلامية منذ قرن كامل لأنه كان زاهداً في الحياة، لا يبالي بأكله ولا بلباسه ولا بمسكنه، بل كان يصرف كل وقته في العلم وفي التحقيق وفي العمل وفي العبادة وفي التربية.

ينقل في أحوال هذا الشيخ العظيم ـ الذين يجب أن نتخذه أسوة في العلم وفي الزهد ـ أنه سمع الخليفة العثماني في الأستانة بتركيا بزهد هذا العالم فأرسل رجلاً من أشدّاءِ رجاله ليأتي إلى النجف الأشرف ويرى هل صحيح ما انتشر من زهد هذا الرجل أم أنه رجل راغب لكنه يتزهد؟

وصل الرجل إلى النجف الأشرف، ودخل بيت الشيخ كزائر عادي ولم يُعرِّف نفسه أنه من قبل الخليفة، فرأى الشيخ جالساً على حصير من القصب وأمامه موقد ـ لأن الوقت كان شتاءاً ـ وهو منكب على المطالعة، وعلى بدنه الشريف ملابس من أحط الملابس قيمة.

فجلس عند الشيخ وسأله عن أحواله، فأمَرَ الشيخُ بأن يُصنع له شراب قوامه الدبس والماء، فجاءوا إليه بآنية من الخزف وفيها الشراب، فشرب الضيف الشراب ثم توجه إلى الشيخ وقال له إن الخليفة يبلغكم السلام وأنا رسوله الخاص إليكم.

يقول هذا الرجل: فتعجبتُ أن الشيخ كان كالجبل جالساً ولم يزل بعد كلامي كسابق حاله. قال الشيخ بلِّغ جوابي له.

ثم قلت له إن الخليفة سألك أن تطلب منه حاجة؟ يقول: قال الشيخ لا حاجة لي.

ثم قال الشيخ إن وقت تدريسه قد حان وهو لا يتمكن أن يُعطلّ الدرس لأجل مبعوث الخليفة: فإن العلم واجب كفائي فإن رسول الله ﷺ أوجب طلب العلم وجعله فريضة أما الاستضافة فإنها مستحبة، والواجب لا يَدَعُ مجالاً للمستحب. قال هذا وقام، فقمتُ معه.

ثم ذهب المبعوث إلى الأستانة ورأى الخليفة وقال له لقد وجدت الشيخ في زهده كما ينقل عن رسول الله ﷺ.

القائمون بالحركة يجب أن يزهدوا في الدنيا، لا أقصد زهداً يمرضهم، وإنما عدم الاعتناء بالحياة، ففي الحديث: «لو كانت الدنيا تسوى عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء»(١).

يعني أن الدنيا مبغوضة لله إلا ما كان منها لأجل الآخرة: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾**(٢).

يعني أن الهدف الآخرة، والآخرة وحدها، وإنما الدنيا طريق.

وقد قال عيسى عليه السلام: «الدنيا قنطرة فاعبروها»(٣).

يعني الدنيا كالقنطرة، والإنسان الذي يريد عبور القنطرة كم يصرف لأجل القنطرة؟ إنه لا يصرف إلاّ صرفاً طريقياً لا صرفاً هدفياً واقعياً.

وهكذا يجب أن يتخذ القائمون بالحركة الإسلامية العالمية التي تصل بإذن

---

(١) الوزسائل: ج ١١ ص ٣١٦ باب ٦٣ من أبواب جهاد النفس ح ٤.
(٢) سورة القصص: الآية/ ٧٧.
(٣) البحار: ج ١٤ ص ٣١٩ ح ٢١.

الله تعالى إلى الهدف ـ وهو إقامة حكم ألف مليون مسلم ـ الزهد من أصول حركتهم، وأن يتركوا الدنيا إلا القدر الواجب. نسأل الله أن يوفقنا لذلك.

(٧)

عدم حب الشهرة

الزهد قسمان:

زهد عن الحياة المادية وزهد عن الأمور غير المادية.

الزهد عن الأمور المادية بمعنى أن يكون الإنسان غير مهتمّ بأكله وشربه ولباسه ومسكنه وما أشبه (فالدنيا ملعونة وملعون كل ما فيها إلاً ما كان لله سبحانه وتعالى). وفي الآية الكريمة **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾**[١]. وقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد أبي ذر الغفاري ذات مرة وانتهى به المطاف إلى خربة، وكان في تلك الخربة شيء من الأثواب البالية، وشيء من مدفوع الإنسان، وشيء من عظام الإنسان ـ وإنما كانت العظام؟ لأن الجاهليين لم يكونوا يدفنون موتاهم كما ندفن نحن الآن موتانا حسب الموازين الإسلامية، وإنما كانوا أحياناً يدفنونهم، وأحياناً يحرقونهم، وأحياناً يضعونهم في مكان من الارض ثم يرمون عليهم الحجارة وما أشبه، حتى يغطي جسمهم، وأحياناً يُلقون الجنازة في خربة أو في بئر أو ما أشبه. لأن الإنسان لم يكن له احترام في الجاهلية وإنما الإسلام هو الذي احترمه هذا الإحترام المنقطع النظير حتى قال سبحانه: **﴿مَن قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾**[٢] هذا الإحترام الذي لا تجد مثله في دين أو في قانون هو الشيء الذي جاء به الإسلام لأنه دين الله، الدين الذي جعل الإنسان محور الكون ـ وعلى أي حال فقد كان في تلك الخربة إلى جانب الخِرَقَ والمدفوع عظامُ للإنسان، فقال رسول الله ﷺ لأبي ذر الغفاري: يا أبا ذر هذه ملابسهم التي كانوا يلبسونها، وهذه مآكلهم التي كانوا يأكلونها وهذا هو الإنسان، فانظر إلى مَ صاروا؟

---

(١) سورة النحل: الآية/ ، ٩٦.

(٢) سورة المائدة: الآية/ ٣٢.

وهكذا الدنيا قد يزهد الإنسان في مادياتها، وقد ذكرنا في حلقة سابقة: أَن الحركة الإسلامية العالمية التي تريد الإنتهاء إلى حكومة ألف مليون مسلم يجب أن يتزهد القائمون بها في الدنيا.

هذا قسم من الزهد، وهناك قسم ثانٍ من الزهد أصعب من هذا القسم وهو الزهد عن الشهرة، الزهد عن السمعة، يعني أن القائمين بالحركة يجب ألاَّ يفكروا في أَنَّ الناس يمدحونهم، وأنَّ الناس يعظمونهم، وأن الناس يبجّلونهم ويسجّلونهم في التاريخ في مصافِّ العظماء، أو تنطق بأسمائهم الإذاعات والجرائد، أو يُنوَّه بإسمهم في الإِحتفالات والمجالس وعلى المنابر، فإن حبَّ ذلك وحبَّ الله لا يجتمعان في قلب إنسان، وهما هدفان متعاكسان لا يمكن الوصول إليهما معاً، فبينهما بونٌ شاسع.

إن حبَّ الشهرة وحبّ السمعة وحبَّ أنْ يقال عن الإنسان الخيرُ.. هذا الحب يوجب غَمْط حق الآخرين. إنّه لا يستشير الناس حتى يقال إنّ هذا الشيء رأيه وهذا العمل عمله، ولذا نرى الإستبداديين والديكتاتوريين والذين نزع الله الإيمان عن قلوبهم يريدون الأنانية، يريدون الفردية، يريدون أن يُقال عنهم الخير بينما يقال عن غيرهم الشر أو السوء، وعلى الأقل ألاَّ يُذكر سواهم، وهؤلاء كثيراً ما يَتّهمون زملاءهم حتى يسقطوهم عن أعين الناس وإذا امتلك أحدهم القدرة استغلّ قدرته - من السلاح والمال والإعلام - لأجل أن يرفع نفسه ولأَجل أن يضع غيره، فنرى مثلاً سياسيَيْنِ، كلاهما كان ابّان الإضطهاد في درجة واحدة، وأحياناً كان أحدهما أقدم درجة من الآخر، ثم يصل أحد السياسيَيْنِ إلى مرتبة رفيعة من الحكم، وإذا به يُسقط صديقه السياسي عن الإستشارة وعن أخذ آرائه، لا هذا فحسب بل كثيراً ما يتهمه وكثيراً ما يُشهِّر به في أجهزة إعلامه، ويُوجِّه أجهزة إعلام الدولة وأموال المسلمين للفتنة والفساد والإتهام والقول بالإفك والإثم حُبّاً للشهرة، رغم أن هذا الإنسان كان زاهداً في حياته الشخصية المادية أيّ يقتنع بمأكل قليل وملبس عاديٍّ ويسكن مسكناً بإيجار أو نحو ذلك.

القائمون بالحركة الإسلامية الذين يُريدون الإنتهاء بالحركة إلى الدولة الإسلامية الواحدة يجب عليهم أنْ يتنزهوا عن هذا الشيء وإلاَّ فالدكتاتوريون والمستبدّون - ولو برّروا أعمالهم بألف مبرِّر ومبرِّر - هؤلاء ليسوا صالحين لتقديم الإسلام، فإن الشيء غير الطاهر لا يكون مقدمة للشيء الطاهر، كما أن الأساس المنحرف لا يمكن أن يكون أساساً لشيء مستقيم.

القائمون بالحركة الإسلامية يجب أنْ يعرفوا أنهم لم يتزهدوا في التنويه، بعيوب الآخرين، ونحوهما فإنهم لا ينالون الهدف أولاً، وثانياً ينفضّ الناس مِنْ حولهم، وثالثاً تبدوا عوراتهم، فمن أظهر عورات الناس انكشفت عورات بيته كما ورد في الحديث.

وقد ذكرنا سابقاً قول الشاعر:

لسانك لا تذكر به سوءة امريء فكلّك سوءات وللناس ألسنُ
وعينك إنْ أبدت إليك معَايباً من الناس قل يا عين للناس أعينُ

إذا أسقطتَ صديقك السياسي فاعلمْ أن الدهر أيضاً يأتي بيوم يُسقطك فيه، وفي الحديث «من حَفَر بئراً لأخيه وقع فيها» وعلى هذا المنوال. فالقائمون بالحركة يجب أنْ يراعوا هذا الأصل وهو أصل الزهد عن الشخص وعن الشخصية، وأنّا نرىٰ أن الإمام الحسين عليه السلام وصل إلى الهدف فلأنه كما ضحّى بنفسه وبعائلته وبأقرباءه وبأصدقائه وبأمواله ضحّى في نفس الوقت بسمعته، حتى كان آل يزيد يسمونهم بالخوارج، ويقولون إنهم كفرة وأنهم مبدعون، وانهم خرجوا على سنن رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذا نرى أنْ الله عَوّض الإمام الحسين عليه السلام، هذه المكانةَ العظيمة في الدنيا، والمكانةُ التي عند الله سبحانه وتعالى في الآخرة أعظم وأرفع.

وكذلك نحن نرى في الأنبياء العظام وسائر الأئمة الطاهرين والصديقة الطاهرة والبتول مريم عليهم الصلاة والسلام ونرى في العلماء الراشدين الشيء الكثير من التنكر لأشخاصهم والتنكرّ لشخصياتهم.

فمثلاً: أنا نرى الشيخ المرتضى زاهداً حتى في تأليفه ولذا لم يذكر في الرسائل والمكاسب وسائر كتبه اسمه، وإنما مَنْ أتَوْا بعده كتبوا اسمه الشريف على كتبه، فالشيخ بالإضافة إلى زهده في الماديّات كان زاهداً أيضاً في الشهرة ونحو الشهرة، ولذا جعله الله سبحانه وتعالى علماً منذ قرن ففي كل الحوزات العلمية تدرس كتبه، والتعليقاتُ والحواشي على كتبه من العلماء الذين أتوا من بعد الشيخ كثيرة، وسيبقى الشيخ علماً لأنّ ما كان لله ينمو **﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً﴾**(١) فإن ما يرتبط بالله سبحانه وتعالى يبقى، بينما ينفد ما يرتبط بغير الله **﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾**(٢).

---

(١) سورة الكهف: الآية/ ٤٦.

(٢) سورة النحل: الآية/ ٩٦.

فإذا كان القائمون بالحركة الإسلامية العالمية مخلصين إلى هذا الحد، وزاهدين عن الزخارف وعن الماديات وعن حبّ السمعة والشهرة وما أشبه تمكّنوا من الوصول إلى الهدف بإذن الله.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المخلِصين والمُخلَصين، ومن عباده الصالحين، وأن يزهدنا في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها إنه على ما يشاء قدير.

(٨)

الإخلاص

يجب على القائمين بالحركة أنْ يربوا أنفسهم وأفرادهم ـ الذين يهدفون إلى النهضة الإسلامية الشاملة المنتهية إلى حكومة إسلامية ذات ألف مليون مسلم ـ على منتهى الإخلاص، فإن للإخلاص فائدتين:

الفائدة الأولى: لطف الله سبحانه فإنه سبحانه يمنح لطفه ورحمته لعباده المخلصين، لأنهم قصدوه وحده في عملهم، وفكرهم، وجهادهم وأخذهم، وعطائهم. وقد قال الله سبحانه وتعالى:

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبُلَنا وإن الله لمع المحسنين﴾(١).

ولا يخفى أنَّ الإخلاص أمر في غاية الصعوبة، لأنه يتطلب منك أن تعمل في سبيل الله خمسين عاماً ولا تريد بذلك جاهاً، ولا مالاً، ولا سلطاناً، ولا عزاً، ولا شهرة، ولا سمعة، وإنما تريد الآخرة. تريد إنقاذ المستضعفين من براثن المستكبرين، تريد وجه الله سبحانه ورضوانه. تريد عزّ المؤمنين.

إن هذا أمر صعب، ولذا نجد أنّ كثيراً من العاملين لا يستطيعون الوصول إلى هذه المرحلة من الإخلاص.

وفي الحديث الشريف:

«والناس كلُّهم هالكون إلاّ العالِمون، والعالِمون كلُّهم هالكون إلاّ العاملون،

---

(١) سورة العنكبوت: الآية/ ٦٩.

والعاملون كلُّهم هالكون إلاّ المخلصون، والمخلصون في خطر عظيم»[1].

والسبب في كل ذلك واضح، فالإنسان الجاهل هالك لأنه لم يطع الله سبحانه وتعالى في التعلُّم. ثم إذا تعَلّم ولم يعمل فهو هالك أيضاً، ويقال له يوم القيامة: «هلاّ عملت؟» ـ كما جاء في حديث شريف عند تفسير قوله تعالى: **﴿وقفوهم انهم مسؤولون﴾**[2].

أما إذا علم الإنسان وعمل، ولكن لم يكن عمله عن إخلاص، بل أشرك مع الله غيره، فهو أيضاً هالك، لأن الله لا يَتَقَبل إلاّ ما كان لوجهه.

وهل تنتهي القضية عند هذا الحدّ؟. كلاّ. إن المخلصين أيضاً في خطر عظيم! وما هو ذلك الخطر؟ إنه خطر الإرتداد، وليس معنى الإرتداد الكفر فقط، بل معناه: الإرتداد عن منهج الله سبحانه بمختلف ألوانه وأشكاله، ولذا قال الله سبحانه بالنسبة إلى أصحاب الرسول ﷺ:

﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرَّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾[3].

وعلى كل حال.. فإن الفائدة الأولى للإخلاص: لطف الله سبحانه.

أما الفائدة الثانية: فهي التفاف الناس حول المخلصين، أما الذين يعملون من أجل المال أو السلطان أو الرئاسة ـ أو غير ذلك ـ فإن الناس ينفضّون مِن حولهم، وبالتالي: لا يمكن الوصول إلى الهدف.

وكم رأينا أناساً كانوا يهتفون بالدين والوطن، ولم يكونوا مخلصين، ثم سقطوا عن الأعين، الوطنيُّ منهم عن أعين الوطنيين، والدينيّ منهم عن أعين الدينيين، وعن هؤلاء وأمثالهم قال الشاعر:

لا يخدعَنْك هتاف الناس بالوطن ... فالقوم في السرّ غير القوم في العَلَنِ
أُحبولة الدين ركّت من تقادمها ... فاعتاض عنها الورى أحبولةَ الوطن!

إن احبولة الوطن، أو المستضعفين أو الفقراء، وأمثالها.. كلها تصبح أحابيل مفضوحة إذا لم يكن الإنسان مخلصاً.

---

(١) ميزان الحكمة: ج ٣ ص ٦٠ ح ٤٧٦٨ عن تنبية الخواطر.
(٢) سورة الصافات: الآية/ ٢٤.
(٣) سورة آل عمران: الآية/ ١٤٤.

ومهما أراد غير المخلص التستر على نفسه، فإن نواياه تنكشف على الملأ يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما أضمر امرؤ شيئاً، إلاّ وظهر في صفحات وجهه، وفلتات لسانه»[1].

ويقول الشاعر:

ومهما تكن عند أمرىء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلَم

ثم إن الله سبحانه لا يتقبل من العمل إلاّ ما كان مخلصاً وقد قال سبحانه: **﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾**[2].

وفي الحديث الشريف: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي بعد انتهاء حروبه على قتلى المسلمين، ثم يأمر بدفنهم بملابسهم من غير غسل ولا تكفين ولا تحنيط ـ كما يدفن كل شهيد ـ.

وفي إحدى الحروب جيء إليه صلى الله عليه وآله بالقتلى فصلى عليهم ثم جيء إليه بقتيل فرفض الصلاة عليه، وعلل ذلك «بأن هذا القتيل لم يحارب لأجل الله ورسوله، وإنما حارب لأنه وَجَدَ في جيش الأعداء حماراً أعجبه، فقاتل من أجل الحصول على الحمار» وقد سمّاه المسلمون بـ«شهيد الحمار»!

يجب على العاملين أنْ يحذروا أن يكونوا من قبيل «شهيد الحمار»، فلا يحاربوا لأجل الحصول على مال أو جاهٍ أو امتياز معيّن أو في سبيل أن ينالوا وسام «الجهاد» فيكونون عندئذ شهداء الوظيفة أو الجاه أو السمعة، ويُحرمون لطف الله سبحانه وينفض من حولهم الجمهور.

وفي حديث آخر: أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يصلّ على أحد القتلى بعد انتهاء الحرب، ولما سُئِل عن السبب أجاب: إنه لم يحارب من أجل الله، بل من أجل الحصول على امرأة في جيش الأعداء تدعىٰ أم جميل فأطلق المسلمون عليه «شهيد أم جميل».

وفي التاريخ الإسلامي شواهد كثيرة على هذه الحقيقة.

فعبد الله بين الزبير، والإمام الحسين عليه السلام كلاهما حارب بني أمية حرباً

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٦.

(٢) سورة البينة: الآية/ ٥.

لا هوادة فيها، وكلاهما قُتل، الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قتل في كربلاء وابن الزبير قتل في مكة، وصُلبتْ جثّته.. ولكنْ شتان ما بين القتيلَيْن.. فسيّد الشهداء الحسين عليه السلام أصبح مشعلاً وضياءً يُنير الطريق للأجيال، وارتفع لواءُه في كل مكان من الأرض، وظل ذكره يتردد على كلِّ الشفاه المؤمنة رغم مرور أكثر من ألف واربعمائة عام على استشهاده..

أما ابن الزبير فقد طَواهُ النسيانُ.

والسبب: أن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن يهدف إلاّ لله، وكان يقول: «وإنما خرجت لطلب الإِصلاح في أمة جدي وشيعة أبي.. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[1].

أما عبد الله بن الزبير فكان يريد التربّعَ على كرسيِّ الخلافة.. وأنْ يقال له «أمير المؤمنين»!

وهكذا ينتصر الإِخلاص.. وتندحر المصلحية..

(٩)

اَلعملُ الدائب

في معرض البحث حول المنهج الذي يؤدي بنا إلى الحكومة الإسلامية العالمية، لا بدّ من طرح موضوع مهم هو «العمل الدائب» والدائم الذي لا يعرف الكلل ولا الملل، فإِن الحركة الدائبة توجب النمو والتقدم، مما ينتهي إلى الحركة الإسلامية العامة، والحركة الإسلامية العامة تنتهي إلى حكومة ألف مليون مسلم، بإِذن الله تعالى.

فاللازم على الذين يريدون التحرك أنْ يعرفوا أنهَّ قد انتهى وقت الكسل والخمول والنوم الكثير وأشباه ذلك، وقد رَوَتْ خديجة أم المؤمنين عليها الصلاة والسلام أنْ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لما نزل عليه الوحي ترك كل راحة وكان يدأب ليل نهار، في العبادة، والعمل فقلت له: يا رسول الله ألا تستريح؟ ألا تنام؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لقد مضى عهد النوم يا خديجة».

(١) البحار: ج ٤٤ ص ٣٢٩ ح ٢.

يعني أن الإنسان يجب عليه أن يستمر في العمل إذا أراد تحقيق الهدف السامي.

وإذا أراد رضا الله سبحانه وتعالى، وإِذا أراد تقديم المسلمين إلى الأَمام.

واذكر أنَّ والدي (رحمة الله عليه) كان يوصيني بقلّة النوم وعدم التفكر بالأمور الدنيوية وينصحني بالمطالعة والمثابرة والعبادة وما أشبه. وكان هو (رحمه الله) قليل النوم، وقد قلت له ذات مرة: لماذا لا تنام يا أبه؟

فقال: إني سوف أنام في القبر طويلاً فأنا أُؤخر نومي إلى القبر.

وهكذا العاملون يجب أن يتهيأوا بأَنفسهم وأنْ يهيئوا أصدقاءهم للعمل الدائب الذي لا يعرف الكلل.. من التأليف، الخطابة، اللقاءات الفردية، اللقاءات الإجتماعية، التكلم مع الأثرياء لأَجل مساندة المشاريع الإسلامية، وهكذا على طول الخط.

وقد وَصَفَتْ سيدتنا فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) في، ومن جملة ما قالت: «مَكدوداً في ذات الله» يعني أنَّه يعمل ليل نهار، لأجل الله سبحانه وتعالى.

ويروي لنا أصبغ بْنُ نباتة وهو تلميذ من تلاميذ الإمام (عليه الصلاة والسلام) يقول: إن أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة كان يصل الليل بالنهار، والنهار بالليل، تعباً وسهراً وعملاً، يصليّ ويتعبّد بالليل ثم يُصلي صلاة الصبح، ثم يجلس معقباً ويقرأ القرآن، ويذكر الله سبحانه وتعالى، ويقرأ الأدعية إلى أن تشرق الشمس، ثم يذهب إلى داره قليلاً ويرجع كي يوزع وقته بين الدوران في الأسواق لأجل الأمر والنهي والموعظة وبين المجيء إلى المسجد الجامع بالكوفة ليقضي حوائج الناس، ويقضي بينهم في مكان يسمى بدكة القضاء، وإذا صار الظهر صلّى وكذلك يفعل في العصر إلى الليل ويصلي صلاة المغرب والعشاء وبعد مضي هزيع من الليل يأتي إلى داره، فكنت معه ذات يوم، ولما انقضى هَزيع، من الليل رجعتُ معه إلى الدار فنمت في ساحة الدار، وذهب الإمام إلى غرفة من غرف الدار، ولم يكن النوم قد غلبني بعد وإذا بي أرى الإمام عليه السلام ينزل من الدرج وهو مُنحنٍ من شدة الإِرهاق والنعاس، وكان يستند بيده الكريمة إلى الحائط، فظننت أن الإمام يريد شيئاً فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا تريد؟ قال الإمام: أريد أنْ أصلي لربي ركعات.

قلت يا أمير المؤمنين: قبل قليل جئت إلى الدار، وما نمت إلا قليلاً فكيف

تقوم؟ ألا ترحم نفسك، ألا تستريح؟. فقال الإمام كلمة ـ (يجب أنْ نتخذها نحن المسلمين إذا أردنا العمل في سبيل إنقاذ الإسلام وبلاد الإسلام أسوة في كل شؤوننا ويجب أنْ نربّي الأجيال على هذه الحالة) ـ.

قال الإمام عليه الصلاة والسلام: يا أصبغ كيف أنام؟ إنْ نمت النهار ضيّعت رعيتي وإنْ نمت الليل ضيعت نفسي.

وهكذا يجب أنْ يكون العاملون في سبيل الله دائماً في حالة حركة وفي حالة هداية وفي حالة إرشاد وفي حالة توعية وفي حالة تنظيم وفي حالة بناء وفي حالة دفع المفاسد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى، حتى نتمكن من إنقاذ المسلمين والمستضعفين من براثن المستكبرين.

ولقد سيطر الشرقيون والغربيون على العالم وحطّموا البشرية. في الهند وحدها أكثر من ثلاثمائة مليون جائع وفي أفريقيا يموت الأطفال جوعاً، وفي أفغانستان قتل المستعمرون الشيوعيون أكثر من مليون إنسان وشردوا زهاء خمسة ملايين، وفي الصين قَتَلَ ماوتيسى تونغ أكثر من عشرين مليون إنسان.

أما البلاد الغربية فعادتهم القتل والنهب والسلب، وقد قتل الأمريكيون والاسرائيليون والبريطانيون ـ أسياد البعث ـ منذ سنتين بين العراق وبين إيران أكثر من ثلاثمائة ألف إنسان غير المشوهين والمسجونين والمفقودين وهكذا، فإذا أردنا إنقاذ المسلمين من براثن المستكبرين والمستغلّين وعملائهم وتجار الحروب يجب أن نعمل ليل نهار في سبيل الله وقد قال تعالى **﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾**(١) فيجب أن نكون كادحين حتى ينقذنا الله سبحانه وتعالى من براثن الشرقيين والغربيين وعملائهم من الصهاينة والبعثيين وأمثالهم وما ذلك على الله بعزيز.

(١٠)

التواضع

يجب على قادة العمل أن يربّوا أنفسهم وأفرادهم على التواضع، التواضع لله والتواضع لعباد الله، فإن التواضع من أسباب التقدم، يقول الشاعر:

---

(١) سورة الانشقاق: الآية/ ٦.

تـواضـعْ تـكـنْ كـالـنـجـم لاح لـنـاظـر عـلـى صـفـحـات الـمـاء وهـو رفـيـعُ
ولاتـك كـالـدخـان يـعـلـو بـنـفـسـه إلـى طـبـقـات الـجـوِّ وهـو وضـيـعُ

الإنسان المتواضع يلتفُّ الناس حوله بينما الإنسان المتكبر يتفرق الناس من أطرافه، ومثل المتواضع مثل البحر الذي يأخذ الضريبة من ألوف الأنهار لأنّ البحر تَواضَعَ وجَعَل نفسه دون مستوى الأنهار، والأنهار رفعت نفسها فوق البحر بينما لو كان البحر أرفع مستوى وكان النهر أخفض، لانصبّت مياه من البحر في النهر.

من الواجب أن يلتزم الإنسان الذي يريد تحقيق الهدف المتواضع، التواضع للكبير، للصغير، للعالم، للجاهل، للغنّي ـ لا لغناه وإنما لجذبه إلى الهدف ـ للفقير، ولسائر الناس، وقد ورد في الحديث: «تواضعوا لمن تتعلّمون منه وتواضعوا لمن تعلّمونه»(١).

وقد ضرب الأنبياء العظام والأئمة الكرام والعلماء العاملون أروع الأمثلة في التواضع للحق وللخلق وبذلك تمكّنوا من جذب الناس إلى أهدافهم.

فهذا سيدنا رسول الله ﷺ كان يسلم على الصغير والكبير والأسود والأبيض والغني والفقير والشريف والوضيع، وكذا كان الإمام أمير المؤمنين ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الكوفة عاصمة الخلافة.

فإذا كان رسول الله ﷺ وهو رسول ورئيس دولة، يُسلّم حتى على الأطفال الذين يراهم في الشوارع والأزقة، وكان أمير المؤمنين وهو الخليفة والرئيس لأكبر دولة في عالم ذلك اليوم يسلّم حتى على أقلّ الأفراد رتبة، فيجب علينا أن نتأسّى بهما، ونسير وراءهما حتى نستطيع جمع الناس حول الإسلام وحول الدولة الإسلامية.

الحركة ـ يجب أنْ يتبناها رجال متواضعون سواء كانوا من القيادة أو من القاعدة، وأن يكون تواضعهم شاملاً، فيكون في الأكل، في اللباس، في المسكن، في السلام، في القيام للناس، في قضاء حوائجهم، وفي غير ذلك.

وقد ورد عن عيسى المسيح عليه السلام ـ وهو كسائر الأنبياء معلّم الأخلاق ومُربّي الأجيال وأسوةً للذين يريدون التقدّم ـ أنّه طلب ذات يوم من تلاميذه

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ١٧٧ح ١٧.

الحواريين أن يغسل أرجلهم؟ فقالوا: معاذ الله، أنت نبيُّ الله ونحن تلاميذك، فكيف تغسلُ أرجلنَا؟!

فقال عيسى المسيح عليه السلام: بحقيّ عليكم إلاّ ما تركتموني أغسلُ أرجلَكم.

فقالوا: يا معلمّنا ويا سيدنا وَلِمَ تريد أنْ تفعل هذا الفعل؟ فأجاب عيسى عليه السلام: حتى تتعلّموا منّي، وتكونوا في الناس هكذا، أي حتى تحترموا الناس وتتواضعوا لهم إلى درجة غسل أرجلهم، فاضطرّ أولئك التلاميذ للقبول، فغسل عيسى عليه السلام أرجلهم.

أيُّ تواضع هذا من نبيٍّ عظيم بُعث إلى شرق الأرض وغربها؟

وقد حَفَل التاريخ بنماذج كثيرة حول تواضع الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام وقد ورد أنه دخل - ذات مرة - ضيَفْان: أبٌ وأبنٌ، على عليٍّ - عليه السلام وبعد أن جلسا واستقر بهما المجلس وتناولا الطعام أخذ الإمام إبريقاً بيده ليغسل يد الضيف، فقال: أمير المؤمنين الله، الله، كيف تغسل يدي وأنت أمير المؤمنين؟ لكّن الإمام أمره بالإمتثال فمد الرجل يده مكرهاً فغسلها الإمام.

ثم أعطى الإبريق بيد ولده محمد بن الحنفية [رحمه الله] فقال له: اغسل يد الولد، وكان ذلك بسبب أن الإمام لم يرد أنْ يحترم الولد بقدر إحترام أبيه وهو بحضرة أبيه.

ثم قال للولد: لو كنت جئتني وحدك لغسلت يدك.(١)

لنتصور إلى أي حد وصل التواضع بهذا الإمام العظيم حتى يغسل يد الناس، إن هذا تعليم، ودرس لمعاشر المؤمنين بالله واليوم الآخر- وخصوصاً لمن أراد تحقيق الهدف وأراد الحركة الإسلامية العامة المؤدية إلى حكومة ألف مليون مسلم - في كيفيّة السلوك الأفضل لجذب الناس وأستقطابهم حول الأهداف الرفيعة.

وفي حديث آخر: أن يهودياً كان في صحراء الكوفة فرأى رجلاً في مسيره، فسأله اليهودي أينَ تريد يا عبد الله؟

---

(١) البحار: ج ٤١ ص ٥٥ ح ٥.

قال الرجل: أريد الكوفة، فسأله الرجل: وأنت أين تريد؟

فأجاب: أريد الحيرة فترافقا في الطريق وتكلما حتى وصلا إلى مفترق الطريق بين الحيرة والكوفة، فتوجه اليهودي إلى طريق الحيرة فاتّبعه الرجل.

فقال له اليهودي: يا هذا أَلَمْ تزعم أنّك تريد الكوفة؟

قال الرجل: نعم.

قال: ليس هذا طريق الكوفة وإنما هو طريق الحيرة.

قال الرجل: نعم. إني أعلم أنَّ هذا الطريق طريق الحيرة، لكن نبينا أمرنا أن نتبع من رافقناه في الطريق خطوات، وشيع الرجل اليهوديَّ ورجع إلى طريق الكوفة وانتهت القصة.

وبعد مدة كانت لليهوديِّ حاجة في الكوفة فمرّ على باب المسجد الأعظم في الكوفة فرأى الجماهير محتشدة في المسجد، وهناك خطيب يتكلم فوق المنبر والناس يُصغون إليه، فنظر وإذا الرجلُ الخطيبُ صاحبه الذي كان معه في الطريق، سأل اليهوديّ من أحد الحاضرين: مَنْ هذا الخطيب؟

قال الرجل: إنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فتعجب اليهوديّ تعجباً عظيماً لأنَّ أمير أكبر دولة إسلامية وأكبر دولة في العالم في ذلك اليوم يمشي وحده في الصحراء، ثم إنه رجل مسلم وهو يهودي يراه في الطريق فيصادقه ثم يشايعه خطوات في طريق الحيرة!

تعجب الرجل، وحق له أنْ يتعجب، ووقف حتى أنهى الإمام خطبته وخرج من المسجد، فوقف أمام الإمام بإكبار وقال: «أنت أمير المؤمنين؟»

أجاب الإمام: نعم أنا علي بن أبي طالب.

قال اليهودي: ما هي شروط الإسلام؟

أجاب الإمام: «أن تشهد بأن لا إله إلا الله وأن محمداً صلى الله عليه وآله رسول الله»، وثم ذكر له بعض شرائط الإسلام.

فقال اليهودي: فامددْ يدك حتى أبايعَك وحتى أشهد بالشهادتين.

وتشهَّدَ اليهودي بالشهادتين وأسلم على يد الإمام، ثم قال له الناس: لماذا أسلمتَ ايها اليهودي؟

قال: وكيف لا اسلم، وهل هناك دين أفضل من هذاالدين؟ الذي فيه رئيس الدولة الأعلى يرافق يهودياً في الطريق ثم يشيعه خطوات، إنه لا دينَ أفضلُ من هذا الدين.[1]

إن هذه القصة القصيرة تُرينا كيف أن الإمام عليه السلام جَذَبَ يهودياً إلى الإسلام بسبب أخلاقه الكريمة وتواضعه العظيم، ولهذا يجب علينا نحن - الذين نريد الحركة الإسلامية المنتهية إلى حكومة ألف مليون مسلم - أن نتواضع لله سبحانه وتعالى، وأن نتواضع لخلق الله سبحانه،

وفي الأحاديث: «ادعوا الناس بأعمالكم قبل أقوالكم». ومن الواضح أن الناس ينظرون إلى عمل الإنسان قبل أن ينظروا إلى قوله.

يجب علينا أن نجعل التواضع من الإصول العامة للحركة الإسلامية التي تنتهي إلى حكومة ألف مليون مسلم بإذن الله تعالى، ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المتواضعين له ومن المتواضعين لخلقه، إنه فعال لما يشاء.

(١١)

التأهيل الذاتي للحركة

على القادة الذين يريدون الحركة الإسلامية العالمية أن يكونوا بمستوىٰ هذه الحركة، وأن يغرسوا في أنفسهم، وفي أعمالهم، وفي أفكارهم، وفي سلوكهم المؤهلات التي بها يتقدمون إلى الأمام فإن الحركة الإسلامية إذا أرادت أن تتحول إلى حركة عالمية حقيقية بعيدة عن الدعاية والتهريج والسمعة وحبِّ الظهور يجب أن تكون مؤهلة لقيادة المسلمين في عالم يعَلَمُ فيه الكل ان الشرق والغرب قد نشط في التنظيم وفي الدعاية وفي الصناعة وفي التكنولوجيا وتقدم فيها خطوات كبيرة جداً، إنهم وإنْ خربّوا آخرتهم لكنهم عمروا من دنياهم.

والحركة الإسلامية لا تعمل في فراغ، بل إنها تجاهد، وهي في معترك التيارات والمؤهلات والأفكار والأعمال والتنظيمات وما أشبه، لذا يجب على القائمين بالحركة أن يؤهّلوا أنفسهم لمثل هذه الحركة ولمستوى قيادة الألف مليون

(١) الكافي: ج ٢ ص ٦٧٠ ح ٥.

مسلم بدلاً من القيادات الشرقية والغربية والديكتاتورية والعملية.

إنّه ليس الأمر بالدعايات والإدعاءات ولا بالرياء ولا بالسمعة ولا بالتهريج إنها حقيقة صعبة، حقيقة النهضة الشاملة في عالم مزدَحِم بمختلف الاتجاهات والأفكار والتيارات والأعمال. والمؤهلات النفسية من الشروط الأساسية لمثل هذه الحركة.

يُنقل في التاريخ: أن عالماً كان يسمّى بالجبائي، وكان محترماً عند العلماء وعند الأمراء، وإذا دخل المجالس قدم على زملائه لعلمه، ولمّا مات هذا العالم جاء ابنه بعده ودخل دار الأمير، ثم تصَدَّر المجلس على عادة أبيه رغم وجود العلماء والشيبة في المجلس.

الأمير سأل عنه من أنت؟

قال: «أنا ابن الشيخ الجبائي».

لكن الأمير لم يعجبه عمل هذا الشاب، حيث أنه تقدم على الشيوخ وجلس إلى جانب الأمير، فسأله مسألة لم يتمكن الشاب من الجواب، فسأل الأمير تلك المسألة من الإنسان الجالس عن يمينه فأجاب الجواب الكافي، وتوجه الأمير إلى الجبائي الولد وقال له: «هذا الشيخ مُقدَّم عليك في العلم والفضيلة ولهذا لا يحقّ لك أن تجلس في مكان هو أولى به منك، فقم واُجلس بعده».

ثم سأل الأمير من ولد الجبائي مسألة ثانية، فلم يتمكن من الجواب، وسأل الأمير نفس المسألة من الذي تقدم الجبائي عليه في المجلس، فأجاب ذلك الشيخ الثاني جواب المسألة الثانية عندها توجه الأمير إلى الجبائي وقال: «قم واجلس بعد هذا الشيخ الثاني لأنه أفضل منك».

وهكذا أخذ الأمير يسأل من الجبائي الولد مسألة، وهو لا يتمكّن من الجواب، ثم يسأل المسائل المذكورة من الذين هم أخَفَضُ منه مكاناً في المجالس، فإذا أجابوه أمر الأمير ولد الجبائي أن يجلس مجلساً دون ذلك المجيب، حتى انتهى الولد إلى صفّ الأحذية، فقام مِن المجلس، وقد أبتلّ بالعَرَقِ خَجلاً من فشله، وتوجّه إليه الأمير وقال له: يا بني إن أباك اُستحقّ هذا المكان الرفيع على كل الشيوخ بعلمه لا لنسبه ولا لإسمه ولا لغير ذلك، فخرج الولد من المجلس، وأخذ يكدح في تحصيل العلم وسهر لياليه وأتعب نفسه حتى

صار عالماً كبيراً بعد عشرات من السنوات، وبذلك آستحق أن يتقدم على الشيوخ، وكان إذا دخل المجالس قدّموه على أنفسهم، حتى آشتهرتْ العلوم الدينية عنه وعن والده ولقبا (بالجبائيين)، وقد ذكرهما شرح التجريد للعلامة الحلي (قدس سره) وبعض الكتب الأخرى.

وهكذا الحياة. إنها ليست إِعتباطاً، ولا يمكن أن تُنال بالكسل والأماني. يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به﴾**[1].

ويقول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

والمراد الغِلاَبُ في العلم، الغلاب في العمل، والغلاب في الإتقان، الغلاب في الدقة، وهكذا فالدنيا تنافس، والآخرة تنافس، كما يقول الله تعالى في القرآن الحكيم: **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾**[2].

الواجب أن يعمل الإنسان، وأن تعمل الحركة الإسلامية، وأن يعمل كل فرد من الحركة في البعدين الديني والدنيوي. وفي البعدين العملي والعلمي إذا أراد التقدم، أما السباب، أما الأماني، أما مايسمىٰ بـ«الشطارة»، أما الاعتباطيات، فإنها لا تصل إلى شيء فيجب على القائمين بالحركة أن يوفروا المؤهلات في أنفسهم، وفي أعمالهم حتى يلتفّ الناس حولهم، فإنَّ الناس لا يلتفّون حول كل إنسان، بل إنهم يلتفّون حول الشيء الحسن، الجيد، الجميل، وهكذا.

وهناك قصة أُخرى عن أحد تلاميذ صاحب الجواهر، (قدس سره) وهو علم من أعلامنا البارزين، فإنه ينَقْلُ أن أحد شيوخ العمارة في العراق غضب على شاب من عشيرته لأنه لم يعمل ما أراده شيخ العشيرة، فأمر بالولد أن تقطع يده عقاباً على مخالفته لأوامر الشيخ.

ففرّ الولد وفكّر في الإلتجاء إلى مكان لا تصل إليه يد الشيخ، فالتجأ إلى النجف الأشرف وإلى مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فاستهوته مناظر الدروس

---

(١) سورة النساء: الآية/ ١٢٣.

(٢) سورة المطففين: الآية/ ٢٦.

في الصحن الشريف وفي المدارس، وأخذ يدرس ويدرس حتى وصل إلى أعلى مراحل الدراسة الحوزوية، وبدأ يشترك في حلقات درس الخارج التي يُلقيها الفقهاء العظام على تلامذتهم فحضر درس آية الله العظمى الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر وصار عالماً، كاملاً، عادلاً، شريفاً، عفيفاً، نزيهاً.

وذات مرة جاءت عشيرة هذا الرجل إلى النجف وعلموا بأن ولدهم من كبار تلاميذ صاحب الجواهر، فأَطْلَعوا الشيخ صاحب الجواهر على ذلك، وطلبوا أن يجعل هذا الشيخ وكيلاً عن نفسه في العشيرة - في العمارة -.

وقبِلَ صَاحب الجواهر، وكَتَبَ له كتاباً في الوكالة عنه، فعاد الشاب - الذي كان قد بَقِيَ في النجف ما يقارب عشرين سنة - إلى عشيرته، فاستقبلته العشيرة وتهافتوا يقبّلون يده ووجهه، وجاء رئيس العشيرة وقبل يديه، وكان هناك رجل حكيم مشترِكاً في مراسيم الإستقبال، فقال لصديق له: «انظر إلى النفس الرفيعة المؤهلة بالعلم والعمل، وبين النفس العادية، العاطلة عن العلم والعمل، إن هذا العالم لما كان شاباً أراد (شيخ العشيرة) أن يقطع يده، ولما ارتفعت مكانته بالعلم والعدالة جاء نفس الشيخ يستقبله ويعانقه ويقع على يديه يقبلهما».

إن الإنسان لا يتقدم في مضمار الحياة بالتأفف والأماني والديكتاتورية والاستبداد والتهريج والدعاية الباطلة الزائفة، وإنما التقدم يكون بالإتقان والصحة في العمل والفضيلة والتواضع وبتوفير المؤهلات في النفس.

فالواجب على أفراد الحركة أن يهتموا لملءِ أنفسهم بالمؤهلات التي تعطيهم زمام الحركة الاسلامية، وبعد ذلك تعطيهم زمام ألف مليون مسلم، بإذن الله تعالى، وما ذلك على الله بعزيز.

(١٢)

ألتحلّي بالآداب الرفيعة

طلائع الحركة الاسلامية رجال شعبيون منصهرون في بحر الجماهير، ولو لم يكونوا كذلك فإنهم لا يحققون تقدماً ولا يستطيعون، أن يَخْطوا شبراً واحداً على صعيد العمل في سبيل إقامة حكومة الإسلام العالمية.

من هنا.. لا بدّ لطلائع الحركة الإسلامية أنْ يلتزموا بالآداب الإسلامية

الرفيعة التي تُحببهم إلى قلوب الناس، وأنْ يربّوا أفرادهم على الآداب، لأنَّ الأدب يُوجب التفاف الناس حول الإنسان وحول الحركة.

أننا نشاهد في المجتمع أنَّ أي مهندس أو طبيب أو خطيب أو عالم.. وأي جمعية أو حزب أو منظمة.. وأي فرد، كان مؤدبا فإنه يكون في راحة، ويلتفّ الناس حوله بشغف، بينما نشاهد من لا أدب له ينفضّ الناس من حوله، وكذا نرى أنَّ الحكومة إذا كانت غير مؤدبة، سبّابة، همّازة، ولمّازة، ولعّانة وطعّانة.. التف الناسُ حول غيرها وأحياناً أسقطوا حاكمهم..

وهكذا الحركة إذا أرادت أن تكون جماهيرية تضرب بجذورها في أوساط الناس من ناحية، ومن ناحية ثانية تصل إلى الهدف وتتمكن من استقطاب أكبر قوة شعبية في الساحة معها، فإنه يجب أن يكون القائمون بها مؤدبين لساناً، يداً، عملاً، حركة، فكراً، كتابةً، إلخ.

إن أحد أكابر علمائنا، وهو الشيخ المرتضى الأنصاري (قدس سره) في كتبه (الطهارة والصلاة والمكاسب والرسائل) وغيرها كان في كمال الأدب مع الذين لا يرون رأيه، فهو يناقشهم بكل احترام وأدب، في الوقت الذي نرى بعض الكتاب الذين يسيئون الأدب مع الناس ينفضُّ الناس من حول كتاباتهم ولا يلتفتون إليهم.

فيلزم أن يكون الإنسانُ متَّصفاً بالآداب الرفيعة، ويكون ذا تحمل كبير بحيث يتمكّن من الضغط على أعصابه في حركته وسكونه، في نومه ويقظته، في سفره وفي حضره، في لسانه وفي قلمه، في معاشرته مع أصدقائه، ومعاشرته مع أعدائه.

وهكذا نجد رسول الله ﷺ اتخذ من حسن الأدب وسيلة إلى جلب أولئك الكفار الغلاظ الشداد، الذين كانوا أبعد موجود عن الأدب، ولما جاءه عدوه الأول وهو أبو سفيان قال له رسول الله ﷺ: «ألم يأن لك أن تشهد أن لا إله إلا الله».

ثم قال بكل لُطف: «أَلَم يأن لك أن تشهد أنّي رسول الله»(١)؟ ثم قَابَل إساءته بالإحسان في قصة معروفة مما ضرب أروع مثل للإنسان المؤدب بالآداب الرفيعة.

---

(١) البحار: ج ٢١ ص ١٠٤.

وفي حديث أنه ﷺ قال: «أدّبني ربّي فأحسن تأديبي»[1].

وفي أحاديث متعددة: «إن الله أدب نبيه بآدابه ففوض إليه دينه»[2].

فيجب على الحركة أن تراعي هذا الأصل الإنساني الأَساسي الذي يُقرِّب الحركة إلى الهدف بإذن الله سبحانه وتعالى: أصل الآداب الاسلامية السامية.

وفي التاريخ نُقل: أنه كان لامير المؤمنين عليه السلام ألفُ والٍ، وألف قاضٍ،وكان القضاة الذين يعينهم الإمام عليه السلام في أرفع درجات العدالة والنزاهة والآداب الإسلامية، وكان منهم أبو الأسود الدؤلي (رضوان الله عليه).

وفي الحديث الشريف: إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طلب أبا الأسود وعزله عن القضاء في المنطقة التي كان الإمام قد نصبه فيها.

جاء أبو الأسود إلى الإمام متأثراً وقال: «يا أمير المؤمنين لم عزَلْتَني وما خُنْتُ (في أموال المسلمين) وما جَنَيْتُ (في أعراضهم ودمائهم)».

قال الإمام عليه الصلاة والسلام: «نعم» - يعني لم تَخُنُ ولم تجن - «ولكن يعلو صوتَك صوت الخصمين»[3].

الإمام عليه السلام يعزل القاضي النزيه الذي يعترف بعدالته، لأنه حين التحقيق القضائي يعلو صوتُه صوتَ الطرفين، لماذا هذا الأمر؟ الحكم بيدك ويجب أن تقول هذه الدار لفلان، هذه الزوجة لأحد المتخاصمين أما أن تصيح وأن يكون الصوت أعلى من صوت الطرفين المتنازعين فلا.

الإسلام يراعي الآداب إلى هذا الحد، لأن الإسلام دين الإِنسان، دين الرحمة الشفقة، دين الفضيلة والكمال.

ولذا يجب على الحركة أن تتعلم من الأنبياء والأولياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) الآداب.

وفي التاريخ: أن رجلاً سبّ الإمام السجاد عليه السلام، فأغضى عليه السلام عنه حتى يشعره بأنه لم يسمع، فسبّه مرة ثانية والإمام ساكت مغْضٍ عنه، ثم سبّه مرة

(١) ميزان الكمة: ج ١ ص ٧٨ لاح ٤٢٧.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٢٦٧ ح ٦.

(٣) مستدرك الوسائل/ كتاب القضاء.

ثالثة والإمام ساكت، فلم يتحمّل الشابّ سكوت الإمام عليه السلام، فقال للإمام إياك أعني.

فأجابه الإمام عليه السلام: «وعنك أغضي».

يعني: أنّي شعَرتُ أنك تريدني، لكن أغضيت عن كلامك لأنّه لا يليق بالإنسان الرفيع أن يرد السبّ بالسبّ.

وفي حديث، روي عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «معاشرة الناس ثلاثة أثلاث، ثلثان التغافل، وثلث المداراة».

فعلى الإنسان ـ خصوصاً إذا كان هدف رفيع أن يْتظاهر بأنه لم يشعر بالسبّ، بالهمز، باللعن، بالطعن..

والشاعر يقول:

ولقد أمُّر على اللئيم يسبنُّي فمضيتُ ثُمتَ قلت: لا يعنيني

هذا ثلثان.. والثلث الآخر: مداراة الناس، والإحسان إليهم..

يقول الشاعر:

ودارِهم ما دمتَ في دارِهم وأَرضِهم ما دمت في أَرضِهم

ولقد ورد في الحديث الشريف، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أنه قال: «كلما نزل جبرئيل أمرني بمداراة الرجال».(١)

وفائدة المداراة ترجع إلى الإنسان، ترجع إلى الحركة، ترجع إلى المنظمة، ترجع إلى الجمعية، ترجع إلى الحزب، ترجع إلى الإنسان الذي يريد تحقيق هدف كبير في الحياة.

الحركة يجب أنْ تكون في مستوى رفيع من الآداب في كل شؤونها.

ذات مرة وصف شخص في كتاب له نصير الدين الطوسي رحمه الله بالكلب فأجاب عنه نصير الدين الطوسي بجواب رقيق لطيف يَذكُرُه الشيخ عباس القمي (رضوان الله تعالى عليه) في كتابه القَيِّم (الكُنى والأَلقاب)، وهكذا كان الأنبياء والأئمة والصالحون من العلماء الراشدين والذين تمكنوا أنْ يتقدّموا إلى الأمام، وأن يوصلوا الأمة إلى الأهداف السامية، الرفيعة.

---

(١) الوسايل: ج ٨ ص ٥٤١ باب ١٢١ من أبواب أحكام العشرة ح ٨.

وهناك قصة تنقل عن أحد كبار العلماء العاملين، وقد كان هذا العالم جالساً في محضر جماعة من أصدقائه العلماء، فدخل عليه ريفي وهو يحمل معه مقداراً من الخيار في غير موسمه هدية للعالم، فأخذ العالم خيارة وتذوقها، ثم تناول الخيار جميعاً، لم يُقدِّم لأحد الجالسين شيئاً منه ـ وسط دهشتهم ـ ثم شكر الريفي وأهدى له هدية فقام وانصرف.

وبعد ذلك توجّه إلى جُلسائه وقال لهم ربما تعجبتم من اكلي الخيار وحدي بدون تقديمه لكم، إني كنت قد نويت تقَشير الخيار وتقديمه إليكم، ولكنّي ذقت الخيار فوجدته في غاية المرارة، فقلتُ في نفسي لو قدمته إليكم وذاقه بعضكم لأمكنَ أنْ يقول أنّه مُرٌّ، وذلك يسبب خجل الريفي الذي اهدىٰ الخيار فرجّحتُ أن آكل الخيار، وأتحمل المرارة الجسدية على مرارة الريفي النفسية.

وبهذا الأدب الرفيع تمكّن الأنبياء والأئمة والعلماء والمخلصون من التقدّم بأممهم إلى الأمام.

فالحركة يجب أنْ تتخذ الآداب الرفيعة مصدراً ومورداً ومنهجاً وأصلاً تسير الحركة عليه، فإذا فعلنا ذلك اقتربنا من الهدف المنشود بإذن الله تعالى.

(١٣)

الإبتعاد عن السلطات

القائمون بالحركات يجب عليهم الابتعاد عن السلطات الدكتاتورية التي ملأت البلاد الإسلامية لا لدفع الإتهام فحسب، وإنما لأجل أنّ المقترب من السلطان وأعوان السلطان لا بد وأنْ ينزلق، وفي الحديث «المرءُ على دين خليله»[١].

لا يمكن أن يقول الإنسان إني أقترب من القذارة ولا يلوثني منها شيء كما أنه إن تقرب الإنسان من العطر اكتسب رائحة العطر.

ولعل هذا هو سر قوله تعالى ﴿**ولا تقربوا الزنىٰ**﴾[٢] يعني أن مجرد اقترب من الزنا فيه خوف الوقوع. فيلزم أن تكون الحركة نظيفة إلى أبعد الحدود ولا ترتبط بالسلاطين والأمراء والرؤساء عن قريب أو بعيد مطلقاً.

(١) أنظر الوسائل: ج ص ٥٤٠ باب ١٢١ من أبواب أحكام العشرة ح ٣.

(٢) الوسائل: ج ٨ ص ٤٣٠ باب ٢٧ من أبواب أحكام العشرة ح ١.

ويجب على الإنسان ألاّ ينخدع باسم أن فلان (رئيس الجمهورية) مثلاً لأنّ رئيس الجمهورية إنما لا يكون ديكتاتوراً إذا بدّل وأعوانُه كلّ أربع سنوات أو ما أشبه.

فمن الضروري على الحركة النزيهة التي تريد أن تنتهي إلى إقامة حكم الله على ألف مليون مسلم، الإجتناب القطعي عن السلطات مهما كانت السلطات وراثية أو انقلابية عسكرية أو رئاسة جمهورية مستبدة ديكتاتورية أو ما أشبه، فإنّ ذلك يُسبب أولاً تراخي الحركة في ذاتها، وثانياً يسبّب اتهام الناس للحركة والمرتبطين بها «ورحم الله من جَبَّ الغيبة عن نفسه»[1] كما في الحديث، وفي حديث آخر «من دخل مداخل السوء اتّهم»[2](ع) فمن الواضح إنك إذا رأيت إنساناً خرج من بيت باغية ولم يكن معصوماً من قبل الله تعالى، فإنك تظنُّ به سوءاً...

فالضروري أنْ يتجنب الإنسان من مواقع الإتهام وما هي مواقع الإتهام؟ الثروة وموقع اتهام والقرب من السلطات موقع اتهام، والترف و.... موقع اتهام، مهما كان الإنسان مخلصاً.

وعلى أي حال فهذا أيضاً أصل يجب اتباعه من قبل القائمين بالحركة اتباعاً صارماً وإلاّ سقطوا.

ولذا نرى في التاريخ أنَّ كل عالم وكلّ حركة اقتربت من السلطات انزلقتْ على الأغلب ثم سقطت، وبالعكس نرى أن كل حركة وكل فرد ابتعد عن السلطات كان في محل الإطمئنان.

ولا يخفى أن الكلام في الأصل العالم وفي القاعدة الأولية، وإلاّ فلكل قاعدة مستثنيات كموسى عليه السلام اقترب من قصر فرعون لنصحه، وإبراهيم عليه السلام اقترب من نمرود لإرشاده، ونبي الإسلام صلى الله عليه وآله اقتربَ من أبي جهل وأبي لهب لإرشادهما، وهما من كبار رجال السلطة في مكة أيام الجاهلية.

فمن الضروري إذنْ الإبتعاد عن السلطات فرداً وحركة.

ونحن نرى في التاريخ أمثلة كثيرة من الطرفين، مثلاً من الذين اقتربوا من

(١) سورة الإسراء: الآية/ ٣٢.

(٢) الوسائل: ج ٨ ص ٤٢٣ باب ١٩ من أبواب أحكام العشرة ح ٧.

السلطات وفسدوا وأفسدوا الشيخ أبو يوسف القاضي اقترب من هارون العباسي على فسقه وفجوره وسفكه للدماء ومعاقرته للخمر (وكان عصر الرشيد - وليس برشيد - عصراً مظلماً مرعباً يلاحظه الإنسان إذا راجع التاريخ المحايد الذي لم يكن فيه كاتب التاريخ من كتّاب البلاط، أما إذا كان من كتّاب البلاط فيقول كل شيء ويزيف كل حقيقة وليس ذلك بمهم عنده).

أبو يوسف اقترب من السلطات ومن هارون العباسي بالذات ولهذا كان يُفتي بغير ما أنزل الله حتى في الدماء والأعراض، ومن القصص المشهورة عن أبي يوسف والمذكورة في التواريخ: أن هارون العباسي قرَّرَ الزواج بزوجةٍ لأبيه، وهي محرّمة عليه كتاباً وسنة وإجماعاً وعقلاً، لكنّ زوجة أبيه كانت أشرف منه وملتزمة دينياً بصورة نسبية، فعارضَتْ هارون في القضية قائلة: «كيف ذلك أيُّها الخليفة وأنا زوجة لأبيك».

لكنّ شهوات هارون حالت دون الإستماع إلى صوت العقل وصوت الشرع، قال: استفتي المرجع الديني؟ فذهب إلى أبي يوسف وقال له أن هذه المرأة تدّعي أنَّ أبي اقترب منها فماذا تقول بزواجي منها؟

قال أبو يوسف: - لمّا رأى مَيلَ الخليفة إلى الأقتراب منها - «إنها تكذب يا أمير المؤمنين فلا يهولنّك ما تقول، فاقترب منها، وذنبه عليه» ضارباً عرض الحائط القاعدة المشهورة: «هُنَّ مصدقاتٌ على فروجِهّن» واقترب منها هارون وأعطى لأبي يوسف مئة ألف درهم - أي خمسين ألف مثقال من الفضة - جزاءاً لفتياه هذه.

هكذا يكون حال المقترب من السلطات الديكتاتورية والرؤساء المستبدين، وفي قبال هذه القصة قصة أخرى لعالم شريف وهو آية الله الحاج ملاّهادي السبزواري صاحب شرح المنظومة: إن هذا الرجل كان عابداً زاهداً وسمع السلطان القاجاري ناصر الدين شاه باسم هذا الرجل وعلمه وزهده، وسأل مِنْ أصدقائه هلموا نطلب من هذا العالم أن يأتي من سبزوار إلى طهران لأراه.

قالوا له إنه لا يأتي إليك ولو طلبته، لأنه مرتبط بالله وليس مرتبطاً بالسلاطين. بعد ذلك سأل ناصر الدين شاه «وهل هو يذهب إلى الحج حتى نراه في طريقه؟».

قالوا: «إنّه ذاهب إلى الحج الواجب ومشغول بالعلم ويرى العلم فريضة والحج بعد ذلك سنة».

قال لأصحابه: وهل يذهب إلى العتبات المقدسة؟

قالوا: ذهب إلى العتبات ويرى الذهاب إلى العتبات سنة، والعلم فريضة، لأنّه يدير حوزة علمية هناك والحوزة العلمية تقوم به، فإذا ذهب إلى السفر اختلت أمورها، ويرى ذلك غير مشروع.

قال: فنحن نذهب إلى خراسان، وبهذا المبرر نَمُرُّ على سبزوار ونراه. وعندما وصل السلطان إلى سبزوار زاره كثير من الناس من مختلف مناطق سبزوار وأريافها وما أشبه، وكلما سأل: هل جاء الحاج مُلاّهادي قالوا: «لا».

فاضطر إلى أنْ يرسل إلى المُلا إنساناً بأنْ يقول له إنَّ الملك يريد زيارته. ذهب الرسول ورجع وقال للمَلِك: إن الملا يقول إني لا أرتبط بالملك ولا أَحب أنْ يزورني فأنا مشغول بعملي.

فنظر ناصر الدين شاه إلى رئيس وزرائه وقال: يجب علينا أنْ نذهب إليه سراً بدون اطلاعه، كغريب زائر.

قال الرئيس: «نعم الرأي ما رأيت».

فذهبا كفردين عاديين وطَرَقا عليه الباب فجاء الخادم فقالا له: إنَّا نريد الشيخ.

فذهب ورجع وقال ادخلا، فدخلا، وإذا العالم جالس على حصير من قصب وهو مشغول بتأليفه، فجلسا عنده وسلّما عليه، فرد عليهما السلام وقال: «مَنْ أنتما وما تريدان؟».

قال: أنا ناصر الدين شاه وهذا رئيس وزرائي.

قال الشيخ: «ماذا تريدان؟».

قالا: «كنّا نريد زيارتك فهل لك حاجة»؟

قال: كلا، لا حاجة لي إلى محتاج، إني حاجة من رأسي إلى قدمي، لكّن حاجتي إلى قاضي الحاجات، وليس من يسمونه بالملك».

قال ناصر الدين شاه: «ألا نأمر برفع الضريبة عنك».

قال الحاج مُلاهادي: «لا، لأنّه لا يفيد،أما إذا رفعتَ الضريبة عن كل البلد

فذلك شيء مفيد، أما أنْ ترفع عنيّ الضريبة وتجعل الضريبة على غيري، فهذا شيء غير صحيح وإني لا أريد ذلك، حتى تكون كالرشوة لي».

وبعد ذلك قال ناصر الدين شاه: «وهل تسمح لنا بأن نبقى في بيتك لنأكل من طعامك ظهراً؟»

قال: «لا بأس» ثم صاح العالم، «عَلَيَّ بغذائي» وكان الوقت قريب الظهر، فجاء الخادم بطبق من خوص وعليه قرصان من خبز الشعير وإناء ملح وإناءِ ماء وملعقة من خشب قال لهما «تفضلا».

فلم يتمكن ناصر الدين شاه ورئيس حكومته أن يأكلا من ذلك الأكل إلا القليل، ثم أخذ ناصر الدين شاه قسماً من الخبز والملح في منديل له وقام وانصرف من مجلس الشيخ.

وكان ناصر الدين شاه إلى وقت موته يقول: «إنه عالم ربّاني مرتبط بالله وغير مرتبط بالدنيا».

وهكذا نرى صدق حديث رسول الله (ﷺ) حيث قال: «إذا رأيتم العلماءِ على أبواب الملوك فقولوا: بئس العلماء وبئس الملوك وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء - أي أنهمّ يعودون العلماء لأخذ الأحكام والمسائل لا للاستفادة من شخصياتهم وسمعتهم ومركزهم - فقولوا: نعم الملوك ونعم العلماء».

الواجب على الحركة الإسلامية التي تريد مرضاة الله والانتهاء إلى حكم ألف مليون مسلم، أنْ تبتعد عن بيوت الملوك والأمراء ومن أشبههم حتى تبقى الحركة على نظافتها من ناحية، وحتى لا تتهم عند الناس بما يوجب انفضاضهم من حول الحركة من ناحية ثانية، وحيث أن المجاهد الذي يكون مع الله فالله ينصره **﴿ إنْ ينصرْكم الله فلا غالب لكم﴾**[1].

(١٤)

قضاء حوائج الناس

الكثير من القائمين بالحركة الإسلامية يتوهمون أنّه ليس مِن المهمّ إعطاء حوائج الناس، وإنما المهمّ هو الإشتغال بالحركة فقط، وهذا زعم خاطىء فإن

(١) سورة آل عمران: الآية/ ١٦٠.

الحركة لا تتقدم إلاّ بالجماهير، والجماهير لا يلتفون حول حركةٍ ما إلاّ إذا قَدَّمتْ لهم الخدمات الإجتماعية، وقضَتَ حوائجهم، ومهما كانت الحاجة صغيرة فإنها في نظر المحتاج كبيرة وفي المثل: (صاحب الحاجة أعمى لا يرى ألا قضاءهما).

فمن الضروري أنْ يهتمّ القائمون بالحركة بقضاء حوائج الناس حسب الميسور، فإن ذلك يوجب التفاف الناس حولهم والإستماع إليهم ودعم خططّهم، والسير معهم إلى الهدف المنشود أي (الحكومة الإسلامية العالمية) بإذن الله تعالى.

ومن هنا نجد أنَّ رسول الإسلام والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) كانوا يسعون في قضاء حوائج الناس حسب القدرة والمكنة، حتىٰ أن الرسول ﷺ كان إذا لم يتمكن من قضاء الحاجة في وقت الطلب والسؤال كان يجعل قضاءها ديناً على نفسه.

هذا جابر بن عبد الله الأنصاري يحدثنا فيقول:

كنّا في غزوة مع رسول الله ﷺ وفي رجوعنا جن الليل، وتأخرتُ عن الركب وأناختْ ناقتي وعَصَتْ، فلم أتمكن من إنهاضها، وبقيت متحيراً وحدي في ظلمة الليل بالصحراء، وأنا أخاف العدوَّ، وإذا بي أسمع صوتاً من خلفي «هذا جابر»؟

فعرفتُ أنّه صوت رسول الله ﷺ وكنت أعلم أنَّ الرسول من عادته التأخر عن الركب في غزواته، حتى إذا تخلف عن السير عاجز أو من لا يتمكن من السير أو ضعيف أو مريض أو مجروح أسعفه.

فقلت: «نعم يا رسول الله أنا جابر».

فتقدَّمَ إليَّ الرسول وأنا في ذلك الوقت شابٌ فقال لي رسول الله: «ما لَكَ يا جابر هنا ولماذ لم تمش مع الركب؟»

قلت: «يا رسول الله إنَّ ناقتي عَصَتْ وأناخت ولم أتمكنْ من إنهاضها».

فتقدم الرسول ﷺ - وهو الماهر في كل شيء - فاقام الناقة. ثم شَبَكَ يديه وبَسَطَ كفيه وقال لي: «يا جابر ضَعْ رِجلاً على كفي ورجلاً على متني واركب الناقة».

قلت: «يا رسول الله لا أفعل ذلك».

قال: «إفعل ما قلت. لأن الناقة لا يمكن ركوبها إلاّ بالصعود على مرتفع...».

ثم قال الرسول ﷺ: «يا جابر أَلَكَ زوجة؟».

قلت: «لا يا رسول الله».

قال: ولِمَ؟

قلت: لأنَّ أبي قد مات وعَلَيَّ ديون منه ولا أستطيع الزواج.

قال رسول الله ﷺ: «يا جابر أنا الآن لا أملك قضاء دين أبيك، ولكن ائتني في فصل التمر لأعطيك ما تتمكن به من قضاء دين أبيك، ثم شوقني رسول الله ﷺ للزواج.

فلما كان فصل التمر ذهبتُ إليه ﷺ فأعطى دَيْنَ أبي من التمر الذي جاءه من الزكاة.[1]

وهكذا كان الرسول ﷺ مهما تمكن يعطي حاجات الناس ويتفقد أمورهم الصغيرة والكبيرة.

وَيَروي بعض المؤرخين عن بعض الصحابة: أن الناس كان يأتون إلى رسول الله بأطفالهم الصغار حتى يؤذن الرسول في أُذنهم اليمنى ويقيم في أذنهم اليسرىٰ (لأنها سنة مستحبة وقد ثبت أهميتها في العلم الحديث حيث أن مخ الطفل كالشريط يأخذ ما يُلقى إليه مِنْ سمعه وبصره وسائر جوارحه وحواسه، وستؤثر تلك المعلومات فيه تلقائياً في أيام كبره.. تؤثر في قوله وفي فعله وفي تفكيره، وهناك حديث عن رسول الله ﷺ يقول: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد». وكذلك الإنسان إذا مات، مات جسمه، أما روحه فلا تموت، ولذا يستحب تلقين الميت في اللحد وفي القبر كما هو مذكور في الكتب الفقهية، وقد ثَبَتَ علمياً أنَّ روح الإنسان تعي حتى بعد الموت. فهذا الحديث ثابت لا شرعاً فحسب، وإنما علمياً أيضاً بالنسبة إلى الطفل وبالنسبة إلى المَيِّت).

وعلى أي حال: فكان الناس يأتون بأطفالهم الصغار إلى الرسول ﷺ والرسول ﷺ كان يؤذِّن ويُقيم في آذانهم بكل رحابة صدر، وربّما بالَ الصبي في

---

(١) البحار: ج ١٦ ص ٢٣٣ ح ٣٤.

حِجْرِ رسول الله ونَجَّسَ ملابسَه، فكانت أُمّه تزرمه (أي تقطع عليه بوله) فكان الرسول ﷺ يقول بكلِّ لطف: لا تزرمي الطفل فإني أغسل ثوبي وتذهب آثار البول أمّا أذى الطفل فستبقى آثاره. في جسمه وربما في روحه ويتعقّد الطفل بسبب ذلك.

بهذه الأخلاق الرفيعة علمنا رسول الله ﷺ طريق رضى الله أولاً، طريق استقطاب الجماهير حول الحركة الإسلامية ثانياً.

وهكذا كان عَليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام. الذي تخرج من مدرسة رسول الله ﷺ، حتى أنه كان قد جعل في وسط الكوفة بيتاً وسمّاه (بيت القفص)، حتى إذا كان لإنسان حاجة واستحىٰ مِنْ علي أن يواجهه والكل يعلم أنّ علياً عليه الصلاة والسلام كان قريباً من كل الناس وبينهم، ولم يكن ديكتاتوراً مستبداً يتجنب الناس ويتجنبونه، وكما يقول أحد تلاميذ الإمام «كان فينا كأحدنا»[1] يدور في أسواق المسلمين ويقضي في المسجد بينهم، ويُعطي حاجاتهم ويخطب لهم ويصلّي بهم، ومع ذلك قد صنع بيتاً يُسمى ببيت القفص، حتى إذا عجز إنسان عن الوصول إلى الإمام أو استحىٰ من مواجهته ـ كان يكتب حاجته في ورقة ويقذف بتلك الورقة في بيت القفص، ثم كان الإمام يأتي إلى ذلك البيت ويفتح بابه المقفل ويأخذ الأوراق ويطلّع على الحاجات ثم يقضيها.

وينقل التاريخ أن الإمام الرضا عليه السلام في خراسان ذهب إلى الحمام ذات مرة ـ وهو إمام معصوم من قبل الله وولي العهد في الظاهر للخليفة، وتحت نفوذه مشارق بلاد الإسلام ومغاربها، ورغم ذلك كان الإمام يذهب إلى الحمام بدون خدم أو حشم لأَن الأمام والرسول والقائد والمصلح الحقيقي يجب أن يكون بين الناس ـ.

وبينما كان الإمام في الحمام إذ جاءه رجل لا يعرف الإمام، وقال يا هذا «دَلّكْ ظهري» (أي إمسحه بالكيسِ لتنظيفه).

فأخذ الإمام الكيس وصار يدلك جسمه، وإذا بإنسان يدخل الحمام ويرى الإمام وهو يدلّك جسم إنسان ريفي بالكيس، قال للريفي: «يا هذا ما تفعل؟»

---

(١) سفينة البحار: ج ٢ ص ١٧٠.

قال: «لم أفعل شيئاً وإنما التمستُ من هذا الرجل أن يدلّك جسمي».

قال: «ويلَكَ هذا هو إمامك ووليُّ العهد».

وعندما عَرَفَ الرجل الريفيُّ ذلك امتنع، فقال الإمام له: بحقّي عليك إلاّ ما بقيت على حالِك حتى أتمّ تنظيفك».

ونظّفه الإمام حسب طلب الرجل منه حين لم يكن يعرفه.

وهكذا كان المعصومون عليهم الصلاة والسلام يقضون حوائج الناس المادية إلى جانب تعليمهم وتربيتهم على الأخلاق والفضيلة.

فكلّ حركة إذا أرادت أن تَحظى بقبول الناس والتفافهم حولها يجب عليها أن تقضي حوائج الناس حسب استطاعتها، فإن هذا أصل مهم يجبُ مراعاته حتى تتمكن الحركة من التأثير في الجماهير وتتقدم، وما ذلك على الله بعزيز..

(١٥)

الإتقان في العمل

على القائمين بالحركة الإسلامية العالمية الإتقان في كل شؤونهم: العلمية والعملية، الأخلاقية والتربوية، التنظيمية والتوعوية وغيرها. فإن الاتقان أولاً يسبّبُ صحة العمل والعمل والفكر والحركة، وثانياً يسبب ثقة الجماهير بالحركة فإن الناس يلتفّون حول المتقن لأموره وحول الأشياء المتقنة، فإن كل تقدم في الحياة إنمّا هو بفضل الأمور المتقنة.

والمتقن من العلماءِ والخطباءِ والمؤلفين، ومن الدروس والخطابات والكتب والتنظيمات والنشاطات.. وحتى الماديات كالدور والألبسة والمراكب وغيرها.. هي المفضلة عند الناس.

فالإتقان في أيّ أمر إذا راعته الحركة رَبِحَتْ، وإنْ لم تراعِه خَسِرَتْ، فإن الزَيْف إذا ظهر للناس في قول، أو عمل، أو حركة، أو كلام، أو تأليف، أو نبأ، أو تنظيم، أو غير ذلك، أنفضوا مِنْ حول هذا الشيء الهَشّ غير المتقن.

ولذا قال رسول الله ﷺ: «رحم الله امرءاً عمل عملاً فأتقنه»[1] قال ذلك في

---

(١) الوسائل: ج ٢ ص ٨٨٣ باب ٦٠ من أبواب الدفن ح ١.

حديث مشهور، حيث كان أحد أصحاب رسول الله يسمى سعداً، وهو شاب نشطاً ذكي، وكان يخدم الإسلام خدمة كبيرة، فمات هذا الشاب، وقد شيّع الرسولُ ﷺ هذا الشاب بلا حذاء ولا رداء في صورة مَنْ مات أحدُ أعزِّ أصدقائه أو أقربائه، وكان الرسول ﷺ يمشي أحياناً على رؤوس أصابعه، كما إذا كان الإنسان في زحام شديد، وكان ﷺ يأخذ الجنازة من جوانبها الأربعة ويدور حولها، فلما جيىء بجنازة سعد وَوضعَتْ على القبر، دخل رسول الله ﷺ القبر فتناول الجثمان ووضعه في لحده، وَصَفَّ اللبن والأحجار أمامه، وكان يقول لمن يعينه: «ناولني اللبن وناولني الطين ويبني اللحد بيده، ثم أهيل التراب على القبر وأمّ سعد حاضرة، فقالت هنيئاً لك يا سعد الجنة».

الرسول ﷺ قال لها: يا أمَّ سعد لا تُحتمي على الله الجنة.

وبعد تفرق المسلمين قال بعض الأصحاب للرسول ﷺ: يا رسول الله رأيناك فعلت هذا اليوم عجباً، مشيتَ في جنازة سعد بلا رداء؟

قال: لأني رأيت الملائكة هكذا، فاقتديت بهم.

قالوا: يا رسول الله رأيناك تمشي على رؤوس أصابعك؟

قال: وكذلك كانت تمشي الملائكة من الزحام - وقد أراد النبي أن يُريَ المسلمين هذه الحقيقة، وإلاّ فإنَّ الملائكة ليستْ أجساماً كالإنسان -.

قالوا: يا رسول الله رأيناك تأخذُ يمين السرير ويسارةَ الذي كان الجثمان عليه؟

قال: كانت يدي بيد جبرئيل وكلمّا دار جبرئيل دزتُ، فهو كان يحمل اليمين واليسار وأنا كنت أحمل اليمين واليسار.

قالوا: ثم يا رسول الله رأيناك تملأ الثقوب بين اللبن والأحجار؟

قال الرسول ﷺ: «نعم رحم الله امرءاً عمل عملاً فأتقنه»[1].

يعني: أن الرسول ﷺ كان يريد الاتقان حتى في تصفيف اللبن وشَدِّ بعضها إلى بعض وحتى إذا كان تحت التراب ويسرع إليه البِلى.

---

(١) الوسائل: ج ٢ ص ٨٨٣ باب ٦٠ من أبواب الذمن ح ٢.

انظروا إلى ضرورة الإتقان في كل شيء حتى في البناء داخل القبر الذي ليس له منظر ولا مستقبل ولا بائع ولا مشترٍ، لكنَّ المسلم يجب أن يتعلم الإتقان في كل صغيرة وكبيرة.

قال المسلمون: يا رسول الله بعد كل ذلك قلت لأم سعد يا أمَّ سعد لا تُحتمي على الله الجنة، كيف؟ ألا يذهب سعد إلى الجنة مع ما قلتَه حول سعد وعملتَه؟

قال رسول الله ﷺ: نعم إنَّ القبر ضَمَّ سعداً ضمّة.

قالوا: ولِمَ يا رسول الله؟

قال: «لأنه كان في خُلُقِهِ مع أهله سوء»[1].

ليس مِنْ الغريب أمرُ الإسلام، إن من الغريب أن يتوهم الإنسان خلاف ذلك، فالجزاء مرتبط بما علمه الإنسان **﴿وان سعيه سوف يرىٰ﴾**[2] **﴿وان ليس للإنسان الا ما سعىٰ﴾**[3] وإن كان مثقال حبة من الخردل، فكل شيء له موضع وكل شيء له تقدير، وكل شيء له ثمرة وجزاء **﴿وإنما تجزَوْن ما كنتم تعملون﴾**[4]. لا يقول إنسان إني عامل وإني نشيط وإني أجاهد في سبيل الإسلام، وإني أريد إقامة حكومة الإسلام، وإن لي أعمالاً كثيرة، ثم يترك بعض الواجبات ويظنَّ أنَّ ترك تلك الواجبات أو إتيان بعض المحرمات ليس بمُهمّ.

لا . . . . كل شيء مهمّ **﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾**[5] فالقبر ضَمَّ سعداً ضمةً لأنه كان في أخلاقه سوء مع أهله، وعلى أيِّ حال هذه دروس بليغة جداً للذين يريدون القيام بالحركة من كلِّ الجهات.

والجهة التي نريد طرحها هنا هي جهة (الإتقان في العمل) فبالاتقان يتقدم الإنسان وبعدمه يتأخر، وليس له أنْ يكون هشاً في تفكيره وفي عمله وفي تأليفه وفي قوله وفي حركته ونضاله وسائر شؤونه، فالحاكم والعالم والخطيب والثوري الذي يريد الحركة والتقدم وانتشال المسلمين، يلزم أن يكون متقناً لأعماله إتقاناً شديداً.

---

(١) علل الشرائع: ص ٣١٠ ح ٤.
(٢) سورة النجم: الآية/ ٤٠.
(٣) سورة النجم: الآية/ ٣٩.
(٤) سورة الطور: الآية/ ١٦.
(٥) سورة الرعد: الآية/ ٨.

هذا حديث لعلّه غريب في أنظارنا، لأننا لا نجد مثله في زماننا، وفي عالمنا المعاصر: الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يمشي في شوارع الكوفة وإذا به يرى فقيراً، شيخاً، طاعناً في السن يتكفف. وقف الإمام ووقف مَنْ كان معه، وتوجّه إليهم وقال لهم: ما هذا؟ (لم يَقُلْ مَنْ هذا [ما] تستعمل في اللغة العربية للشيء الغريب، أما [من] فتستعمل للعاقل، فكأنَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رأى شيئاً غريباً).

قالوا: يا أمير المؤمنين إنَّه نصراني قد كبر وعجز فأخذ يتكفف الناس.

قال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: ما انصفتموه استعملتموه حتى إذا كبر وعجز تركتموه.

ثم أمر صاحب بيت المال أنْ يجري له راتباً.

والكوفة في زمان الإمام حسب ذكر بعض المؤرخين، كان فيها أربعة ملايين نسمة، ففي هذا البلد الواسع، الإمام استغرب حتى من فقر واحد غير مسلم يتكفف، ثم يقول: ما أنصفتموه.

يعني أنه لمّا كان شاباً كان يعمل ويكدح، ويكتسب المال ويعيش، حتى إذا عجز تركوه، فإمر له براتب يكفيه.

انظروا إلى الإتقان، إذ في حكومة أمير المؤمنين العظيمة لا يوجد حتى فقير واحد!!

وفي كلام آخر للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «لعلَّ هناك باليمامة أو الحجاز مَنْ لا عهد له بالشبع»(1).

الدولة الإسلامية الواسعة، وهي أكبر دولة في ذلك اليوم ويرأسها الإمام عليه السلام لم يكن حتى في أفقر مناطقها محتاج واحد، هذا معنى الإتقان.

تعالوا إلى عالمنا اليوم، فقد ذكرنا في حديث سابق أن كتاب (التحدي العالمي) وهو كتاب غربي ترجم إلى العربية يَذكر: أن في أمريكا وحدها أكثر من (٣٠) مليون فقير، هل هذا إتقان؟ أم أن النظام الاسلامي هو المتقن؟

ولقد ذكرت صحف العالم في مناسبات مختلفة أن في العالم أكثر من ألف مليون فقير. يعني ما يقرب ربع البشرية جمعاء.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

والإتقان ليس معناه الإتقان في الكتابة، أو الإتقان في الزراعة، أو الإتقان في الصناعة فقط بل، معناه الإتقان في كل شيء، ومنه الإتقان في الحكومة والإدارة والسياسة، وفي الحاكم الأعلى، وشخصيات الثورة والدولة.

إذنْ لو أرادت الحركة الإسلامية العالمية النجاح بتأسيس دولة إسلامية ذات ألف مليون مسلم، يجب عليها أنْ تراعي أُصولاً عديدة منها الإتقان.. وفقّنا الله لما فيه رضاه.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١٦)

الوفاء

لا بدّ للمجاهدين في سبيل إقامة حكومة ألف مليون مسلم العالمية أنْ يتميزوا عن غيرهم بالتزامهم بالخلق الإسلامي الكريم لكي يجذبوا الناس إليهم.. ومن الأخلاق الإسلامية الكريمة (الوفاء).

الإنسان الوفي يثقُ به الناس ويحُسنون الظَنَّ به، وكل مَنْ يُصادقه يلمس منه الصدق لأَنه يظلُّ صديقاً له باستمرار، ولا يقطع خيط الصداقة. بينما غير الوفي لا يثق به حتى أصدقاؤه ولا ينسجمون معه كل الإنسجام، ويكونون منه على حَذَر لأنه ربما يتركهم. ولو تعامل الناس مع المجاهدين بحذر ولم يضعوا فيهم ثقتهم فسوف يعود ضرر كبير إلى الحركة الإسلامية كنتيجة لذلك. فلا تستطيع الحركة من تَجميع الجماهير والسير بها قدماً إلى الإمام. فاللاّزم أنْ يكون أعضاء الحركة متحلّين بصفة (الوفاء) ليس مع أصدقائهم فحسب، بل حتى مع الأعداء أيضاً في المعاهدات وأمثالها.

ومن أسباب نجاح رسول الله ﷺ الظاهرية هو التزامه بالوفاء. وكان ﷺ وفياً إلى أبعد الحدود، ولذا نشاهد أنَّ بعض أصحابه الذين صادقهم لم ينقلب عليهم وإنَ انقلبوا عليه بل كان يعتني بهم ويُظهر الوفاء لهم..

ذات مرة تجسس أحد أصحاب الرسول ﷺ واسمه (حاطب ابن أبي بلتعة) على المسلمين في قضية فتح مكة، ولو كان تَجَسُّسُ حاطب يحقق مرماه ويوصل الأخبار إلى أعداء الرسول في مكة لكانت تُراق دماء كثيرة، ولا يُعلم بعدها من يكون الرابح في المعركة، الرسول أم المشركون؟

وكان ﷺ قد قرر فتح مكة بصورة سرية وسلمية حتى لا تراق الدماء، وإنما إخذهم على حين غرّة وتسقط مكة في أيديهم ويستسلم أهلها للاسلام ولحكومة الله سبحانه وتعالى، وذلك على أثر نقض الكفار المكيين العهدَ الذي كان الرسول قد أبرَمَه معهم مما أعطى الرسول المبرر العرفيّ فضلاً عن المبرّر الشرعي في فتح مكة في قصة طويلة مشهورة.

فلما قَرّر الرسول ﷺ فتح مكة والتحرّك نحوها سراً كتب (حاطب بن أبي بلعته) إلى الكفار يخبرهم بعزم الرسول.

وقد علم الرسول ﷺ بالكتاب وأرسل علياً عليه السلام والزبير ليأخذوا الكتاب من المرأة التي كانت مرسلة من قبل حاطب إلى أهل مكة فأخذ علي عليه السلام الكتاب منها، ورجع به إلى رسول الله ﷺ.

وعند ذلك أراد بعض الصحابة أنْ يقتل حاطباً على هذه الخيانة الكبيرة - والحقُّ الشرعي والعرفيّ كلاهما يعطيان للرسول حقُّ الإنتقام مِنْ حاطبٍ بقتله، فإن الجاسوس حكمه الجزائيُّ القتل - لكنَّ وفاء الرسول ﷺ حَالَ دون ذلك وعَفا عن حاطب، في قصة تحير التاريخ إلى هذا اليوم من عظمة الوفاء فيها، فكان ﷺ وفياً لا مع أصدقائه فحسب، بل حتى مع الذين يرتكبون خيانة كبرى مثل حاطب.

وفي قصة أخرى، تآمرتْ مجموعة على حياة الرسول ﷺ لكن انكشفت المؤامرة فعفا الرسول ﷺ عنهم.

هذا الشيء يمكن أن يُذكر في عقل الرسول ﷺ، ويمكن أن يُذكر في وفاء الرسول ﷺ، ويمكن أن يُذكرَ في تدبير الرسول ﷺ حيث كان أقدر الناس على جمع الكلمة والسير بالأمة إلى الأمام.

عفا عن حاطب وعفا عن المتآمرين الذي أرادوا قتله بالذات ذلك لأن الوفاء يُوجب التفافَ الناس حول الوفيّ فرداً عادياً كان أو عالماً، خطيباً، تاجراً، رجلاً، امرأة، حزباً، منظمة، هيئة، حركة، جمعية، وغيرها...

القائمون بالحركة الاسلامية، الذين يريدون الوصول إلى الهدف، يجب عليهم أنْ يجعلوا الوفاء من اصولهم الأخلاقية الرئيسية التي يراعونها في حال الحركة، وعند تَكوّن التيار العام، أي الحركة العامة، وبعد الحركة حين الوصول إلى الحكم في الأرض على ألف مليون مسلم، وبدون هذا الأصل لا يلتف الناس

حول الإنسان، وإذا صادق الإنسان جماعة لغرض العمل معهم ثم انفصلت الجماعة يجب على الإنسان استقطابها إلى أبعد حد وأقصى قدَر، وحتى إذا لم يتمكن من استقطابها يجب أن يبقوا متصادقين لا متحاربين، فإن الإنشقاقات في الحركات والتجمعات مصيرها النهائي هو الفشل **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾**(١).

وهكذا نرى في قصص الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وقصص العلماء أمثلة جميلة من الوفاء العجيب مع الصديق والعدو ومع الفئات الإجتماعية.

وقد جاء في أحوال اسماعيل صادق الوعد (وهو غير اسماعيل بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام) حيث يقول الله تعالى فيه: **﴿واذكر في الكتاب اسماعيل أنه كان صادق الوعد﴾**(٢): إن تسميته عليه السلام بصادق الوعد لأجل أنه ضرب مع رجل موعداً وكان خارج المدينة، فقال ذلك الرجل: «إنَّ لي موعداً في المدينة» فانا أذهب إليها وابقَ أنت هنا حتى أرجع إليك.

فذهب الرجل إلى المدينة ونسي موعده مع إسماعيل نسياناً مطلقاً، واشتغل بأعماله من الصباح إلى الليل، وهكذا في اليوم الثاني والثالث، والرابع، وفي الأسبوع الأول والثاني والثالث... وهكذا.. إلى ثلاث سنوات وإسماعيل عليه السلام وفاءاً بوعده لم يبتعد من مكانه، وإنما كان يشتغل بالتبليغ وأعمال أخرى في القرى التي كانت مجاورة لذلك المكان، فكان كلما ذهب إلى مكان عاد إلى موعده ويتفق مع من كان هناك حول صاحبه الذي ضرب معه موعداً ليقولوا له: (ذهب إلى القرية الكذائية ويرجع الليل أو العصر مثلاً) فإذا جاء فأخبره إني آت وقت كذا.

فبقي اسماعيل هناك ثلاث سنوات انتظاراً للرجل، وذات مرة وعن طريق الصدفة مر ذلك الرجل على ذلك المكان فرأى اسماعيل هناك وتذكر الوعد، وقال: يا اسماعيل كيف بقيتَ في هذا المكان؟

قال: إنـمّا بقيتُ وفاءاً بوعدي، يعني إنَّك وعدتني أنْ ترجع ولم تحددْ الوقت، فبقيتَ انتظر رجوعك، فكنت اشتغل بمهنتي وهي تبليغ رسالة الله سبحانه

(١) سورة الأنفال: الآية/ ٤٦.

(٢) سورة مريم: الآية/ ٥٤.

وتعالى في هذه الأطراف ـ فإن مهمة التبليغ لا تخصّ بلداً معيناً وإنما يجب التبليغ في كل مكان ـ.

ان بقاء إسماعيل في مكان الوعد وانتظاره لصديقه ثلاث سنوات إنما كان لسبب مهم، هو: أن أنبياء الله والأئمة عليهم السلام إنما هم أسوة للأمة، ولذلك خلّد الله موقف اسماعيل بآية كريمة في القرآن لكي يتعلّم الناس منه الوفاء ويقتدوا به، وقال: **﴿واذكر في الكتاب اسماعيل أنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾**[1].

فيجب على كل حركة إسلامية تجاهد في سبيل إنقاذ جماهير الأمة الإسلامية من الإستعمار والتخلف والجهل أنْ تراعي هذا الأصل الأخلاقي الهام (الوفاءِ) مراعاة دقيقة جداً.

أما إذا تنازع هذا وذاك لإختلاف بينهما في الفكر وفي السياسة أو في طريقة العمل وتناسَوا ما بينهما من علاقات متينة، فهذا هو الذي يسبب تقلص الحركة وانفضاض الناس مِنْ حولها، وعدم الثقة بها بالإضافة إلى انفصالهم عنها وعملهم ضدها.

ويذكر في أحوال آية الله العظمى الإمام السيد أبو الحسن الأصفهاني (رحمة الله عليه) انه كان من صفاته الحميدة الوفاءِ.

نعم، الوفاء بكل دقة، حتى إنه سافر مرة إلى الكاظمية أبان قيادته العامة ليزور الإمامين الكاظمين عليهما السلام، ثم سأل بعض أصدقائه قائلاً: كان هناك كاسب بسيط في باب الصحن قبل ثلاثين سنة كنتُ أشتري منه بعض الأشياء حين كنتُ طالباً في الحوزة، فهل هو موجود؟ فبادرتْ جماعة والتقَتْ بذلك البائع البسيط، وقد شاخ وكبَر وصار طاعناً في السن، فقيل له: إن السيد أبا الحسن الأصفهاني يريدك، فجاء الرجل مسرعاً، فقال السيد للرجل هل تذكرني؟

أجاب: لا يا سيدنا.

قال: قبل ثلاثين سنة حين كنت طالباً في الحوزة كنت أتردّد على محلك وأشتري منك بعض الحاجيات.

أجاب الرجل: لا أتذكر.

---

(١) سورة مريم: الآية/ ٥٤.

أجاب السيد: أما أنا فأتذكر.. وأيضاً أتذكر أنك كنت تقول لي: بأنك لا تملك داراً، وكنت في ضيق من الإيجار، وعائلتك كبيرة فهل الحال كذلك الآن؟.

قال الرجل: لا يا سيدنا إن عدة من بناتي قد تزوجن وقد تخففت مسؤوليتي أما داري فلا زالت مستأجرة.

قال له السيد: «إذهب واشتر داراً، وعلي مساعدتك».

وبالفعل ذهب الرجل واشترى داراً وساعدَهُ السيد من بيت المال، وهذه صارت قصة نموذجية تذكر في أحول السيد المرحوم، فكان من صفاته الوفاء حتى بعد ثلاثين سنة وحتى مع الكاسب البسيط الذي كان يشتري منه بعض الحاجات في وقت ما.

الحركة الاسلامية العالمية، اذا أرادت بحق وإخلاص جمع مختلف التيارات العاملة على الساحة الاسلامية لانقاذ الأمة من براثن الكفار والمستعمرين الشرقيين والغربيين ووليدتهم الصهيونية وعملائهم في المنطقة، يجب عليها أنْ تراعي الوفاء بكل دقة وأمانة، ولذا نرى نحن ذم بني عباس وبني أمية في التاريخ، لأنهم كانوا ينقضون العهد ولا يراعون للوعود قيمة. في قصص مشهورة بين معاوية والإمام الحسن عليه السلام، وبين يزيد وغيره، وبين خلفاء بني العباس وأبي مسلم الخراساني، والإمام الرضا عليه السلام والفضل بن سهل وغيرهم مما هو كثير.

هذه عبرة يجب علينا أن نعتبر بها وأن نكون في الحركة أوفياء مع كل من يستحق الوفاءِ، والله الموفق المستعان.

الأساس الرابع

(السلام)

١ ـ الحركة يجب أن تكون سلمية.

٢ ـ السلام أحمد عاقبة.

٣ ـ السلام.. دائماً.

٤ ـ السلام سنة الأنبياء والأئمة (عليهم السلام).

٥ ـ السلام ضمانة بقاء المبدأ.

٦ ـ السلام بين أعضاء الحركة.

٧ ـ معطيات السلام.

٨ ـ الإتزان ينتهي إلى السلام.

٩ ـ مقومات السلام في داخل الحركة.

١٠ ـ تلقين السلام.

(١)

الحركة يجب أن تكون سلمية

شعار الإسلام هو السلام، ولذا إذا التقى المسلم بآخر قال له: «السلام عليكم» ويجيب «عليكم السلام» وكما يبتدأ بالسلام على أخيه، كذلك حين يختم زيارته.. ويسمى بسلام الوداع، فإذا أراد الزائر أن ينصرف يقول: «السلام عليكم» أيضاً أو «عليكم السلام» فالإسلام دين السلام، ولذا يقول الله تعالى في القرآن الحكيم: ﴿**ادخلوا في السلم كافة**﴾(١).

وليست الحرب والمقاطعة وأساليب العنف إلا وسائل اضطرارية، شاذة على خلاف الأصول الأولية الإسلامية، حالها حال الإضطرار لأكل الميتة وما أشبه، وإنما الأصل السلام، ولذا تقدر الحرب بقدرها في الإسلام، ومع ذلك يقول تعالى: ﴿**فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم**﴾(٢). ثم في مكان آخر يقول: ﴿**وان تعفوا اقرب للتقوى**﴾(٣).

وكذلك كانت السيرة النبوية وسيرة فاطمة عليها السلام والأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، فكان السلام شعاراً لهم في كل شؤونهم وحتى في حروبهم، وهذا النجاح المنقطع النظير لنبي الإسلام والأئمة إنما هو لأسباب من جملتها السلام الذي كانوا يتحلون به في كل شؤونهم.

ولذا نجد العباسيين والأمويين والعثمانيين ذهبوا حيث لا يذكرهم أحد مطلقاً إلاّ بسوء، بينما قادة الإسلام الحقيقيون يُذكرون بكل خير ويعرفهم الناس بالسلام والعفو أو الصفح ويقول الشاعر عن لسانهم:

---

(١) سورة البقرة: الآية/ ٢٠٨.

(٢) سورة البقرة: الآية/ ١٩٤.

(٣) سورة البقرة: الآية/ ٢٣٧.

ملكنا فكان العفو منا سجية ولمّا ملكتم سال بالدم أبطح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

انطواء الإسلام على السلام هو الذي سبّب تقدمه أولاً، وسبّب تقدمه المرة الثانية بعد غزو الصليبيين لبلاد الإسلام من الغرب، والمغول من الشرق، وبالسلام نرجوا أن نقدم الإسلام في هذا القرن المليء بغزو الشرق والغرب لبلاد الإسلام.

الرسول ﷺ إنّما تقدم - كما سبق - بالسلام الذي اتخذه شعاراً، وعليكم مثلاً بمكة حينما كانت عاصمة الكفر وعاصمة الأصنام وعاصمة محاربة رسول الله، فإنهم واجهوا رسول الله بكل وسيلة وشرّدوا، وقتلوا بنته زينب، وصادروا أمواله، وقتلوا العدد من رجاله، ثم حاولوا اغتياله فهاجر سراً إلى المدينة، واستمرت مؤامراتهم ضد حركته المقدسة.

ومع ذلك بعد أكثر من عشرين سنة، لما أراد الرسول ﷺ فتح مكة مهد لذلك بمقدمات ثم تقدم وفتحها بسلم دون أن تُراق قطرة دم، وكان من جملة المقدمات أنَّ رسول الله ﷺ لما استولى على خيبر غَنَمَ مقداراً كبيراً من الأواني الذهبية، قُدِّرت بعشرين ألف آنية ذهبية من مختلف الأحجام، فبعث الرسول جملة من هذه الأواني لتقُسَّمَ على فقراء مكة ورجالاتها وهم كفار ومشركون ومحاربون لرسول الله ﷺ.

ولما جيء بتلك الأواني الذهبية إلى أهل مكة تحيروا وتعجبوا وأسقط في أيديهم عجَباً، وقالوا: إنا نقاتل هذا الرجل، وبالأمس صادرنا أمواله، وقتلنا أصحابه، وأقرباءه، ومع ذلك يعاملنا بهذا اللطف.

كان هذا تمهيداً من رسول الله ﷺ لنشر الإسلام في مكة وتحطيم الأصنام والإصلاح بين الناس، ولما فتح الرسول مكة، جاء أبو سفيان وهو أول عدو لرسول الله، فَعَفا عنه الرسول، نعم عَفا عنه، وليس هذا فحسب بل وجعل داره مأمناً، وقال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»(١).

ثم بعث إلى زوجة أبي سفيان (هند) تلك المرأة المشهورة بأعمالها اللاخلاقية، المحاربة لرسول الله ﷺ ليلاً نهاراً، التي شقَّتْ بطن سيد الشهداء

---

(١) البحار: ح ٢١ ص ١٠٤.

حمزة وقطَعَتْ أُذنيه وجَدَعَتْ أنفه ومثلت به أشنع تمثيل، وأخرجت كبده ولاكته في فمها..

هذه المرأة التي كانت (مجرمة حرب)، بعث إليها رسول الله ﷺ مَنْ يحمل إليها وثيقة عفوه عنها، وسجل الرسول ﷺ بهذا الموقف أروع مثل عظيم في الخلق الكريم، والصفح الجميل حتى مع ألد أعدائه.

وَقَبِلَ رسول الله إسلام هند، والعجيب أنه اشترط عليها عدم البغاء، مما يدل على أنها كانت بغية مشهورة قبل الإسلام، وهذه الآية المباركة التي تلاها الرسول ﷺ على هند تعطي إِشارة لهذا الموضوع، يقول الله تعالى: ﴿**إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين...**﴾[1].

وكذلك عفا الرسول ﷺ عن أهل مكة، وقال لهم كلمته التاريخية: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، والرسول لم يسترجع دوره ودور أصحابه التي صادرها المشركون، وكذلك لما أخذ ﷺ مفتاح الكعبة من سدنتها نزلت الآية الكريمة ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾[2] كما في بعض التفاسير، فبعد أن حطم الرسول الأصنام أرجع المفتاح إلى صاحبه[3].

كما مهد الرسول ﷺ الجو لجلب خالد إلى فلك المسلمين، حيث قال لأخيه (وليد بن الوليد): «إني أتعجب من أخيك خالد، إنّه رجل ذكي، كيف لم يدخل في الإسلام؟ وكيف لم يتشهد الشهادتين؟» ولما جاء وليد إلى أخيه خالد ونقل له كلمة رسول الله ﷺ حوله تعجّب خالد، حيث أنه كان قد حارب الرسول حرباً شعواء، والرسول مع ذلك يستميله بهذا اللطف، فصار ذلك سبباً لإسلام خالد، وانخراطه في جيش المسلمين كما هو معروف في التاريخ.

بهذا الأسلوب السليم استولى رسول الله ﷺ على قلوب أهل مكة قبل أن يستولي على أجسامهم، ولما استولى على أجسامهم انقادوا له وأطاعوه وقالوا فيه: «أخ كريم وابن أخ كريم».

وذكر المؤرخون إن مكة هذه عاصمة الكفر والشرك والنفاق وسفك الدماء

---

(١) سورة الممتحنة: الآية/ ١٢.

(٢) سورة النساء: الآية/ ٥٨.

(٣) مجمع البيان: ح ٢ ص ١٣٦ من تفسير سورة النساء.

والأنانيات والكبرياء، لما استسلمت لرسول الله ﷺ لم يظهر أكثرهم الإسلام وبقوا على الشرك، والرسول لم يجبرهم على الإسلام أبداً، وإنما تركهم وشأنهم حتى يعيشوا بأنفسهم حكم الإسلام فيسلموا في المستقبل.

وقد جعل الرسول «عتاباً» حاكماً على مكة وهو شاب من المسلمين عميق الإيمان وكان يناهز عمره العشرين سنة، وقرر له ما يقارب المثقالين من الفضة معاشاً يومياً له.

وقد ذكر المؤرخون أن مكة لم تحارب بعد ذلك، وإنّما رَضَخَتْ لحكم عتاب بدون جيش، بدون شرطة، بدون سلاح، بدون قوة، لأن الرسول أخذ ألبابَهم واستولى على قلوبهم، والقلب إذا صار موالياً لإنسان فإنه لا يتمكن أن يثور عليه اويناهضه.

وبهذه الكيفية، فقد شعر أهل مكة بصحة الدين الإسلامي، لاسيما وأنهم سيبقون على سيادتهم ورئاستهم وعزتهم وتظَلُّ بيدهم أموالهم وتُحفظ حرماتهم.

سعد بن عبادة أخذ اللواء في لحظات الفتح الأولى، وأخذ يجول في مكة ويهتف «اليوم يوم الملحمة (يعني القتل) اليوم تسبى الحرمة ـ يعني سنسبي نساءكم سبياً». وإذ سمع الرسول ﷺ بذلك قال لعلي ابن أبي طالب عليه السلام: يا علي خذ اللواء من سعد، واهتف بعكسه.

فأخذ اللواء علي من يد سعد وأخذ يهتف في شوارع مكة وأزقتها «اليوم يوم المرحمة، اليوم تحفظ الحرمة»(١).

يعني: أننا جئناكم للرحمة، لنوحّد صفوفكم، ولنجعل الأخوة بينكم واليوم جئنا لتبقى حريمكم في عزّها وصيانتها.

هذه الأعمال من رسول الله ﷺ كانت سبباً أساسياً لخضوع مكة المكرمة للرسول خضوعاً منقطع النظير.

إذنْ، الحرب والتهمة والسبُّ والهمز واللمز والعداء والبغضاء والأنانية والكبرياء والغرور وما أشبه، تسبب سقوط الدول وسقوط الأفراد، وبالعكس فالإنسان عبد الإحسان، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «عجبت ممن يشتري

---

(١) البحار: ج ٢١ ص ٣٠پ.

العبيد بماله، كيف لا يشتري الأحرار بأخلاقه»[1].

وعلى كل حال، فالضروري على الحركة الإسلامية التي تجاهد لإقامة دولة إسلامية عالمية، بإذن الله تعالى، أن تتخذ من السلم شعاراً وبرنامجاً وأُسلوباً لجذب أوسع الجماهير. . وبذلك سيتحقق النصر، إنشاء الله تعالى.

(٢)

السلام أحمد عاقبة

يجب أن يتصف القائمون بالحركة بالسلام تفكيراً وقولاً وعَمَلاً مع الأعداء والأصدقاء. فإن السلام أحمدُ عاقبة وأسرع للوصول إلى الهدف، السلم والسلام والمسالمة أصول توجب تقدم المسالم، بينما غير المُسالِم والعنيف دائماً يظل متأخراً.

النبي الأعظم ﷺ قال لعلي عليه السلام: «يا علي مكارم خصال الدنيا والآخرة: ، لِينُ الكلام، والسخاء، وأنْ تعفو عمّنْ ظلمك»[2].

لا يراد العفو عن الظالم المعتدي الذي لا يرعوي، وإنما المراد العفو عند القدرة.

وقد نظم الشاعر هذا الكلام الذي ورد عن رسول الإسلام فقال:

مكارم الأخلاق في ثلاثة منحصرة
لين الكلام والسخا والعفو عند المقدرة

يعني: أن الإنسان إذا قدر يغفر ويعفو، ويكون لَيِّن الكلام، أي لا يكون عنيفاً، وإلاّ فسيكون بعيداً عن الناس.

ولذا ورد في حديث آخر بمدح المؤمن فيقول في المؤمنين: «الموطؤون اكنافاً» أي أنهم ليسوا من الصعوبة حتى يخاف الناس من أن يحوموا حولهم ويكونوا في أطرافهم، فإنّ الإنسان العنيف الصعب يتحاشى عنه الناس.

والحركة التي تريد جمع الناس وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، مثل هذه

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٢٦٢ ح ٣٠.
(٢) مكارم الأخلاق: ص ٤٣٥.

الحركة جدير بها أن تلتزم باللين، فالناس إنما يلتفون حول مَنْ كان هيّناً، ليناً، هشاً، بشاً، كما ورد في حديث في صفات المؤمن: «المؤمن هين لين، هش، بش، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه»[1] وهكذا يكون الإنسان الذي يريد استقطاب الناس.

أما إذا كان شعار الحركة العنف فإن الحركة تفقد الشرعية عند الناس، وكل إنسان يفكر: أنه كما أن هذه الحركة عنيفة ضد أعدائها لا بدّ وأن تكون عنيفة ضده أيضاً يوماً ما.

والشاعر يقول:

فاصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

هذه حقيقة: العنيف عنيف مع الأصدقاء ومع الغرباء ومع البعداء والأعداء، واللَيّن ليّن مع الأصدقاء ومع البُعَداء! ولذا ورد في أحاديث كثيرة التوصية باللين والرقة والشفقة والحب. وقد ورد عن عيسى عليه السلام في كلمة جميلة تنسب إليه «قيل لكم أحبوا أصدقاءكم ولكن ليس ذلك بمهم فإن العشّارين أيضاً يحبون أصدقاءهم، وإنما أقول لكم أحبوا أعداءكم».

فإن الظاهر من كلام عيسى عليه السلام أن السبب لا يرجع إلى نفع العدو بمثل ما يرجع بنفع الإنسان نفسه، فإن الإنسان الذي يحُب عدوّه يقوم بوصله ومواصلته وذلك ما يسبب رجوع العدو عن عداوته.

وقد جاء في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «تهادوا تحابوا»[2] يعني ليعطي بعضكم لبعض الهدية فإنها تسبّب محبة بعضكم لبعض.. إلى غيرها من الروايات والأحاديث الواردة عن الأنبياء المعصومين والأئمة الطاهرين عليهم الصلاة والسلام.

الحركة يجب أن تتصف بالسلام وأن تجعل شعارها السلام حتى يثق الناس بها، فإن أية حركة عملت عملاً عنيفاً أو عملين عنيفين ثم وجدت أعمالاً عنيفة في المجتمع نَسَبَ الناس هذه الأعمال إلى الحركة أيضاً، مثل ذلك مثل الإنسان

---

(١) أنظر الوسائل: ج ٢ ص ٥١١ باب ١٠٦ من أبواب أحكام العشرة.

(٢) الكافي: ج ٥ ص ١٤٤ ح ١٤.

يسرق سرقة واحدة فإذا حدثت سرقات أُخرى نسبها الناس إلى هذا السارق وفي المثل «الظنُّ يلحق الشيء بالأعمِّ الأغلب» وإذا ظنّ الناس بالحركة سوءاً أو عنفاً وما أشبه تفرق الناس من حولها ولم تتمكن الحركة من الوصول إلى هدفها.

فالحركة يجب أن تكون إلى جانب الشرائط السابقة من التوعية والتنظيم ومراعاة الأصول العامة وأن تكون أيضاً قائمة على هذا الأساس الرابع وهو السلام، السلم، المسالمة، اللين، العطف، واللطف. وإنَّ حديث رسول الله ﷺ وقصصه وتاريخه وحروبه وغزواته وسراياه كلّها تبين لين النبي وسلمه والنتائج الطيبة التي نالها من وراء ذلك.

مثلاً: إنا نرى أنّ رسول الله ﷺ بعد أن فتح مكة لطف بأهل مكة تلك الألطاف العالية، الرفيعة، الرقيقة وبذلك تمكن من أمرين:

الأمر الأول: أن يستقرض من صفوان ابن أمية وهو من كبار المشركين أربع مئة درع وكان صفوان في الجاهلية بمنزلة وزير الدفاع أو وزير الحرب للمشركين وكانت عنده دروع كثيرة يزود بها المقاتلين في الحروب التي تقع بين القبائل والعشائر وما إليها، فلما طلب رسول الله ﷺ من صفوان أن يُعيره تلك الدروع لم يتردد صفوان في إعطاء الدروع للنبي ﷺ. لأَنه عاش لطف النبي واستذوق السلام في ظلّه في قصة فتح مكة.

ثم تمكّن النبي ﷺ أن يجنّد منهم ـ وبرغبتهم واختيارهم ـ ألفي إنسان كانوا مع رسول الله في غزوة حنين والتي وقعت بعد فتح مكة مباشرة حيث أن ثلاثين ألف مقاتل ـ من هوازن وغير هوازن ـ اجتمعوا في وادي حنين، قرب مكة لكي يهاجموا الرسول ويقتلوه وأصحابه، وكان مع الرسول من المدينة المنورة عشرة آلاف من المجاهدين، واستكمل الرسول عدته بألفي إنسان من مكة المكرمة فبلغ عدد جيش الرسول أثني عشر ألف مقاتل ومحارب وفارس ودارع بهذا السبب تمكن الرسول ﷺ من محاربة أهل حنين تلك الحرب المريرة والتي ذكرها القرآن الحكيم.

وتمكن الرسول بأصحابه الذين جاء بهم من المدينة وبالذين التحقوا به من مكة من تبديد جيش العدو ونصر الإسلام، وبذلك انتهت المقاومة الكافرة في كل الجزيره العربية وكان ذلك بفضل أخلاق رسول الله وسلمه وعطفه ولطفه وعطاياه وصدقه وأمانته.

وبعد أن انتهت الحرب، حرب حنين رَّد الدروع على صفوان، وقد غنم المسلمون في تلك الحرب غنائم كثيرة، وقد ذكر في التاريخ أن صفوان كان ينظر إلى الإبل التي غنمها رسول الله ﷺ فرآه الرسول وقال له: هل ترغب في هذه الإبل؟.

قال: نعم يا رسول الله.

فقال الرسول: اعطوا صفوان عشرة من الإبل، فأعطَوْه.

ثم قال: وعشرة.. وكرر ذلك العطاء، حتى صارت مئة من الإبل أعطاها رسول الله لصفوان.

وفي الحقيقة لم يكن هذا العطاء الا عطاءاً لأهل مكة لأن صفوان كان ذا عشيرة وأقرباء وفي ذلك اليوم كان حصول الرئيس على شيء معناه أنَّ أتباعه وعشيرته حصلوا على ذلك الشيء.

وهكذا استقطب رسول الله ﷺ المشركين في مكة فأخذوا يُسلمون ويقبلون الشهادتين بدون عنف وبدون محاربة وبدون سفك دم، وإنما حباً في الإسلام لأنَّهم رأَوا في الإسلام الملجأ والملاذ، والرئاسة والصداقة والمال والأخوة والتقليل من المشاكل، وهكذا يجب على الحركة أنْ تتعلَّم من رسول الله ﷺ العمل والسلام.

نسأل الله سبحانه وتعالى أنْ يوقفنا لذلك، إنه سميع مجيب.

(٣)

السلام.. دائماً

نواصل الحديث عن المعاملة السليمة تجاه الصديق والعدو، وهي من الأسس الحيوية التي يلزم أن تقوم عليها النضالات للحركة الإسلامية العالمية والسلم في أول أمره مُرٌّ وصعب، ويحتاج إلى ضبط الأعصاب وإلى عفو وإغماض وإلى مقدرة نفسية توجب أنْ يعمل الإنسان بحزم وحسب التي هي أحسن.

كما قال سبحانه: **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**[١]**، وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقّاها إلاّ ذو حظ عظيم﴾**[٢].

---

(١) سورة فصّلت: الآية/ ٣٤.

(٢) سورة فصّلت: الآية/ ٣٥.

يجب أنْ ينظر الإنسان إلى الهدف، وأنْ يعلم أنَّ الإنتقام يسبب تأخر الوصول إلى الهدف، ولذا نرى أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والمصلحين كانوا يجنحون للسلام لا قَبْلَ قدرتهم بل حتى بعد قدرتهم.

وفي الحديث المشهور: إن رسول الله ﷺ غضب على (وحَشْيّ) قاتل حمزة غضباً شديداً، فقد كان هذا الرجل سبب قتل حمزة، وكان حمزة ركناً قوياً من أركان الإسلام، كما كان علي وجعفر عليهما السلام.

هؤلاء كانوا أركان رسول الله ﷺ والمساعدين له في حروبه وغزواته وغيرها، وكانوا مواضع فخر واعتزاز للمسلمين، ولذا قالت هند زوجة أبي سفيان للوحشي: «إنك إن قتلت محمداً، أو علياً، أو حمزة (صلوات الله عليهم أجمعين) أعطيتك كذا وكذا، وأعتقت رقبتك».

فأجاب وحشي: «أما محمد فلا أقدر عليه، لأن أصحابه يحتفون به، وأما علي فلا أتمكن منه، لأنه إذا دخل الميدان يلتفتُ إلى نفسه، ولا تغيبَ عنه الجهات: لا أمامه ولا يمينه، ولا يساره ولا خلفه نعم إني أتمكن من قتلِ حمزة، حيث أن حمزة إذا دخل الميدان ذُهِلَ عن نفسه، ودخل غمار الحرب فأنتهزُ منه فرصة وأحمل عليه بقذف الجراب»(١).

وهكذا قتل حمزة تلك القتلة البشعة، ثم مَثلتْ هند بحمزة تلك المثلة الفظيعة.

وقد غضب الرسول على وحشي غضباً بالغاً، فجاء أحد الصحابة إلى رسول الله بعد مدة وقال: يا رسول الله هل تعفو عن وحشي، إنّه يريد الإسلام؟.

فقال رسول الله: قد عفوتُ عنه.

وبالفعل عفا رسول الله ﷺ عن وحشي فأسلم.

وكان بعد ذلك يقول: إني يجب عليّ أن أنصر الإسلام، كما كنت أنصر الكفر على الإسلام.

وآشترك وحشي في عدة حروب .وكان له دور فيها، وفي قصة اليمامة اشترك وَحْشي، وهكذا خدم وحشي الإسلام بعد إِسلامه بمثل ما كان يخدم الكفر قبل إسلامه.

(١) البحار: ج ٢ ص ٥٥ ح ٣.

فنشاهد هنا أن العاقبة المحمودة كانت في عفو رسول الله وإغماضه وقبول إسلام وحشي.

ومن قبيل ذلك، عفو رسول الله عن (هَبّار) وهذا الرجل من أجلاف أهل مكة ومثيري الفتن والمشاكل للمسلمين، وقد سبّب قتل بنت رسول الله: زينب عليها الصلاة والسلام، وكانت امرأة عفيفة زاهدة تشبه رسول الله ﷺ في خُلقها وخَلقها، وتشبه أمها خديجة الكبرى عليها الصلاة والسلام، وكانت حاملاً، فسبب هبّار سقوطها من المحمل، فأسقطت جنينها بسبب ذلك، ثم لم تزل مريضة حتى ماتت لهذا السبب.

واغْتَمَّ رسول الله ﷺ لذلك وأهدَرَ دَمَ هبّار، ولما فتح الرسول مكة فرَّ هبّار من مكة المكرمة إلى بعض الجبال، لأنَّ النبي ﷺ كان قد قال من قبل: «اقتلوا هبّاراً ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة» - باعتبار كونه رجلاً فظاً غليظاً مثيراً للفتن كما سبق -.

ثم جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله إنَّك عفوتَ عن الجميع فاعفُ عن هبّار أيضاً فإنك عفو كريم.

فقال النبي ﷺ: «قد عفوتُ عنه»[1].

وسجلُ التاريخ يذكر كيف كان حلم رسول الله ﷺ وصبره وعقله وحزمه وهذه المكرمات يجب أن تُسجل كمعاجز نفسية، وكم يجب أن تكون عظمة الإنسان حتى يصل إلى هذا الحد، ويعفو عن قاتل عمه حمزة، أو يعفو عن قاتل بنته وحفيدته: زينب وجنينها؟؟.

ولذا نرى أن الإسلام أخذ بالإنتشار لأنَّ الناس بَهَرَتْهم أخلاقيات الإسلام.. وحبذا أن يؤمن الإنسان بهذا الإسلام الذي يتمكن أن ينضوي تحت لوائه بكل خير وسلام.

الحركة الإسلامية العالمية يجب أن تصبغ بصبغة العفو والسلم والسلام والمسالمة لا مع الأصدقاء والأقرباء فحسب، بل مع الغرباء والبعداء والأعداء أيضاً وهذا ما نشاهده في قصص المصلحين العظام.

---

(١) سفينة البحار: ج ١ ص ٤١٢ عفوه عن جماعة.

وقد سيطر أحد أمراء المسلمين على منطقة بعد أن وقعت فيها حرب أهلية وقبض على جماعة من الضباط الذين كانوا يعُدّون من مجرمي الحرب، وحكمت المحكمة عليهم بالقتل، ولما كان من الضروري توقيع الرئيس الأعلى للدولة قدمت الورقة إليه لكي يوقع بالإعدام على هؤلاء.

ولَمّا أخذ الرئيس الأعَلى - الصبور، الوفي، الحليم، العاقل - الورقة قذف بها إلى الأرض وقال: إنَّ وجود هؤلاء الشباب الضباط فوق الأرض أحياءاً خير من وجودهم تحت الأرض أمواتاً، قد عفوتُ عنهم فأطلقوا سراحهم.

فتعجب من قدموا الورقة إليه، لكنهم كانوا مضطرين لتطبيق أوامره وهكذا ذهبوا وأطلقوا سراح هؤلاء الضباط، وبالفعل صار أولئك الضباط من أخلص الذين خدموا الإسلام، وخدموا وطنهم في حرب أخرى بعد ذلك تكفيراً لسيئاتهم السابقة.

فقال الرئيس: أرأيتم كيف كان الحلم والصبر والعفو والسلام؟ إذا كنا امرنا بقتل هؤلاء فمن كان يقود هذا الجيش، ومَنْ كان يهزم أعداءنا حين اصطدموا بنا؟

فالواجب أن يكون شعار الحركة السلام: السلام قولاً، السلام فعلاً، السلام كتابةً، والسلام في كل موقع ومع كل الناس...

(٤)

السلام سنّة الأنبياء والأئمة

(عليهم السلام)

لما كان مبدأ (السلام) استراتيجياً وحساساً كان لا بد لنا من أن نتحدث حوله بشكل أكثر تفصيلاً، وفي هذه الحلقة من الحديث نواصل البحث عن السلام الذي هو من أهم أسس النضال لإقامة حكومة الألف مليون مسلم في الأرض.

فمن الضروري مراعاة السلم بالنسبة إلى القائمين بالحركة الاسلامية العالمية، لأن السلام يوجب اولاً التفاف الناس وثانياً يوجب كبح جماح الأعداء، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: «إني أكره لكم أن تكونوا سبابين».

وقبل ذلك قال القرآن الحكيم ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم**﴾[1].

فالسُباب والإعتداء يوجب تقزز الأصدقاء وقوة الأعداء، ولا داعي إلى ذلك، فإن السبّ للإعتباطي لا ينتهي إلى شيء، وإنما الذي يجب أن يراعيه الإنسان أمام عدوه أن يدفع بالتي هي أحسن، كما في القرآن الحكيم: ﴿**ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينهُ عداوة كأنه ولي حميم**[2]، **وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾[3].

فالقائمون بالحركة يجب أن يتحلّوا بالسلام في فكرهم وفي قولهم وفي كتابتهم وفي مواجهاتهم، وحتى إذا نظموا مظاهرات أو إضرابات أو ما أشبه يجب أن تكون الإضرابات والمظاهرات متصفة باللّين، فالمهم أنْ يصلوا إلى الهدف، وليس المهم إفراغ الحقد والبغضاء وما أشبه.

فإن الحقد لا يولد إلا الحقد، والبغضاء لا تولد إلاّ البغضاء، وفي المثل المشهور «لا يجتني الجاني من الشوك العنب»، فإن كل شيء يُثمر مثله. ألأخلاق الحسنة من الإنسان تثمر حسن الأخلاق في الجانب الآخر. أما الأخلاق السيئة فإنها تولد ردّ فعل سيىء وهكذا بالنسبة إلى السلام، وما يقابل السلام فكل واحد منهما يولد مثله.

وهذا الأمر يحتاج إلى ضبط الأعصاب وإلى سعة الصدر، وكما قال علي عليه السلام «آلة الرئاسة سعة الصدر»[4] يعني أن يسع صدرك لا في بعدٍ واحد فقط وإنما لكلّ الأبعاد أخلاقياً، اجتماعياً، فكراً، نضالاً وإلى آخره. فآلة الرئاسة سعة الصدر، وكلما كانت سعة الصدر شاملة لكل الأبعاد أكثر كانت أقدر على استقطاب الناس وعلى الوصول بهم إلى الهدف المنشود.

ولذا نشاهد في أنبياء الله تعالى والأئمة الطاهرين والمصلحين العظام هذه الظاهرة: ظاهرة حسن الخلق، العفو، السلام، سعة الصدر، الحلم، التواضع، الصبر، عدم رد الإعتداء بالمثل، وإنما ردّ الإعتداء بالتي هي أحسن.

---

(١) سورة الانعام: الآية/ ١٠٨.

(٢) سورة فصّلت: الآية/ ٣٤.

(٣) سورة فصّلت: الآية/ ٣٥.

(٤) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٧٦.

وهكذا نشاهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب البصرة، وهي أوّل حرب أُقيمت ضده لما انتهت الحرب عُزز جانب السلام: فأرسل إلى عائشة مَنْ قال لها أنْ ترجع إلى بيتهابالمدينة بسلام.

وبالفعل فقد البس الإمام أربعين من النساء لباس الرجال، وجعلهن مع عائشة لإرجاعها إلى المدينة، وأكرمها واحترمها، وإنما ألبسهنّ لباس الرجال حتى يظنّ الظان من القوافل وغيرهم أنّهم رجال، فلا يعتدواعليهنّ، ومن جانب آخر حيث أن عائشة زوجة رسول صلى الله عليه وآله فقد كره الإمام أنْ يرسلها مع الرجال، وإنما أرسلها مع النساء. وبالفعل ذهبت عائشة إلى المدينة المنورة من البصرة بصحبتهن.

فأية أخلاق سامية هذه؟

وكذلك نشاهد أنّه عفا عليه السلام عن الذين أثاروا الحرب، وفيهم الذين يصطلح عليهم في العصر الحديث بمجرمي الحرب، أمثال مروان وابن الزبير ومَن أشبه فعفا عنهم، وكذلك عفا عن الجيش المناوىء فقال عليه السلام: «مَنَنْتُ على أهل البصرة كما مَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكة»[(١)]. فأطلق سراحهم ولم ينتقم منهم ولم يقابل سيئهم بالسوء، بل قابله بالصفح والإحسان وأَمَرَ كلَّ مَنْ كان قد نهب من أموال الجيش المهزوم بردّ ما نهبه. فرد إليهم كل ما أخذ منهم حتى أن أحدهم كان قد أخذ قدراً من جيش الأعداء المنهزمين، وجعل فيه المرق، وجعله على النار، فلما أمر ألامام بردِّ الغنائم وعرف صاحب القدر ذلك أفرغ قِدره من المرق وأعطاه لصاحبه.

ومرة ذهب الإمام عليه السلام في جولة تفتيشية إلى بيت واسع كبير قيل للأمام أن النساء قد اجتمعن فيه يبكين على قتلاهن من الجيش المهزوم وهن يشتُمْنَ الإمام وأصحابه، فدخل عليهن الإمام والبيت كبير جداً وممتلىء بنساء الجيش المهزوم، فقال الإمام لاصحابه: لا تتعرضوا لهن وإنْ شتمنَ امراءكم وأعراضكم، وهكذا كَفَّ عنهن وقابل سبابهن بإحسانٍ، فصحنَ لمّا رأين الإمام: وقلن هذا قاتل الأَحبة - يُرِدْنَ الإمام عليه السلام - فأشار الإمام وقال: «لو كنتُ قاتل الأحبّة لقتلت مَنْ في هذه الغرف» وإذا بالنساء يسكتن فجأة وكأنّ على رؤوسهن الطير، ولم يتكلمن بكلمة! فتعجب الناس من ذلك: ماذا قال الإمام؟ ومالذي دعا هذه النسوة إلى الهدوء؟

---

(١) الوسائل: ج ١١ ص ٥٨ باب ٢٥ من أبواب جهاد العدو ح ٦.

وبعد ذلك انكشف الأمر لأصحاب علي عليه السلام، حيث عرفوا أن رؤوساء الجيش المنهزم كانوا قد اختفوا هناك في تلك الغرف، وأن النساء قد اجتمعن هناك للتعمية والتجهيل والتضليل، ولمّا أشار الإمام قال لو كنت قاتل الأحبة لقتلتُ مَنْ في الغرف وخفن وسكتْنَ.

على أي حال إن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرة الإمام أمير المؤمنين وسيرة الأئمة الطاهرين وسيرة الأنبياء العظام وسيرة المصلحين وسيرة العقلاء هي السلام.

فالواجب أنْ تراعي الحركة الاسلامية العالمية العامة السلام مراعاة دقيقة في كلِّ شؤونها قبل الحركة ومع الحركة وبعد الحركة وحين النصر وإقامة الدولة الاسلامية العامة بإذن الله تعالى.

وهكذا يجب أن يربّى القادة كوادر وأفراد الحركة على السلام لساناً، فكراً، تأليفاً، عملاً، مهما كلف ذلك.. والله ولي التوفيق.

(٥)

السلام ضمانة بقاء المبدأ

يقول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**﴾[١] فالسلام هو القاعدة العامة وإنما يكون العنف ضرورة، والضرورات تقدَّر بقدرها.

وقد ذكرنا في حلقات سابقة سِلْم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الأعداء ومع الأصدقاء ومع الأقرباء ومع الغرباء، كما ذكرنا سلم علي عليه السلام. والرسول وعلي أسوة لنا كسائر الأنبياء والمعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فاللاّزم أنْ نقتدي بهم في ذلك سواء كّنا في مقدمات الحكم أو وصلنا إلى الحكم بإذن الله تعالى.

وهنا سؤال يقول: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنْ كان معصوماً ولا يُسأل عمّا يفعل، لكن تكليفنا غير تكليفه لأننا نرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبقى على جملة من المنافقين مما سبب لرسول الله مشاكل كثيرة، فلو كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقَتلُ أبا سفيان ومعاوية يوم الفتح لم تقم الدولة الأموية التي أطاحت بالاسلام جملة وتفصيلاً، ولم تسبّبْ

---

(١) سورة البقرة: الآية/ ٢٠٨.

مشاكل للمسلمين بما لا يُعدّ ولا يحُصى. وهكذا لو كان علي عليه السلام قد قَتَلَ يوم البصرة مروان لما بقي حتى يصل إليه الحكم، ويسبّب هو وبنوه المشاكل للأمة، فلا بد أن يكون لنا تكليف آخر، وأمّا همْ فأعلمُ بتكاليفهم.

هذا الكلام يُرَدُّ أولاً بأنَّ النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام أسوة، والأسوة يجب أنْ يتَّبَع سواء عرفنا المصلحة في عمله أمْ لم نعرف المصلحة في عمله **﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**.

هذا من الناحية الإعتقادية الشرعية، أما إذا جئنا إلى الناحية العقلية فنرى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان يقتل أبا سفيان أو أضر به لم يكن يقوم للاسلام عمود، ولا يخضرَّ له عود، لأنَّ المشركين كانوا يقبرون الإسلام في مهده، لأنَ أبا سفيان لم يكنْ وحده، وإنَّما كان في الجزيرة العربية ألفَ أبي سفيان، وكلٌّ واحد منهم له أقرباء وأصدقاء وعشيرة وقبيلة، وما إلى ذلك.

هؤلاء كانوا يقدمون ضدّ الإسلام وكانوا يقبرون الإسلام في مهده ولم يكن لنا أنْ نسمع اليوم حتى بأُسم رسول الله صلى الله عليه وآله، كما لم نسمع باسم الكثير من الأنبياء الذين قُتلوا **﴿فَلِمَ تقتلون أنبياء الله من قبل إنْ كنتم مؤمنين﴾**[1] - كما في القرآن الحكيم مما يدلّ على أنّ جملة من الأنبياء قد قتلوا -.

فالرسول رأى الأمر دائراً بين الأهم والمهم: فهل الأفضل أنْ يدع المنافقين - فإنهم وإن سببّوا بعض المشكلات، لكن الزمان كفيل بتصفية المشكلات كما رأينا ذلك، حيث أن الزمان قد انهىٰ حكم بني أمية وجعلهم في خبايا التاريخ - هل هذا أفضل أو أنَّ الأفضل أن يُشهر الرسول صلى الله عليه وآله سيفه، ويقتل ويقتل، حتى تقوم العشائر ضدّه يقتلوه وأصحابه المخلصين ولا يبقى من الإسلام اسم.

وكذلك الأمر بالنسبة إلى علي عليه السلام، فأيهما أفضل: أنْ يجرِّد الإمام سيفه ويقتلهم، مما كان يترتب عليه أنهم يحرّكون عشائرهم وأقرباءهم وأصدقاءهم ضد الإمام، تساعدهم الروم على ذلك، وبذلك تجتث جذور علي عليه السلام وباجتثاث

---

(١) سورة البقرة: الآية/ ٩١.

جذوره تُستأصل جذور الإسلام الحقيقي، ويتحول إلى دين منحرف كالمسيحية واليهودية: ﴿**يحرفون الكلم عن مواضعه**﴾[1] كما في القرآن الحكيم ـ أو الأفضل الإبقاء على هؤلاء وإن أساؤا إلى الإسلام.

وهكذا كانت خطّة الرسول وخطّة علي عليهما الصلاة والسلام خطة حكيمة إلى أبعد حدّ، ولهذا نجد أنّ أحد أصحاب علي عليه السلام يَصِفُ علياً في كلام له يقول: «كان والله بعيد المَدى، شديد القوى»[2] يعني إنه ينظر بعيداً فنرى علياً عليه السلام الآن بعد مرور ألف وأربعمائة سنة تقريباً على آستشهاده يعتقد به أكثر من ألف مليون إنسان، منهم المسلم ومنهم غير المسلم، بينما هلك الأمويون والعباسيون ورُمي بهم في خبايا التاريخ حيث لا يُذكرون إلاّ بذمٍّ.

وكذلك بقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واندثر الذين ناوؤه كأبي جهل وأبي سفيان وأبي لهب، إنَّ من فوائد السلم خلود المسالم وبقاء ذكره وموازينه وقوانينه وضوابطه ومناهجه، بينما غير المسالم لا يبقى حتى إذا فُرِضَ أنّ الحق معه مئة في المئة ولذا قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «كلما نزل جبرئيل أمرني بمداراة الرجال»[3].

وفي التاريخ القريب نشاهد أن ستالين وهتلر وموسيليني ومن أشبه هؤلاء جنحوا إلى العنف وكذلك، ياسين الهاشمي في العراق والحكم البهلوي في إيران وأتاتورك في تركيا.. وأضرابهم كثيرون، وكلهم قد ذهب.

أما ستالين فقد أُخرج من قبره وأُحرق، ودُمّرت بعده المبادىء الستالينية. وأما هتلر فقُسِّمَتْ بلاده إلى اليوم، قِسم بيد الأمريكيين وقسم بيد الروسيين، أمّا موسيليني فقد عَمتْ بلاده فوضى واضطرابات وانتشرت فيها منظمة الألوية الحمراء والقتل والإِغتيال والسرقة وما أشبه منذ ما يقارب من أربعين سنة إلى هذا اليوم.

وبهلوي الأول أُبعد، وقتل في جزيرة موريس. وياسين الهاشمي أُبعد عن العراق وقُتِل. وأتاتورك قُتل...

بالإِضَافة إلى أنَّ هؤلاء صاروا لعنة التاريخ.. لقد ذهبوا وذهبت مبادئهم، ولم يحفظهم التاريخ إلا للعبرة كما حفظ فرعون وشداد ونمرود للعبرة، وكما

(١) سورة المائدة: الآية/ ١٣.

(٢) سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٥٧.

(٣) أنظر الوسائل: ج ٨ ص ٥٤٠ باب ١٢١ من أبواب أحكام العشرة.

حفظ معاوية ويزيد والحجاج وابن زياد وهارون للعبرة، ولكي يتبصر مَنْ يأتي مِنْ بعدهم ولا يجنح إلى الديكتاتورية والعنف، بل يجنح إلى العقل والحزم والسلام وإعطاء الحريات والنظر إلى الناس بعين المودّة والأخوّة حتى لو كانوا كافرين، حيث يقول الامام علي عليه السلام: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[1].

وهكذا الله سبحانه وتعالى يُعبّر في القرآن الحكيم عن المؤمنين والكافرين بأنهم أخوة حيث يقول: ﴿**وإلى عاد اخاهم هوداً**﴾[2] فهود نبي مرسل وعاد قبيلة كافرة ومع ذلك يسميه الله سبحانه وتعالى أخاً.

ألمهّم أنْ يعي القائمون بالحركة الاسلامية هذه الحقيقة وأنْ يصبروا و أنْ يلاحظوا الأمم ﴿**قل سيروا في الأرض**﴾[3] ﴿**فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**﴾[4] امشوا في مناكب الأرض، فاللاّزم على الإنسان أنْ ينظر ويفكر في أحوال الأمم الغابرة وأحوال الأمم المعاصرة.

إن الجانحين إلى السلام بقوا أعلاماً في بلادهم، وفي غير بلادهم بينما الجانحون إلى العنف والخشونة والشدة والغلظة ذهبوا ولم يبق لهم أثر إلا آثار النفرة والابتعاد.

ومن هنا يقول الله سبحانه وتعالى بالنسبة لنبيه صلى الله عليه وآله ﴿**فبما رحمة من الله لِنتَ لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لأنفضُّوا من حولك**﴾[5].

فإذا اعتمدنا السلم قاعدة عملية دائمة نتمكن بإذن الله تعالى من إيجاد تيّار عام لحركة إسلامية صحيحة تكون مقدمة لإنقاذ البلاد الاسلامية من المستعمرين والديكتاتوريين ولإقامة حكم الله تعالى لألف مليون مسلم. وما ذلك على الله بعزيز.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(٢) سورة الاعراف: الآية/ ٦٥.

(٣) سورة النحل: الآية/ ٦٩، سورة العنكبوت: الآية/ ٢٠، سورة الروم: الآية/ ٤٢.

(٤) سورة الملك: الآية/ ١٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية/ ١٥٩.

(٦)

السلام بين أعضاء الحركة

تحدثنا عن مبدأ (السلام) على أصعدة مختلفة.. منها السلام في التعامل الإجتماعي ومنها في التعامل الإنساني مع الأعداء.

وهنا سنتحدث عن نفس المبدء ولكن على صعيد آخر.. هو التعامل السلمي مع أعضاء الحركة الاسلامية.. وذلك يعني أن الأعضاء يجب أنْ يكونوا على وفاق تام لا أن تكون بينهم خلافات أو منازعات أو ما أشبه، لأنه كثيراً ما يقع بين الأعضاء التنافس غير السليم والتناحر والإختلاف وإزدراء الكبار بالصغار واشمئزاز الصغار من الكبار.

والمشكلة لها أساسان:

الأساس الأول: أن بعضاً يريد استغلال بعض.

والأساس الثاني: هو أن الكبار ينظرون إلى الصغار بازدراء والصغار ينظرون إلى الكبار علىٰ أنهم مستغلون ووصوليون وآنتهازيون.

والإسلام حلَّ المشكلتين كلتيهما:

أما المشكلة الأولى: فالواجب أنْ يكون الأمر شورى، فلكلً فرد رأي يؤخذ به، وبهذا لا يكون هناك استغلال ينتهي إلى تفتَّتِ الحركة وتبدّدها، أما أن يقول الإنسان: إني أكثر فهماً فلي حقُّ القَرار، أو إني أعمق في الرؤية المستقبلية فلي حق أخذ القرار في الموضوع، فهذا هو الإستغلال بعينه.

هذا بالنسبة إلى حلّ المشكلة الأُولى.

أما المشكلة الثانية: فاللأّزم ألاّ يزدري إنسان، إنساناً وألاّ ينظر إنسان إلى آخر بعين الإحتقار.

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن أن بعض الظن إثم﴾[1].

فالإنسان يجب ألاّ يظُنَّ بأخيه سوءاً والإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

---

(١) سورة الحجرات: الآية/ ١٢.

«ضع أمر أخيك على أحسنه»(١) وفي رواية أخرى، عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «فأن شهد عندك خمسون قسامه انه قال قولاً وقال لم أقله فصدِّقه وكذِّبهم».

يعني لا ترتب الأثر على كلام أولئك الوشاة. إذا لم يكن هنا ميزان الشهادة الشرعية وإنما إقبل قوله، وذلك لكي تصفو النفوس بعضها عن بعض ولا تكون النفوس بعضها ضد بعض، وبهذه المناسبة يتمكنون من القيام بالحركة خير قيام.

وقد دخل أحد الأئمة الطاهرين عليهم السلام على أحد الخلفاء في حالة اضطرارية فقال له الخليفة يا ابن رسول الله عظني فقال الإمام عليه السلام ما مضمونه: المسلمون إما أكبر منك سناً فاجعلهم بمنزلة أبيك، وأما أصغر منك فاجعلهم بمنزلة ابنك، وأما مساوون لك في العمر فاجعلهم بمنزلة أخيك، فبِرّ اباك وآسِ أخاك وارحم إبنك هكذا يجب أن ينظر الإنسان إلى الجميع بنظر رأفة ورحمة وبنظر العطف والإشفاق وبنظر جمع الكلمة وتوحيدها وإلاً فإنه لا يتمكن من أنْ يتقدم مهما كان قوياً، وهذه هي الأسس التي بَنيْ عليها رسول الله صلى الله عليه وآله الدولة الإسلامية وبَنىٰ الأئمة الطاهرون عليهم السلام على مثل ذلك نفوس المؤمنين.

وفي مضمون حديث أن: الإمام الصادق عليه السلام جاء إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام فقال لبعض أصحابه: إذهب إلى الأطراف وادعُ مَنْ رأيت إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام فذهب الرجل ثم رجع بدون أن يستصحب أحداً.

قال له الإمام: لماذا رجعت وحدك.

قال: يا ابن رسول الله لأَني رأيتهم دون هذا المستوى.

قال له الإمام: إنا نراكم بمثل ما تَرى أنت هؤلاء.

يعني إذا كان في المراتب فَرْقٌ فكما بينك وبينهم بون ومسافة، كذلك بينك وبيني. فكما أنه لا يحق للأكبر أنْ يطرد الأوسط كذلك لا حق للأوسط أن يطرد الأصغر.

وهكذا القائمون بالحركة يجب أن يكون بينهم تواؤم وسلام، لا استغلال وازدراء واحتقار.

إن الحركة لا تتمكن أنْ تهدي الناس إلى صراط مستقيم ما لم تَسِرْ هي في الصراط المستقيم، وفي الحِكْمةِ قاعدة معروفة تقول: (فاقد الشيء لا يعطيه) اي

---

(١) أمالي الصدوق: ص ٢٥٠ ح ٨.

إنك إذا لم تملك علماً فلا يمكنك أن تعطي العلم، وإنّك إذا لم تملك ديناراً فلا تتمكن أن تعطي الدينار، وكذلك إنك إذا لم تملك مقومات الحركة من الإنصاف والعدالة وحب الناس والتواضع والنظر إلى الناس بالعطف والشفقة والإنسانية وما أشبه فلا تتمكن أن تغرسها في الآخرين، إنه أمر غير ممكن.

ولذا فمن الضروري على القائمين بالحركة أن ينظروا إلى أنفسهم بنظر المساواة والأُخوه والعداله مع الآخرين، حتى يتمكنوا من التقدم بإذن الله سبحانه وتعالى، والإفانَّ الناس يقولون: لو كان في حركتهم خير، لكانوا قد التزموا ـ هم ـ بما يَدعونَ إليه!

ولقد فَشلتْ قبل هذا اليوم كثير من الحركات الإسلامية في أماكن مختلفة من العالم الإسلامي بسبب عدم التزامها بأخلاقيات العمل والسلام. إن هذه الحركات يجب أنْ تكون لنا عبرة بها حتى نعمل بما يقوِّمُ الحركة ونحققّ بإِذن الله سبحانه وتعالى الدولة الإِسلامية العالمية ذات ألف مليون مسلم، وما ذلك على الله بعزيز.

(٧)

معطيات السلام

إن السلام يصل بصاحبه إلى النتيجة ألاحسن، والمسالمون يبقون سالمين مهما كان لهم من الأعداء، وحتى إذا عثر بهم الزمان وسقطوا فإن السقوط يكون وقتياً فالقائمون بالحركة إذا أحاطوا أنفسهم بجو من السلام كفوا أعدائهم أولاً فلا يتمكنون من القضاء عليهم، وثانياً إذا تمكن الأعداء منهم فسيكون تمكنهم وقتياً وينتهي الأمر بتقدّم المسالمين.

ولذا نرى أن الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام كانوا يجنحون دائماً إلى السلام. وهذا رسول الله ﷺ كان يسالم أعداءه حتى عندما كان في أعلى درجات قدرته، وحروب رسول الله ﷺ كانت دفاعية كما ثبت في التاريخ، ولم يبتدىء الرسول بالحرب أبداً وكان إذا حارب اتّصفتْ حربه بالسلام في أغلب شؤونها إلاّ القدر المُضطّر إليه. ولذا تقدَّمَ رسول الله ﷺ ذلك التقدم الهائل، وإلى اليوم لازال ﷺ في تقدم مطرد، وما من يوم إلاّ ويزداد فيه عدد المسلمين بالرغم مما واجهته الدولة الإِسلامية من اليوم الذي أقامها رسول الله ﷺ وإلى هذا اليوم، من الكيد والمكر وما أشبه.

وكذلك عَلِيُّ عليه السلام: فإنه قَدْ جَنَحَ إلى أكبر قدر من السلام، وهو لم يحارب أهل الجمل وإنما هم حاربوه، وبمجرد أن انتهت الحرب عَامَلَ الإمام عليه السلام البقية معاملة الأصدقاء والأخوة وكأنه لم يكن شيء، وهكذا حرب النهروان، فالخوارج هم الذين حاربوا الإمام وأشاعوا هذه الدعايات، وواجهوه بالسبّ حتى أن الإمام قال كلمة جميلة بالمناسبة (وردت في نهج البلاغة) وكان حول الإمام أصحابه وهنالك خارجي يسمع كلام الإمام فعلّقَ على كلام الإمام بقوله: (قَاتَلَهُ الله من كافر ما أفقَهَهَ) يعني: عليّ كافر لكنّه كثير الفقه! فأراد أصحاب الإمام تأديب الخارجي فقال الإمام: «دعوه، فإنما هو سب بسبٍّ أو عفو من ذنب وأنا أولى بالعفو»[1] يعني أنه سبنّي فجاز أن أسبّه أو أعفو عنه لكني أولى بالثاني، وعفا عنه.

وقد تمكن الإمام عليه السلام أن يسيطر على حركة الخوارج التي كانت حركة انحرافية بلينه ومرونتهِ.

وورد في التارخ إنْ الإمام عليه السلام حين انتهت حرب الخوارج عفا عن بقيتهم فلم يسجنهم ولم يجازهم بأيِّ جزاء آخر، إنما كانوا في الكوفة وغير الكوفة وينتقصون من الإمام والإمام ساكتُ عنهم فقد كان يعلم أنَّ المسالمَ هو الذي يتقدم، وفي قضايا متعددة كانوا يضغطون على الإمام بمختلف أنواع الضغوط، مثلاً يحضرون المسجد ولا يصلّون معه الجماعة، وقد قرأ خارجي هذه الآية أمام الإمام مُعرِّضاً به والأَمام في صلاته **﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾** يريد ذلك أن الإمام مشرك وقد حبط عمله ولكن الإمام عفا عنه.

وهكذا كان الإمام، كان يصير على النقد، حتى النقد الظالم وكان يصبر على الضغط حتى إذا كان الضغط من أَناس منحرفين لأَنه كان يعرف أن السلام أحمدُ عاقبة، وأنَّ المسالم هو الذي يبقى كما نرى ذلك بالفعل، حيث بقي الإمام عليه السلام منذ ألف وأربعمائة سنة، وسيبقى على طول التاريخ عَلَماً هادياً مهما تطورت الظروف.

وفي حرب صفين وهي أشد الحروب ضد الإمام عليه السلام ورد في التاريخ أنه عليه السلام كان إذا ظفر بجندي من جنود معاوية استحلفه ألاّ يساعد معاوية، ثم يتركه

---

(١) نهج البلاغة قصار الحكم ٤٢٠.

وشأنه! وهل يوجد مثل هذا الشيء في التاريخ - إلاّ في تاريخ الأئمة والأنبياء والمصلحين العظام الذين اتبعوا آثارهم -؟

ولكلٍّ ذلك نرى أن الإمام ظل كالطود الشامخ، رغم أنَّ بني أمية ضغطوا عليه ولعنوه على سبعين ألف منبر ما يقارب مئة سنة، ورغم أن بني العباس وجهّوا إليه ضغوطاً ظالمة، من جملتها قصة المتوكل الذي كان يحارب الإمام ويسبه ويقتل أولاده ويسجنهم، وقد حرث المتوكل قبر الحسين عليه السلام، وهدم كربلاء مرتين كما في التاريخ، وكان يأتي برجل يسمى (عبادة المُخَنَّث) فكان يُدخل الوسادة بين ثوبه وبطنه ثم كان يمشي في المجلس ويشبه نفسه بعلي عليه السلام ويقول: «أنا الأنزع البطين، أنا أمير المؤمنين» ساخراً من الإمام عليه السلام والحاضرون في المجلس يضحكون.

ولكن ماذا كانت العاقبة؟ إن هؤلاء أساؤوا إلى أنفسهم ولم يسيئوا إلى الإمام - إلاّ في الظاهر - وقد قال الإمام عليه السلام ذات مرة: «ما أحسنت إلى أحد ولم يسيء إليّ أحد»[1]!

قيل يا أمير المؤمنين: قد أحسنت كثيراً وأساؤا إليك كثيراً.

قال عليه السلام: ألم تسمع قول الله تعالى: **﴿إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها﴾**[2]. فإني أحسنت إلى نفسي بإحساني إلى غيري، والناس أساؤوا إلى أنفسهم بإساءتهم إلي.

وعلى أي حال فإن هؤلاء الذين ضغطوا على الإمام عليه السلام من بني أمية ومن بني العباس واضرابهم إنما أساؤا إلى أنفسهم، فقد قتل المتوكل ووزيره (الفتح ابن الخاقان) أَرباً إرباً من جَرّاء أمثال هذه الأعمال، وكذلك بالنسبة إلى مَنْ سبقه ومن لحقه، والإمام باقٍ كالجبل الراسخ، وكالشمس المضيئة يستنير بنوره أكثر من ألف مليون إنسان في العالم.

إنَّ كلَّ ذلك كان بسبب طبيعة حركة الإمام، وسِلْمِهِ الذي اتخذه شعاراً في حياته الشخصية وحياته العائلية وحياته الإجتماعية.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

(٢) سورة الاسراء: الآية/ ٧.

وفي الحديث أنَّ ابنَ ملجم لما ضَرَبَ الإمام عليه السلام قال له الإمام عليه السلام: «ألَمْ أحسن إليك، ألَمْ أزِدْ في عطائك»؟ فهو عليه السلام مع علمه بأن ابَن ملجم يقتله ـ لاخبار رسول الله إياه بذلك ـ كان قد زاد في عطائه وأحسن إليه.

وبعد أنْ ضربه ابَن ملجم كان الإمام يأمر بمداراته وكان إذا شرب اللبن أبقى شيئاً منه وقال: «أطعموا أسيركم» وقد قال الإمام عليه السلام لأولاده: «إن شفيتُ من ضربته هذه فأنا أعفو عنه، وإنْ لم أُشفَ فلكم حق القصاص، ولا تمثلوا بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا تمثلوا ولا بالكلب والعقور»[1] لكنه عليه السلام حبذ إليهم العفو عنه.

وهكذا ذهب معاوية.. واندثر الخوارج.. وانتهى أصحاب الجمل.. وسقط هارون والمتوكل والمأمون وأمثالهم الذين كانوا يعادون الإمام عليه السلام. ذهبوا كلهم وبقيَ الإمام عليه السلام منارة مشعة للسائرين.

إذن فالحركة الإسلامية التي تريد النهوض لأجل إقامة حكومة ألف مليون مسلم عليها أنْ تتخذ السلام شعاراً عملياً حتى تتمكن من استقطاب الناس ومِنْ دفع الأعداء، ولو فرض أنَّ الحركة سقطت أو عَثَرَتَ فلا بدَّ أن تقوم بعد عثرتها، ولأن من طبيعة الناس الإنتصار للمسالمين، والإنتقام من المحاربين، فإذا جَعَلَت الحركة الاسلامية السلام شعاراً واقعياً ـ لا دعائياً فقط ـ في القول والعمل والفكر والتأليف والخطابة والإجتماع، فإنها تتمكن من التوسع حتى تَشملَ كافة بلاد الاسلام وتكون مقدمة إقامة حكومة ألف مليون مسلم بإذن الله تعالى وما ذلك على الله بعزيز.

(٨)

الإتزان ينتهي إلى السلام

لا يكون السَلام، ولا يتحقق في الواقع الخارجي إلاّ إذا كان تفكير الإنسان تفكيراً متَّزناً وَعمله عملاً متَّزناً بعيداً عن المراهنات وعن الإعتباطات وعن الإفراطات والتفريطات.

---

(١) البحار: ج ١٤ ص ٢٨٧ ح ١٠.

أما أنْ يرى الإنسان كل خير وفضيلة في نفسه وجماعته، ويرى الآخرين مجردين عن الفضيلة، بل ويراهم منغمسين في الرذيلة. فهذا الكفر لا بد أن ينتهي إلى غير السلام.. إلى العداوة، البغضاء، الشنآن، الهمز، اللّمز... ومن المعروف أنَّ ثلاثة أشياء قليلها كثير وحقيرها كبير: النار والعداوة والمرض، فعودُ ثقاب صغير يحرق مخزناً من الخشب فيه عشرات الأطنان، وربما ينتهي مرض صغير بصاحبه إلى الموت، وربمّا أدّتْ عداوة صغيرة ناشئة من كلمة نابية أو شبهها إلى سفك الدماء.

وقد ذكر المؤرخون أنَّ حرباً كما ذكر بعضهم، كان بتداؤها أنَّ رجلاً من قبيلة رمى سهماً إلى ضرع ناقة من قبيلة أخرى، فقتل صاحب الناقة الرامي ثم قتلت عشيرة الرامي صاحب الناقة ثأراً لصاحبهم وهكذا دواليك.. والشاعر يقول:

ومعظم النار من مستصغر الشرر ....

ولذا فعلى الإنسان أنْ يفكر تفكيراً موزوناً حتى ينتهي إلى العمل الموزون، أما أن يفكر تفكيراً إفراطياً أو تفريطاً، فإن ذلك لا ينتهي إلا إلى العمل المنحرف، ثم العداوة والبغضاء.

وهكذا يجب على الإنسان إذا أراد أن يقوم بحركة إسلامية عالمية تنتهي إلى حكومة ألف مليون مسلم أنْ يتخذ من السلام شعاراً ودثاراً في القول والعمل والتأليف والحركة وغير ذلك، وقد ألمع النبي عيسى عليه السلام إلى هذا الموضوع حيث قال: «من ضربك على خدك الأيمن فأَدِرْ له خدك الأيسر»[1].

إنَّ عيسى عليه السلام لا يريد أن يقول للمظلومين: اخنعوا للظالمين، وإنما يريد معنى آخر أَلمَعَ إليه القرآن الحكيم أيضاً حيث قال: ﴿**وإن تعفوا أقرب للتقوى**﴾[2] فعيسى عليه السلام أراد لأتباعه النجاح، وآستقطاب الجماهير ولذا علّمهم السلام إلى هذا الحد، ونجح عيسى عليه السلام فنرى اليوم أكثر من ألفي مليون إنسان يحترمون عيسى عليه السلام ألف مليون هم المسيحيون وألف مليون هم المسلمون، وكذلك جماعات أخرى من عقلاء البشرية.

وفي حكمة أُخرى مروية عن المسيح عليه السلام إنه مَرّ مَعَ جماعة من تلاميذه

---

(١) مفتاح الجنان: ص ٢٨٤ في أعمال شهر رجب.

(٢) سورة البقرة: الآية/ ٢٣٧.

على بعض اليهود. فقالوا فيه شراً. فقال عيسى عليه السلام فيهم خيراً، وبطبيعة الحال قال فيهم الخير الصادق، فإن أغلب الأشرار لهم خير من جهة ما.

فقيل له: يا روح الله يقولون فيك شراً وتقول فيهم خيراً؟

فقال: «كل يُنفق مما عنده».

يعني: مَنْ ينطوي على السوء يتلفظ بالسوء ومن ينطوي على الخير ينفق منه، فكما أن الإنسان الفاقد للدينار لا يتمكن أنْ يعطي ديناراً، والواجد للدينار يتمكن أن يُعطي ديناراً، والذي لا يملِكُ غير عَقْربٍ مسموم لا يتمكن أنْ يعطي إلاّ عقرباً..

كذلك المُنطوي على الخير أو الشر، فالنظر، السماع، اللفظ، الكتابة وما أشبه، إذا كانت منبعثة عن قلب مليء بالخير والرحمة كان فيها الخير والرحمة وبالعكس، إذا كان القلب مليئاً بالشر والكذب وما أشبه، فإن اللسان وسائر الجوارح لا تعطي إلاّ من ذلك القلب. وهكذا علّمنا عيسى عليه السلام إنه إنْ لم يكن الطرف الآخر من أهل الخير، فكنْ أنت من أهل الخير.

وقد جاء في دعاء شهر رجب: «يا من أرجوه لكلّ خير، وآمن سخطه عند كل شر، يا مَنْ يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه، تحنناً منه ورحمة»[1].

إن الله يعطي المؤمنين، ويعطي الذين لا يعرفونه ولا يعاودونه، ويعطي حتى للذين يعادونه.

وفي القرآن الكريم إشارة إلى ذلك حيث يقول الله تعالى: ﴿**كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك**﴾[2]، الله يعطي المؤمن ويعطي المستضعف الذي لا يعرفه ولا يعاديه ويعطي الكافر المناوىء له.

فإذا أردنا أنْ نَتخلّق بأخلاق الله سبحانه وتعالى يجب أنْ نكون متّزنين في التفكير ومتزنين في العمل، لا أن نزفع أصدقاءنا إلى أعلى علّيين، ونسكت ونُغمض العين عن الحياديين، فكيف بالأعداء؟ كل شيء يجب أنْ يكون موزوناً

---

(١) سورة الإسراء: الآية/ ٢٠.

(٢) سورة الإعراف: الآية/ ٨٥، سورة هود: الآية/ ٣٨، سورة الشعراء: الآية/ ١٨٣.

ومن فوائد الإِنسان المتّزن في تفكيره وفي عمله إن الناس يرضون به حكماً ويلتفّون حوله.

إن هذا الأمر يحتاج إلى ضغط على الأعصاب وتحمل للنقد وكلاهما صعب، لكنّ الأمر الصعب يأتي بالنتيجة الطيبة.

وقد جاء في حديث عن رسول الله ﷺ ـ حيث رأى فاطمة عليها السلام تكدح وتتعب ـ أنه قال لها: «بنية تعجّلي مرارة الدنيا لحلاوة الآخرة». إن المرارات لا تعطي إلا النتيجة الحلوة.

إن أي مهندس أو طبيب أو محام أو رياضي أو فقيه أو خطيب بارع أو مؤلف قدير لم يصل إلى ما وصل إليه إلاّ بالتعب والنصب، وكذلك إذا أردنا أنْ نصل إلى حكومة ألف مليون مسلم بإذن الله تعالى.

فإن ذلك يحتاج إلى ضبط الأعصاب والإتزان في الفكر وتحمل النقد وحسن الإقتاع للناس بعيداً عن كل أنواع الإستبداد والديكتاتورية وما أشبه.

فإن الإستبداد والديكتاتورية والإفراط في التفكير وفي العمل وفي القول وفي الأجهزة الإدارية لا تنتهي إلاّ إلى نتائج سيئة، إذ السيّيء لا ينتهي إلا إلى السيىء.

وفي الحديث أن عيسى عليه السلام مَرَّ على قتيل. فقال: «مَنْ قتلت؟ ويأتي يوم يقتلون قاتلك»، وطبعاً هذا الأمر على نحو القضية الطبيعية، فإن الإنسان الذي يقتل غيره بغير ذنب يأتي يوم يُقتل فيه هو.

وفي حديث: «بشر القاتل بالقتل والزاني بالفقر».

فمن شروط الحركة الإسلامية العامة اتخاذ السلام من هذه الجهة أيضاً، أي من جهة الإتزان في الفكر والعمل وإعطاء كل شيءٍ حقه، وفي القرآن الحكيم: **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾**(1) يعني أنك إنْ ألفتَ كتاباً واحداً فمدحت نفسك وألّف غَيرك عشرة كتب جيّدة، ولم تمدحه بقدر كتابك فإن جزاءك الطبيعي أنْ تتأخر في الحياة، بالإضافة إلى أنَّ الناس ينَفضّون من حولك ويعرفونك بالإفراط والتفريط.

ولذا اشتهر عند علمائنا أنَّ مرجع التقليد وإمام الجماعة والقاضي يجب أن

(1) سورة المطففين: الآية/ ٢٦.

يكونوا بعيدين عن (الحبّ) و(البغض): يريدون بذلك حباً آعتباطياً وبغضاً اعتباطياً.

وقد ذكرنا سابقاً: أنَّ رجلاً قال للشيخ المرتضى الأَنصاري مُعَرضاً به: «إن من السهل أنْ يصبح الإِنسان عالماً، ولكن من المحال أنْ يصبح إنساناً»! يريد أن يقول: أنت أيها الشيخ عالم وهذا سهل، ولست بإنسان، وأن تكون إنساناً محال، فقال الشيخ: «بل أنْ يصبح الإِنسان عالماً صعب أنْ يصبح إِنساناً أصعب».

وهذه حقيقة، لأَنَّ الفرد يحب أنْ يجاهد خمسين سنة وستين سنة ليله نهاره، ليصبح عالماً. أما إِذا أراد أنْ يصبح إِنساناً فيحتاج إلى جهاد أعمق، لكي يحقق هدفه.

نسأل الله أنْ يوفقنا لمراضيه، وأن يمكننا من تأسيس الحكومة الاسلامية العالمية، كما يحب ويرضى.

(٩)

مقوّمات السلام في داخل الحركة

السلام في داخل الحركة يتطلّب وجود أمرين إذا لم يُوجدا لا تنتهي الحركة إلى مفعول جيد، وإِنّما تبقى الحركة ضحلة ضعيفة ككثير من الحركات التي سادت ثم بادت، لأنّها لم تكن لها مقومات الحركة الواقعية، سواء في عالمنا الإِسلامي أَوْ في غير العالم الإسلامي، ولذا فالواجب على الحركة أن تراعي هذين الأمرين من بدء تكوينها لكي تنتهي إِلى الهدف المنشود، وهذان الأمران هما:

أولاً: الإِنتخابات الحرّةُ في داخل الحركة وتكافؤ القوى في داخلها يعني أن الحركة تتشقق بشكل طبيعي إلى شقوق، كما هي عادة الحياة، وهذه الشقوق يجب أن يكون بينها التكافؤ والتوازي والتساوي، حتى لا تتمكن فئة من الفئات أن تسيطر على الحركة وتحرفها، من الواقعية إلى الديكتاتورية، فإن الحركة بمجرّد أن تتسلط عليها فئة تنتقل من الواقعية إلى الديكتاتورية، وذلك يعني موت الحركة وحتى إِذا كانت باقية في الحياة فبقاؤها صوريّ.

لقد كانت في العراق قبل الإِنقلابات العسكرية الغربية، وإن كان الاستعمار البريطاني مسيطراً في ذلك اليوم أيضاً. لكنَّ الإِستعمار لم يكن بهذه الشدّة وبهذه

الحدّة التي جاء بها مَنْ أسموا أنفسهم الجمهوريين، ولم يكونوا جمهوريين لا عبد الكريم ولا عبد السلام ولا أخوه ولا البكر ولا من بعده، وإنما هم عملاء لبريطانيا واسرائيل وأمريكا وفي أيام الملكيين أحزاب سواء منها ما يسمى بالأحزاب الوطنية والتقدمية وما يسمى بالأحزاب الاسلامية كلها سقطت. إنها من أول أمرها كانت تتسلط عليها فئة استعمارية أو مستبدة تأخذ زمام الحركة، فلا انتخابات حرة ولا كفاءات ولا توزيع قدرة.

وهذا الأمر عبرة لنا، فالحركة الاسلامية يجب أن تكون فيها قدرات وقوى متكافئة ومتقابلة ومتنافسة، لكنْ تنافس على الخير لا على الشر، على الهِمّة في العمل، على استقطاب الجماهير، على ترفيع المستويات، وكما قال الله سبحانه وتعالى في ثلاث آيات من القرآن الحكيم حيث يجعل التنافس بين المؤمنين. آية تقول: ﴿**وفي ذلك فليتنافس المتنافسون**﴾[1] وفي آية أخرى ﴿**سارعوا إلى مغفرة من ربكم**﴾[2] وفي آية ثالثة: ﴿**استبقوا الخيرات**﴾[3].

وعلى كل حال، فاللاّزم في الحركة الاسلامية مراعاة السلام بين فئات الحركة، فإذا كانت هناك ديكتاتورية مسيطرة على الحركة لم يكن هناك سلام، فإن السلام من ولائد القدرات المتكافئة، أما إذا كانت فئة ديكتاتورية متسلطة على الحركة لاتتبدل ولا تتغير ولا تتمكن الحركة من تغييرها، فإن هذه الفئة تستبد بالمال، بالسمعة، بالإرادة، بالفكر.. وما أسهل أنْ يأتي الإستعمار ويأخذ بزمام الديكتاتوريين، لأن الجماهير ليست في الساحة، وإنما أربعة أو خمسة أو عشرة فقط هم الموجودون. إمّا إذا كانت الحركة جماهيرية فالإستعمار لا يتمكن من القبض على زمام الجماهير.

إذن فاللاّزم في الحركة مراعاة أمرين:

الأمر الأول: الأجنحة الحرّة والقوى المتكافئة والجماعات المختلفة ذات الإتجاهات المتعددة، وإن كان الإطار واحداً، وهو الحركة الجماهيرية الإسلامية، لكن الأذواق مختلفة بطبيعة الحال، فكل له الحِق في أن يعرض ذوقه في كمال الحرية، في الخطابة، في الكتابة، في الإجتماعات، في الأسفار، وفي غير ذلك،

---

(١) سورة آل عمران: الآية/ ١٣٣.

(٢) سورة البقرة: الآية/ ١٤٨.

(٣) سورة المائدة: الآية/ ٤٨.

هذه قوة، وتلك قوة في قبالها وقوة ثالثة ورابعة وإلى غير ذلك، حتى تكون القوى المتكافئة باعثة لظهور الكفاءات، وأن يعمل كل إنسان حسب اجتهاده، كما نرى ذلك حتى في الفقهاء المجتهدين، فإن الإطار هو الكتاب والسنة والإجماع والعقل، ومع ذلك يختلفون في جزئيات المسائل من كتاب الطهارة إلى كتاب الديات.

وكذلك نرى ذلك في الأطباء والمهندسين، في الفلكيين، في مجالس الأمة الحرة أو شبه الحرة.

الأمر الثاني: هو الإنتخابات الحرة في داخل الحركة: كل سنة أو سنتين أو ما أشبه - حسب قرار الأكثرية - وعلامة حرية الإنتخابات التغيير الشامل من القمة إلى القاعدة، لا أن تكون الإنتخابات مزيفة كما اعتادته بعض الدول وبعض الأحزاب وبعض المنظمات، حيث لا تغيّر الرؤوس وإنما تغيّر بعض الأشياءِ الصورية.

هذه علامة، وعلامة ثانية هي أن الأصوات تكون بين قليلة وكثيرة كواحد وخمسين في المئة، وخمس وخمسين في المئة، وستين في المئة أو ما أشبه.

أما الإنتخابات المزيفة التي نجدها في أمثال البعثيين والقوميين ومن إليهم فنرى تسعة وتسعين صوتاً يُعطى للرئيس السابق وصوت واحد أو أقل يكون نصيب منافسه، فإن هذا الإنتخاب مزيف وكذب ودجل ومثل هذه الإنتخابات ليست إلا تكريساً للديكتاتورية، وقد ذكر أحد علماء السياسة: أنك إذا أردت أن ترى هل أنَّ البلد حر أو ليس بِحُرٍّ فلَكَ ميزانان:

الميزان الأول: أن ترى القيادة تتبدل كل أربعة أعوام مثلاً مرة، والميزان الثاني: إنك ترى الناس يتمكنون من التكلم بما يريدون في الشارع، وتأليف ما يريدون وإصدار المجلات والجرائد كما يريدون...

هاتان علامتان للحرية يجب أن نراعيهما في داخل إطار الحركة حتى تكون الحركة حرة بجميع معنى الكلمة، بشرط أن تكون الحرية ضمن الإطار الاسلامي.

وبذلك تأخذ الحركة في التوسع الدائم والتقدم المستمر وتكون هذه الحركة ملازمة للسلام، والسلام ملازماً لمثل هذه الحركة. وهكذا تنتهي مثل هذه الحركة إلى حكومة ألف مليون بإذن الله تعالى، وما ذلك على الله بعزيز.

(١٠)

تلقين السلام

ان للتلقين أثراً كبيراً في داخل النفس، فالإنسان بطبيعته يغضب ويثور ويذكر معايب الآخرين ويدخل مع الناس في صراع ونزاع وحقد وبغضاء وعداء ومقاطعة وما أشبه. فاللاّزم اجتثاث جذور هذه الأمور من قلب الإنسان ومَنَ ثم من جَوارحه وذلك بالتلقِين الدائم بإنه إنسان مسالم، حازم، عاقل، مفكر مدبِّر، مُدير، فإذا لَقن نفسه بهذا التلقين في ليله ونهاره وشهره وسنته فإنه يتطبع بطابع السلم، ويتمكن من تقديم الحركة إلى الأمام في جو صاخب بالمناوآت والحروب والثورات والإنقلابات وما أشبه.

وقد ورد في حديث: أن «أحق الأشياء بطول السجن اللسان»[1]. فعلى الإنسان أن يتعوّد على حفظ لسانه وحفظ قلبه.

وفي حديث آخر: «إذا رأيتم المؤمن صموتاً فاقتربوا منه فإنه يُلَقَّنُ الحكمة»[2].

وكذلك يجب على الإنسان أن يكون حافظاً ليده، لقلمه، لحركته، لسكونه، لكل شيء، حتى يتمكن من أن يقدم الأمة إلى الأمام. والذين يقولون: نحن عصبيون! لا نتحمل! أو إن فلاناً استخفّ برأينا! أو إننا رأيناه على الباطل فكيف نسكت عليه؟ وما أشبه، إن هؤلاء لا يتمكنون من تقديم الحركة إلى الامام.

ولذا نرى في تاريخ رسول الله صلى الله عليه وآله وتاريخ الحركات الناجحة الكثير من هذا القبيل، فقد ورد في الحديث: أن رجلاً كافراً سيىء الخلق والعمل.. جاء إلى رسول الله ﷺ وشتم الرسول ﷺ، والرسول في المسجد الحرام يقرأ القرآن فسكت عنه الرسول ولم يقل له شيئاً. وقد كان يريد التحرش بالرسول حتى يدخل معه في منازعة ـ لكن الرسول تحلم، ثم شتمه الرجل وشتمه، والرسول ساكت، وأخيراً أساء الأدب أكثر فبصق في وجه رسول الله ﷺ.. يَنقلُ الرجلُ نفسه يقول: إن محمداً ﷺ لم يزد على أنْ مسح البصاق عن وجهه الشريف ولم يقل شيئاً.

---

(١) البحار: ج ٦٨ ص ٢٧٧ ح ١١.

(٢) البحار: ج ٧٥ ص ٣١٢ ح ١.

ما الذي دفع الرسول إلى هذا الفعل مع أنه كان متمكناً من أن يقابله بالمثل **﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾**[١] إنه رأى أن الدخول مع هذا الكافر في نزاع هو أمر جانبي لا يخدم الهدف، ولذا رجع إلى السلام وأخذ يسير في طريقه الذي رسمه له الله سبحانه وتعالى، وهكذا نجحت الحركة الإسلامية بفضل حلم رسول الله ﷺ وصبره وسلامه، والشاعر يقول: «ولن تستطيع الحلم حتى تحلما»، يعني أنك وإنْ كان في نفسك ثورة لا تظهر هذه الثورة وإنما تحلّم وتصبّر واضغط على أعصابك حتى تتمكن مِنْ أن تكون مسالماً حتى في أشدّ حالات الهيجان والإنفصام.

وفي قصة أخرى أن الرسول الله ﷺ مَرّ على آل ياسر - ياسر وسمية وعمار - والمشركون يعذّبونهم تعذيباً شديداً فنظر، ﷺ إليهم بلطف وقال لهم «صبراً آل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة»[٢] ولم يزد على هذا، لماذا؟ لأن الرسول ﷺ عرف لو أنه أراد أن يدخل مع أولئك المعذبين في حركة جانبية تفوته حركته الأساسية، ولا يصل إلى هدفه الذي كان يرمي إليه من إقامة عمود الاسلام.

وهكذا كان يَتَّصف رسول الله ﷺ وأصحابه الأَبرار وآله الطيبون بأكبر قدر من السلم والسلام، وضبط النفس، ضبط اللسان، ضبط اليد، ضبط الحركة، فتمكنوا بنسبة هذا السلام من التقدم.

وكذلك نرى بعض المصلحين الذين تمكّنوا من إنقاذ بلادهم من الإستعمار أنهم كانوا قادرين على ضبط النفس، وقد كان أحدهم غير قادر على ذلك، وكان يهتاج لأقلّ استفزاز، ثم إنه أخذ يُلقّن نفسه كل يوم إني رجل مسالم أحب الخير لكل الناس، وهو يقول: كل يوم حين كنت أستيقظ في أول الصباح كنت أَلقّن نفسي هذه الكلمة، وكنت حين أريد المنام ألقّنُ نفسي هذه الكلمة أيضاً، وهكذا حتى استطاعت أعصابي أن تتحمل الضغط والإهانة وما أشبه.

ونحن نرى أن المسلم أيضاً يلقّن نفسه في كل يوم السلام صباحاً، ظهراً، عصراً، مغرباً، عشاءاً، وذلك في الصلوات الواجبة حيث يكرر ذلك في كل صلاة فيقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

---

(١) سورة البقرة: الآية/ ١٩٤.

(٢) كنز العمال: ج ١١ ص ٧٢٨ ٣٣٥٦٨

سلام للقائد وهو رسول الله ﷺ، وسلام لنفسه، وسلام للجميع، وهذه رموز عن سِلْم القائد، سِلْم الشخص، سِلْم المجتمع الاسلامي، بل وأكبر من المجتمع الاسلامي لأنه يقول السلام عليكم يعني كلكم كونوا في سلام. وهكذا يلقن المسلم نفسه السلام كل يوم ما لا يقل من خمس عشرة مرة فإذا تلقّن الإنسان السِلْمَ فيستطيع من السلام الذي يتمكّن بسببه من القيادة والتقدم، وجمع الكلمة، وتحمل المصائب وعدم استفزاز الآخرين بالكلمة النابية، والهمز، واللمز، والطعن، واللعن، والسباب والمهاترة وفي حديث أن رسول الله ﷺ رأى نفرين يتسابّان فقال: «شيطانان يتهاتران».

وعلى أي حال فاللازم على الحركة الإسلامية التي تريد أن تنتهي إلى حكومة إسلامية عالمية أن تأخذ الشعار والدثار؛ السلام. ولا يتسنّى للحركة ذلك إلاّ بالتلقين الدائم، المداوم؛ بأننا أناس نُحبُّ السلام ونسعى للسلام، لا سلام الشيوعيين بطبيعة الحال فإن هذا السلام سلام كفر وقتل، وإنما نحن نريد إسلاماً في ظل السلام، ونقصد بكلمة في ظل السلام الله سبحانه وتعالى. لأن من أسمائه السلام **﴿هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾**[1]، نحن نريد السلام في ظل السلام، أي في ظل الله وفي ظل الإسلام.

فالواجب علينا أن نلقّن أنفسنا السلام الدائم، والعطف حتى نحو الأعداء حتى نسحبهم إلى الصراط المستقيم، وقد روَي عن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا اشتدّ به أذى قومه كان يقول: «أللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[2]، ولم يكن يدعو الله عليهم وإنما كان يدعو لهدايتهم، وبالنتيجة نجح رسول الله ذلك النجاح المنقطع النظير في كل العالم. نسأل الله أن يوفقنا لذلك إنه خير موفق ومعين.

---

(١) سورة الحشر: الآية/ ٢٣.

(٢) كنز العمال: ج ١٠ ص ٣٧٩ ح ٢٩٨٨٣.

الأساس الخامس

الاكتفاء الذاتي

١ ـ نحو الإكتفاء الذاتي.

٢ ـ مقاطعة البضائع الأجنبية.

٣ ـ المقاطعة الشاملة.

٤ ـ تشجيع الإقتصاد الوطني.

٥ ـ إستغلال كل شيء من أجل الإكتفاء الذاتي.

٦ ـ الإكتفاء الذاتي في مختلف الأبعاد.

٧ ـ صبّ كل الطاقات في روافد الإقتصاد الإسلامي.

٨ ـ من الإكتفاء الذاتي جمعُ الحركة شملَ نفسها.

(۱)

نحو الإكتفاء الذاتي

كان الكلام حول كيفية إقامة حكومة ألف مليون مسلم.. وقلنا إن ذلك يتوقف على أسس هي التوعية، التنظيم، أصول الحركة العامة، والسلام هذه أسس أربعة ذكرناها في حلقات سابقة، أما الأساس الخامس لمثل هذه الحكومة فهو: الإكتفاء الذاتي: يعني أن يهتمّ المسلمون بأن تكون حوائجهم من عند أنفسهم، فلا يطلبون من الشرق والغرب حاجة، سواء كانت صغيرة أم كبيرة. وذلك ممكن، فالبلد الإسلامي إذا صار يداً واحدة من غير فرق بين السودان وليبيا والمغرب ومصر والأردن وسوريا والعراق وإيران والخليج والباكستان وأندونيسيا وبنغلادش وأفغانستان وغيرها من الأجزاء المقطعة من الجسم الإسلامي الواحد.. إذا عَدَّتْ هذه البلاد بلداً واحداً أمكن أن يعطي كل بلد حوائج البلاد الأخرى..

وهكذا يقوم المسلمون الألف مليون بحوائج أنفسهم، فلا يستوردون من الشرق أو الغرب أي جهاز من الأجهزة، وهذا الشيء يبتدأ من الصفر بأن تقوم الحركة بنفسها بتطبيق هذا المبدء على نفسها وأعضائها أولاً، ثم تقوم بالدعايات الكافية وتوفير الشروط اللازمة لأجل الإستغناء، فقد قال علي أمير المؤمنين عليه السلام، «إحتجْ إلى مَن شئتَ تكنْ أسيره واستغنِ عَمَّن شئتَ تكنْ نظيره وأحسنْ إلى مَنْ شئتَ تكنْ أميره»[1]، فما دام المسلمون محتاجين في لباسهم وفي أدواتهم الكمالية وفي المأكل والمشرب والمركب وغير ذلك إلى أمريكا وإلى فرنسا وإلى بريطانيا وإلى روسيا، وإلى الصين، وإلى اليابان، أو إلى غيرها، فهم أسراء في أيديهم وبالفعل نحن أَسراء. ولذا لا استقلال لنا ولا حرية، ولا آراؤنا تُسمع، ولا

---

(۱) غرر الحكم ودرر الكلم المفهرس ص ٧٦ و٧٩ و٣٦ و٤٥ و١١٢.

لنا كلمة يُصغى إليها. نحن أسراؤهم وفي حال الأسر لا يمكن أن تقام الدولة الإسلامية الواحدة، كما لا يمكن أن تقوم حركة حقيقية تتقدم حتى تصل بالمسلمين إلى حكومة ألف مليون مسلم.

فالأساس الخامس الإكتفاء الذاتي والإستغناء عن الأجانب، في الدواء، في الغذاء، في الكساء، في السيارة، في الباخرة وفي كلِّ شيء.

فكل شيء يُصنع في بلادنا نتخذه آلة ووسيلة، وكل شيء يصنع في بلادنا من الأدوات والآلات لا نستخدمه، وإذا كنّا مصممين على ذلك، فأن الأمر يَسهلُ علينا.

وقد ورد أن رسول الله ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة المنورة رأى اليهود قد نشبث مخالبهم في أهل المدينة لأنَّ اليهود كانوا محيطين بالمدينة - من بني قينقاع وبين النظير وخيبر وفدك وتيماء والعوالي وبني المصطلق وغيرهم - ورأى رسول الله ﷺ أن هؤلاء هم المثقفون الذين سيطروا على أهل المدينة بثقافتهم وأنهم هُم التجار الذين بيدهم الأسواق، وذلك يعني أن البضائع لم يكن يصدرها أو يستوردها غيرهم. وأنهم هم تجار السلاح، فالسلاح وإن كان في ذلك اليوم لا يعدو السيف والسهم والرمح وما أشبه، الا إنها كانت بأيدي اليهود. ورأى ﷺ أن اليهود أفسدوا أهل المدينة بالخمر والبغاء والشذوذ الجنسي ونحو ذلك.

عزم رسول الله ﷺ - بأمر الله تعالى - أنْ ينقذ أهل المدينة من اليهود. . . ولمّا أَسَرَ جماعة من أهل بدر جعل الفدية أن يُعلّم كل إنسان يعرف القراءة والكتابة من الكفار عشرةً من المسلمين، فالتعليم فدِيةُ ذلك الإنسان المعَلّم بدل أن يفدي نفسه بالمال وهكذا أخذ جماعة من الكفار الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة يعلمّون عشرة من أولاد المسلمين فإذا استوعب هؤلاء العشرة القراءة والكتابة كان ذلك فكّاً لأسر ذلك الكافر، ينطلق إلى داره، والمسلمون الذين تعلموا مِن أولئك الكفار صاروا هم يعلّمون غيرهم فلم ينحصر العلم في اليهود، وإنما أخذ المسلمون يعلّمون بعضهم بعضاً، حتى قام بهم العلم قراءة وكتابة إلى جانب العلوم الشفهية التي كان يُلقيها عليهم رسول الله ﷺ إذ كان الرسول يعلّمهم ليل نهار **﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإنْ كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾**[1].

وهكذا تخلص أهل المدينة المنورة من شر اليهود من هذه الجهة.

---

(١) سورة الجمعة: الآية/ ٢.

ثم قال لهم الرسول اجروا أنتم. قالوا يا رسول الله ليست لنا دكاكين أو محلات للبيع، فقال لهم ـ كما في التاريخ الذي رأيتُهُ ـ اجعلوا بُسُطاً في الشوارع والأَزقة، فأخذ المسلمون يشترون بعض الحاجيات ويجعلونها علىٰ البسط في الشوارع والأَزقة، وبهذا استغنوا عن الاشتراء من اليهود، فانقطعت الصلة التجارية إلى جانب انقطاع الصلة الثقافية بين أهل المدينة وبين اليهود.

وبعد ذلك أمر رسول الله المسلمين أن يذهبوا ويتعلموا صنع السلاح، وذهب بعضهم إلى اليمن وتعلّم صنع السلاح، وحتى صنع الدبابة على الطراز القديم. فتعلموا صناعة السيف، الرمح، السهم، الخوذة، الدرع، الدبّابة ونحوها، تعلموها وعملوها فاستغنوا في سلاحهم عن اليهود. وبذلك انقطعت صلة اليهود السلاحية عن المسلمين، وكان هذا أيضاً نوعاً من الاستقلال.

وكذلك حرّم رسول الله ﷺ بأمر من الله سبحانه وتعالى الزنا واللواط والخمر والقمار وما إلى ذلك من الأسباب المفسدة الملهية التي روّجها اليهود بين أهل المدينة قبل الاسلام، حتى يجعلوهم لقمة سائغة في أفواههم، لأَنَّ الفساد مما يحطّم الأمم كما هو معروف.

ولما فعل رسول الله هذه الأمور الأربعة: الاستقلال الاقتصادي والاستقلال الثقافي والاستقلال التسليحي والاستقلال عن الشهوات ومحاربة النفس الأمّارة بالسوء، وإذا بمسلمي المدينة يقومون على أقدامهم ولم يعودوا يحتاجون لا إلى المشركين ولا إلى اليهود، ولم يعودوا منغمسين باللّذات والمُلْهيات والمفاسد والمغريات، وبذلك قاموا على أرجلهم وقابلوا اليهود وغير اليهود من المشركين حتى قامت قائمتهم ووصل الإِسلام إلى ما وصل إليه في زمن رسول الله ﷺ حيث دخلتْ تحت لواء الاسلام في حياة الرسول بنفسه خمس من الدول (حسب الاصطلاح الحديث) وهي: الكويت ـ وكانت تسكنها قبائل عربية كما في بعض التواريخ ـ والبحرين، واليمن الشمالي، واليمن الجنوبي، والحجاز.

فنحن المسلمين إذا أردنا الاستقلال عن الغرب والشرق والرجوع إلى الإسلام وتأسيس الدولة الاسلامية العالمية ذات الالف مليون مسلم نحتاج إلى الإكتفاء الذاتي، نكتفي ببضائعنا، نكتفي بمنتوجاتنا، نكتفي بصنائعنا، نكتفي بعلومنا، نكتفي بخيراتنا التي تظهر من الأرض من المعادن أو الثمار أو غير ذلك، فإذا استغنينا عن الغرب والشرق نكون نظير الغرب والشرق تلقائياً، أما إذا احتجنا

في كل شيء إلى الغرب والشرق فلا بد وأنْ يسود بلادنا الغرب مرة والشرق مرّة ووليدتهما الصهيونية مرة ثالثة.

وإلى متى؟ لقد جرّبنا البعثية وجربنا الشيوعية وجربنا الديمقراطية الغربية وجربنا سائر الأنظمة الغربية و الشرقية فلم تزدنا إلاَّ خسارة، وها نحن بقي أمامنا الإسلام، الإسلام الحقيقي الوارد في الكتاب والسنّة المطهرة. وأمامُنا سيرة رسول الله وأصحابه الكرام وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين، فلنتخذ منها درساً في الإكتفاء الذاتّي إلى جنب أخذنا منهم الصلاة والصيام والحج والصدق والأمانة والحرية وغير ذلك.

فإذا فعلنا ذلك نكون قد اقتربنا من الحركة الإسلامية العالمية الواحدة التي تنتهي إلى حكومة ألف مليون مسلم بإذن الله تعالى وما ذلك على الله بعزيز.

(٢)

مقاطعة البضائع الأجنبية

الإكتفاء الذاتي يتركز على أَمرين: إيجابي سوف نتكلم عنه في الحلقات القادمة بإذن الله تعالى، وسَلْبي يدور كلامنا الآن حوله وهو عبارة عن تجنّب الإنسان البضائع والأفكار الأجنبية مطلقاً، وإنما يجب أن تكون الأفكار نابعة من نفس الإسلام وبلاد الإسلام، الأفكار الدخيلة يجب أن تُنبذ كما تحدثنا عن ذلك في أحاديث سابقة، ويجب أن تقاطع كل البضائع الأجنبية. ومقاطعة البضائع الأجنبيه . التي ليست من بلاد الإسلام . تتضمن مشكلات:

الأولى: مشكلة الحرمان.

الثانية: مشكلة الصعوبة في تبديل البضاعة بشيء آخر.

الثالثة: الضغط النفسي على المقاطعين.

أمّا المشكلة الأَولى: فإن جملة من البضائع دخلت في حياتنا نحن المسلمين، فإذا تركناها وفقدناها ولم نجد بديلها في البلاد الإسلامية سبّب لنا ذلك صعوبة، مثلاً: الثلاجة إنما تصنع في الغرب والشرق، فإذا قاطعنا البضاعات الأجنبية فمعنى ذلك أن لا تكون ثلاجة في بيوتنا وهذا شيء صعب بالنسبة إلى من اعتاد وجود ثلاجة في منزله.

ولكن هذه الصعوبة يجب تحملها، لأنَّ تحمّل الصعوبة يرفع الإنسان إلى مدارج الكمال، وفي الحديث: «أفضل الأعمال أحمزها»[1].

المشكلة الثانية: تبديل الشيء السهل إلى الشيء الصعب، مثلاً: قد اعتادت الكثيرات من نسائنا على الغسل بالغسالات الكهربائية فإذا تركنا الغسالات الكهربائية يجب الغسل باليد وفي الغسل باليد صعوبة كبيرة، لكن هذه الصعوبة يجب أن تتحمل جسدياً لأجل فائدة أكبر وهي إنقاذ المسلمين من براثن المستعمرين، حتى نفس هذا الإنسان الذي يلاقي الصعوبة سيلاقي السهولة في السمتقبل. بالإضافة إلى ما يجده من العزة في الحاضر والمستقبل فإن قيام الدولة الإسلامية أحسن وأهنأ من السهولة مع الذلة التي يعيشها المسلمون الآن.

المشكلة الثالثة: مشكلة الضغوط النفسية، حيث يُقال: هؤلاء رجعيون، هؤلاء يسيرون إلى الوراء، هؤلاء متخلفون، هؤلاء متوحشون، هؤلاء لا يفهمون الحياة.. لكن لنتساءل ما معنى الرجعي والمتخلف؟، أليس كل صاحب مبدأ، والاستعمار ينسب مَنْ لم يُطِعْهُ في مبدئه واستعماره إلى التخلف والرجعية والجمود؟.

إن الشيوعيين يجعلون المعيار الشيوعية، فكلُّ مَنْ ليس شيوعياً فهو متخلف في نظرهم، والرأسماليون يجعلون المعيار رأس المال، والأنظمة الغربية، فكل مَنْ لا يسير في ركابهم فهو متخلف ورجعي. وكذلك البعثيون والقوميون والديمقراطيون الغربيون، والوجوديون. بل إن الصهاينة يعدّون اليهود الذين لا يمشون في ركابهم. في الإستعمار والإستغلال. رجعيين، وأهل الفساد. يعدّون من لا يمشيء في ركابهم في تعاطي الآثام والموبقات متخلفاً ورجعياً... وهل نخاف نحن المسلمين من أن يرمينا أحد هؤلاء بالرجعية؟

فيجب علينا، أن نعرف الميزان والمعيار الذي نريد أنْ نزن به التخلف والتقدم والرجعية والجمود، الميزان هو الفضائل الإنسانية، هو الطهارة والنزاهة، هو إعطاء حاجات الروح وحاجات الجسد، هو إنقاذ المستضعفين من براثن المستغلين والمستعرين، وهل إن التقدمي يقتل ألوف الناس كالشيوعيين ويسجن

(١) البحار: ج ٦٧ ص ١٩١ ح ٢.

ألوف الناس كالأمريكيين والأروبيين؟، وهل أن التقدمي يقتل وينهب ويهتك الأعراض كالبعثيين وغيرهم؟ هل هذه هي التقدمية، وهل يجب أن نخاف من هذه الوصمة؟ إنَّك إذا لم توصم على ألسنة هؤلاء بالرجعية والتأخر والتخلف فلا بُدَّ وإنك مع الظالمين، إن صفحتك إذا كانت بيضاء في سجل المباحث البعثية والقومية والشيوعية فلا بُدَّ وأنك مُداهِن، وإنك ساكت على الظالم وإنك راض بفعله.

أما إذا كانت صفحتك سوداء على اصطلاحهم فأنك مجاهد حقيقي وإنك ممن يحبّه الله إذا كنت تحاربهم في سبيل الله.

فلا خوف لنا إذن من أن نُتهم بسبب مقاطعة البضائع الأجنبية بالرجعية والجمود والتخلف وعدم المسايرة مع الركب الإستعماري الإستغلالي العالمي الشرقي والغربي. ومن الأمثال المشهورة «حَشْرُ مع الناس عيد» والعكس هو الصحيح ﴿**إن ابراهيم كان أمة قانتاً**﴾»[1]. لم يقل ابراهيم ذلك المثل ولم يقله موسى ولا عيسى ولا محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) ولو أراد موسى بن جعفر أن يقول: (حَشْرُ مع الناس عيد) لم يُسجن، ولو أراد الإمام الصادق أنْ يقول ذلك لم يُسَمَّ، وهكذا سائر الأئمة عليهم السلام. وسائر المصلحين، إنما طُردوا وهُوجموا وسُجنوا وعذّبوا وقتلوا لأنهم رفضوا مقولة (حَشر مع الناس عيد)، ويجب علينا أن نعرف أنَّ تَرْكَنا للبضائع الأجنبية الغربية والشرقية وإقبالنا على البضائع التي تُصنع في بلاد الإسلام، كمصر وإيران والعراق وغيرها، هذا الشيء يُسبّبُ لنا راحة في المستقبل، وراحة لكل المسلمين وللمستضعفين من غير المسلمين أيضاً. يُوجد الآن أكثر من ألف مليون جائع في العالم، مَنْ يُنقذ هؤلاء؟ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما آمن بي مَن بات شبعان وجاره جائع»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام - وهو الأسوة والقدوة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم -: «أأقنع من نفسي أنْ يقال لي أمير المؤمنين، ولا أشاركهُم مكاره الدهر؟ أو أبيت مِبطاناً وحولي أكباد حرى، وبطون غرثى، أم أكون كما قال الشاعر:

وحسبك داءً أنْ تبيت ببطنة وحولَكَ أكباد تحنُّ إلى القد

---

(١) سورة النحل: الآية/ ١٢٠.

(٢) الوسائل: ج ٨ ص ٤٩٠ باب ٨٨ من أبواب أحكام العشرة ح ١.

ولعل هناك باليمامة أو الحجاز من لا عهد له بالشبع ولا طمع له في القرص»[1].

وقد ورد: أن قضاباً قال لأمير المؤمنين ـ وهو رئيس أكبر دولة في ذلك اليوم ـ: «يا أمير المؤمنين نِعْمَ اللَّحم» فقال الإمام: «إني لا أملك الثمن». ثمن لحم أقل من درهم، الإمام لا يملكُهُ، لماذا؟ وحقاً لا يملك الإمام، لا مِنْ بيت المال، ولا مِنْ أملاكه الشخصية ومزارعه الكثيرة التي زرعها وحرثها؟

نعم إنه لا يملك أن يكون في وقت واحد عادلاً وأن يأكل اللحم وهو خليفة المسلمين ولعلّ بعض المسلمين لا يجدون اللحم، ولعلّ بعض غير المسلمين في بلاده لا يجدون اللحم.

إن الإمام لا يحن على المسلم فقط وإنما حتى على الكافر كما في القصة التي هجم فيها جيش العدو على الأنبار وآذوا النساء المسيحيات فتأثر الإمام تأثراً بالغاً وقال في كلامه: (والأخرى المعاهدة) يعني التي في عهد المسلمين، ولعلها لم تكن أيضاً مسيحية بل كانت وثنية، لأنّ الوثنيين بقوا في عهد الإمام، حيث لم يكنْ ضغط، عليهم إذا استسلموا للدولة الإسلامية وعملوا بالشرائط.

وقال في كلام لمالك الأشتر: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخَلْق»[2]، والنظير في الخلق يشمل الكافر والمشرك، والذي لا يؤمن بالله إطلاقاً، وعلى أي حال، فهذه مسألة فقهية ذكرناها في كتاب [اللغة ـ الجهاد].

الإمام يريد بحرمان نفسه أنْ يوسّع على المسلمين وغيرهم، وبالفعل تمكّن من ترفيههم حتى جاء في بعض التواريخ: إن الإمام عليه السلام قال ما مضمونه: أنه في عهده صار لكل عائلة دار ورزق وماء.

إلا أن أكبر الدول ثروة كأميركا لم تستطع من ذلك، أما في روسيا فأكثر الناس جائعون، وإنْ كانت دعاياتهم تقول بأنها: (حكومة العمال والفلاحين)!!

وهكذا، إذا تمكنّا مِنْ حرمان أنفسنا نتمكن من إنقاذ المحرومين.

وقد جاء في التاريخ أنه في أبان الحرب الإسلامية الفارسية في أول الإسلام

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

حيث تعدّى الفرس في قصة مشهورة على المسلمين فاضطرّ المسلمون إلى محاربتهم، تعجب الفرس كيف يتقدم المسلمون وهم حكومة جديدة وبدائية إلى أبعد حدّ؟ فاجتمع قائدهم رستم مع ضباطه وقواد أركانه، واستشارهم في ذلك. . . عجباً هل هؤلاء معهم الملائكة؟ إنهم ما كانوا يصدّقون أنّ المسلمين أصحاب دين حقيقي، فلا ملائكة معهم، ثم الملائكة أيضاً لا تُحارب إلاّ في معجزة خارقة للعادة، لأنّ الله أبىٰ أنْ يجري الأمور إلاّ بأسبابها. . هل معهم الجنّ يحارب معهم ضد أعدائهم؟ لا هذا ولا ذاك. . وهل معهم السحر؟ عجيب السحر يهزم الدول ويصنع الدول؟ لا يمكن هذا أيضاً. . !

قال رستم: إنَّ العدد والعدة لنا إضافة إلى أكثر من ألف سنة من الممارسة، وهؤلاء لا عدة لهم ولا عدد ولا نظم وهم بدائيون، وحكومتهم حكومة جديدة لم يَمُرَّ عليها حتى عشرين سنة، فكيف يحاربوننا ويتفوقون علينا وعلى غيرنا؟ وأخيراً، استقر رأي رستم وأصحابه على أن يستقدموا واحداً من المسلمين ويستفسروا منه عن السبب؟

فاستقدموا مسلماً، وفي بعض التواريخ: اختطفوا مسلماً مِنْ هؤلاء المسلمين المنتشرين في الصحراءِ، وجاؤوا به إلى خيمة الحرب ذاتَ الأُبَّهة، الأُبَّهة الفارسية المشهورة ذلك اليوم، وإذا به يرى فراشاً من أجمل الفراش، فجمع قسماً منه وجلس على الأرض!!

تعجب هؤلاء مِنْ فعلِ هذا المسلم، وقال له رستم: كان لنا سؤال واحد. . والآن لنا سؤالان. . نقدم الثاني منهما: لماذا جمعتَ الفراشَ وجلست على التراب؟

قال الرجل المسلم: . ومحل الشاهد في هذه الكلمة .: «إنما فعلتُ ذلك لأنَّ لي أخوة في الصحراء يجلسون على التراب فما أحببت أنْ أكون أعلى منهم مجلساً وكيف أجلس على الفراش وهم يجلسون على الأرض؟»

. . . ولما ذهب ذلك المسلم نظر بعضهم إلى بعض وقالوا هذا هو الذي نخاف منه ونخشى. إن مثل هؤلاء يتقدّمون علينا ولا يمرّ زمان إلا ويتسلطون على بلادنا!

وهكذا كان.

المسلم في ذلك اليوم ما كان يلاحظ شخصه فقط، ولا يقول: داري، ودابتي وأثاثي وبستاني وأملاكي ورصيدي وأسهمي وإلى آخرها، بل كان يلاحظ الكل ويقول: نحن الأخوة، نحن الجماعة، نحن الامة يجب أن نكون متساوين في المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك، ولهذا تقدّموا: فإذا حرمنا أنفسنا. نحن المسلمين. عن البضائع الأجنبية المرفهة سواء حرمناها إطلاقاً أو بدلناها بالشيء الأصعب كنّا من الذين يوفقهم الله سبحانه وتعالى للوصول إلى الهدف، وما ذلك على الله بعزيز..

(٣)

المقاطعة الشاملة

ذكرنا في الحلقة السابقة: الركن السلبي في الإكتفاء الذاتي.. وفي هذه الحلقة نتحدث حول الركن الإيجابي منه.

الإكتفاء الذاتي لا يبدأ ضخماً واسعاً عميقاً، وإنما هو كالنبات ينمو رويداً رويداً، فإذا قررت الحركة الإسلامية العامة التي تريد النهوض بالمسلمين لإقامة دولة الألف مليون مسلم، أنْ يكتفي المسلمون ذاتياً حتى لا يحتاجوا إلى الشرق والغرب، فعليها أن تدعوا المسلمين إلى أن يتخلوا عن البضائع الأجنبية بضاعة فبضاعة، وحاجة فحاجة، وأنْ يحولوا البضائع المستوردة إلى البضائع المصنوعة في بلاد الإسلام، كما ويلزم أنْ يقطعوا حاجاتهم عن المواد الغذائية المستوردة من الخارج وينقلوا ذلك إلى المواد المنتجة في داخل بلاد الإسلام من لحوم ومشتقاته وحنطة وأرز وحليب ومربيات وحلويات وغير ذلك تدريجاً..

فتنمو السلع الداخلية وتنقطع السلع الخارجية حتى يصل الأمر إلى الإكتفاء الذاتي، وحتى يكون المسلم هو سيّد نفسه لا أن يمدّ يده إلى شرق أو إلى غرب أو إلى شمال أو إلى جنوب، وإنما يستعمل في مسكنه وملبسه ومأكله ومشربه وحاجاته ما يُصنع في نفس بلاد الإسلام، فبلاد الإسلام وحدة واحدة والحدود الجغرافية التي جعلوها حدوداً قانونية كلها تتهاوى أمام هذه العزيمة، وبذلك يأخذ المسلمون في الإرتفاع.

ويجب على الإنسان ألاّ يستهين بالسلعة الصغيرة فلا يقول: أنها لا تضر

البلاد أو لا تنفع الغربيين حتى لو كانت بيضة واحدة، ففي حديث أنّ رسول الله ﷺ كان ذات يوم جالساً إذْ جاء مسلم بدينار، وقال يا رسول الله إنها صدقة عَنْ عشرة دنانير وجاءه مسلم بعشرة دنانير، وقال: يا رسول الله ﷺأنها صدقة عن مئة دينار، وجاءه مسلم ثالث بمئة دينار وقال يا رسول الله ﷺ إنها صدقة عن ألف دينار، فلما ذهبوا توجه رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقال: كلهم في الاجر سواء، لان كل واحد بذل عُشر ما عنده.

يعني: إن كل واحد سَخَتْ نفسه بأن يبذل عُشر ما يملك فالاول بذل العُشر والثاني بذل العُشر والثالث بذل العُشر.

وهذا الحديث تنفتح منه أبواب، فالحاجة الصغيرة كالحاجة الكبيرة كلتاهما تقويّان سلطة الشرق والغرب، وكلتاهما ـ إذا كانت من بلادنا ـ تُسقطان سلطة الشرق والغرب، فلا فرق بين أن يستورد إنسان بيضة واحدة من الغرب أو الشرق أو أن يستورد سيارة كبيرة قيمتها عشرون ألف دينار. أيّ فرق بين الأمرين؟ هذه حاجة وهذه حاجة، لا نقول: لا فرق في الحجم وإنما نقول: لا فرق في الواقع.

إنَّ مَنْ يشرب قطرة من الخمر حاله في الحرمة كمن يشرب كأساً منها، وإنَّ مَنْ يطيع الله في إعطاء درهم للفقير بحسب إمكانه كمن يطيع الله في إعطاء دينار للفقير بحسب إمكانه.

الأعمال لا تُقاس بالحجم والكم فقط، وإنما تقُاس بالكيف أيضاً، وأحياناً يكون (الكيف) أهم مِن (الكم). وفي حديث مشهور: أن علياً وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام وخادمتهم فضة قَدَّموا في سبيل الله في ثلاثة أيام خمسة عشر قرصاً من الخبز، فنزلت فيهم سورة ﴿**هل أتى**﴾[1]. : ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكورا * أنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا**﴾[2]. .

إن الله لا يمدح خمسة عشر رغيفاً من الخبز، لأن بالإمكان أن ينفق إنسان خمسة آلاف من رغيف الخبز أو خمسين ألفاً أو خمسمائة ألف منها، لكن الله ينظر إلى تلك القلوب الطاهرة التي بذلت كل ما عندها في تلك الليالي من

---

(١) سورة الإنسان: الآية/ ١.

(٢) سورة الإنسان: الآية/ ٨ ـ ٩ ـ ١٠.

الأقراص ولذا نرى أن نفوس هؤلاء الأطهار لما ملكوا (فدَك) أو ملكوا الحوائط السبعة في قصة طويلة أو لمّا ملَكَ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام البلاد الإسلامية كافة وهي أكبر بلاد الدنيا في ذلك اليوم. . . . كانت لهم نفس تلك النفسية حين بذلوا الأقراص، أنه لا فرق بين الصغير والكبير في الأمور إذا كانت النفوس نفوساً خاصة سواء في المعصية أو في الطاعة، فلا يقل من يريد مقاطعة البضائع الأجنبية الاستعمارية: أية أهمية للبيض، أو أية أهمية لأمتار قماش، أو أية أهمية لسلعة صغيرة قيمتها درهم أو ربع دينار؟ لا. . إنَّ الواجب المقاطعة الكاملة لكل السلع الصغيرة منها والكبيرة.

إن الصغائر تتجمع حتى تكون كبيراً والشعر يقول:

ومعظمُ النار مِن مستَصْغَرِ الشَرَرِ» ....

فالشرارة الصغيرة في ثقاب قد تحرق مخزناً كبيراً من الحطب، أو الورقَ، أو النفط، أو الفراش، أو ما أشبه ذلك.

إننا نرى أن نفس المستعمرين يعملون بهذه الخطة، فإنهم لا ينظرون إلى (الكم) فقط، وإنما ينظرون إلى (الكيف) أيضاً. . ففي كلام لأحد السياسيين من إحدى البلاد الإسلامية يقول: أن حكومة ذلك البلد عَزَلَتْ رئيس البنوك، ولم يُعلمْ السبب؟ وذهبتُ أنا إلى رئيس الجمهورية وكان صديقاً لي وعميلاً الإستعمار البريطاني وسألته عن السبب؟

فقال رئيس الجمهورية: إن الأمر سرّ ولكنني سأبوحُ لك به، وهو أن سفير بريطانيا جاء إليّ وأبلغني بامتعاض حكومته مِن أنْ يكون هذا الدكتور في الإقتصاد رئيساً للبنك المركزي.

قلت للسفير: لماذا هذا الإمتعاض؟

قال: لأنه ألّفَ كتاباً حول البنوك غير الربوية، وأنه كيف يمكن أن تُبنىٰ البنوك بدون ربا؟ فقلت للسفير البريطاني حينها: «إن الأمر سهل، فإني الآن أصدر الأمر إلى وزير الاقتصاد لتبديله بغيره».

لاحظوا هذا الشيء: إن سفير بريطانيا يبلّغ رئيس جمهورية بلد إسلامي ـ والرئيس عميل لهم بطبيعة الحال ـ امتعاض حكومته لأجل تأليف كتاب حول البنوك اللاربوية. . فالإستعمار يلاحظ حتى الصغائر في شؤونه، والصغائرُ تتجمع،

حتى تكوّنَ القطرات عيناً والعيون نهراً، والأنهر نهراً كبيراً والأنهر الكبار بحراً.

يجب علينا أنْ نتعلم من الله عز وجل حيث أنه كوَّن البحار من قطرات الأمطار الصغيرة، وكذلك جَرَتْ عادة الحياة على ذلك، فالجيش الكبير الذي يفتح البلاد إنمّا يتكون من فرد، وثان، وثالث، وهكذا، وكذلك الإِنسان يتكوّن مِن خلايا حيّة كلّ خلية حية لا تُرى بالعين المجردة.

إننا يجب علينا في مقاطعتنا للبضائع الأجنبية والإكتفاء الذاتي في بلادنا أن نلاحظ صغائر الأمور أيضاً لا كبائرها فحسب.

أي أننا يجب علينا أن نقاطع الأجنبي في الألبان، ونقاطع الأجنبي في اللحوم، ونقاطع الأجنبي في البيض، وفي المواد الكمالية، وسائر الأمور الصغيرة تدريجياً، حتى نصل إلى مقاطعته في الطائرة، في السيارة، في التراكتور، في المطابع، في المعامل، في القطار، وفي غير ذلك.

فإِذا فعلنا ذلك، فإنه يعني أننا أسسنا أساساً آخر من أسس الحركة الإسلامية العامة التي تنتهي إلى دولة ألف مليون مسلم، بإذن الله تعالى.

(٤)

تشجيع الإقتصاد الوطني

هنالك عدة مقوّمات للإِكتفاء الذاتي، لا بدّ للحركة الإسلامية مِن أن توفرها، سواء في مرحلة النضال السلبي أو الإيجابي..

ومقومات الإكتفاء الذاتي عبارة عن الأمور التالية:

الأول: تشجيع البضائع الداخلية في البلاد الإسلامية، فعلىٰ الحركة، أن تهيىء تشجيعاً ـ بمختلف أقسامه ـ للمنتجين الداخليين إنتاجاً زراعياً، أو صناعياً، أو فكرياً، أو عمرانياً، أو غير ذلك، فإِن التشجيع له أثر بالغ في الكمية والكيفية للمنتجات الداخلية.

الثاني: التشجيع لمستهلك البضائع الداخلية، في مقابل تركه للبضائع الأجنبية، فإِنَّ هذا المستهلك يَجبُ أن يُشجع بمختلف الوسائل والسبل.

الثالث: جعل التعاونيات لمختلف البضائع الداخلية. مثلاً: نحتاج لتمويل

الف مليون مسلم إلى مئة ألف جمعية تعاونية على أقل تقدير في مختلف القرى والأرياف والمدن، وهذه التعاونيات تستورد البضاعة من نفس البلاد الإسلامية وتبيعها لنفس البلاد الإسلامية بسعر مناسب يوجب جلب المستهلكين إليها.

الرابع: صناديق الإقراض والإقتراض، لأجل تشجيع البضائع الداخلية وترك البضائع الأجنبية، فكثير من الزرّاع والصناعيين، والمثقفين، والمخترعين وغيرهم يحتاجون إلى قروض وأموال ليتمكنوا من القيام بانتاج البضائع الداخلية، فإذا كانت هنالك صناديق اقراض، وصناديق إعطاء رأس المال للذين ينتجون البضائع إذا كانوا فقراء. وتتكون هذه الصناديق من الزكاة وما أشبه. نشطت البضائع الوطنية، وسارَتْ إلى الأمام.

الخامس: التنسيق: يعني: أن تكون مكاتب للتنسيق بين المنتج والمستهلك وصناديق الإقتراض والتعاونيات، فإن التنسيق يوجب أن تسير الأمور بسرعة مطلوبة وبنوعية حسنة.

السادس: الدعاية الكافية لأجل هذا الشيء في الكتب والمجلات والجرائد والإذاعات والتلفزيونات والملصقات واللافتات وغير ذلك، فإن للدعاية وبيان أن الإستعمار إنما يدخل بلادنا بأسباب من جملتها الإقتصاد له أثر فعال في التفاف الناس حول هذه الحركة مما يجعل الأمور تسير على حسب ما يرام.

وعبر تطبيق هذه الأمور قد خطونا خطوة في طريق الإكتفاء الذاتي، إننا إذا راجعنا تاريخ الرسول ﷺ وعلي عليه السلام نرى أنهما كانا يهتمان بكل الأمور صغيرها وكبيرها في سبيل تحقيق الإكتفاء الذاتي، حتى أننا نرى أن الرسول وعلياً عليهما الصلاة والسلام كانا يعملان حتى الأعمال التي نعدّها أحياناً حقيره.. فالرسول ﷺ بنفسه نحر مئة ناقة في حَجّه وشَرّكَ علياً فيها، وكان الرسول في ذلك اليوم رئيس خمس دول - حسب الحدود الجغرافية الحالية - وهي: الحجاز، البحرين، الكويت اليمن الجنوبي، اليمن الشمالي.

لماذا يفعل الرسول ﷺ هذا الشيء ومعه علىٰ بعض التواريخ مئة وثمانون ألف إنسان حجّوا معه؟ إن الرسول كان يريد تعلم المسلمين الإكتفاء الذاتي بأن يقوم المسلم بكل شؤونه.

ويذكر أبو الفتوح الرازي في تفسيره المعروف حول زواج فاطمة الزهراء من

علي عليه السلام، إنه لما تقرر الزواج أهدى بعض الصحابة إلى الرسول: إبلاً، وأهدى بعضهم للرسول بقراً، وأهدى بعضهم للرسول شاة، حتى اجتمع منها الشيء الكثير.

فلما جَنَّ الليل - وكان ذلك قبل العرس - قال الرسول لعلي: يا علي لنشترك في تهيئة هذه اللحوم لإطعام المسلمين غداً، فتحمّلَ الرسول ﷺ مسؤولية تقطيع اللحوم وتحمّل عليٌ مسؤولية ذبح ونحر تلك الأنعام، فكان علي يذبح الأبقار والشياه وينحر الإبل ويسلخ تلك الحيوانات والرسول ﷺ يقطع اللحم قطعة قطعة، واشتغلا بذلك من أول الليل إلى الصباح مما يدل على أن الإبل والشياه والأبقار كانت كثيرة ثم أطعماها الناس.

على ماذا يَدُل هذا الحديث مع العلم أن الرسول كانت له جمهرة كبيرة من المسلمين، مستعدّون لمساعدته في كل شيء؟ وفي بعض التواريخ: إن الذين كانوا في الصفة كانوا زهاء أربعمائة إنسان، وكان هؤلاء بمنزلة الجيش الإحتياطي للرسول في الشؤون: شؤون الدولة التي كان الرسول ﷺمكلّفاً بها، وشؤون الدين الذي أنزل على الرسول وأمر بتبليغه.

ومع كل ذلك يقوم الرسول ﷺ وعلي عليه السلام، على مشاغلهما الكثيرة، بالذبح والسلخ وتقطيع اللحم من أول الليل إلى الصباح!

إن الرسول ﷺ يريد أن يعلّمنا كيف يجب أن نكتفي بما عندنا وأن نهيىء أنفسنا صناعياً، زراعياً، تجارياً، عمرانياً. . . لكي نقوم بكل شؤوننا.

ومن المشهور لدى الخاصة والعامة، وفي الكتب وفي المنابر: إن الرسول ﷺ هو وأصحابه قاموا ببناء المسجد وببناء الدور حول المسجد في قصة طويلة معروفة، وفي كتب الحديث: أنَّ علياً عليه السلام غَرَسَ مئة ألف نخلة! ولنفرض أن بين كل نخلة ونخلة لا بد من مسافة مترين، فمعنى ذلك أن علياً عليه السلام زرع مئتي كيلو متر مربع من الأرض، وتعلمون إن مئتي كيلو متر مربع أو غير مربع من الأرض كم يكون مساعداً لتقويه الاقتصاد: ورفع المستوى الزراعي؟ ثم لنفرض أن علياً عليه السلام كان يزرع كل يوم خمسين نخلة، فمعنى ذلك أن العمل يستغرق ست سنوات على أقل تقدير في أيام ابتعاد علي عن الخلافة.

إن معنى كل ذلك أن الرسول ﷺ - وكذلك سائر الأئمة الطاهرين عليهم السلام -

أرادوا أن يعلّمونا الإكتفاء الذاتي حتى لا نكون محتاجين إلى الأجانب، إلى الشرق أو إلى الغرب، وإلى المستعمرين.

فالمهم إذن أن نحقق الإكتفاء الذاتي، بالطرق السلبية ـ بالمقاطعة للبضائع الأجنبية ـ وبالطرق الإيجابية بأن نُسلح أنفسنا بالسلاح الذي يوجب نموّ زراعتنا وصناعتنا وتجارتنا وصيدنا وحيازتنا للمُباحات وعمراننا وغير ذلك.

واللازم أن تشكّل الحركة الجماهيرية التي تريد الوصول إلى حكومة ألف مليون مسلم، حركة في داخلها لأجل تشجيع المُنتِج والمستهلِك وصناديق قرض الحسنة وما أشبه، ولأجل تثقيف الجماهير حول هذه الأمور، ولأجل التنسيق أيضاً. . مما ينتهي إلىٰ استغنائنا عن الغرب، وعن الشرق، وإذا استغنينا عنهم بنينا بناءً شامخاً يصل انشاء الله مع سائر الأمور التي ذكرناها، وسنذكرها إلى دولة ألف مليون مسلم. وما ذلك على الله بعزيز.

(٥)

إستغلال كلّ شيء من أجل الإكتفاء الذاتي

لا بد من استغلال كل شيء، حتى أقل الأشياء وأحقرها، وحتى الزمان الترفيهي له الأثر في التقدم إذا تمكنّا مِن استغلالهما، وإن الأمور الصغيرة تتجمع حتى تكون أموراً كبيرة. . وهذه سنة الحياة في كل شؤونها المادية والمعنوية، وهناك حديث عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: «صَبُّ فَضْلِ الماء من الإِسراف»[(١)] فإذا كان صب فضل الماء من الإِسراف كان معناه أن الفَضْلَ يجب أن يُحتفظ به.

وفي حديث آخر: أن الإمام الرضا عليه السلام رأى أحد خدمه يأكل بعض الفاكهة ويقذف ببعضها الآخر الملتصق بالنواة فقال: «سبحان الله إنْ استغنيتم أنتم ففي الناس فقراء» يعني أن هذا المقدار يسمى إسرافاً. حراماً أو مكروهاً ..

فعلى الإنسان ألاّ يلاحظ أنه يَملك مالاً كثيراً، وإنمّا يلاحظ أنَّ في الناس معوزين مادياً واقتصادياً، وهكذا في سائر الشؤون.

---

(١) أنظر الوسائل: ج ٣ ص ٣٧٤ باب ٢٨ من أبواب أكام الملابس ح ١.

في الحرب العالمية الثانية خطب هتلر - ذلك الرجل الدكتاتور المعروف الذي أفسد بلاده وأفسد العالم كما هو شأن كل دكتاتور - في مجلس بلاده خطاباً حاراً، وألقىٰ باللائمة على النواب وأعضاء الحزب وقال: لماذا تستورد بلادنا بعض البضائع مثل موسى الحلاقة من بلد آخر؟ ولماذا لا تكون بلادنا تنتج حتى الموسى؟ ودام الخطاب - كما ذكرت الصحف - ساعة ونصفاً، وكل الخطاب تَهَجّم على المجلس وعلى أعضاء حزبه حول هذا الشيء الذي يعتبر تافهاً، ولم يكن تافهاً في الحقيقة. لا شك أن هتلر كان دكتاتوراً وكان بعيداً عن الموازين العقلانية ولكن كلمته هذه كانت صحيحة، وفي الأحاديث: «خذ الحكمة ولو من غير أهلها»[1] والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أين وجدها.

وقد قيل: إن أحد كبار الشخصيات سُئِل: ممِن تعلمت الأدب؟ قال: «ممن لا أدب له» يعني: أنه لا يمنع الإنسان أن يتخذ الحكمة ممِنْ لا أدب له، فإذا كان هتلر يهاجم بلاده وأعضاء حزبه ومجلسه لأنهم يستوردون الموسى، فماذا يقال: في بلاد الإِسلام وهي تستورد كل شيء من الإِبرة إِلى الطائرة.

نحن نرى أن البلاد الصناعية أَنزلت البشرَ على القمر، ونحن نستورد حتى البَيْض، وهذا إنْ دلّ على شيء فإنما يدلّ على البَوّن الشاسع بينهم وبيننا ويدل على أننا مستعمرون اقتصادياً، ومن المعروف أن الإستعمار الإقتصادي يلازم الإستعمار الثقافي، والإستعمار السياسي، وأحياناً الإستعمار العسكري لأنَّ الإستعمار وحدة لا تتجزء.

وعلى أيِّ حال، فالواجب أن نستغلَّ - لأَجل الإِكتفاء الذاتي - جميع مواردنا حتى الصغيرة وحتى أوقات الترفيه والفراغ، وقد جاء قبل سنوات في تقرير: أن الإسرائيليين يخرجون في أيام عيد الشجرة في أول الربيع إلى خارج بلدهم الذي اغتصبوه، وكل إنسان - من رئيس الوزراء حتى الطفل المميز الذي يتمكن من العمل - يزرع شجرة، لأن الحكومة ووزارة الزراعة تهيىء قبل ذلك الأراضي وتهيىء الفسائل والأشجار الصغيرة على عدد الذين يخرجون، وقد جاء في تقرير: أنه قد زُرعتْ في يوم عيد الشجرة في إحدى السنين مليون شجرة.. إِنهم حتى في أيام أعيادهم وترفيههم لا يتركون الأمر بلا منفعة.

---

(١) أنظر البحار: ج ٢ ص ٩٩ ح ٥٦ - ٥٧ - ٥٨.

إنَّ على الإنسان الذي يريد التقدّم في الحياة تقدّماً صناعياً وزراعياً وإيمانياً وخُلُقياً و. . أنَّ يستغلّ أيام عُطَلِه، لا أنْ يُشغل نفسه بالعبث والإعتباط.

وقد جاء أيضاً في مجلة قبل سنوات: أن إحدى الكنائس في البلاد الغربية التي أعلنتْ إفلاسها فكّرت في خطة تستردّ معها إقتصادياتها فتوصلت إلى أن تستأجر جماعة من العمال ليجمعوا لها النفايات، فجمعوا النفايات خلال سنة، وبدّلوها إلى مال ونقد فكان الربح أكثر من ثلاثة ملايين دولار!

فإذا كانت النفايات تعطي هذه النتيجة، فكيف بغير النفايات؟ فإذا تمكنا أن نستغل نحن فرصنا الزمنية وفرصنا المادية وطاقاتنا البشرية وغير البشرية الكبيرة والصغيرة والترفيهية وغير الترفيهية، نتمكن عندها من التقدم والإكتفاء الذاتي.

إني أذكر أنه قبل أربعين سنة ـ حين كنّا في العراق ولم تكن دولة اسرائيل الغاصبة قد قامت بعد وكان بعض اليهود حينئذ يسكنون في العراق ـ كان بعضهم يأتي أيام الخميس إلى أزقتنا وشوارعنا ويشترون بالمال ـ الزهيد طبعاً ـ كل شيء رخيص وكل شيء مكسر، وكلّ شيء خَلِق حتى الحصير الخَلِق والقنينة المكسّرة. . فسألناهم في ذلك اليوم ماذا تصنعون بهذه الأمور؟ قالوا: أنهم يفرغونها في المعامل، ويصنعون منها أدوات جديدة وأشياءاً حسنة، وحتى العظام كانت تُشتري لأنها تُستعمل لأجل السكّر والقَنْد وما أشبه.

وعلى كل حال، فالواجب علينا أن نستعمل كل فرصنا، كل طاقاتنا، كل إمكانياتنا، كل صغيرة وكبيرة من أعمالنا لأجل التقدم والإكتفاء الذاتي.

وقد ورد في الحديث: أن رسول الله ﷺ كان في ذات يوم يأكل التمر بيمينه وكان إذا أكل التمر وضع النواة في كفه اليسرى والناس ينظرون ويتعجبون: لماذا يحتفظ بالنواة؟ وإذا به ﷺ يرى عنزة تسير من بعيد فأشار إليها الرسول ﷺ أنْ هلمّي! فجاءت العنزه وأخذ رسول الله ﷺ يفتح كفه اليسرى أمامها، فأخذت تأكل النويات من يد الرسول ﷺ. . كان بإمكان الرسول قذف النواة وكان بإمكانه جمع النواة على الأرض، لكن الرسول راعى النظافة من ناحية، وراعى أيضاً عدم الإسراف حتى في نواه التمر.

فيجب علينا إذا أردنا التقدم أن نستغلّ أوقاتنا وفرصنا وحتى عطلنا، وأيام ترفيهنا، وأن نستغل حتى صغائر أمورنا لأجل أن نتقدم إقتصادياً ونكتفي ذاتياً، في كل الشؤون.

والله المسؤول أن يوفقنا لذلك، إنه هو الموفق المعين.

(٦)

الإِكتفاء الذاتي في مختلف الأبعاد

لا نستطيع أنْ نحقق الإِكتفاء الذاتي لو اْقتصرنا على أبعاد محدودة وضيقة.. بل لا بد أن يكون جهاد (الاكتفاء الذاتي) شاملاً لكل الأبعاد، فعلى القائمين بالحركة الإِسلامية العامة التي تنتهي إلىٰ حكومة ألف مليون مسلم (انشاء الله) أن يعمّموا الإكتفاء في مختلف أبعاد حياة الإنسان، من الماكل، المشرب، الملبس، المسكن، المركب، الزواج، الدواء، الثقافة، الزراعة، الصناعة، وغير ذلك، فاللازم على الحركة مراعاة كون المسلمين مكتفين في كل الأبعاد، مثلاً: بالنسبة إلى الزواج يجب أن يعمل الرجل وأن تعمل المرأة كلاهما، لأن المرأة تتصور أنَّها ربة بيت وخُلقتْ للإِستهلاك وإِنجاب الولد وتربيته فقط.

والزواج يجب أن يكون أولاً بسيطاً غاية البساطة، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث شريف «خيرُ نساء أمتي أقلهنّ مهراً»[١]، فالمهر كلمّا كان أقل كان خيراً، وقد ذكرنا أنه يظهر من بعض الأحاديث أن مهر أزواج رسول الله ﷺ كلهن ومهر بنت رسول الله فاطمة عليها الصلاة والسلام كان معادلاً لثمانية عشر مثقالاً من الفضة.

وكذلك بالنسبة إلى بساطة حاجيات الزواج فلا ضرورة للتجمّل واشتراء البضائع الأجنبية وتكديسها في الدور، كما لا ضرورة للبيت المستقل للزوجين بل يستطيعان العيش في بيت والد الزوج مثلاً، وكذلك نعمل كما كان يعمل آباؤنا السابقون في أنّ الزواج كان بسيطاً والزواج البسيط سهل بطبيعة الحال، وينبغي أنْ يكون جهاز الزواج من صنع الوطن الإِسلامي الكبير.

أما الثلاّجة والغسالة والتلفزيون والأجهزة الأجنبية الخارجية فإنها كلها تجَمّلات كمالية لا لزوم لها، والذين يجنحون إلى هذه التّجَمّلات هم الذين لا يتمكنون من التقدم إلى الأمام، فهم أسراء التقاليد، واسراء الأعراف المنحرفة،

---

(١) مكارم الأخلاق: ص ١٩٨.

واسراء العادات الأجنبية. . وهؤلاء لا يتمكنون من التقدم والنهوض بالإسلام إلى الأمام وإقامة حكومة ألف مليون مسلم.

إذن فالزواج يجب أن يكون ذا اكتفاء ذاتي بسيطٍ إلى أبعد حدٍّ ممكن ينقل والدي (رحمه الله) إن السيد عبد الهادي الشيرازي ـ الذي أصبح فيما بعد المرجع الأعلى للمسلمين ـ لما تّزوج كان الفرق بين ما قبل ليلة الزواج وبين ليلة الزواج أن الزوجة هُيِيء لها ثوب جديد واحد وفراش جديد وانتقلت الزوجة من غرفتها إلى غرفة السيد عبد الهادي الشيرازي (رضوان الله عليه)، وعاشا سعيدَيْن وأرتفعا في مدارج الكمال (وهي كانت أخت والدي).

فالبساطة توجب نوعاً من الإكتفاء الذاتي وهذا بُعْد من أبعاد الإكتفاء. وبعدُ آخر هو الإكتفاء في الدواء، ففي بلادنا الإسلامية أكداس من الأدوية المختلفة في النباتات والأعشاب والمواد المعدنية والحيوانية ونحو ذلك، فلماذا إذنْ نحتاج إلى استيراد مختلف الأدوية مِنْ هذا البلد الأجنبي، أو مِنْ ذلك البلد، إنمّا يلزم علينا أن نكتفي بعقارات تُصنّع في بلادنا، مثل الأدوية السابقة والتي جربناها من أول الإسلام إلى قبل قرن تقريباً، ورأينا من تلك الأدوية الشفاء الكامل بإذن الله سبحانه وتعالى.

مثلاً: في إيران وحدها أكثر من ثلاثة آلاف قسم من النباتات الدوائية وفي مصر والباكستان وأفغانستان وسوريا، والعراق وفي غيرها أدوية كثيرة ونحن نتمكن أن نستفيد منها. والطب الإسلامي ـ الذي هو مزيج من الطب اليوناني والفارسي والهندي والصيني بإضافة المعلومات الإسلامية التي أضيفت إليها ـ طب غني إلى أبعد الحدود وليس معنى ذلك أن نترك تقدم العلم في الطب، بل معنى ذلك أنا ما دمنا نعمل لإعادة استقلال بلادنا وإنقاذ ألف مليون مسلم يجب أن نكتفي بأقل قدر من كل شيء. فإذا اضطررنا إلى دواء أجنبي فذلك الإضطرار بقدره كأكل الميتة ولحم الخنزير والخمر، وإلا فالواجب علينا أن نكتفي ونجعل الأصل الإكتفاء بالأدوية التي توجد في بلادنا، تحت نظر الأطباء المسلمين.

هذا أيضاً بُعْد، من أبعاد الحياة وبهذا البعد نكتفي ونستغني من كثير من الإستيرادات من الشرق ومن الغرب، ومن أسْرِ الشرق والغرب، وكذلك في سائر أبعاد الحياة الإجتماعية، الإقتصادية، السياسية، التربوية، العمرانية، وغيرها. . يجب علينا أن نجعل الأصل الإكتفاء بما في بلادنا ونجعل احتياجنا إلى غيرنا مثل

الضرورة وأشد من الضرورة، وبذلك نتحول تدريجياً من أَمَّةٍ مستهلكة إلى أمة منتجة، إن هذه الأمور تتجمع وتتجمع حتى تعطي الإكتفاء الذاتي، وقد رأيتُ في حديث: إن أحد أمراء بني العباس (ولا أسميهم خلفاء لأنهم لم يكونوا خلفاء الرسول ﷺ ولم يأتوا إلى الحكم باستشارة المسلمين حتى نقول أنهم خلفاء على المسلمين) في سامراء أراد أن يرهب الإمام الهادي عليه السلام فأَمَر جيشه أن يلقي كل واحد منهم عليقاً من التراب في مكان خاص. والعليق كيس صغير يجعل على فم الفرس أو الحِمار أو ما أشبه. فألقى كل واحد منهم ذلك في المكان المقرر. فصارت تلك الأَتربة جبلاً كبيراً جداً والجبل باق إلى الآن وهو قرب الملوية منذ أكثر من ألف ومئتي سنة تقريباً، إن العليق الواحد وإن لم يكن يصنع ذلك لكن تجمع العليق إلى العليق صنع ذلك وإلى اليوم يسمي أهل سامراء ذلك الجبل بتل العليج.

هذا معنى تجميع الأشياء الصغيرة التي تتحول مع مرور الزمن إلى أشياء كبيرة، حتى أنها إذا مَرَّ عليها ألف سنة لا تتأثر بذلك.

وفي التاريخ أن رسول الله ﷺ كان ذات مرة في صحراء لا حطب فيها ولا أعشاب ولا أشواك، فامر صحابته أن يجمعوا الحطب قالوا: يا رسول الله لا حطب في هذه الصحراء؟ قال لهم الرسول: إذهبوا واجمعوا ما تمكنتم عليه من ذلك فذهبوا وجمعوا شيئاً كثيراً من ذلك الحطب. فقال لهم رسول الله ﷺ: إنّما أمرتكم بذلك لتعلموا أنّه هكذا تتجمع الذنوب يعني: لا تنظروا إلى الذنب الصغير بنظر الإزدراء والإحتقار. لأنَّ الذنوب الصغيرة تتجمع وتتجمع حتى تكون جبلاً من الذنوب وقد أمرهم بذلك ليكون لهم مثلاً محسوساً.

هكذا تتجمع الأمور الكبيرة من العليق، أو من الحطب، أو من قطرات المطر التي تصبح أنهراً وبحاراً أو من غير ذلك، فعلينا في مسألة الإكتفاء الذاتي أن نعمم الإكتفاء الذاتي بكل الأبعاد في مرافق حياتنا. لا في بُعْدٍ واحد بل من قبل الولادة حتى بعد الموت، ويجب أن نستغني عن تشريفات موسعة في الزواج وفي علاج المريض وفي الزراعة إذا لم نتمكن من آستخدام التراكتورات المصنعة في بلادنا الإسلامية، لا بد لنا من أن نرجع إلى الأساليب البدائية في الزراعة وبذلك نستغني عن غيرنا وهكذا لا حاجة إلى التشريفات في بيوتنا في ملابسنا، في فراشنا، في سائر أجهزة حياتنا.

مثلاً: لا نحتاج إلى أن نستورد السيارات من البلاد الأجنبية للسفر وللنقل وما أشبه وإنما يجب علينا أن نعمل حسب الاكتفاء الذاتي [1]، نساؤنا يجب أن يغزلن في البيوت وينسجن بأنفسهن ومن الممكن صنع السجاد في البيوت حتى بواسطة الأطفال إذا لم يكن ذلك شاقاً عليهم، وكذلك يمكن أن نربّي الدواجن في بيوتنا فمثلاً القرية التي تحتوي على ألف دار إذا كان في كل بيت منها شاة فهذه الشياه تتوالد، تعطي الصوف، تعطي اللبن، تعطي مشتقات اللبن، من الزبد والدهن وغير ذلك، فكم يكون الإكتفاء في هذه القرية الصغيرة بالنسبة إلى اللحوم والشحوم والجلود والملابس التي تصنع من الصوف وغير ذلك، إذنْ نحن إذا صممنا على الإكتفاء الذاتي يجب أن يكون ذلك ممتداً إلى مختلف جوانب الحياة. فإذا صنعنا هذا الصنيع وأخذ الله بأيدينا وعلم منا الصدق وعملنا وسهرنا وتوكلنا على الله واتحدنا ورصَصْنا الصفوف واجتمعت كلمتنا، ذلك اليوم يأتي الفرج من الله سبحانه وتعالى في منحنا حكومة ألف مليون مسلم، وما ذلك على الله بعزيز.

(٧)

صبُّ كلّ الطاقات في روافد

الإقتصاد الإسلامي

صبّ كل الطاقات ـ السلبية والإيجابية ـ المرتبطة بالشؤون الإقتصادية في قنوات الوطن. ومرادنا بالوطن، الوطن الاسلامي، أي كل الأرض الإسلامية، فإنها وطن واحد، والحدود والقيود والسدود كلها باطلة، ويجب أن تزال، ومعنى أنْ نَصبّ كل الطاقات الإقتصادية في الوطن الاسلامي هو ألاّ نصرف هذه الطاقات في غيره.

مثلاً: الإصطياف يجب أن يكون في البلاد الاسلامية فإذا أراد الإنسان الإصطياف لا يذهب إلى بلاد الشرق والغرب، وإنما يذهب مثلاً إلى شمال العراق

---

(١) ليس مقصود سماحة الإمام المؤلف إن نعيد عجلات الحياة إلى الوراء ونركب الدواب تاركين كل وسائط النقل الحديثة بل يريد القول: إن السيارة والطائرة يجب أن تصنع في بلادنا.. وإن لم نستطيع من ذلك حالياً فنكتفي بالقدر الموجود لدينا ونبدأ بالتصنيع لكي نركب مستقبلاً وسائط النقل التي تصنع في بلادنا.

(الناشر)

وإلى شمال إيران، أو إلى الأماكن الجميلة من سائر البلاد الإسلامية لا أن يذهب إلى البلاد الأجنبية فإن هذا يسبب تشجيع للإقتصاد الأجنبي، وتحطيم للإقتصاد الاسلامي بقدره، وكذلك إذا أراد أنْ يجعل نقوده في بنك إسلامي مرتبط بالإقتصاد الإسلامي، لا بالاقتصاد الأجنبي، ولا في البنوك الربوية التي تجري عليها القوانين الغربية، فإن البنوك الربوية كلها تنصبّ في مجرى الإقتصاد الغربي والشرقي العالميين، أما البنوك الوطنية الإسلامية المستقلة فإنها تصب طبيعياً في كيس المسلمين أنفسهم، وكذلك إذا أردنا العلاج فلنذهب إلى البلاد الإسلامية، فلا حاجة للذهاب إلى لندن، أو نيويورك، أو اسبانيا أو يوغسلافيا أو نحوها فإن الطب عندنا لا بأس به، حتى إذا قلنا أنه لا يصل إلى مستوى تطور الطب في سائر البلاد، فهل معنى ذلك أن نترك اقتصادنا وطبّنا ونقاطع أنفسنا ونذهب إلى بلاد الأجانب ونعطي لهم اعتباراً ومالاً ونستورد لبلادنا الإستعمار والإستغلال وما أشبه؟! ويلزم أيضاً التشجيع للإقتصاد الوطني، للعمال الوطنيين، للشركات الوطنية الإسلامية، فإذا كان عندنا مثلاً مشروع لبناء مطار أو بناء محطات قطار، أو بناء كراجات، أو نصب معامل، أو ما أشبه واحتجنا إلى خبراء فلنستورد الخبراء من البلاد الإسلامية، لا أن نستورد المستشارين والخبراء من البلاد الأجنبية، أو نأتي بالشركات الإستعمارية لتبنى في بلادنا، فإن كل ذلك استعمار واستغلال وتحطيم للإقتصاد الوطني وتقوية للإقتصاد الأجنبي، وهكذا بالنسبة إلى مشاريع أخرى وهي كثيرة وكثيرة جداً.

أما ما قد يقال من أن بعض تلك الأمور الأجنبية أفضل مما في بلادنا، فإنا على تقدير التسلم نقول هل إذا كان ولدك غير جميل الشكل وولد الجار جميل الشكل تعّوض ولدك بولده؟ كلا، فأنت تعيش مع ولدك وتحبّ ولدك هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يجب مراعاة كل الأمور، فهل أن نذهب إلى تلك البلاد ونصب اقتصادنا ودعايتنا وطاقاتنا الأخرى فيها أفضل أو شفاء مريض أو بناء مطار، أو بناء محطة قطار أو ما أشبه على غير المستوى المطلوب؟

إننا يجب أن ننظر إلى المجموع لا إلى بعض الأمور فقط، فهل من الأفضل أن تبقى اسرائيل في بلادنا وتقتل ابنائنا وتستحلّ نساءنا وتهتك أعراضنا وتُهان كرامة كل البلاد الإسلامية؟ أم ان نعيش أحراراً مستقلين مع تحمل بعض الصعوبات؟

فإذا لاحظنا هذا الشيء وتلك الأمور الجزئية نقول: بأنه يجب علينا أن نقاطع الغرب والشرق حتى لا يستغل الغرب فلسطين ولا يستغل الشرق أفغانستان و.. في قبال الأمور الطفيفة الجزئية وقاعدة (الأهم والمهم) قاعدة عقلانية يجب اتباعها.

لقد ذكر بعض الكبار من مشايخنا أن الإمام الثائر الشيخ محمد تقي الشيرازي (رحمة الله عليه) الذي انتزع استقلال العراق من البريطانيين رغم قلة عدته وعدده وكثرة عدة البريطانيين، كان قد حَرَّمَ ركوب السيارة. وكان يقول: أن ركوبكم السيارة يشجع استيراد السيارات الأجنبية إلى العراق من بريطانيا، فمعنى ذلك تشجيع البريطانيين اقتصادياً وتجارياً ومالياً في وقت هم يحاربوننا فيه ويقتلوننا ويسفكون دماءنا ويستحلون أعراضنا وبلادنا ولهذا لم يكن المتدينون يركبون السيارة في أيام الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي إلاَّمَنْ سَوَّلتْ له نفسه من عملاء الإستعمار أو الذين تأثروا بالدعايات الإستعمارية.

وقصة تحريم الإمام المجدد السيد محمد حسن الشيرازي (رحمه الله) التنباك لأجل هذه الغاية مشهورة وكان يقول: إن استعملتم التنباك تقوّى الإستعمار في إيران فقاطعواالتنباك حتى يطرد الإستعمار من إيران، وقد استجابت جماهير إيران لندائه فقاطعت التنباك مقاطعة غريبة، حتى نقل التاريخ إنّهم أغلقوا المحلات التجارية في أصفهان وشيراز وتبريز وطهران وغيرها مدة ستة أشهر، يعني أن الناس مدة ستة أشهر كانوا في إضراب ومظاهرات وما أشبه حتى تمكنوا من طرد الإستعمار البريطاني من بلاد إيران، وعادت إيران بذلك إلى استقلالها حيث أن الانجليز أرادوا عن طريق التجارة الإستيلاء على إيران كما استولوا بواسطة التجارة أيضاً على الهند تحت عنوان (الشركة الشرقية الهندية، البريطانية) وكذلك أرادوا استغلال العراق بواسطة (شركة البصرة البريطانية) حيث فتحوا شركة في البصرة، وكان ذلك منفذ استعمارهم إلى البلاد.

ومن قبيل ذلك قصص أخرى كثيرة من جملتها أنه لما جاء المستعمرون ببهلوي الأول إلى إيران ـ وهو رجل أرمني من كرجستان روسيا ليس بمسلم ولا إيراني، وإنما أظهر الاسلام كذباً وخداعاً ـ قاطعه العلماء وقاطعوا كل شيء مرتبط به حتى أن أحد العلماء الكبار في تبريز وهو آية الله الشيخ صادق (رحمة الله تعالى عليه) صاحب كتاب (المشتق) وغيره، وكان مرجع تقليد في ذلك اليوم وزعيم

الحوزة العلمية وزعيم المسلمين في نواحي آذربايجان حرّم الذهاب إلى الحج حتى للمستطيع، وعلّله بأنّ الذهاب إلى الحج معناه أن بهلوي سيُحكم سيطرته على الشعب بواسطة قوانين الجواز والتذكرة، ولا يجوز للمسلم أن يضع القيود على يديه ورجليه، فإن الله سبحانه وتعالى قد انقذ المسلمين من الأغلال في قوله تعالى **﴿يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾**[1].

وكان المستعمرون آنئذ قد خططوا لتحكيم سلطة البهلوي على إيران من خلال التذكرة والجنسية والهوية وما أشبه. فحرم الشيخ الصادق آغا التبريزى (رضوان الله تعالى عليه) أن يرتبط المسلمون بالإستعمار البريطاني والسلطة البهلوية ولو بالذهاب إلى الحج وقال أن المسألة من باب (الأهم والمهم) فالذهاب إلى الحج مهم وواجب، أما تقوية الإستعمار وتقوية عملائه في البلاد فهو من أعظم المحرمات، وهذا المحرم يوجب سقوط ذلك الواجب، وهو الحج، كما هو معروف عند فقهاء الإسلام في قضايات الأهم والمهم. إلى هذا الحد كان هؤلاء العلماء الأحرار الأبرار الذين كانت لهم نظرة بعيدة يحرّمون تقوية الإستعمار إقتصادياً، أو سياسياً، أو إجتماعياً، أو قانونياً أو غير ذلك.

وقد نُقِلَ أن في إحدى العواصم الإسلامية تعيش أقلية شاذة من الأرامنة وهم يشتغلون في مختلف الأشغال التجارية لكنهم لا يشترون بضائعهم من غيرهم، فهؤلاء الأرامنة المبعثرون في تلك العاصمة ونسبتهم واحد بالمئة من السكان، لو كانت لهم حاجة يأتون إلى دكان صديقهم ولو قطعوا عشرين أو ثلاثين كيلومتراً ولا يشترون من المسلم الذي هو في جوارهم، ولما سئلوا عن سبب ذلك؟ أجابوا، صحيح أن هذا العمل يوجب صرف المال لأجل الذهاب والرواح وهذه خسارة لكن تقوية أنفسنا وصَبّ أقتصادنا في كيسنا أهم من كل ذلك.

إن هذا المنطق وهذه الفلسفة القائمة على تقوية الإقتصاد الوطني للأمة هي من ضمانات تحقيق الإكتفاء الذاتي العام، فنسأل الله تعالى أنْ يوفقنا لمثل هذا العمل، وهو الموفق المؤيد المستعان.

---

(١) سورة الإعراف: الآية/ ١٥٧.

من الإكتفاء الذاتي جمعُ الحركةِ

شملَ نفسها

لكي تحقق الحركة الاسلامية العالمية أهدافها العظيمة يلزم أن تقوّي ذاتها داخلياً، وأن يلمّ بعضهم شملَ بعض. والتعبير القرآني الحكيم يقول في هذا الصدد: ﴿**وتعاونوا على البِرّ والتقوى**﴾[1].

إنّ في الحركة عاطلين ومرضى، وعوانس، وأيتام، وأرامل، ومسجونين، ومشردين، ومضطهدين و.. فاللازم أن تُشَكلَّ لهذه الأمور نقابات وجمعيات وهيئات، مثلاً تُشكِّل نقابة الأطباء لأجل علاج ذوي الشهداء والمسجونين والقائمين بالحركة مجّاناً في سبيل الله ولأجل تسهيل أُمورهم.

وكذلك تُشكّل نقابة مِن المحامين لأجل الدفاع عن المظلومين والمضطهدين والمسجونين والمشرّدين مجاناً في سبيل الله.

وتُشكل جمعية لأجل خدمة الأرامل والأيتام والعوانس وتزويج العزّاب وتؤسس المدارس لأجل الأيتام من المربوطين بالحركة العامة والذين مات أو استُشهدَ أو سُجن آباؤهم واخوانهم وأزواجهم، فإن ذلك يشد من الحركة ويجعل القائمين بها مطمئنين بأن وراء ظهورهم مَنْ يقوم شؤونهم في ساعة الشدة.

ونقابة أُخرى من أجل العاطلين، فإنه كثيراً ما يُطرد المجاهدون من الوظيفة أو من العمل أو من المهنة، وهناك مَنْ يستصعب العمل في الحركة خوفاً من العطل أو لا يريد جَرّ مشكلة إلى نفسه فإذا كان الأمر كذلك رأى هذا الشخص نفسه بين أن ينقطع عن المعيشة ليخدم الحركة الإسلامية العامة، وبين أنْ يترك الحركة ويذهب إلى العمل أو إلى المدرسة أو ما أشبه.

فإذا كان هنالك رصيد مِنْ جمعية أوْ نقابة لأَجل تشغيل العاطلين، كان ذلك محفزاً له على السير إلى الأمام مهما كلف الأمر. فإنه يطمئن إنه إذا فقد العمل

---

(١) سورة المائدة: الآية/ ٢.

فهناك من يشغله. ونقابة أيضاً للمحالين على التقاعد والذين لا يجدون عملاً والذين طالتْ أعمارُهم ولا يتمكنون من العمل وليس لهم رصيد يمكن بسببه من إعاشة أنفسهم وذويهم.

والنقابة لقد كانت في الأديان السابقة المُنَزّلة من قِبَل الله تعالى. ونِعْم الشيء النقابة ففي الآية الكريمة: ﴿وبعثنا منهم اثنى عشر نقيباً﴾ [1]. وفي الاسلام كانت (نقابة العلويين) و(الطالبيين) منذ ألف سنة وأكثر.. والشريف الناصر والسيد المرتضى (رضوان الله تعالى عليهما) كانا في زمانهما نقيبين للعلويين والطالبيين يجمعان شملهم ويردان شاردهم ويقومان بحوائجهم ويؤدّبان مَنْ شَذَّمنهم..

وبعد ذلك كان أولاد السيد ابن طاووس (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) يقومون بأمر النقابة كابراً عن كابر. حتى في أشد أزمات البلاد الإسلامية كغزو المغول، فالسيد ابن طاووس ذهب إلى بغداد وتحمل مسؤولية نقابة العلويين في زمن المغول سنوات، وقد لاقى من المشكلات الشيء الكثير، من الغربة لأنه كان يعيش في الحلة فلاقى الصعوبة وواجه الحكام الذين كانوا ضد الإسلام. ببغداد ونحن نرى تاريخ رسول الله ﷺ وأحوال علي والأئمة الطاهرين ﷺ حيث كانوا يقومون بهذه المهمات.

فنحن إِذا أردنا الإِكتفاء الذاتي يجب أنْ تقوم حركة الاسلام بكل ذلك حتى نتمكن مِن التقّدم.

وقد ورد في حديث: أن رسول الله ﷺ جاءه إنسان عاطل فأعطاه درهمين فاشترى الرجل بالدرهمين حبلاً وفأساً وذهب إلى الصحراء واحتطب ورجع إلى المدينة المنورة وباع الحطب وهكذا اشتغل بفضله ﷺ.. وهكذا عمل في الأيام التالية حتى أصبح كاسباً محترماً. بهذه الطريقة كان الرسول ﷺ يجمع الناس ويوجههم إلى مصالح دينهم ودنياهم.

كما أنّ الرسول ﷺ كان يحَثُ على تزويج النساء العوانس والأرامل ويؤكد على ذلك تأكيداً مُبرماً حتى أن الصحابيات كلهن تزوجن كما تحدثنا التواريخ.

وقد ورد: أنّ امرأة قامتْ في مسجد رسول الله ﷺ ـ والمسجد في وقت

---

(١) سورة المائدة: الآية/ ١٢.

الصلاة كان يحتوي على الرجال والنساء. والنساء يقفن خلف الرجال، وبعد ذلك يجلس الجميع يستمعون إلى مواعظ رسول الله ﷺ. وقالت: يا رسول الله إني امرأة لا زوجَ لي وأريد الزواج؟

فتوجه رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقال: مَنْ يتزوج هذه المرأة؟ فقام رجل من المسلمين وقال: أنا يا رسول الله.

فقال الرسول له: وماذا عندك من المهر؟

قال الرجل: لا أملك شيئاً.

قال له الرسول: هل تعرف بعض سور القرآن؟

قال: نعم يا رسول الله.

قال ﷺ: زوجت هذه المرأة وجعلتُ مهرها تعليمَك سورة من القرآن لها وقبل الزوجانَ وتمّ الزواج.

هكذا كان الرسول ﷺ يجمع شمل أصحابه ويقضي حوائجهم ويدير شؤونهم ويرشدهم إلى مصالح دنياهم وآخرتهم، ولهذا التفّتْ الأُمم حول رسول الله ﷺ وتحت راية الإسلام، ونرى الناس إلى اليوم يحنّون إلى الرسول ﷺ لتلك الأخلاق الفاضلة ولتلك الخدمات الجليلة.

وبالنسبة إلى اليتيم كان الرسول ﷺ يقول: «خير بيوتكم بيت فيه يتيم»(١) وكان دائماً في بيته يتيم كما يظهر من بعض الأحاديث، وحتى أنه لما مات ذات مرّة يتيم كان في بيت رسول الله ﷺ فرأى المسلمون النبي كاسف البال، مكسور الخاطر قالوا: يا رسول الله الأيتام كثيرون وسنأتي إليك بيتيم آخر، قال الرسول ﷺ: نعم لكنْ كان في خدمة هذا اليتيم أجر كبير لأنه كان سيء الخلق وكان يؤذيني (أي لا يعلم أنْ يكون هناك يتيم آخر مثل ذلك اليتيم!!).

وهكذا كان علي عليه السلام بالنسبة إلى مختلف الشؤون، وقد ورد: أنه عليه السلام دخل ذات مرة بيت يتيم فلما رأى اليتيم أخذ يبكي وأنشد هذين البيتين:

ما إنْ تأوهت مِنْ شيء رزئتُ به كما تأوهتُ للأيتام في الصِغَرِ
قدمات والدهم مَنْ كان يكفلهم في النائبات وفي الأسفار والحضر

إنَّ الحركة إذا جمعت شَمْل نفسها، شَمْل مريضها، شَمْل مُعَوِّقِها، شمل

شيخها وشيختها، شمل أرملتها وعانسها، شَمْل مَظلومها ومطرودها ومسجونها، ستكون موضع الوفاء والأمل، ويلتف الناس حولها وذلك يوجب نموها من جهة (الكم) ومن جهة (الكيف).

وقد ورد في حديث أن رجلين ذهبا إلى الحج وفي المدينة المنورة تمرض أحدهما، وكان يؤنسه صاحبه فأراد صاحبه أنْ يذهب إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ حيث كانت مدة بقائهم في المدينة قليلة، وقد شدوا رحالهم مِنْ أماكن بعيدة والرجل مشتاق إلى زيارة قبر الرسول ﷺ. فقال له المريضَ: لا تذهب فإني أؤنَسُ بك، فإذا ذهبت إلى الزيارة أبقى وحدي، لكنّ الرجل أبىٰ وقال: إن أجر زيارة الرسول أعظم فلا أترك الزيارة وسوف أرجع إليك عن قريب.

ثم ذهب إلى الزيارة وبعد مدة ذهب إلى زيارة الإمام الصادق عليه السلام ونقل له القصة، قال له الإِمام الصادق عليه السلام ما مضمونه بقاؤك مع صديقك تُمرضه ويُؤنَسُ بك أفضلُ عند الله سبحانه وتعالى مِنْ زيارتك لقبر رسول الله ﷺ مع أن ثواب زيارة الرسول عظيم وكبير. وهكذا كان الأئمة الأطهار عليهم السلام يرون مِن واجبات الصداقة أن يُلَمّ بعضهُم شملَ بعض. حتى الصحيحُ لا يذهب إلى الزيارة وإنما يبقى مع المريض، لأنَّ ثوابه عند الله أعظم.

الحركة إذا كانت، مجموعة مِن العطف والودّ والمحبة المتبادلة تنمو وتنمو وتتقدم وتتقدم حتى تكون حركة إسلامية عالمية ذات فروع في كل البلاد الإِسلامية وتكون مقدمة لإِقامة حكومة ألف مليون مسلم.

نسأل الله أن يوفقنا للعلم والعمل ويأخذ بأَيدينا إلى ما فيه رضاه ويهيء لنا من أمره رشداً.

الأساس السادس
منهج الحكم الإسلامي

١ ـ استيعاب الكل.

٢ ـ العفو عما سلف.

٣ ـ الأدلة على عفو الإِسلام عمّا سلف.

٤ ـ ملاحظة الكفاءات.

٥ ـ منهج الحكم في أبعاده المختلفة.

٦ ـ حلّ مشكلات الحكم.

٧ ـ ملء الفراغ ولو بغير المثالي.

٨ ـ الحكم النموذجي.

٩ ـ حرية العلم والحُكْمِ والمال.

(١)

استيعاب الكل

كان الكلام في كيفية إقامة حكومة ألف مليون مسلم بإذن الله.. وقلنا: إن ذلك يتوقف على وجود حركة عامة مبنية على أسس، هي:

الأساس الأول: التوعية. والأساس الثاني: التنظيم. والأساس الثالث: مراعاة أصول الحركة العامة. والأساس الرابع: السلام. والأساس الخامس: الإكتفاء الذاتي.

والكلام الآن في الأساس السادس: وهو منهج الحكم في أبعاده المختلفة. وهذا المنهج يجب أن يُراعيٰ أيضاً في الحركة التي هي مقدمة الحكم بإذن الله تعالى، وحديث هذه الحلقة يدور حول أنّ الحكم يجب أن يكون قادراً على استيعاب الناس السريع منهم والبطيء والمتوسط، البعيد والقريب، باتجاهاتهم المختلفة ومشاربهم المتنوعة، من في البلاد جميعاً من المسلم الكافر والكتابي.

يجب أن يجعل المنهج للحكم منهجاً استيعابياً، وأن يكون جذّاباً إلى أبعد حد، حتى يفكّر كل فرد في أنه يستطيع أن يعيش في ظل هذا الحكم في رفاهٍ وسَعَة وحرية وكرامة واطمئنان، فإذا كان الحكم هكذا ـ وطَبقت الحركة التي هي مقدمة للحكم هذا المنهج على نفسها ـ لا بدّ وأن يلتفّ الناس حول الحكم التفافاً يمكن بواسطته إنقاذهم من براثن الجهل والإستغلال والإستبدادية والدكتاتورية والإستعمار وما أشبه.

أما إذا كان الحكم بخلاف ذلك، والحركة على غير هذا المنهج، فمثل هذه الحركة لا تنجح ولا تصل إلى الحكم، ولو فُرضَ أنها وصَلَتْ إلى الحكم في بقعة صغيرة من الأرض، فلا يمرّ زمان على هذا الحكم إلا وينهدم، فإنَّ أيّ حكم لا تحمله القلوب لا بدَّ أن يتهاوى بسرعة.

والمنهج الذي نريد بإذن الله تعالى إقامته هو، منهجُ يتمكن مِنْ أن يستوعب كل المسلمين في كل بلادهم، ثم يستهوي غير المسلمين حتى يدخلوا تحت ظل هذا الحكم وهذا النظام.

وقد ذكرنا سابقاً أن أحد الكتّاب، ذكر أنّ رسول الله ﷺ إنّما تمكن من جمْع أولئك المتنافرين المتخالفين، والمتحاربين، الذين سادت فيهم الأنانيات والقوميات والتفرقات والعصبيات.. وبذلك الوقت القصير جداً، لأنهم عرفوا أنّ حكم رسول الله ﷺ حكم استشاريٌ، عطوفٌ، رؤوفٌ، رحيمٌ، يتمكّن أن يعيش حتى أعدى أعدائه تحت لوائه - إذا ألقى السلاح - بكل خير وسلام، بل ويعيشون في سيادة ورئاسة لأن الرسول ﷺ قال لهم ما مضمونه: «اشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله تكونوا ملوكاً».

وهكذا تمكّن الرسول ﷺ من جَمْع تلك القبائل العربية المتناحرة ومن جمع مختلف الشعوب الأمم المتباعدة. فليست المسألة، مسألة أبيض وأحمر وأصفر وأسود، ولا مسألة عربي وأعجمي وغيرهما، ولا مسألة الحدود الجغرافية المصطنعة والعِرْقيات والقوميات وما أشبه، وإنما هي مسألة أخوة إسلامية عامة.. ليس هذا فحسب.. بل الأمر أكثر من ذلك.. فحتى لو لم يكن مسلماً كان الرسول ﷺ يأخذه في كَنَفه. مثلاً: لما فتح الرسول مكة، لم يُسْلِم أهلُها - إلاّ قليل منهم - والرسول ﷺ لم يُكرِهْ حتى واحداً منهم على الإسلام وإنما عفا عن مسيئهم، بل وجعله يشعرانَّ الإِسلام خير له من الجاهلية.. خير لعرضه، خير لماله، خير لنفسه، خير لسيادته.

وقد ذكر المؤرخون: أنَّ رسول الله ﷺ لما فَتَحَ مكة جعل عليها حاكماً شاباً يسمى بـ«عتّاب» وقرر له راتباً متواضعاً - في كل يوم أربعة دراهم أي مثقالين من الفضة تقريباً - وقال له الرسول ﷺ: «أحسنْ إلى محسنهم وتجاوز عن مسيئهم» وكان ذلك من الأركان التي سببّت أن تتحول تلك البلاد - التي حاربت رسول الله ﷺ عشرين سنة - وفيها الطغاة والمردة والكفار والقتلة والمجرمون - وعلى يد «عتاب» إلى بلاد متواضعة إلى أبعد حد، لأنهم علموا أنهم إذا أساؤوا تجاوز عنهم، وإذا أحسنوا أحسن إليهم، وبفضل هذا الدستور لم تَقُمْ مكةُ ضد رسول الله ﷺ أبداً، مع العلم أن الرسول ﷺ لم يجعل فيها جيشاً ولا رجال أمن ولا إرهاباً وإنما أسر القلوب بعطفه ولطفه ومحبته واحسانه.

إن الواجب أن نجعل هذا المنهج أمراً عملياً، لا شعاراً فحسب، فإن كثيراً من الجمعيات والحكومات والأحزاب ترفع شعارات. لكن وراء تلك الشعارات أشياء أخر، مناقضة لتلك الشعارات... فالواجب أن نجعل منهج الحكم ودستوره: «أحسنْ إلى محسنهم وتجاوزْ عن مسيئهم».

وكذلك الحركة الإسلامية، قبل الوصول إلى الحكم وبعده يجب أن تتخذ هذا الأمر شعاراً ودثاراً أي مخبراً ومظهراً وعَمَلاً وقولاً، حتى يطمئن الناس إلى أنهم إذا فقدوا حكماً وجدوا أفضل منه

ومما يُذكر في التاريخ أنَّ أحد العلماء كان وزيراً لأَحد الملوك الكبار، وكان هذا العالم يصرف الأموال في سبيل الأمّة الإسلامية التي تعيش في ظل ذلك الملك، فوشى به الوشاة: بإن هذا العالم يصرف الأموال بلا حساب فأحضرَ الملك العالم وقال له: يا فلان ماذا تفعل بالأموال؟ فانتبه الوزير العالم إلى الوشاية وقال: أيها الملك أنت شاب جميل، إذا باعوك في سوق العبيد والنخاسة، تسوى قيمتك ستين درهماً، وأنا شيخ كبير ضعيف إذا باعوني في سوق النخاسة لا تصل قيمتي إلى أكثر من عشرين درهما.. هذا بالنسبة إلى قيمتك وقيمتي.. وأما جنودك فرمحهم لا يعدو ذراعين، وسهمهم لا يتجاوز أكثر من مئة ذراع، فهل بالإمكان أن نقبض أطراف هذا الحكم الواسع بقيمتك أو قيمتي أو برماحنا وسهامنا، مع كثرة الأعداء؟.. وإني هيأت لك جيشاً في الليل وآخر في النهار.. جيش الليل يرفعون إلى الله سبحانه وتعالى أيديهم بالدعاء والتوسل، وجيش النهار يدافعون عنك وعن سياستك وحكومتك ويدافعون عن الإسلام والمسلمين وإني أصرف المال في هذين الجيشين: جيش الليل والنهار، وذلك هو سبب رسوخ الحكم وبقائه في المدة الطويلة.

فاقتنع الملك بكلامه، وقرّبه أكثر مما كان سابقاً.

نعم، الحُكم لا ينضوي تحته الناس بالسيف والسهام والحراب والسجون والمعتقلات والمشانق والسباب والتُهم وتبعيد الناس، وإنما يلزم أن تنضوي تحت لواء الحُكمْ: القلوب، فإذا حملت القلوب الحُكمْ بقيَ راسخاً، دائماً، ثابتاً، مستقراً، مستمراً، ولم يتمكن الأعداء مِن زحزحته.

إن المسلمين محاطون بأعداء ألدَّاء من: صليبيين وصهاينة، وشيوعيين وعملاء لهم في الداخل وفي الخارج، فهل بالإمكان أن يُقام الحكم بغير منهج رسول الله صلى الله عليه وآله؟

إن من الواجب أن يَتّخذَ الحُكْمُ هذا المنهجَ الذي يَجمعُ القلوب، ويَجمع المختلفين، ويخفف من عداوة الأعداء، وبذلك تقوم حكومة ألألف مليون مسلم انشاء الله تعالى، وما ذلك على الله بعزيز.

(٢)

العفو عمّا سَلَف

من الضروري أن يتخذ الحُكْم سياسة (العَفْو عمّا سَلَف) منهجاً للحكم فيعفو عمّن كانوا يوالون الحكومات السابقة إذا أصبحوا حياديين غير مربوطين بالأعداء.. فإن ذلك مما يُسببُ التفاف الناس حول الحكم الجديد.. وتأييدهم له.. وهذا الأمر لا يقتصر على ما بعد الحكم فقط.. بل إنه يشمل ما قبل الوصول إليه..

فيجب على الحركة أن تكون رحبة الصدر بالنسبة إلى المناوئين وبالنسبة إلى الحياديين، فإن هذا أولاً أسلوبٌ عقلي، فإن الإنسان لا يصل إلى هدفه إذا فكّر في مناوأة المناوئين، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «آلة الرئاسة سعَة الصدر»[1] فسعة الصدر كناية عن سعة النفس، في العفو، في الإغماض، في البذل، في الكرم، في التحمل، في الحلم، في التحلم، في المكاره والمصائب وغير ذلك.

فإذا عَرَفَ الناس أنَّ شعار الحركة هو «عفا الله عما سلف» وإنها لو وَصَلَتْ إلى الحكم لا تتخذ من آسلوب الإنتقام والتشفي منهجاً لها، فإنهم يلتفّون حول هذه الحركة من ناحية، ومن ناحية ثانية لا يخَاف الذين كانوا في الحكم السابق على أنفسهم حتى يَضعوا العصِيَّ في عَجَلة الحركة حتى لا تتقدم، وإنما يفكرّون في أنَّ الحركة إذا انتصرتْ لا تنهب أموالهم ولا تُصادر أراضيهم وثرواتهم ولا تزجّهم في السجن والتعذيب ولا تقابلهم بالإساءة ولا تعدم مَنْ يستحق الإعدام منهم، ولذا فهم يتحولون تدريجياً إلى أنصار للحركة وأنصار للحكم الإسلامي.

هناك كثير مِن الناس يخافون مِن حكم الإسلام، لأَنهم لا يعرفون مِن الإسلام إلاّ العُنف والعقوبات الصارمة ويقولون: إذا قامت حركة إسلامية لا بد أن تنتهي إلى حكومة إسلامية، وإذا جاءت الحكومة الإسلامية انتقمت منهم ونتيجة

---

(١) كنز العمال: ج ٣ ص ١٦٨ ح ٥٩٩٥.

هذه المعادلة إنهم يميلون إلى جيش الأعداء، لا حبّاً بالأعداء وإنما خوفاً مِنَ الإسلام! أما إذا علموا أن الحركة والحكم يسيران حسب سيرة الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) وأنهم لا ينتقمون وشعارهم (عفا الله عما سلف) فقد كسبت الحركة عدداً كبيراً إلى جانبها.

ثم إننا لنفرض أنه يُوجد الآن في البلاد الإسلامية ما يقارب عشرين مليون موظف، فهؤلاء إذا لم يخافوا من الحركة، ولم يخافوا مِن الحكم الإسلامي كم سيستفيد منهم الذين يريدون إقامة الحكومة الإسلامية؟ بينما إذا خاف هؤلاء مِن الحكم الإسلامي يكونون أولاً أعداءاً للحكم الإسلامي، ويقاومون بكلّ ما أوتوا من قوة وإمكانيات، وبطبيعة وظائفهم الحكومية تكون لهم إمكانيات كثيرة.. وثانياً يرتبطون بأعداء الحركة وأعداء الحكم الإسلامي، ويستجلبون الأعداء ضد الحركة، وأساساً لو لم نفعل ذلك فمعناه إننا خسرنا الهدف لأجل شيءٍ بسيط في الطريق، ولذا نرى أنَّ أنبياء الله ﷺ كان برنامجهم الدائم (عفا الله عما سلف).

وقد جاء في حديث عن عيسى عليه السلام «أنه أبى أن يجري الحدَّ على مومسة» كان عيسى عليه السلام يلاحظ هذا الشيء ولم يرد تعطيل حكم،الله وإنما لاحظ الأهّم والمهم.

وكذلك لمّا وصل الرسول ﷺ إلى الحكم قال: «الاسلام يَجُبُّ ما قبله»[1] يعني: إن مَنْ فَعَلَ قبل ذلك سيئة، مِنْ إراقة دم، أو نهب، أو محاربة، أو انضواء تحت لواء المشركين، هؤلاء إذا أسلموا يُعفى عنهم..

ولما فتح الرسول ﷺ مكة قيل: «يا رسول الله ألا تنزل في بيتك؟» ـ لأنَّ الرسول كان له بيت في مكة المكرمة ـ فقال الرسول: «وهل لنا بيت؟» يعني: إن الرسول أعرضَ حتى عن بيته الذي صادره الكفار قبل وصوله إلى مكة. ماذا لاحظ الرسول؟ إنه لاحظ أن الكافر الذي صادر بيت النبي ﷺ لا بَدّ أنه أَسكن أناساً في هذا البيت ـ إيجاراً أو قرابة أو ما اشبه ـ فإذا استرجع الرسول ﷺ هذا البيت فمعناه أنه يُخرج أولئك الذين سكنوا هذه الدار، فلم يُرد الرسول حتى هذا القدر من طَلَبِ الحق حتى لا يقول البعض: أن الرسول لما سَيطر على مكة كُنا ساكنين في هذا البيت فأخرجنا مِنْ مسكننا ومأوانا.

---

(١) غرر الحكم: ص ٧٣ ح ٥٣.

هكذا كان يفكر ﷺ حسبما يظهر من عمله الشريف. إن هذا مِنْ عقل الرسول الكبير المتخذ منهاجَه من الله سبحانه وتعالى.

وهكذا فعل علي عليه السلام لما بويعَ للخلافة فإنه لم يسترجع حتى (فدك) - التي كانت ملكاً شخصياً له ولأولاده بالإرث مِن فاطمة الزهراء عليها السلام - مع إنَّ فدك في ذلك اليوم كانت تحت قدرة الإمام عليه الصلاة والسلام، وقيل له في ذلك بإن يسترجع فَدَك، فأجاب بإنه لا حاجة له في فدك وغيرها، في قصة مذكورة في نهج البلاغة. إنني أفكر بأن الإمام عليه السلام كان ينظر من هذا المنظار وان فدك ماذا تنفع الإمام عليه السلام؟

ثم إنه عليه السلام لم يكن من أهل الدنيا حتى يحتاج إلى أثاث ثمين ودور وقصور ودواب ومراكب وغير ذلك، إنه كان ينظر بعيداً، ينظر كيف يجمع المسلمين تحت لواء الإسلام، وكيف يأخذ بقلوب المسلمين وأنه لو استرجع فدك فلا بدّ وأنَّ الذين كانوا ينتفعون بها - في زمن عثمان - هؤلاء سيحرمون من الإنتفاع بها فيقولون: لو لم يكنْ عَليّ لكان أحسن لنا.

الحركة الإسلامية قبل الوصول إلى الحكم يجب أنْ تجعل منهجها عفا الله عما سلف والإبقاء على ما سبق وإنما تغيّر المستقبل.

وسنذكر في كلام قادم بعض الأحاديث الواردة في هذا الشأن، إنشاء الله تعالى.

وهنا سؤال: هل الذين قتلوا والذين نهبوا والذين أفسدوا في الأرض هؤلاء لا يأخذهم العقاب؟

الجواب: نعم لأنَّ فِعْل رسول الله ﷺ حجة وفعل علي عليه السلام حجة وفِعْل عيسى المسيح عليه السلام حجة - لأنَّ فعل الأنبياء حجة حتى بالنسبة إلى ما بعد مجيء الإسلام كما ثبت في مسألة أصولية حول استصحاب الشرائع، وقد ذكرها الشيخ المرتضى الأنصاري (رضوان الله عليه) في الرسائل، وغير الشيخ من سائر العلماء في كتبهم الأصولية أيضاً -.

إن الواجب علينا أن نسلك السبيل الأكثر يُسراً لإنقاذ المسلمين مِن براثن المستعمرين والمستغّلين، والسبيل الأسهل والأيسر والأقصر هو لِمَنْ جعل منهاج الحكم العفو عمّا سلف، وللفقيه الشرعي (إذا كان هو الذي انتخبته أكثرية الأمة،

أو شورى الفقهاء الذين قَلّدتهم وانتخبتهم أكثرية الأمة) الحق في العفو عمن شاء وإنْ رأى من الصلاح إرضاء أولياء المقتول أو المنهوب ماله أو المشرد أو المهتوك عرضه باعطائهم شيئاً من بيت المال فهو المفروض، والله الموفق المستعان.

(٣)

الأدّلة على عفو الإسلام عمّا سبق

هنالك قاعدتان:

القاعدة الأولى: (إن الإسلام يجبّ ما قبله)[١] فلو أنَّ كافراً لم يقُم الصلاة ولم يُعطِ الزكاة واقترف الزنا وشرب الخمر وقَتْل النفس المحترمة وما أشبه، ثم أسلم وتاب إلى الله سبحانه وتعالى، فإن الإسلام يجبّ عما قبله، وهذا حديث وارد عن الرسول ﷺ متواتر في كتب الفريقين ـ السنة والشيعة ـ ولهذا لم يأخذ الرسولُ ﷺ الكافرَ الذي أسلم بما اقترفه سابقاً، ولم يقلْ له أقم الصلاة التي تركتها، واقض الصيام الذي تركته. أو انّك كنت قد زنيت وارتكبت الفاحشة فيجب أن تُحَدّ. أو أنك قتلت فيجب أنْ تَقتل، أو أن تعطي الدّية. ولهذا لمّا أسلم كفّار مكة وكفار الطائف وغيرهم تركهم رسول الله ﷺ وشأنهم، وهناك خلاف بين الفقهاء في أنه هل يجب على الكافر الذي يُسلم أن يغتسل، وأنْ يطهّر ثيابه التي كانت نجسة قبل الإسلام أم لا؟ فالبعض يقول: يجب أنْ يغتسل من الجنابة وأنْ يطهّر ملابسه، والبعض يقول: لا، لا غُسْلَ عليه ولا جنابة ولا نجاسة إلاّ إذا كانت عين النجاسة موجودة، مثل عَيْن الدم، أو عَيْن الغائط، أو عَيْن البول.

هذه قاعدة ويتمسك بها الفقهاء مِنْ أول الفقه إلى آخره.

أما القاعدة الثانية: فهي أن الدولة الإسلامية إذا قامت فرئيسها يتجاوز عما سلف ـ وان صدرت الجريمة من مسلم ـ وفي حديثٍ عن الإمام الرضا عليه السلام يذكره الشيخ، ذكر عليه السلام أنه لو أفضى إليه الحكم لاقَّر الناس على ما في أيديهم إلاّ بما حدث في سلطانه وذكر أنَّ النبي ﷺ لم ينظر في حدث أحدثوه وهم مشركون، وأنَّ مَنْ أسلم أقرّه على ما في يده.

---

(١) غوالي اللئالي: ج ٢ ص ٥٤ ح ١٤٥.

فهذه القاعدة يستدلُّ بها على أنهَّ لو قامت الدولة الإسلامية، يقول الرئيس الأعلى: «عفا الله عما سلف» وإنما المستقبل يجبُ أنْ يُنظر إليه.

والإمام أمير المؤمنين عليه السلام طبق القاعدة الثانية عندما وصل إلى الحكم، فالكلّ يعلمون أنَّ المظالم قد كثرت في الزمان السابق على حكومة الإمام عليه السلام وفشا القتل والسرقة، والنهب، ومصادرة الأموال، ومع ذلك لم يغيّر الإمام عليه السلام شيئاً كما هو معروف. وإنما ذكر كلمة بالنسبة إلىٰ قطائع الخليفة السابق كما في نهج البلاغة وكان هذا الكلام للإعلام فقط، لا للتطبيق، بدليل أنَّ الإمام عليه السلام لم يُطبّقْ كما يحدثنا التاريخ وفرّق بين بيان الحكم والعمل الخارجي، ولذا نشاهد في القرآن الحكيم العديد من هذا القبيل من الأحكام مما هو لبيان الحكم لا لبيان التطبيق، وفائدة بيان الحكم هو أنْ يُرهب الذين سرقوا أو أساؤوا حتى لا يسرفوا ولا يسيئوا في المستقبل.

يقول الله تعالى في القرآن الحكيم: **﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾**(١). والتاريخ لم يذكر حتى مرة واحدة جاهد فيها الرسول ضد المنافقين فجهاده صلى الله عليه وآله مع الكفار واضح، أما هلْ جاهد الرسول المنافقين؟ كلاّ بالعكس: الرسول صلى الله عليه وآله كان يُداري المنافقين مداراة كبيرة، حتى إن «عبد الله آبن ابَيّ» - الذي كان من رؤساء المنافقين في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ونَزَلَتْ في شأنه سورة المنافقين - لم يتعرض له الرسول صلى الله عليه وآله.

ولـمّا جاء إبن «عبدا الله ابن ابَيّ» إلى الرسول قال: يا رسول الله إذا أردت أن تقتله فأمرني أن أقتله، منعه الرسول صلى الله عليه وآله عن ذلك، ولـمّا مات «عبد الله» جاء الرسول وصلى عليه ظاهراً، وأعطى ثوبه ليكون كفناً للرجل، وقام على قبره، مع العلم أنَّ الله سبحانه وتعالى قال عن المنافقين: **﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾**(٢) حتى أن بعض الرجال الذين كانوا مع رسول الله اعترضوا عليه وقالوا: إنَّ الله نهاك عن ذلك، لكّن الرسول كان أعلم بالحكم وأعلم بقانون الأهمّ والمهمّ - في تفصيل ليس هذا محله -.

وعلى كل حال، ليس كلامنا هنا في المنافقين، وإنما أردنا أن نبّين كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة حول قطائع من كان قبله، فإن ذلك

(١) سورة التوبة: الآية/ ٧٣.

(٢) سورة التوبة: الآية/ ٨٤.

كان أشبه بالتهديد لا بالتطبيق. كيف؟ لان الإمام كما سلف لم يسترجع حتى فدك وهي ملك فاطمة الزهراء عليها السلام ومن بعد فاطمة لعليٍّ وبني فاطمة: الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم عليهم السلام.

إننا نَرى - مستندين إلى الكتاب والسنة والعقل - إنَّ منهج الحكم الإسلامي هو العفو عما سلف.. والحكم الإسلامي إنما يُنظر في القضايا الحالية والمستقبلية لا في القضايا السابقة إلا إذا استمرتْ القضية السابقة إلى الحال، كما مثلناه في الكفار إذا أسلموا، وكان على بدنهم نَجَس، أو في دارهم خمر، أو لحم خنزير، فهذا يؤخذ لأنه حكم المستقبل، أما حكم الماضي فعفا الله عما سلف.

والحقيقة أنه إذا علم المسلمون المنحرفون أن منهاج الحكم في الإسلام هو هذا، فلا بدّ أن يأمنوا من عقاب الإسلام وينضووا تحت لوائه وبذلك تتقدم الحركة الإسلامية وتتمكن مِن تجميع الناس حول نفسها حتى تصل إلى الحكم بإذن الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يُصطلح عليه في فقه الإسلام بقانون (الأهم والمهم)، والفقهاء يمثلون لذلك في كتاب الجهاد، بما إذا تترس الكفار بالمسلمين فكان امره دائراً بين أن نقتل المسلمين الذين تترس بهم الكفار حتى نستطيع ضرب الكفار المعتدين أو أن نترك الكفار حذراً من قَتل المسلمين فيعيث أولئك الكفار في الأرض الفساد، ففي هذه الحالة يقول الفقهاء: إن المسلمين المُتَتَرس بهم يُقتلون لغرض الوصول إلى الكفار المحتمين خلفهم، وهنا يكون القاتل والمقتول كلاهما في الجنة، يعني المسلم القاتل والمسلم والمقتول المُتَتَرس به كلاهما في الجنة، لأن هذا قتل في سبيل الله، وذلك قُتل أيضاً في سبيل الله.

ويمثل الفقهاء لهذه القاعدة أيضاً بأنَّ الظالم إذا خَيّر الإنسان بأن يقطع يده، أو أن يقطع رأسه، فعليه عقلاً وشرعاً أن يقدّم يده، لأنّه ليس في قطع اليد ذهاب النفس، أما تقديم الرقبة ففيها ذهاب النفس، فيقدّم الأهمّ على المهمّ.. وهناك أمثلة أخرى كثيرة لذلك..

فاللاَّزم أنْ نجعل منهج الحكم الإسلامي هو العفو عما سلف، كما قال الإمام الرضا عليه السلام وكما فعل الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، وكما يقتضيه قانون الأهم والمهمّ - الثابت عقلاً وشرعاً - فإذا فعلنا ذلك اطمأن الذين يعيشون في البلاد الإسلامية من الذين انزلقوا في انحرافات خلال العهود البائدة، ولم يعيقوا طريق الحركة.. بل ربما ساعدوها للوصول إلى الهدف..

(٤)

ملاحظة الكفاءات

لا تطهير في الحكومة الإسلامية بالمعنى المتعارف في الحكومات الشيوعية والحكومات الإنقلابية، على الأغلب، حيث أنهم إذا أتوا إلى الحكم يُخرجون جماعة من الموظفين تحت شعار التطهير وأحياناً يكرّرون هذا العمل في كل عامين مرة كما صنعته روسيا الشيوعية والصين الشيوعية أيضاً، التطهير بهذا المعنى ليس موجوداً في الحكومة الإِسلامية المترَقبة لألف مليون مسلم.

فعلى القائمين بالحركة وبالحكومة أن يجعلوا من منهج الحكومة ومنهجهم عدم تطبيق هذا القسم من التطهير إطلاقاً وأن يتحالفوا على ذلك قبل الوصول إلى الحكم وأن يطبقوه عملياً أي أن ألاّ يطهروا ـ بهذا المعنى ـ أحداً بعد الوصول إلى الحكم، وذلك لأنَّ حكومة الإسلام ليس حكومة حقد وديكتاتورية وضغينة، والتطهير إنّما هو مِنْ الحكومات الحاقدة أيْ الحكومات الديكتاتورية التي لا تتوفر فيها الأحزاب والحريات. أو الحكومات التي تريد بالتطهير أن تدخل أصدقاءها في الوظائف وبذلك تخرج السابقين عن الوظائف.

والإسلام ليس كذلك.. إنّه دين عفو ورحمة وصفح واستقطاب وكفاءة ـ بالمعنى الإسلامي للكفاءة لا بالمعنى الذي اتبعته الحكومات ـ.. والإسلام يلاحظ الكفاءة أينما وجُدت سواء في الموظف الذي كان في الحكم سابقاً أو في الإِنسان الذي يريد الحكم الجديد إدخاله في الوظيفة، هذه هي الملاحظة التي يلاحظها الإِسلام فإِنه دين الكفاءات ولا فرق بين السابق واللاّحق، ولذا نرى رسول الله ﷺ أَدخلَ في حكمه جماعة من المشركين السابقين الذين أسلموا وجعلهم أمراء في قبائلهم، ونرى الإِمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أبقى أيضاً جماعة من الحكام السابقين والأمراء في مراكزهم، وإنما أخرج جماعة معدودة كان الشعب ضدّهم، وأولئك كانوا قد أثبتوا عدم كفاءتهم.

إن الإسلام يُلاحظ الكفاءات.

وقد ورد في حديث: أن رسول الله ﷺ جيىء إليه بكافر يستحقّ القتل فنزل جبرائيل وقال: يا رسول الله إنَّ ربك يقرئك السلام ويقول لك: اعف عن هذا، لأنه كريم. فقال النبي للرجل: يا هذا أنت معفوٌ عنك. فاْذهب حيث شئت، قال

الرجل: ولماذا يا محمد ﷺ؟ قال الرسول: لأن جبرائيل أخبرني أنك كريم والله يحب الكريم!. . وقد صار هذا الأمر سبَبَ إسلام الرجل. فالرسول لاحظ في هذا الرجل الكرم ولهذا عفا عنه، وإنْ كان مشركاً، وكان قد اقترف ذنباً يستحق به القتل في الشريعة الإسلامية.

وعلى هذا. . فإذا كانت هنالك في الموظفين السابقين كفاءات إيمانية تلتزم بالدين في المستقبل ـ لأنه يعفو عما سلف ـ ويستطيع القيام بالمهمة المُوكَلَة إليه، فهؤلاء يقُرون في مراكزهم.

أما إذا كان بعض الأفراد النادرين معدومي الكفاءة فهم أيضاً يقبلون، إنهم لا كفاءة لهم، ولا يتوقعون البقاء حتى في الحكومة غير الإسلامية، فكيف بالحكومة الإسلامية الجديدة؟.

ثم إن الذي يُخرج من الوظيفة يجب أن يُشغله الحكم في شغل مناسب له، وإذا لم يتمكن من العمل فالدولة تساعده، ونشاهد هذا في عمل علي عليه السلام، فإنه لما جيء إلى المدينة بأسارى فارس أراد الخليفة استعبادهم، لكنّ الامام عليه السلام فوَّتَ عليه ذلك ووهبهم حصته فصاروا أحراراً بقدر حصة الإمام عليه السلام، ولما رأى بنو هاشم ذلك من الإمام عليه السلام وَهَبوا أيضاً حصصهم من أولئك الأسارى الفرس ـ.

ومن المعروف في الفقه الإسلامي أن الحرية إذا تشبثت بمكان تسري حيث لا يمكن أن يبقى نصف إنسان حراً ونصفه عبداً على طول الخط، ولذا تحرر هؤلاء الأسارى، ولمّا قال الخليفة للإمام عليه السلام أفسدتَ عَلَيَّ رأيي في هؤلاء! قال له الإمام: نَعَمْ لأَن رسول الله ﷺ قال: «أكرموا عزيز قوم ذلّ» وهؤلاء كانوا أعزاء فعملتُ فيهم بوصيّة رسول الله ﷺ.

فهؤلاء الذين كانوا محاربين وكانوا كفاراً أطلق الإمام عليه السلام سراحهم، لأنّهم أصحابُ كفاءات وأعزة قوم. . وقد أثبت التاريخ في ما بعد أن كفاءات جماعة منهم بلغت شأناً كبيراً في قصص معروفة.

الإسلام يدور حول الكفاءات لا حول الدكتاتوريات والإنتقامات والسوابق وإنما قاعدته (عفا الله عما سلف) فمن له الكفاءة الإسلامية يبقى في الحكم، ومن ليست له الكفاءة فهو مقتنع بأنه لا ينبغي له أن يبقى في الحكم، كما يحال إلى التقاعد في الحكومات الحاضرة بعد عدم تمكنّه من لعمل في منصبه.

إن الإسلام جاء ليُخرج عبادَ الله من عبادة الناس إلى عبادة الله، كما قال

ذلك الرجل المسلم لذلك الأَمير الفارسي في حرب اشتعلت بين المسلمين وبين فارس، حيث قال الأمير الفارسي للمسلم بعد قصة طويلة وحوار عريض: إذا آمنّا نحن والتزمنا بأحكام الإِسلام فهل ترجعون أنتم إلى بلادكم أيها المسلمون؟ قال الرجل المسلم أي والله فنحن لم نأتِ إلى هذه البلاد لمال وجاه أو ما أشبه وإنما جئنا لنخرج عباد الله من عبادة الناس إلى عبادة الله.. فالإسلام ليس ديناً استعمارياً، وليس دين أحقاد وضغائن ينظر إلى الوراء، إنما ينظر إلى الأمام ويغفر ما سبق ويعفو عما سلف، فلو كانت للإنسان كفاءة يبقى في منصبه.

وقد رُوي أنه جيء إلى الرسول ﷺ بأسارىٰ في إحدى الحروب فتبسم الرسول ﷺ. فقال أحد الأسرىٰ ـ متجرئاً ـ: يا محمد تأسُرُنا وتبتسم؟! قال له الرسول ما مضمونُهُ: إنَّما تبسمتُ لأنّي أريد أن أجرّكم إلى السعادة والجنة، وأنتم تريدون الهرب إلى الشقاء والنار.

إن الرسول ﷺ يريد سَحْب الناس إلى خير دنياهم وآخرتهم فلا يريد الديكتاتورية والإستبداد والمال والجاه، أو أن يُعظم شخصه في غير سبيل الإسلام مثلما يفعل الأكاسرة والقياصرة والحكام الآخرون من أجل الدنيا، فما دام الإِسلام دين الكفاءات، فإنه إذا وصل إلى الحكم يجب أن يجعل من منهجه العفو عما سلف، وملاحظة الكفاءات في المستقبل، فليس في الإسلام عمليات تطهير فيه للموظفين حسب الإِصطلاح القَمْعيّ الحديث الذين كثيراً ما يكون التطهير فيه سحقاً للكفاءات، واتياناً بالمرتزقة والعملاء والمصفقين للحاكم الديكتاتور.. وليس هذا من خُلقُ الإِسلام.

نسأل الله سبحانه وتعالى، أن يوفقنا لتطبيق الإسلام، ويجعل عواقب أُمورنا خيراً حتى يكون منهجنا هو منهج الإِسلام.. والله ولي التوفيق.

(٥)

منهج الحكم في أبعاده المختلفة

منهج الحكم يلزم أن يكون:

أولاً: استشارياً فليس الحكم في الإسلام ديكتاتورياً واستبدادياً، وإنما يجب أن يستشير المسلمون بعضهم بعضاً ويُدلوا بآرائهم حول مختلف شؤون هذا الحكم، وينتخبوا الحاكم الذي اجتمعت فيه الشرائط التي قررها الله تعالى.

الثاني: أن تكون السلطة العليا في مثل هذا الحكم في يد «الفقهاء العدول» فالفقهاء العدول هم الذين عَينهم رسول الله ﷺ وعينهم الأئمة الطاهرون عليهم السلام لأجل الحكم.

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي»[1] فإذا كان مثلاً في الباكستان عالم، وفي إيران عالم، وفي العراق عالم، وفي مصر عالم وهكذا.. هؤلاء بعد انتخاب الأمة لِمَنْ هو صالح منهم يشكّلون المجلس الأعلى لإدارة البلاد الإسلامية بأكثرية الآراء بينهم.

وليس المقصود بالصلاحية فهم الأحكام الشرعية فقط فإن الأحكام الشرعية واضحة وإنما في تطبيق الأحكام الإسلامية على القضايا الخارجية الزمنية أيضاً وتحت قيادة هؤلاء العلماء الإستشاريين تتكون الأحزاب الحرّة الإسلامية، يعني هناك أحزاب اسلامية حرة تعمل في الإطار الإسلامي مئة في المئة وإنْ كانت مختلفة من حيث الإجتهادات في الأمور التطبيقية، مثلاً: يرى هذا الحزب أنَّ الأفضل: الحرب، ويرى هذا الحزب أن الأفضل: السلم، مع جار معتدٍ، أو يرى هذا الحزب أن الأفضل أن نتقدم إلى تقوية الاقتصاد الزراعي، ويرى ذلك الحزب أن الأفضل أن نتقدم إلى تقوية الاقتصاد الصناعي، وهكذا الإختلاف في الإجتهادات المؤطرة بالإطار الإسلامي، كالإختلاف بين المراجع الفقهاء في الأحكام الفقهية حسب فهمهم من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، وهذا يجب أن يكون حسب الموازين التي يَعترفُ بها الإسلام. وهذه الأحزاب الحرّة الإسلامية الموجودة في كل العالم الإسلامي تكون مدرسة للسياسة الإسلامية والرقي الإقتصادي، والإجتماعي، والسياسي.. إذن، فبعد الإستشارة في أصل الحكم وتشكيل المجلس الأعلى للفقهاء الذين هم السلطة العليا يأتي دور الأحزاب الحرة ودور الانتخابات لمجلس الأمة ومجلس الشيوخ ونريد بالشيوخ: الفقهاء الكبار العارفين بالسياسة أو السياسيين الكبار المتدينين، حيث يُشكّل لهؤلاء مجلس الشيوخ أيضاً ضمن موازين إسلامية. أمّا مجلس الشيوخ في الغرب في بريطانيا، أو في أمريكا، مثلاً فليس إلاّ ألعوبةً بيد الدولة في قضايا معروفة.

---

(١) الفقيه: ج ٤ ص ٣٠٢ ح ٩٥.

وعلى أي حال، هذا هو المنهج بالنسبة إلى الحكم الإستشاري ومجلس الفقهاء، والأحزاب الحرة التي لها صحف، ومجلات، وجمعيات، وبرامج إذاعية وتلفزيونية وغير ذلك، وتراقب تلك الأحزاب بعضها بعضاً في سبيل تقوية البلاد الإسلامية وعدم الإجحاف بالناس وجلب رضاهم وآستقطاب الشباب وغير ذلك.. هذا من ناحية.

ومن ناحية ثانية: منهج الحكم الإسلامي المرتقب لألف مليون مسلم قوامه الحرية في العقيدة، وفي إبداء الرأي، وفي العمل، إذ ليس الإسلام ديكتاتوراً وقد قال سبحانه: **﴿لا إكراه في الدين﴾** (1) وقال: **﴿وإنْ أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾**(2) وكلنا يعلم أن الكفار كانوا يأتون إلى رسول الله ﷺ ويناقشونه وهو يجادلهم بالتي هي أحسن، كما قال سبحانه: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**(3) وكذلك كانوا يناقشون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويناقشون الأئمة الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام)(4).

فالإسلام فيه حرية العقيدة وحرية إبداء الرأي، وحرية العمل والزراعة، والتجارة، والصناعة، وحيازة المباحات، وحيازة الأرض، والصيد، والسفر، والإقامة، وبناء المسكن والعمران، وصنع البساتين وإلى آخره... فهذه الحريات يجب أن يُوفرها الحكم للناس.. نعم يجب مراعاة القوانين الإسلامية في أبواب الحرّيات مثل قوانين إحياء الموات وغيرها..

إن اللازم أن يكون منهاج الحكم الذي يطبق عند قيام الدولة الإسلامية العالمية بإذن الله تعالى هو إطلاق حريات الناس كافة، حتى أن المشرك لا يُجبر على ترك شركه، عباد البقر، عابد الوطن، عباد الصنم، عباد النار لا يجبرون على ترك عقائدهم بالسيف والسجن، ولم يكن رسول الله يُجبر أحداً مِنْ هؤلاء ولا علي عليه السلام، وقد ذكرنا بعض الحريات في (الفقه: ـ كتاب الجهاد وكذلك ذكرنا بعضها في كتبنا: (الحكم في الإسلام) و(إلى حكم الإسلام) و(هكذا الإسلام)

(١) سورة البقرة: الآية/ ٢٥٦.
(٢) سورة التوبة: الآية/ ٦.
(٣) البحار: ج ٢١ ص ١٤٠ ح ٣.
(٤) سورة النحل: الآية/ ١٢٥.

الإسلام) و(نريدها حكومة إسلامية) و(إلى حكومة ألف مليون مسلم) وغير هذه الكتب.

وعدم الحرية إنما هو قانون استثنائي كسائر القوانين الإضطرارية مثل الإضطرار لأكل الميتة وشرب الخمر. فالحرية هي الأصل، وعدم الحرية أمْر شاذ واستثنائي، وبطبيعة الحال في ضمن الأطر الإسلامية المعروفة، أيّ أنَّ الحريات مسؤولة، وليست كالحريات الموجودة في البلاد الغربية والتي يسيطر عليها رأس المال ويُفقدها واقعها، ولا مثل الكَبْت الموجود في بلاد الشيوعية والتي تحكمها ديكتاتورية الحزب الواحد وديكتاتورية الحكم وديكتاتورية طبقة العمال! على ما يقولون. . وهذا هو الشيء الثاني في منهاج الحكم في الاسلام.

الشيء الثالث: عبارة عن أنَّ الحكومة لها وظائف:

الوظيفة الأولى: حفظ العدالة الإجتماعية كي لا يتعدى أَحَد على أَحَد.

الوظيفة الثانية: حفظ البلاد مِن الأعداء.

الوظيفة الثالثة: التقدم بالأمة إلى الأمام في جميع مرافق الحياة من حيث النظام، والنظافة، والعمل والصناعة والزراعة، والثقافة، والإقتصاد والنفوس الرفيعة، والفضيلة، والتقوى، والإيمان وغير ذلك.

فالحاكم في البلاد الإسلامية ليس ديكتاتوراً وكما يقول الإمام أمير المؤمنين ليس سَبُعاً ضارياً، يعني أنه يصادر أموال الناس وحرياتهم ويكبت أنفاسهم، ويحدِّد سلوكهم، . . ففي المنهاج الإسلامي: أموالُ الناس، وأعراضهُم وأنفسهُم، وحرياتهم - حتى الكفار الذين يعيشون في البلاد الاسلامية - في أَمْنٍ وسلامٍ ورفاه ورخاء.

وفي حديث: أنَّ رسول الله ﷺ أرسل خالد بن الوليد إلى جماعة من الكفار فأظهروا الإسلام ولكن خالداً قتل جماعة منهم، فَرَفَعَ الرسول ﷺ يده إلى السماء وقال: اللّهم إني أبرء إليك مما صنع خالد. اللهم إني أبرء إليك مما صنع خالد. اللهم إني أبرء إليك مما صنع خالد. ولما جاء خالد إلى رسول الله ﷺ قال خالد: يا رسول الله إنَّهم أظهروا الإسلام كيداً ومكراً وكذباً، فقال له الرسول: «هلاّ شَقَقْتَ قلوبهم» يعني لماذا لم تُشقِّقْ قلوبهم حتى تعرف هل الإسلام دخل قلوبهم كيداً وكذباً؟

ثم أعطى الرسول ﷺ لعليٍّ عليه السلام كمية من المال وقال له: إذهب إليهم وأعطهم دية قتلاهم، فجاء علي عليه السلام وأرضاهم وأعطاهم الدية حتى أنه أعطاهم دية الحيوانات التي قُتلت منهم وأعطى كمية من المال لخوف النساء وأعطى كمية من المال لما ضاع منهم حتى عقال البعير[1].

.. هكذا هو قضاء الإسلام وحكمه، لا أنه يقضي بما تشتهي نفس الحاكم من مصادرة وارهاب وقتل وسفك، وليست الحريات الإسلامية كالحريات الغربية فإنها محكومة لرؤوس الأموال، وليست كحريات الشرق المكذوبة والتي لا يُضطهد فيها أحد أكثر من العامل والفلاح..

نرجوا من الله أن يوفقنا لإقامة حكومة الإسلام العالمية القائمة على الكتاب والسنة. وتحرير الإنسان من كلّ أنواع الكبت والإستغلال، وما ذلك على الله بعزيز.

(٦)

حلّ مشكلات الحكم

كتلة من الأزمات تواجه كل حكومة جديدة ولا شكَّ أَنها ستواجه حكومة الإسلام العالمية بعد قيامها.

فما هو الموقف الإسلامي مِنْ تلك الأَزمات؟؟

الواقع أن الحركة الإسلامية الواعية لا تصل إلى الحكم إلاّ بعد أن تعرف الداء والدواء لكل مشكلة مستقبلية مُحتملة.. فإنَّ كثيراً من الذين لا يعرفون مشاكل الحُكم سَلفَاً، ولا يعرفون حلولها يسقطون في مطبّات ومعاكسات لانهاية لها، وأخيراً فكثيراً ما يسقطون أيضاً ويسقط الحكم معهم. كما حدّثنا بذلك التاريخ. وشاهدنا من قريب أمثلة لذلك.

من هذه المشكلات المناقضات والتناقضات التي تواجه الحكم من داخل أجهزته التي جمعت فيما بينهم خلافات كبيرة وأحياناً تنتهي هذه الخلافات إلى أن

---

(١) بعض هذه الإحتجاجات مذكورة في بحار الأنوار قسم الإحتجاجات، وبعض آخر مذكور في (الإحتجاج).

الثورات التي عاصرناها.

والمشكلة الثانية، مشكلة القائمين بالحكم مع المؤسسات التي كانت سابقاً في البلاد. كمؤسسة الجيش، الشرطة، الأمن، الوزارات ونحوها، فإنّ بينها وبين الحكم الجديد تناقضاً طبيعياً.

المشكلة الثالثة: مشكلة الحكم مع الراكدين، والجامدين، الذين لا يوالون ولا يعادون، ولكن جمودهم يخلق مشكلة للحكم، حيث أن الإنسان الواقف والإنسان السائر يقعان في تناقض.

المشكلة الرابعة: مشكلة القائمين بالحكم وأعداء الحكم الداخليين، لأن هناك أعداءاً طبيعيين لكل حكم، وإنْ لم يمدّهم العدو الخارجي لإختلاف الأفكار ولوجود الحسد والبغضاء وما أشبه، حتى إذا كان الحكم صحيحاً مئة في المئة في الآية الكريمة: **﴿ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾**(1) وهذه مسألة طبيعية لفقدان التقوى، والشاعر يقول مخاطباً الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

أنْ يحسدوك على علاك فإنما   متسافلُ الدرجاتِ يحسدُ مَنْ عَلا

المشكلة الخامسة: هي مشكلة الحكم مع أعداء الحكم المهاجرين إلى البلاد التي لا يسيطر عليها الحكم.

المشكلة السادسة: مشكلة الحكم مع البلاد المجاورة فإن هذه الدول لا تحتمل أن ترى الحكم المجاور لهم يتقدم إلى الأمام بينما هم متأخرون والناس بطبيعتهم يلتفّون حول الحكم الجديد ولو بقلوبهم. فكيف يتمكّن أن يرى حاكم خارج بلاد الاسلام أن قلوب رعيته مع الحاكم الاسلامي الجديد؟...

هذه مشاكل وكثيراً ما لا يحسب القائمون بالحركات لها حساباً أو يظنونها مشاكل وقتية، أو صغيرة، أو يجب ألاّ يُعتنى بها.. ولكن هذا غير صحيح ففي المثل: أن السيل يتكون من القطرات، والجيش يتكون من الأفراد، وفي حديث مشهور: «ثلاثة، صغيرها كبير وقليلها كثير، العدو والمرض والنار»(2).

وعلى هذا فاللاّزم علينا ونحن في طريقنا إلى إقامة حكومة ألف مليون

---

(1) سورة النساء: الآية/ ٥٤.

(2) الكافي: ج ص ٢٤٢ ح١.

مسلم بإذن الله تعالى أن نفكر بهذه المشاكل تفكيراً جدّياً واقعياً وأن نفكر في الحلول الصحيحة لها والتي يجب أن تكون ضمن هذه البنود:

الأول: ثورة ثقافية عامة تُقنع الناس وتجذُبهم إلى جانب الحركة والحكومة الإسلامية، فإنَّ الثورة الثقافية توجب إثارة الناس، وبالنور يذهب الظلام ويذهب الظلم.

الثاني: يجب أن يتخذ القائمون بالحكم سياسة الإسلام في ما قال القرآن الحكيم **﴿أدعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**[1].

الثالث: المُداراة مع الأعداء وتقليلهم مهما أمكن. وذلك بالمال، وبأعطاء المنصب، وبالتخفيف من حدة التوتر وتلطيف الأجواء وما أشبه، حتى لا يتمكن المُعادون والراكدون والمؤسسات السابقة أوْ ما أشبه مِن تقويض الحكم.

الرابع: هو التدرّج في الصعود، فإن بطيء النمو بطيء الزوال أيضاً بينما سريع النمو سريع الزوال كذلك وهذا يعني: ألاّ يفكر الحُكم بإنه يتمكن بين عشية وضحاها أن يقلب الموازين ويضع كل شيء موضعه. ولنتخذْ رسول الله ﷺ نموذجاً وقدوة لإقامة أحكام الإسلام فإنه قد أقام الأحكام تدريجياً: وبذلك تمكّن ﷺ أن يقيم حُكماً مستقر الأركان.

إن اللاّزم على الحكم الإسلامي، أنْ يلاحظ قانون الأهم والمهمّ في تطبيق بنود الاسلام تدريجياً حسب برنامج مدروس ومعقول، فإذا صنعنا هذا الصنيع وتمكنّا مِنْ جعل الحلول المعقولة لا بدّ وأنْ نتقدم إلى الأمام.

ثم من الضروري الإلتفات إلى البند الخامس وهو جعل الحكم استشارياً واقعياً لا صورياً.. فصورة الأسد لا تفترس وصورة الحلوىٰ لا تُعطي الحلاوة. وصورة الدواء لا تشفي المريض وإما الواقعيات هي التي تؤثر فإذا جعلنا الحكم استشارياً وأشركنا كل القوى الموجودة في الداخل التي هي موالية للإسلام من الزعماء، والعلماء، والخطباء، والمثقفين، والمحامين، والمهندسين والأطباء وغيرهم، حينئذ لا تبقى إلاّ بعض المشكلات، وتلك المشكلات لا تستطيع

---

(١) سورة النحل: الآية/ ١٢٥.

وغيرهم، حينئذ لا تبقى إلاّ بعض المشكلات، وتلك المشكلات لا تستطيع تقويض الحكم ولا الذهاب بسمعته.

ونحن نرى رسول الله ﷺ واجه مشكلات الحكم الاسلامي بهذه الصورة المعقولة الحازمة. ويروي أحد المؤرخين يقول: أنَّ عدي بن حاتم لمّا رأى سيطرة الرسول ﷺ فرّ مِن الحجاز إلى الشام وهو يُعادي الحكم الجديد القائم، لكنَّ بعض أصدقائه كتب إليه وقال له يا عدي إنَّ محمداً نبي وليس بملك، والنبي يرحم ويعطف ويُحسن ويستشير وهو عاقل وحازم ومدبر فلا داعي إلى الفرار، فارجع إلى البلاد. فرجع عديّ لأنه كان يثق بذلك الصديق. ولما رجع وقف خارج مسجد رسول الله ﷺ فلما خرج الرسول رأى عدي أنّ امرأة عجوزاً واجهت الرسولَ ﷺ وسألتْهُ سؤالاً فوقف ﷺ لها بكلّ لطف وحنان، وأجاب عن سؤالها وحل مشكلتها، فقال عديّ في نفسه: ما هذا بمَلِك وما هذه أخلاق السلاطين والملوك والأمراء، وإنما هذه أخلاق النبيين وسيرة المرتبطين بالسماء. ولذا دخل حبُّ رسول الله ﷺ في قلبه وَتَقَدّمَ إلى الرسول ﷺ وعَرَّف نفسه، ولمَّا عَرَف الرسول أنّه عدي أكرمه وأحسن إليه وتلقّاه بالبشر واللطف والكرامة واستصحبه الرسول إلى داره، فدخل دار النبي وأسلم على يده حيث رأى رحابة صدر الرسول وحسن أخلاقه ولمّا خرج قال له صديقه: كيف أسلمت؟ قال أسلمت لإني رأيت فيه أخلاق الأنبياء وصفات المرسلين.

وهكذا نتمكن أنْ نأخذ من سيرة رسول الله وسيرة عليٍّ وسيرة الأئمة الطاهرين ومِنْ سيرة الأنبياء المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين درساً لكيفية حل مشكلات الحكم. . والله ولي التوفيق.

(٧)

ملء الفراغ ولو بغير المثالي

من الضروري على القائمين بالحركة ـ الذين يريدون الوصول إلى حكومة إسلامية عالمية ـ ملاحظة أمرين:

الأمر الأول: إن الحكم هدم وبناء هدم لما سلف، وبناء الحكومة الأسلامية ذات ألف مليون مسلم، وإذا كان الهدمُ والبناءُ يتكونان من مئة عنصر، فواحد

للهدم وتسعة وتسعون للبناء، فمن الضروريّ ملاحظة أنَّ البناء يحتاج إلى أفراد يقومون بملىء الفراغ الذي سببه ذهاب الأنظمة السابقة، فإن الأنظمة السابقة لا بُدَّ أنْ تكون لها تشكلات وأُسس وأفراد وكوادر ومؤسسات وما أشبه فإذا فرغ البلد منْ تلك المؤسسات فلا بدّ أنْ تقوم مقامها مؤسسات أَخرى تملأ الفراغات التي حدثت بسبب سقوط الأنظمة البائدة، وليس هذا بالأمر السهل.. فعلى القائمين بالحركة أنْ يمَهّدوا لذلك بأمرين:

الأمر الأول: أنْ يهتموا لتربية الأفراد كحكومة كاملة.. مجموعة للأَمن، ومجموعة للشرطة، ومجموعة للوزارات، ومجموعة للسفارات، ومجموعة لقيادة الجيش، ومجموعة للنجدة، ومجموعة للإعلام، ومجموعة للتخطيط وهكذا.. فيشكلون حكومة ظل تتمكن إذا ذهبت الحكومات السابقة من ملء الفراغ في المراكز والقيادات والجيش والشرطة والأمن والنجدة والإعلام والبنوك وغيرها.

الأمر الثاني: أنْ يستقطبوا العناصر الحميدة في الحكم السابق والأفراد الذين لم يكونوا أعضاءً في الحركة حتى يشغل الفراغ، ولا يسبب الفراغ سوء نظر الناس إلى الحكم الجديد فيقولون إن الحكم القديم خير من الحكم الجديد.

وهذا الأمر بكلا بَنْدَيْهِ - أي تربية الأفراد من ناحية واستقطاب أفراد آخرين - يحتاج إلى تخطيط سليم وتفكير شموليٍّ واسعٍ وسعة صدر.. وإلاّ كان الحكم محفوفاً بخطرين:

الخطر الأول: عدم رضا الناس، حيث يَرَوْن أنَّ الحكم لم يتمكن أَنْ يقوم بمصالحهم حتى بمقدار الحكومات السابقة.

الثاني: أن تملأ الحكومات الإستعمارية، الشرقية والغربية الفراغ فإن الحكم مَثَلُه مثل الإناء، فلا يمكن أن تخلو الآنية من هواء أو سائل أو جامداً أو ما أشبه، فإذا لم يتمكن الإنسان مِن ملء الاناء، لا بد وأن يملأه الهواء أو غير الهواء كما إذا كان في مصب المياه.

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية هناك تناقض بين المثالية والواقعية، فإذا لم يطبق الحكم هذا الأمر كمنهاج بل طبقه كأمر اعتباطي سبب أيضاً الفساد وضجر الناس، إن المثالية يجب أن تكون في التفكير، أما الواقعية فهي في الخارج، فالإنسان يجب أنْ يكون جامعاً بين المثالية والواقعية يعني أن لا يكون مثالياً فقط، لأنَ المثالية شيء لا يتوفر بسرعة.

وفي بعض الأحاديث إشارة إلى ذلك، حيث يقول عليه ﷺ:

«المؤمن أعز من الكبريت الأحمر»[1]، الكبريت الأحمر كناية عن المادة الكيمياوية التي يحوّل بها النحاس إلى الذهب كما هو عند الكيميائين القدماء، فالمثالية لا تنزل دائماً إلى ميدان العمل، فإذا كان الإنسان مثالياً ولم يتمكّن من تطبيق مثاليته في ميدان العمل كان معناه الفشل، وينقلب الأمر بذلك أسوأ مما كان سابقاً.

ولذا نرى أنَّ الرسول ﷺ استفاد في حكومته المباركة من عليٍّ عليه السلام من حمزة، من أسامة، من زيد، من أبي ذر، من سلمان، من مقداد، من عمار ومن غيرهم ممن ربّاهم نفس الرسول ﷺ، وإلى جنب ذلك استفاد من أمثال أبي سفيان وغيره، لأن الرسول ﷺ رأى الأمر دائراً بين أن يبقى الظرف فارغاً حتى يستغلّه الفرس والروم والأعداء، أو أن يملأ الفراغ موقتاً حتى يفرّج الله، وحتى يتكوّن الأفراد المثاليون الذين يملؤون الفراغات، فرأى أنَّ اللازم تقديم الأهم وترك المهمّ.

وفي المثل المشهور عند الحكماء: «الوجود الناقص خير من العدم التامّ» بل الوجود الناقص خير، والعدم التام شُر كما هو معروف ـ فإن العدم شر ـ.

وكذلك نرى الرسول ﷺ يستفيد من زيد بن حارثة ومن جعفر بن أبي طالب وإلى جانبهما يستفيد من عمرو بن العاص ومن معاوية.

وهكذا نرى أن علياً عليه السلام استفاد في حكومته وفي منهجه من قسم من المثاليين الحسن والحسين صلوات الله عليهما ومن مالك الأشتر وأمثاله كما استفاد في ذلك الوقت من أناس كان لا بدّ له أن يملأ بهم الفراغ أمثال ألاشعت في قيادة الجيش، وأبي موسى في الإمارة، وشريح في القضاء ومن أشبه. . كل ذلك لأن النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام رأيا الأمر دائراً بين المثالية التي تسقط قبل توفّر الكوادر حتى تملأ كل الفراغات، والجمع بين المثالية والواقعية حسب قانون الأهمّ والمهمّ حتى يُقيّضَ الله أُناساً مثاليين يملؤون كل الفراغات، فاللازم الجمع بين المثالية والواقعية والجمع بين الكوادر التي رُبيت على أيديهم وبين

(١) البحار: ج ٢١ ص ١٤٠ ح ٣.

الأشخاص الذين استقطبوهم من خارج أفضل من العدم. . فإذا لم تجعل الدولة منهاجها الجمع بين المثالية والواقعية يبقى الفراغ الذي يستغلّه أعداء الإسلام لضرب الإسلام ودولته. .

(٨)

الحكم النموذجي

يجب على الحاكمين، أن يتحلَّوْا بأكبر قدر من المثالية، فإنَّ المثالية - وبطبيعة الحال المثالية الممكنة التي لا تَضر بالواقعية وإِنما هي مزيج من الواقعية والمثالية، كما ألمعنا إلى ذلك سابقاً - توجب اطمئنان الناس بالحكم والتفافهم حوله، اضافة إلى أن غير المسلمين يلتفّون أيضاً حول الحكم الإسلامي وهذا ربح لا للمسلمين فحسب، بل لغير المسلمين أيضاً، فإن الإنسان مفطور على اقتناء الشيء الحسن من فاكهة أو طعام أو شراب أو لباس أو دار أو مركب أو حكم.

فإِذا رأى الناس نوعية الحكم الإِسلامي وامتيازاته، وأنه مبعث الراحة والطمأنينة والرفاه والتقدم، فلا بد أن يلتفّوا حوله ويدخلوا في دين الله أفواجاً، وحتى إذا لم يدخلوا في الاسلام حكموا قوانينه في بلادهم، وهذا ما يحدّثنا به التاريخ، حيث إنَّ الغرب والشرق حين رأوا بريق الإسلام وجماله وحسنه وعدالته أخذوا أشياء كثيرة منه، كالنظافة، والنظام، والجمال، والعلم، والثقافة، والتربية، والصناعة، مما كان المسلمون الأولون يتّصفون بها.

فمن الضروري، على القائمين بالحركة أنْ يخطّطوا ليكون منهج الحكم منهجاً مثالياً، والمنهج المثالي يتحقق بأمور:

الأول: تقشف الحكام، يعني أن يكون الحكّام زاهدين في الدنيا غير راغبين في بهارجها، وأنْ يقتنعوا من الدنيا بالقدر الضروري، لأنَّ الحاكم إذا كان بسيطاً ولم يكن باذخاً ولا مترفاً ولا راغباً في الدنيا اطمئنّ الناس إلى حكمه. لا ان الحاكم فحسب يفعل ذلك بل وكذلك الطبقة العليا من المسؤولين أما القصور والرياش والأثاث، وما إلى ذلك مما هو شأن الحكام الدنيويين المعرضين عن الله سبحانه وتعالى فإنها تزّهد الناس عن الإِلتفاف حول مثل هذا الحكم.

الثاني: بالنسبة إلى مثالية الحكم، بأنْ يكون الحكم في قضائه لا عادلاً،

فحسب، بل وإنما مُحسناً أيضاً، فلا إعدامات في الإسلام، ولا مصادرات ولا سجون ولا تعذيب وإنما كل ذلك بقَدَرِ الضرورة كأكل الميتة وشرب الخمر ـ بالشكل المفصل في الفقه الإسلامي ـ فإذا رأى الناس أن الإسلام رحيم. وأنه لا يعدم، ولا يصادر، ولا يعذب، ولا يسجن، ولا ينفي، لا بُدَّ وأنْ يلتفّوا حوله، ولذا نرى أنَّ نبي الإسلام ﷺ وأَنَّ علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ انتهجا هذا المنهج مع أنه كان لهما أنْ يأخذا بالشدّة والعنف ولكنّهما رجحا جانب اللِّين وجانب العفو والصفح حتى بالنسبة إلى المجرمين في قَصص معروفة.

الثالث: يجب أن يكون الحكم مثالياً مِنْ جهة إعطاء الحريّات العامة لمختلف الأحزاب الإسلامية والتقدم بالمسلمين، وعدم تدخل الحكومة في شؤون الناس.. في تجارتهم، في زراعتهم، في صناعتهم، في سفرهم، في إقامتهم، في إبداء رأيهم، في اجتماعهم، في تأليفهم وكتاباتهم، في تدريسهم ونحو ذلك، فأذا كان الحكم هكذا مثالياً لا بدّ أنْ يلْفِتَ أنظار العالم إلى ما فيه من المزايا كما ألفت أنظار العالم حول الرسول ﷺ وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ مع كثرة المعارضين والمناوئين.

وهذا هو التاريخ يحدثنا: أنَّ رسول الله ﷺ أَمَرَ بحفظ أسرى بدر، فحُفظوا إلى الصباح فقال ﷺ لجماعة من الصحابة.. إني ما نَمتُ البارحة قالوا: ولماذا يا رسول الله؟ قال: لأنَّ أحد الأسرى كان مشدوداً بحبل وكان يئن فأذهبوا وفكّوا حبل ذلك الأسير.

وكذلك نرى أنَّ الرسول كان مثالياً في الزهد، فلم يكن يرغب في الدنيا. وفي حديث أنّه ذات مرة غَسَلَ ثوبه وبَقِيَ بلا ثوب، أوْ أعطى ثوبه لفقير وبقي بلا ثوب لأنه لم يكن يملك ثوباً ثانياً فلفَّ على جسمه المبارك حصيراً، حتى ورد في بعض التفاسير أن المراد من قوله تعالى: ﴿**طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾[1] إنه ليس المطلوب منك أنْ تُشدِّدَ على نفسك بمثل هذا التشديد حتى لا يكون لك ثوبان، فإذا أعطيت ثوباً فقيراً أوْ غسلته تبقى بلا ثوب، فتلفّ الحصير على جسمك، وكان هذا إلفاتاً من الله سبحانه وتعالى للنبي ﷺ بأنه يرضى عنه بأقل مِنْ هذه المثالية التي كان الرسول ﷺ يتوخاها.

---

(١) سورة طه: الآية/ ١.

وكذلك نشاهد أن علياً عليه السلام يوصي بالخوارج الذين حاربوه بالسيف واللسان خيراً، وقد قال كما في نهج البلاغة: «لا تقتلوا الخوارج مِنْ بعدي فإنهم طلبوا الحق فأخطأوه»[1]. يعَني أنه يوصي بالذين جرّدوا السيف في وجهه وحاربوه وقتلوا جماعة من رجاله ونالوا مِنْ سمعته وعاثوا في بلاده الفساد.

كما أننا نرى أنَّ المتآمرين لاغتياله عليه السلام كانوا خمسة ولكنه عليه السلام عفا عن أربعة منهم، مع أنَّ أحدهم جرّ السيف وأراد أنْ يضرب رأس الإمام لكنّ السيف تعلّق بعقف المسجد ولم يَصِلْ إلى رأس الإمام عليه السلام.

أما بالنسبة إلى الذي قتله هو ابن ملجم فكان الإمام عليه السلام يوصي به خيراً وكلما شرب شيئا من اللبن قال الإمام عليه السلام لأولاده: أذهبوا ببقية هذا اللبن إلى أسيركم.

ولهذه المثالية نرى العالم التفّ حول الرسول والإمام عليهما السلام هذا الإلتفاف الغريب في زمانهما، وإلى اليوم يُذكر الرسول على لسان ألف مليون مسلم كلَّ يوم صباحاً وظهراً ومساءاً وكذلك الإمام أيضاً عند نصف المسلمين في آذان الصباح الظهيرة والمغرب.. ومن أين ذلك؟ إنه مِن تلك المثالية التي توخّوها في أيام حياتهم.

إن المثالية تجلب القلوب في حياة الإنسان وبعد حياته فإذا كان الحكم الإسلامي ذو الألف مليون مسلم بهذه المثالية ـ من زهد القائمين وعدالتهم وعفوهم وإعطائهم الحريات لكل الناس في كل الشؤون حسب ما منحها الله سبحانه وتعالى ـ كان لا بدّ وأنْ يتوجه العالم كلهُ إليه ويتخذَ منه نموذجاً للإقتداء وبذلك ستكون الأمة الإسلامية مرة أخرى خير أمة أخرجت للناس وأعظم قوة على وجه الأرض.. وما ذلك على الله بعزيز.

(٩)

حرية العلم والحكم والمال

من الضروري أنْ يُوفّر النظام الإسلامي للجماهير العمل والمال والحكم على حد سواء.. أي أنْ يكون الحكم الإسلامي بحيث يوفّر الأجواء الصالحة لأنْ

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٦١.

يتمكن كلّ إنسان من التعلّم بقدر ما يشاء، ومِنْ أن يصل إلى الحكم كسائر مَنْ يصَلِون إلى الحكم، وأنْ يتمكن من الإستفادة من المال حسب طاقاته، فتكون هذه الأمور الثلاثة: الحكم، العلم، المال مَثَلُها مَثَلُ الماء والهواء والنور، فكما يتمكن كلُّ إنسان مِن الإِستفادة من الماء كذلك يجب أنْ يوفّر الحكم الجو الذي يتمكن كل إنسان في ذلك الجو مِن أن يصل إلى ما يريد من العلم (الإِبتدائية، الثانوية، الجامعة، ما بعد الجامعة، الدروس الإِسلامية الحرة، الإِجتهاد وما فوق الاجتهاد للتضلّع كثيراً بالفقه، أو في التفسير أو في غيرها).

وكذلك يجبُ أن يوفّر الحكم الإسلامي لكلِّ واحد القدرة للوصول إلى المال حسب الموازين الشرعية، العقلية، لا أنْ يتمكن إنسان، ولا يتمكن إنسان من ذلك مع أنَّ الكفاءة متساوية في كليهما، وذلك إنما يمكن في جوٍّ تكون فيه الحريات الكثيرة لجميع الناس وتكون فيه الدوائر قليلة إلى أبعد حد، لأن الدوائر كما نعلم تكبتُ حركة الإنسان وحريته، كما يجب أنْ تكون القوانين بالقدر المُضطَر إليه، فإِنه كلّما كَثُر القانون حَدَّ مِن نشاط الإِنسان وتقدّمه.. فاللازم أنْ تكون القوانين والدوائر بالقدر الضروريِّ لحفظ العدالة والنظام والتقدّم، وفي الدفاع إذا هاجم الأعداء الخارجيون أو الأعداء الداخليون.

وعلى أيّ حال، فإذا قلّت الدوائر إلى الحد الضروري، وقلّت القوانين إلى الحد الضروري، توفرت الحريات للناس، وإذا توفرت الحريات للناس تمكن كل إنسان من الصعود في قوسه ـ حسب كفاءته ـ سواء في العلم، أو في المال، أو في الحكم.

أما إذا لم يكن الأمر كذلك، لم تتقدم كل الكفاءات، مثلاً: لنأخذ العلم.. ولنفرض أمريكا التي تدّعي الحرية: نقول هل يتمكن هناك كل إنسان من أنْ يصل إلى الجامعة وإلى ما فوق الجامعة؟ كلاَّ، لأن الجامعة لها شروط ومِنْ شروطها المال، والمالُ لا يتوفر لكثير من الناس.

وقد جاء في كتاب أصدره الرئيس الذي يترأس مجلس الأمن القومي الأمريكي: أن خمسة وعشرين مليون فقير في الولايات المتحدة الأمريكية، لا يتمكنون من الوصول إلى الجامعة، وكثيراً ما لا يتمكّنون من الوصول حتى الثانوية، حيث تحتاج الثانوية أيضاً إلى المال، إلى الكتاب، إلى القلم، إلى الدفتر، إلى المختبرات، وإلى غير ذلك، فهؤلاء لا يتمكنون من الوصول إلى العلم الذي يبتغونه.

ولنأتِ إلى المال.. فهنالك الأجواء المالية اللاعبة بالمقدرات، والتي توجب جواً إكراهياً، وإنْ لم يكن إكراها شخصياً في الموضوع، وبذلك لا يتمكن الإنسان من التقدم المالي حسب قدرته..

مثلاً: لنفرضْ أنَّ في البلد شركة احتكارية استولتْ على ألف دكان بقالة، وهناك ألف بقال آخر يعيشون عن طريق دكاكين يملكونها، فهذه الشركة تتمكن من أن تتلاعب بالأسوق صعوداً ونزولاً، فإذا كان سعر البضاعة مثلاً ديناراً، فهذه الدكاكين الحرة تتمكن مِن بيعها بهذه القيمة وتستربح شيئاً لتتقوّت به، أما هذه الشركة الإحتكارية فإنها تنزل الأسعار من دينار إلى ثلاثة أرباع الدينار، وذلك يُوجب خسارة هؤلاء البقالين وسلبهم لقمة العيش.. فهذه أجواء إكراهية لا موازين لها، وإنما القانون الرأسمالي هو الذي سبّب هذا الأمر.

ونأتي إلى الحكم، فهناك لا يتمكن كل أحد من الوصول إليه حتى إذا كان المتنافسون متساوين لأن الجماعات الضاغطة والرشوات والأجواء المصطنعة والدعايات المضللة تحول دون وصول الكفاءات إلى الحكم، وحتى إذا كان في البلد انتخابات حرة حسب الظاهر، ولكن الإنتخابات ليست بحرة في الواقع، وإنما هي في الأجواء المسمومة.

أما الإسلام، فإنه يمنع كل ذلك، ويوفّر الأجواء الصالحة للنمو الممكن في كل أفراد المجتمع علماً ومالاً وحكماً، كما ذكرناه في بعض مباحثنا الفقهية، وبصورة خاصة في كتب: (الحكم في الاسلام) (السياسة) (الاقتصاد) وما أشبه.

فمن الضروري، أنْ يكون منهج الحكم منهجاً إسلامياً مطابقاً للزمن، لأنَّ النصوص الإسلامية تنطبق في كل زمان على ذلك المصداق المتوفر هناك، مثلاً يقول الله تعالى: **﴿ولله على الناس حج البيت مَن استطاع إليه سبيلا﴾**(١) الإستطاعة كانت سابقاً بالقدرة على السفر على أظهر الدواب، واليوم توجد الطائرة والسيارة، والباخرة، فالإستطاعة في ذلك اليوم كانت بذلك الشكل وفي هذا اليوم بهذا الشكل. أو مثلاً، قوله تعالى: **﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة﴾**(٢)، القوة كانت سابقاً عبارة عن السيف، ثم أصبحت البندقية، ثم الصاروخ، ثم الطائرات القاذفة للقنابل.. وهكذا في سائر المصَاديق التي تتغير لتغيّر الزمن، وإنْ كان

---

(١) سورة آل عمران: الآية/ ٩٧.

(٢) سورة الأنفال: الآية/ ٦٠.

الكلي كما ذكره الإسلام لا يتغير فـ«حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة».

ولذا نجد الإسلام يرفع حكم الإكراه حتى إذا كان الإكراه عاماً لا اكراهاً فردياً، ففي الإكراه الفردي يرفع الإسلام الحكم، وفي الإكراه العام يرفع الإسلام الحكم أيضاً.

مثلاً: جيىء إلى علي عليه السلام بامرأة زنت، فاستفسر الإمام عن سبب زناها؟ فقالت: إنها كانت في الصحراء، وأشرفتُ على الهلاك من العطش، فَوَجَدتُ إنساناً معه الماء فلم يستعدّ أنْ يعطيها الماء إلاّ في مقابل أنْ ينال مِنْ شرفها، قالت: فهربتُ منه ثم التجأتُ مرة ثانية، حيث بلغ بي العطش مبلغاً كبيراً فاشترط الرجل عَلَيّ نفس الشرط، فهربتُ منه، ثم لمّا كدت أنْ أموت تقدمتُ إليه فنال منّي، وأخذتُ منه الماء، فقال علي عليه السلام: الحد مرفوع عنك، ورفع عنها الحدَّ، لأنها كانت مضطرة.

وفي الحديث: «ما من شيء حرّمه الله إلاّ وقد أحلّه لمن اضطر إليه» ومن أمثلة الجوّ الإكراهي إنه إذا كان القحط منتشراً، ولم يُوجد الرزق، فإذا سرق إنسان الطعامَ لم تُقطعْ يدُهُ، ولا يجري عليه الحدّ. لأن الحدّ إنما يجري إذا لم يكن الجوّ إكراهياً، ولم يكن الإنسان المرتكب للجرم مُكْرَهاً، وإلا فإذا كان الجو إكراهياً، أو كان الإنسان مُكْرَهاً، كُرْهاً شخصياً، أيْ أكرهَهُ إنسان على عَمَل سيىء، فإن الإسلام يرفع عنه الحد والعقاب.

وهكذا الإسلام توفرُ مناهجُه وقوانيُنه الأجواء الحرة، لكي ينال كل إنسان القدر الممكن من العلم، ومن الحُكمْ، ومِن المال، وهذا من منهاج الحُكمْ الإسلامي المتُرَقب لألف مليون مسلم، والله المسؤول أن يوفقنا للعلم والعمل والتطبيق، وأن يأخذ بأيدينا إلى حكومة ألف مليون مسلم، وما ذلك على الله بعزيز.. [1].

---

(١) إلى هنا ينتهي القسم الأول من الكتاب.. وكان عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها المؤلف ـ دام ظله ـ ثم دونت من جهاز التسجيل..

أما القسم التالي «شؤون الحكم الإسلامي وطريق الوصول إليه» فهو عبارة عما كتبه المؤلف بيده حول شؤون الحكم الإسلامي العالمي المرتقب والسبيل إليه..

(الناشر)

القسم الثاني

شؤون الحكم الإسلامي وطريق الوصول إليه

الفصل الأول

١ ـ أقسام الحكم وكيفيته في الإسلام.

٢ ـ صعوبات الحكومة الجديدة.

٣ ـ الحكومة الإسلامية أفضل الحكومات.

٤ ـ سبل الوصول إلى الحكم.

٥ ـ ثبات الدولة.

٦ ـ السلطة العليا وحزم الدولة.

(١)

أقسام الحكم وكيفيته في الإسلام

الحكم إمّا أن يكون وراثياً يرثه الأقرباء عن أقربائهم، وإمّا أن يكون انقلابياً، حيث يقوم جماعة بالإنقلاب على الحكام السابقين والحلول محلهم، وأمّا أن يكون انتخابياً، ينتخبه الناس، وأسوأ أقسام الحكم هو الأول، إذ الوارثُ لا يهتمُّ بالناس، لأنَه لمْ يأتِ مِنْ طريقهم، بل محوره هو نفسه، وإنّما يعمل للناس بقدر ما يستفيده منهم، ولذا تجد في الحكومات الوراثية مختلف ألوان الظلم والإضطهاد والسلب والنهب وما أشبه ذلك.

نعم، قد يكون الحكم الوراثي مكَبَّلاً بإرادة الأمة التي يقودها العلماء والمصلحون، فيكون الحكم وراثياً شكلاً، لا محتوى، وهذا القسم مِنَ الوراثي، وإنْ وُجِد أحياناً، لكنّه قليل، بالإضافة إلى أن مثل هذا الحكم ينتهي في النهاية إلى الديكتاتورية أيضاً، مما يسبّب زوال الحكم مِن الديكتاتور.

والحكم الإنقلابي أيضاً سيىء، وأحياناً يجمع بين سيئات الحكم الوراثي وسيئات الإنقلاب، فإن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، وجعلوا أعزة أهلها أذلّة.

أما وجه سيئات الإنقلاب، فهو أنه يستند الحكام الجدد فيه إلى السلاح عوض استنادهم إلى الأمّة، والحكم المستند إلى السلاح لا يستند إلى رغبات الأمة وإرادتهم، فليست الأمة هي المحور، بل المحور السلاح، وهذا الحكم يسحَقُ إرادة الأمة وكرامتها،

ولا نقصد بالانقلاب الإنقلاب العسكري فحسب، بل قد يأتي الحاكم الإنقلابي إلى الحكم بإرادة الأمة، ثم يستند إلي السلاح الذي حازه بسبب الأمة، كما هو الحال في حكم بني العباس، حيث جاءوا إلى الحكم بسبب الانقلاب، ثم انقلبوا سبعاً ضارياً على الأمة.

وإنما اللأزم أنْ يكون الحكم مستنداً إلى اختيار الأمة، وإرادتها بدءاً وختاماً، وذلك بأنْ يأتي الحاكم الأول إلى الحكم بإرادة الأمة، ثم يتبدل الحكام كل حين بإرادة الأمة واختيارهم، من دون صنع ومن غير أجواء مكذوبة مصطنعة، من قبل الحكام السابقين وإلا دخل الحكم [الأجوائي] في قسم الحكم الديكتاتوري. فاللازم ألاً يدخل [التضليل، والترهيب، والترغيب] الميدان، وإلا كان الحكم ديكتاتورياً.

أما ما هي سمة الحكم الإقتصادي؟ فهي في زماننا عبارة عن أحزاب حرة، وصحف حرة، وتكون الإذاعة والتلفزيون خاضعة لكل الفئات، والحاكم ينتخب في كل ثلاث أو أربع أو خمس سنوات، فإذا رأيت حاكماً جاء إلى الحكم بالانتخابات، ثم لم تكن العلائم السابقة، فاعرف أنَّ الحكم تحوّل إلى الإستبداد، مهما قيل لذلك من مبررات.

والحكم الإستبدادي يحوّل البلاد إلى طُعمة للحكام، وأحياناً لأَسيادهم المستعمرين أيضاً - إذا وجُدَ هناك مستعمرون - كما نشاهد اليوم في بلاد الإسلام، حيث أن الحكم إما ملكي وراثي، أو انقلابي دكتاتوري، وكلاهما يستمدّان مِن الشرق أو مِن الغرب، ولذا نجد التأخّر الفظيع لألف مليون مسلم.

أما الحكم في الإسلام، فهو مستند إلى الرسول ﷺ، وإلى الإمام المعصوم عليه السلام المنصوب من قبل الله تعالى، وعصمته تمنع من ارتكاب أية مخالفة ولو صغيرة.

وإذا لم يكن الإمام المعصوم عليه السلام حاضراً، فالحاكم يلزم أنْ يتوفر فيه أمران:

الأول: أن يكون جامعاً لشرائط الفتوى، وهي العلم بأمور الدين والدنيا، والعدالة، والذكورة، والإيمان، وغير ذلك ما ذكروه في الكتب الفقهية والأصولية.

الثاني: أن يكون مختاراً مِنْ قبل الناس بأكثرية الآراء، ومثل هذا الحاكم هو السلطة العليا في الدولة.

ويأتي بعده (الهيئة التطبيقية) أي التي تُطبق الإسلام على الظروف المعبر عنها بـ[مجلس الأمة الاسلامية] و(الهيئة القضائية)، و(الهيئة التنفيذية).

ولعل من الأفضل - للابتعاد عن الديكتاتورية إطلاقاً - أن يكون للامة ثلاثة انتخابات:

الأول: انتخابات السلطة العليا من الفقهاء الذين هم مراجع تقليد الأمة [حقيقة لا صورياً أو أجوائياً] فيكون لهم مجلس الشورى، فإذا كانوا في مجلس الشورى تزعموا الحكم والتقليد معاً، وحكموا بأكثرية الآراء، وإذا خرج بعضهم عن الحكم، ليأتي آخر مكانه، تزعَّمَ الخارج التقليد، بدون الحكم.

الثاني: انتخاب رئيس الدولة، مما يُصطلح عليه في الزمن الحاضر بـ(رئيس الجمهورية) ولعلّ الأفضل أن يُسمىٰ بـ (رئيس الدولة الإسلامية) إذ الأحسن أن تُسمى حكومة البلد الإسلامي بـ (الدولة الإسلامية) وهذا ينتخب بالموافقة بين (السلطة العليا) و(مجلس الأمة) و(جماهير الأمة).

الثالث: انتخاب (مجلس الأمة) لنوّاب الأمة في إنتخابات حرة (كما ذكرناه) وعلى هذا يكون الفارق بين (الحكم الإسلامي) و(الحكم الديمقراطي):

١ ـ وجود سلطة عليا مِن الفقهاء.

٢ ـ تقييد الحكم بأن يكون في الاطار الإسلامي، ولذا فمجلس الأمة إنما هو للتطبيق، لا للتشريع.

وعليه، فالحكم الإسلامي أفضل من الحكم الديمقراطي، حيث تُشرف الأمة على السلطة أولاً مِن ناحية مراجع التقليد، وثانياً مِنْ ناحية نوّاب الأمة ورئيس الدولة، بينما الحكم الديمقراطي فيه أَشراف الأمّة من الناحية الثانية فقط... ومن الواضح أنَّ وجود وكيلين لإنسان مشرِفَيْن على أموره، أفضل مِنْ أنْ يكون له وكيل واحد.

هذا بالإضافة إلى أنَّ حكم الإسلام فيه مِن العدالة والحرية، ما لا يوجد مثله في الحكم الديمقراطي الذي يكون التشريع فيه بيد الأمة.

ثم إنَّ للسلطات الثلاث،[العليا، والرئاسة، والمجلس،] أن يختاروا مجلساً لكبار الأمة علماً وخبرة ونزاهةً، ليكونوا بمنزلة [مجلس الأعيان] في الدول الديمقراطية، وتمر الأمور التي يراد تنفيذها عليهم، ليكون الأمر أتقن (ورحم الله امرءاً عمل عملاً فاتقنه)[1].

وعليه، فالأسلوب الطبيعي للحكم الإسلامي هو، إن الناس ينتخبون مراجع

(١) الوسائل: ج ٢ ص ٨٨٣ باب ٦٠ من أبواب الدفن ح ١.

تقليدهم، بملءِ إرادتهم، من الفقهاء العدول، وتتكون من هؤلاء (سلطة عليا) وباستشارة هؤلاء يَنتخب الناس نوّاب الأمة (مجلس الشورى) وباستشارتهم معاً ينتخب الناس (رئيس الدولة).

وعليه، فلاحق للسلطة العليا، أن تستبد بانتخاب النواب، أو الرئيس، سواء استبدوا صريحاً مما يسمى بـ(الإنتصاب) أو استبدوا واقعياً، بتهيئة الأجواء المكذوبة، لمجيء النواب والرئيس حتى تكون إرادة الأمة صورية وخداعاً فإن الإسلام يجعل أمرهم شورى بينهم، كما أنه لاحق لأحد ـ مهما كان قَدَرَه ـ أن يستبدّ بالسلطة العليا، بأيّ اسم كان، بل اللازم وجود شورى المراجع للأمة الذين اعترفتْ الأمةُ بهم وقلّدتهم.

(٢)

صعوبات الحكومة الجديدة

للحكومة الجديدة صعوبات، إذا لم يتجنبها الحكام الجدد وقعوا في مشاكل تنتهي إلى إحدى نتيجتين:

١ ـ تنحية الأمة إياهم عن الحكم بالقوة ـ بسرعة ـ.

٢ ـ كُرهُ الأمة لهم مما يُسبّب أن تقوم الأمة بعزلهم عن الجماهير، ويلتجىء الحكام حينئذ إلى تحصين أنفسهم ـ خوفاً من الأمة ـ بالسلاح، ويقع التحارب بينهم وبين الأمة، بفتح السجون والمعتقلات ونَصْب المشانق، وأخيراً ينتهي الأمر بإِسقاط الأمة لهم وإِبادتهم عن آخرهم.

ومن أهم المشاكل التي تقع فيها الحكومة الجديدة هي:

(أ) ان الحكومة الجديدة إنما قامت، لأن الأمة رأت السوء. من الحكومة السابقة، فأرادت تحسين حالها، بتنحية الحكومة السابقة وتبديلها إلى الحكومة الجديدة، فإِذا لم تَرَ الجماهير في الحكومة الجديدة ما كانت تريد وتأمل ثارتْ على الحكومة الجديدة.

(ب) لـمّا لم تكن للحكومة الجديدة خبرة كافية في الحكم، فلا بدَّ وأنْ تسيء التصرف وإِساءة التصرف يُوجب استفزاز الأمة.

(ج) الحكام القدامى وذووهم يخلقون المشاكل للحكومة الجديدة ويضعون العراقيل في عجلة تقدّمها.

(د): الحكام الجدد يختلفون فيما بينهم، مما ينتهي بذهاب بعضهم إلى المقابر، وذهاب بعضهم إلى السجون، وذهاب بعضهم إلىٰ المنافى ـ كما حدث ذلك في العديد من البلاد الأوربية ـ وهذا يُوجب أولاً تضعيف الحكومة وثانياً سوء نظر الأمة إليها.

والعلاج لهذه المشاكل منحصر في [الشورى] حقيقة مع الأمة:

(أ) فإن الأمة إذا اشتركت في الحكم [كل الأمة، لا الفئة المفضلة التي يستقطبها الحاكم حول نفسه بالترغيب والترهيب والتضليل] لم تَثُرْ على الحكم الجديد، وعرفت المشاكل التي هي قابلة للحلّ فحلّتها، والمشاكل التي تحتاج إلى مدة من الزمن في حلّها، فلم تتوقع من الحاكم الجديد حلّها بسرعة، حتى تقع المنافرة بين الحاكم والأمة.

(ب) وبانعدام الخبرة الكافية خاصة بالحكام الجدد، والإ فالشورى توجب مجيء الأكفاء إلى الحكم، وهم لهم خبرة كافية، وحتى فيما لا خبرة لهم فيه لا يغضبون على الحاكم الجديد، لأنهم شركاء في الحكم، فلا فَضْلَ حتى يكون غاضب ومغضوب عليه.

(ج) والحكام القدامى:

(أولاً) يدخل الصالح منهم في الحكم، لكن تحت نظام جديد وإشراف من الأمة، كما رأينا كيف أن الرسول ﷺ كان يفوّض امر القبيلة إلى رؤسائها وكيف خرط حكّام مكة في قيادة الجيش وغيرها، وكيف أشَرَكَ الأوس والخزرج في الإستشارة والقيادة وغيرهما.

(ثانياً) لا شأن للحكام القدامى أمام كثرة الجماهير، بينما إذا استبدّ الحكام الجُدد بالحكم، وانفصلوا عن الجماهير كان الحكام القدامى وأنصارهم الذين كانوا ينتفعون بهم فئة في قبال فئة الحكام الجدد، والأولون لهم الخبرة، والآخرون لهم الجِدة، وبذلك يتمكن الحكام القدامى من إيجاد المشاكل للحكام الجدد.

(د): واختلاف الحكام الجُدد بين أنفسهم ينشأ من الديكتاتورية، وإلاّ فلماذا الإختلاف؟ والحال أنَّ الطريق لحلّ الإختلاف لاحبٌ، وهو التحاكم إلى أكثرية الآراء للحكام، بالشورى، وإذا تساوت الآراء فالمرجع القرعة لأنها لكل أمر مشكل، أو الرجوع إلى الأمة باستفتاء عام ليظهر أحد الرأيين على الآخر.

وإذا لم يمكن جمع مراجع الأمة في مكان، أمكن أنْ يَجعل كل مرجع نائباً عن نفسه، فهم نواب مجلس السلطة العليا، وإذا اتفقوا على شيء بأكثرية الآراء نُفّذ.

الدولة الاسلامية الواحدة

الرسول ﷺ أسس الحكومة الواحدة، والأمة الواحدة، وجعل لها القانون الواحد، وقد جعل ضغطُ الخلفاء وسوءُ تصرفهم الحكومةَ الواحدة مبعضة، فإن الرسول ﷺ دخل تحت لوائه الحجاز، واليمنان - في اصطلاح اليوم -، والبحرين، والكويت [حين كانت أراضي ذات قبائل] كما أسلم في زمانه ما يقارب سبعة ملايين، من العرب والفرس والروم والحبشة وغيرها وكان الجميع متساوين أمام القانون. ولم يَمُرّ نصف قرن، إلاّ وشرعت الحكومة في التفتّت، حيث عصى الوالي القاطن في الشام، وارتبط بالروم ضد المسلمين الذين بَقوا على الأغلب في جانب الإمام ﷺ.

وبعد يزيد أُسستْ في الكوفة حكومة المختار، وفي زمن هارون انفصلت المغرب، وهكذا حتى وصلت الحالة إلى ما نشاهد من عشرات الحكومات وعشرات القوانين السائدة في البلاد، وعشرات الحواجز النفسية، بالإضافة إلى ما قُطّع من دولة الاسلام، فصار تحت ظل غير المسلمين، كفلسطين ولبنان وأرتريا ومورو، ومسلمي الهند والإتحاد السوفياتي والصين. فاللازم في إعادة حكم الاسلام:

(١) إزالة الحواجز النفسية: فالمسلمون كلُّهم أخوة، لا في اللفظ والإعلام فحسب، بل في الواقع المعاش.

(٢) إزالة الحواجز القانونية، فالقانون واحد هو المستقى من الكتاب والسنة في كل بلاد الاسلام، وإنما الفارق - إذا كان - اختلافُ الإجتهاد، مع حفظ إطار الأدلة الأربعة.

(٣) إزالة الحواجز الجغرافية، فالبلد كله واحد مِن الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، حتى يكون المسلم يسير إلى مكة، إلى النجف، إلى خراسان، إلى كراجي، إلى القاهرة، إلى دمشق، إلى الخرطوم... وكلُّهُ بلده، بدون هوية، أو جواز، أو تأشيرة، أو حدود، أو غيرها.

وإذا حدث هذا ـ وسيحدث بإذن الله تعالى ـ سَكَنَ أهل كل بلدٍ في أيّ بلد آخر، فمن شاءَ منهم النزوحَ نزحَ، حتى يختلط الكلُّ، كما هو الشأن الآن بالنسبة إلى بلد واحد ـ ذي حدود مخترعة ـ فكما أنهَّ في الوقت الحاضر يسكن البغدادي البصرة والكربلائي النجف، والحليّ الناصرية، كذلك سيسكن المغربي الحجاز، والأردني طهران، والسوداني كابل، وهكذا، وهذا من لوازم رجوع الأمة إلى الوحدة المُترقبة، وقد كان كذلك في زمان الرسول ﷺ وخلفائه الطاهرين عليهم السلام.

وهذا الأسلوب غير أسلوب الإستعمار، حيث يجعل الحاميات والجاليات ويهجّر المواطنين بالقَسْر إلى غير بلدهم، ليأمَن قيامَ الأهالي ضده، وفي التاريخ القديم والحديث أمثلة كثيرة، مما فَعَلَهُ المستعمرون بالبلاد التي دخلتْ بالقُوّة تحت استعمارهم.

وقد فعل ذلك بنو أُميّة، حيث جاؤا بجيش من الشام إلى العراق وأسكنوه [واسط] قرب الكوفة، ليضمنوا بذلك إطاعة العراقييّن بالقسر، وكذلك هُجّر الأشعريون من اليمن وأُجبروا على الإقامة في إيران ـ، في [قم] بالذات ـ ليأمنوا ثورتهم ضد الحكم الطاغي، إلى غير ذلك.

وفي العصر الحديث جاء البريطانيون بجمع كبير من الهنود إلى العراق وإلى الخليج لإرغام أهلهما على الطاعة، وكذلك جاءوا باليهود إلى فلسطين بغرض الإبقاء على تشتيت المسلمين، وفي أيّامنا جاء الأمريكيون بجملة من المصرييّن إلى العراق لارغام الأهالي على قبول الإستعمار، وفعلتْ مثلَ ذلك الشيوعيةُ بالمسلمين، في قصص مشجية مؤلمة.

وعلى أيّ حال، فاللازم توحيد الأمة، قانونياً، وجغرافياً، ونفسياً.

كيفية تعامل الدولة الاسلامية؟

في الدولة، أقوياء، وضعفاء وأقليّات، كما أن في خارج الدولة أجانب يكيدون فإن كل ذي نعمة حسود، قال سبحانه: **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾**[1].

(١) سورة النساء: الآية/ ٥٤.

أما الأقوياء فاللأزم إبقاءهم على قوتهم، بل الأهتمام لزيادة قوتهم، مع توجيه عملهم إلى الصراط المستقيم، وتربيتهم نفسياً، قال تعالى: **﴿هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين﴾**(١).

وأما الضعفاء، فاللازم على الدولة تقويتهم، وبذلك تضمن الدولة ولاءهم وتبعث حب الدولة فيهم، وإذا كثر الأقوياء في الدولة، قوَيتْ في قبال الأجانب وفي قبال كيد الكائدين، وقوة الدولة بقوة أفرادها.

ومن الواضح، أن أصحاب الإمتياز من الأقوياء لا يرضون بالتنازل عن امتيازاتهم، ليشترك معهم الضعفاء في تلك الإمتيازات التي كان من جملتها استغلال الضعفاء، إلاً أن تهذب الأنفس من ناحية، وكثرة الحريات في الإسلام يجعلان الأقوياء يمشون في الطريق السويّ بدل الإنحراف والإعوجاج، هذا بالإضافة إلى تيّار الجماهير.

ويكفي شاهداً لذلك ما نراه في بعض الدول الديمقراطية - ولو بقدر - مِنْ أنّه كيف يتنازل الحكام عن الحكم، أمام تيّار الجماهير، مع أنَّ الحكام لم يكونوا مستعدّين للتنازل إذا كان بأيديهم، ولو بقدر يوم، ولو من جزء من ألف جزء من حكمهم.

وأما الأقليات، فاللأزم آحترامهم في إطار قانون خاص بهم مذكور في الإسلام. وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ومن آذىٰ مومناً فقد آذاني»(٢) وحيث يرى هؤلاء الإحترام من الإسلام، إلى جانب منطق الإسلام الصحيح، لا بد وأنْ يدخلوا في دين الله أفواجاً، كما دخلوا في أول الإسلام، فإن الرسول ﷺ لم يُجبر أحداً على الإسلام، فأهل المدينة دخلوا في الإسلام طَوْعاً، وأهل مكة - بعد سلطة الرسول ﷺ عليها - دخلوا في دين الله تدريجاً بدون إكراه، والذي فعله الرسول ﷺ بمكة هو إزالة العائق الذي كان يحول دون اسلام الناس فقط، ولذا لم يجبر الطلقاء وغيرهم على الإسلام، وأهل اليمن دخلوا في الإسلام بملء إرادتهم، بعد أن بلّغ لهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهكذا، وإنما كانت حروب

---

(١) سورة الجمعة: الآية/ ٦٢.

(٢) البحار: ج ٦٤ ص ٧٢ ح ٤٠.

الرسول ﷺ كلها دفاعيّة، وقد ذكرنا بعض تفصيل ذلك في كتاب [كيف انتشر الإسلام؟].

ولقد اخطأ أمراء المسلمين حيث شهرو السيوف وأساؤوا المعاملة مع الذميين، حيث سبَّب ذلك أنْ تَدخُلَ أوربا الوثنية في المسيحية فراراً عن سيف الإسلام وسوء معاملته ـ بزعمهم أنه ذلك من عمل الإسلام ـ وإلاّ فقد توقفت المسيحية عند روما، ولم تتغلغلّ لا في أوربا، ولا في الصين، ولا في الهند، ولو لم يخطأ أولئك الحكّام في ذينك العملين، بل كانوا يتبعون سيرة الرسول ﷺ، لشمل الإسلام كل العالم اليوم.

وكيف كان فإذا شاهد العالم بعد قيام الدولة الإسلامية، حسن معاملة حكام المسلمين، مع بلاد الإسلام، بعدم السجن والتعذيب والقتل والمصادرة وكبت الحريات وترفيع طبقة على طبقة، ورأَوْا حسن الإسلام وكونه يلائم الفطرة والمنطق، ورأوا حسن معاملة المسلمين مع الذين هم في حمايتهم من الذميين، هرعوا إلى اعتناق الإسلام، ودخلوا في دين الله أفواجاً كما دخلوا في دين الله أفواجاً أول الإسلام فإن الإحسان إلى غير المسلمين ـ بالإضافة إلى منطق الإسلام الانساني ـ مِنْ أقوى المحفّزات على دخول غير المسلمين في الإسلام.

وقال سبحانه: **﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم، * ولا يلقّاها إلا الذين صبروا ولا يلقّاها إلا ذو حظ عظيم﴾**(1).

قال علي عليه السلام: «عجِبْتُ ممن يشتري العبيد بماله، كيف لا يشترى الأحرار بإحسانه» فإن الإنسان عبدُ الإحسان.

واللاّزم على الدولة الإسلامية:

(1) إعطاء الحريّات المعقولة: حسب ما أعطاها الإسلام، وحسب ما هو مذكور في سيرة الرسول ﷺ، وعلي عليه السلام، بل وغيرهما مِنْ بعض الحكام الذين ساروا على طريقتهما، فإن الحرية صمّام أمان، فلا كبْتْ حتى يتوجب الإنفجار، وفي المثل: [الضغط يولّد الانفجار].

(2) دراسة المستقبل، للتنبؤ بما سيحدث من الإضطرابات المحتملة،

---

(1) سورة فصلت: الآية/ ٣٤.

لعلاجها قبل الوقوع، فإن الإضطراب لا يكون إلاّ بجذور، فإذا وقَفَتْ الدولة دون نموِّ الجذور، لم يحدث الإضطراب، وفي المثل: [قيراط من الوقاية خير من قنطار العلاج] فإن الإضطراب كالمرض، لا يظهر فجأة بدون استعداد وسابق انذار.

(٣) تكوين لجنة يحلّ المشاكل قد تسمّىٰ بـ[لجنة المصالحة] حيث تكّون الدولة، لجنة من الحكماء والشيوخ، لأجل المصالحة مع الأمة، بل مع الدول، كلما تعقدت حالة تُنذر بالإنفجار، فإن تواضع الدولة أمام المشكلات خير مِن تصلبها حتى تتورط فيها، بما يُفني الضرع والزرع، وقد تقدم ذكر الآية الشريفة: **﴿إدفع بالتي هي أحسن﴾**.

وقال سبحانه: **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾**(١). ٢

وقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأَخلاق».

(٣)

الحكومة الإسلامية أفضل الحكومات

أفضل الحكومات، هي الحكومة الإسلامية، وذلك لأنها جمعت بين الحكم على القلب، والحكم على الجسد، ولذا فيه تُشبع حاجات الإنسان، الروحية والجسدية، والمراد بالحكومة الإسلامية، هي ما أسسّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعمل بها علي عليه السلام، وما أشبه ذلك، لا أيّة حكومة سُمّيت بالإسلام، وإن لم تكن تعمل بقوانين الإسلام، حتى ولو كانت تدعو إلى الإسلام، وإلى انضمام البشر تحت لوائها.

فإنَّ قسماً مِنْ تلك الحكومات، أمثال حكومة بني أُمية وبني العباس، كان منطقها الدعوة إلى الإسلام، وفي واقعها تقول تعالوا إلى حكومتنا، لنقتل شبابكم، ونيتّم أولادكم، ونرمِّل نساءكم، ونملأ المقابر بكم، ونقيدكم بالسجون ونبني بأموالكم القصور لنا ولجيوشنا، ونصادر ممتلكاتكم، ونعمل بالإستبداد فيكم،

(١) سورة البقرة: الآية/ ٢٠٨.

ونذل صلحاءكم وعلماءكم، ونقلل من مدارسكم، ونخنق أصواتكم، ونُشيع فيكم المنكرات، ونشهِّر برؤوس قتلاكم من بلد إلى بلد، ونملأ قصورنا بالفتيات والخمر والقمار، ونقضيَ بينكم بالجور، و. . .

وأية حكومة سمّت نفسها إسلامية، عملت ببعض هذه الأمور ـ فضلاً عن كلها ـ فهي حكومة غير اسلامية، والإسلام والمسلمون منها براء، وإنْ ذكرت لذلك ألف تبرير، فإنَّ الإسلام منهجه موجود في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وعشرات الألوف من الكتب، كما أن الرسول ﷺ وعلي عليه السلام والحسن عليه السلام طبّقوا الإسلام تطبيقاً عملياً، فكلُّ حكومة خالفت ذلك فهي في اسم الإسلام وليس في واقعه.

وإنما كانت حكومة الإسلام أفضل حكومة، لأنَّها تُعطي حاجات القلب، حيث أن الأمة التي تعيش في ظلها تعتقد بحكّامها، وترى أنّ طاعتها طاعة الله ورسوله، وأنَّ فيها الثواب والأجر، وتُعطي حاجات الجسد، حث يتمكن الإنسان تحت ظل قوانين الاسلام من العيش الهنيء والتقدم الصادق.

ومن علائم استقامة الحكومة [والتي في قمتها الحكومة الإسلامية] كثرة المساجد والمدارس والحريات، وقلّة اليباب والسجون والعزّاب، وعدم ازدحام الدوائر بالمراجعين، ووجود قدرٍ يكفي من المستشفيات والمعامل وما أشبه.

فالمساجد للعبادة، والمدارس للدراسة والحريات، لأنها الأصل في رفاه الإنسان وتقدّمه، وقد قال سبحانه في وظيفة الرسول ﷺ: **﴿يضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم﴾**(1).

ولا يخفى أن هناك أربعة أمور:

(أ) الفوضى، وهي الحريات الضارة للإنسان، سواء بنفس المباشرِ لها أو بغيرِه، فإن القفز من مكان مرتفع يوجبُ كَسْر العظام، وقيادة السيارة بسرعة تُوجب الإصطدام، وشربَ الأفيون والهيروئين، وضرب العين والأذن بما يوجب العمى والصمم، والبطالة بعدم العمل، إلى غير ذلك، كلها ممارسة للحرية، لكنّ هذه الحرية فوضى، وكذلك اغتصاب الفتيات، وقتل الناس، وسرقة الأموال، ومخالفة

(1) سورة الاعراف: الآية/ ١٥٧.

الأنظمة العقلانية الموجبة لأذى الناس، كسدّ المعبر وإرهاب الناس، وما أشبه ذلك، حرية، لكنها حرية الفوضى.

(ب) الكبت الصريح، وذلك بمصادرة الحريات في التجارة والزراعة والصناعة، والعقيدة، والرأي، والعمارة، والسفر، والإقامة، والكتابة والإجتماع والوصول إلى المراتب العالية في الحكم، والدراسة، ونحوها، كما نشاهده في البلاد الشيوعية.

(ج) الكبت المُغلّف، وذلك بأن تهيّيء الأجواء، بما يتوهم الإنسان معها أنّه حُر، ولكن ليس بِحُر حقيقة، لسيطرة رأس المال، والدعاية، وتملأ الأسواق بالحاجات، وملء الفراغ بوسائل اللهو الباطلة: مما يتلخص في أن الإنسان يتوهم الحرية، فيستغني عن الحرية، ويكون مثله كالنائم، يرى في المنام أوهاماً، وهو بتلك الحالة يزعم أنها حقائق، فإذا انتبه عرف أنها كانت أوهاماً، كما نشاهده في البلاد الرأسمالية، وقد ذكرنا بعض تفاصيل الكبت أو هذه البلد في كتب الفقه: [الإقتصاد، السياسة، الإجتماع].

(د) الحرية، وهي كون الإنسان حُرّاً حقيقة، فلا فوضى، ولا كَبْت صريح أو مغلّف، وهي لا توجد إلا في الأنظمة الإسلامية.

فقي الإسلام التحرر العقيدي، حيث لا تُبتلى العقيدة بالخرافة، وإنما تُقدم الأَدلة على التقاليد، مع حرية البحث والنقد، مما يُعبَّر عنه بـ[حرية الكلمة].

والتحرر الإقتصادي، حيث لكلٍّ أن يعمل حسب كفاءته، وما ربَح في كيسه فلا كَبْت في العمل، ولا تذهب بعض أرباحه في كيس الرأسماليَ، أو في كيس الدولة، مع تحديد العمل بعدم كونه ضارّاً لنفسه أو لمجتمعه.

والتحرر السياسي، فلكلٍّ أنْ يصل حسب كفاءته إلى أرقى مناصب الدولة بدون أجواء مكذوبة، توجب جريَ الإنسان في مجرى خُطِّطَ له سلفاً، وأوهم ذاته بأنه حُر، فإنه عبارة أخرى: عن أنك عبد لكنك حرّ في اختيار السادة!

والتحرر الثقافي، فلكلٍّ انسان أن يصل إلى ما يريده من العلم والثقافة، فليس أمام فرد حاجز من المال، أو من غيره يمنعه عن الوصول إلى الجامعة، أو ما فوق الجامعة، وغيرها من مجالات الثقافة.

والتحرّر الإجتماعي، حيث لا توجد الإمتيازات الطبقيّة، المكفولة بسبب

القوانين المفرّقة بين الجنسيّات والقوميّات واللغات والألوان والأقليميات ألىٰ غير ذلك.

الإِحتفاظ بالحكومة الإِسلامية

لقد دَلَّ الإِستقراء والمنطق، على أنَّ احتفاظ الحكام الجدد بالحكم، تابع محالة البلاد السابقة، فإن البلد قبل الحكام الجدد على نوعين:

الأول: أن يكون الحكم فيه على نحو الديكتاتورية، بحيث يكون الحاكم الأعلى. كلّ شيء، والباقي من أعضاء الحكم أعوانه وأنصاره المُنصَّبين بأمره.

الثاني: ألاَّ يكون البلد كذلك، بل كانَ يدار من قَبلُ، على نحو الإستشارة و[الديمقراطية] وكذلك الحال إذا كان الحكم يُدار من قِبل حكام متعددين وأمراء، لكلٍّ أنصارٌ وأعوانٌ وأصدقاءٌ، والنتيجة في القسمين واحد، وهو وجود رؤوس متعددة، لا رأس واحد.

ففي **الأول:** تحطيم الحكم صعب بالنسبة إلى الحاكم الجديد، لوحدة البلاد ومركزية الحكم، فمن يريد إسقاط مثل هذا الحاكم لا بُدَّ وأن يواجِه كلَّ القوى.

لكن بعد التحطيم، يكون الإحتفاظ بالحكم سهل ـ إذا كان للحاكم الجديد قدر من الحنكة والحزم ـ لأن الأمة التي تعودت الديكتاتورية والعبودية، لا يهمها أن يتبدل الدكتاتور، وهي طائعة، لا فرق عندها بين الحاكم الجديد والحاكم القديم.

وفي **الثاني:** عكس الأول، إذ سيكون التحطيم سهلاً، لتفرّق الحكم في البلد، فيتمكن الحاكم الجديد أن ينقض الحكام الصغار: حاكماً حاكماً.

والإحتفاظ بالحكومة ـ بعد ذلك صعب ـ حيث أن للرؤساء السابقين وأنصارهم قدرات متعددة خرجت عن الميدان، كلما اطفأ الحاكم الجديد نار بعضها اشتعل البعض الآخر ضد الحاكم الجديد، وكلما رَتَقَ جانباً من البلاد، حصل الفَتْقُ في جانب آخر.

وربما يجمع البلدُ بين الديكتاتورية في الحكم، والرؤساءِ المتعددين في الدّين ـ مثلاً ـ فالحاكم الجديد أمام أمرين صعبين، صعوبة تحطيم الحاكم الديكتاتور [أولاً] ثم مواجهة الزعماء الدينيين الذين لكل واحد منهم استقلال وأنصار [ثانياً].

ولذا رأينا بريطانيا العاتية، كيف واجهت مشكلة الحكم العثماني في العراق، حيث الديكتاتورية كانت طابع الحكم، ولما ان ازاحت العثمانيين، قام في وجهها علماء الدين، بقيادة الإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي (قدس سره) مما اضطرّوهم إلى الإنسحاب.

وعلى هذا، فتوحيد بلاد الإسلام، تحت حكم إسلامي واحد، يواجه مشكلة النوع الثاني، حيث أن بلاد الإسلام في الحال الحاضر، دويلات، ولكل دولة حاكم وأنصار فالحاكم الإسلامي الذي يريد توحيد هذه البلاد، لا يرى العَنَتَ الكثير، بمقدار ما كان يراه لو كانت البلاد تحت حكم حاكم واحد.

نعم، لا بُدَّ مِن أن يَحْسِبَ الحاكم الجديد احتمال توحد حكام البلاد، واحتمال ما إذا ساعَدَ كلَّ حاكم استعمار قوي من الخارج. فاللازم أن لا يترك حكام البلاد يتحدّون، في قبال الإسلام الزاحف وفي قبال الشعب الإسلامي المضطهد، كما يلزم أن لا يترك الإستعمار الخارجي يساعد الحاكم الذي أخذت شمسه في الأفول.

وإذا قام الحكم الإسلامي في البلاد - حكماً واحداً - فالمهمّ ألاّ يجعل الحاكم الجديد، منهج الحكم الإستبداد، وإقصاء كافة الحكّام القدامى وأنصارهم، الصالح وغير الصالح جميعاً، حتى يجدوا المجال للمؤامرة، بل اللازم أنْ يفعل فعل الرسول ﷺ في إشراك الصالح من الحكام السابقين في الحكم، وإلاّ كان عليه أن يختار أحد أمرين:

أما الإستعداد الدائم لمواجهة الحكام السابقين، وتلوّث سمعتهِ، وسمعة الإِسلام - حيث يَروْن الناس أنه ممثله - وأما ابادة الحكام السابقين وكل أنصارهم، وهذا أسوأ، حيث أنَّ الحكم يفقد رواءه وجماله من أول يوم، ويجد أولئك الحكام من يثأر لهم، فتكون المواجهة الدائمة أيضاً.

وعلى أي حال، فأفضل الحلول الثلاثة، هو حل الإسلام الذي طبقه الرسول ﷺ إن هذا الحل بلا شك يضغط على الحاكم الجديد أكبر قدر من الضغط، إلا أنَّ ضغط الأصدقاء أهون وأحسن عاقبة مِنْ ضغط الأعداء، وقد قال الامام علي عليه السلام: «الحق مرهنيء والباطل حلو وبيء».

ثم إن اشراك مَنْ يصلح من السابقين وأنصارهم في الحكم يُعطي للحاكم الجديد راحتين مهمتين:

الأولى: راحة الخبرة، حيث أن إدارة الحكم بحاجة إلى أكبر قدر من الخبرة، والخبرة لا يمكن إيجادها بين عشية وضحاها، وإذا لم تتوفر الخبرة في الحاكم الجديد، ساءتْ الأوضاع وتدهورت الأمور، بما يوجب أن يرى الناس الحكم السابق ـ على مفاسده ـ خيراً من الحكم الجديد ـ على حسناته ـ.

الثانية: أنه حيث تتوفر الخبرة، وحسنات الحكم الجديد، يُقبل كل الناس عليه، فلا تكثر الإضطرابات في الحكم الجديد. والإضطرابات التي رافقت الثورة تختفي السرعة. واستقرار الحكم وحسناته، يوجبان بقاء الحكم، حتى بعد فقد الحاكم الجديد، فإن الناس يلتفّون حول الحكم الحسن ويضمنون بقاءه.

كيف يتعامل الحاكم الإسلامي؟

الحاكم الاسلامي لا بُدَّ له أنْ يلاحظ أمرين مهمين عند حكمه للبلاد، سواء صار حاكماً لكلِّ البلاد الإسلامية، أو بعضها.

الأول: حريات الناس، فإن المسلم بطبعه حُرّ، حتى إذا حَكَم بَلده مَن استعبده مدة مديدة، لأن الإسلام جعل ضميره حراً، فإذا أراد الحاكم سَلْب حريته، ثار، فإن لم يتمكن من الثورة في بداية الأمر لشدة الإرهاب، فانّه لا بد وأن يثور في أول فرصة تسنح له بذلك، وبقدر سلب الحاكم للحرية، يكون عنف الثورة، على نفس الحاكم وأنصاره جسدياً وسمعة.

ولذا رأينا كيف حطّمت إيران البهلويين، ونَسفَتْ تركيا أتاتورك، وانتقمت مصر من عبد الناصر، والعراق مِنْ قاسم، إلى غير ذلك.

والمراد بالحرية، حرية الرأي وحرية العمل، فإن البدن كما يحتاج إلى النشاط والغذاء، يحتاج الفكر إلى النشاط والحركة. وعلامة حرية الفكر أن تقف في الشارع على رؤوس الأشهاد وتقول كلمتك، وقد أعطى الإسلام هذه الحرية إلى أبعد حد، فقد رجع مِن بعض حروب رسول الله ﷺ ثلاثمأة، ولم يشتركوا في الحرب، فتركهم رسول الله ﷺ وشأنهم.

صحيح أن الفرار كان مُحرماً على الفار، لكنْ صحيح أيضاً، إن الرسول ﷺ علّمهم على الحرية، وبتلك الحرية التي لم يشاهد مثلها التاريخ، دفع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين إلى ذلك التقدم الهائل، لأن العالَم لم يكن حر، والعالم حر يتمكن من اجتياح العالم غير الحر، كما أن غير المغلول يتمكن من التصرف في الإنسان المغلول كيف شاء.

ولا يغر الحاكم إن بإمكانه أن يأمر الناس بالخروج إلى المظاهرات بالألوف، وان ذلك علامة حُب الناس له، بل بالعكس كثيراً ما يكون تمكن الحاكم من ذلك دليل الإرهاب والإرهاب لا بدَّ أن يزول، ويسقط الحاكم بزواله.

ويذكر العراقيون، كيف أن قاسم كان يُخرج الناس إلى الشوارع وكذلك ناصر في مصر، ومع ذلك أسقطا سقطة نمرود وفرعون، إنه إذا كانت حرية لا يخرج كل الناس، ولا يغُلقون أبواب حوانيتهم، بإشارة الحاكم، وإنما يخرج ويغلق جماعة منهم، لا يصلُ عددهم على الأغلب إلى ربع الناس، نعم في حالات نادرة جداً يُغلق كل الناس محلاّتهم ليخرجوا في مظاهرات صاخبة عن عقيدة راسخة وإيمان عميق واعي.

ولذا لا نجد مثل هذه المظاهرات في بلد فيه شيء من الحرية، بينما نجدها في بلاد الديكتاتورية، أمثال روسيا، وصين ماو، وفيتنام هو شي منه وما هي النتيجة؟ إنّها حَرْق ستالين بعد إقباره: فقد أخرجوه من القبر وأحرقوه جزاءاً لبعض عمله، ولَعْنَ ماو وعصابته بعد موته، وكُرْه الفيتناميين لهوشي مِنه، بمجرد استقلال فيتنام عن أمريكا ـ وإن وقعت في استعمار آخر ـ.

وعليه يلزم أن لا يَغُرَّ الحاكم التهليل والتصفيق له، والمظاهرات والإضرابات الصاخبة بمجرد إشارته، فإنَّ كلَّ ذلك علامة سقوطه، قريباً أو بعيداً، لا علامة حب الناس ونجاحه.

الثاني: أموال الناس، فقد ورد في الحديث: «ينام الرجال علىٰ الثكل ولا ينام علىٰ الحرب»(1). وهذا أمر مجرب، فالناس ليسوا مستعدين لتلاعب الحكام بأموالهم بأي اسم كان. وقد يحتال بعض الحكام، يفرض الضرائب على الناس تحت ستار مجلس الأمة، وأنه رأي نواب الأمة أو باسم أنهم في حالة أزمة وحرب، وأنهم يريدون بهذه الضرائب طرد العدو وإخراج البلاد عن الأزمة.

إن مثل هذه الحيلة ناشئة عن البساطة، كما أن كل حيلة وخداع ناشئة عن البساطة، ولذا قال الإمام عليه السلام، في جواب مَنْ سأل: ما الحيلة؟ قال: (في ترك الحيلة) وقد صدق عليه السلام، ولذا نرى كيف افتضح معاوية المحتال، وبقيَ

---

(1) نهج البلاغة: قصار الحكم ٣٠٧.

علي عليه السلام التقي كالطود الشامخ، لا يزيده مرور الزمان إلا تلألؤاً وشموخاً.

إن الناس يسألون الحاكم - الذي يعتبر نفسه اسلامياً وهو على وتيرة معاوية بن أبي سفيان، كرؤوساء بعض بلاد الإسلام -: عندما يأخذ الضرائب تحت ستار مجلس الأمة، هل المجلس حُرّ أو مستعبَدٌ تحت آستبدادك، فإن زعمتَ أنه حُرّ، فلماذا لا ينتقدك علناً ولو مرة؟ وهل يمكن ألاّ ينتقد مجلس حُرّ الحاكم الأعلى، وإذا كان المجلس تحت استعبادك، فالستار مهلهل تبدو من خلاله سوآتك، فلم تنطل الحيلة على الأمة، وإنما كما قال الله تعالى: **﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾**[1] و**﴿ما يمكرون إلا بأنفسهم﴾**[2] و**﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾**[3].

كما يسأل الناس الحاكم الذي يأخذ الضرائب، بآسم الأزمة والحرب، هل الناس لهم رأي في كيفية علاج الأزمة وعلاج الحرب؟ فإن كان لهم رأي فأين صحفهم الحرة؟ وأين أحزابهم الحرة؟ وأين إذاعتهم الحرة؟ وإن لم يكن لهم رأي، فالأزمة إنما أحدثها الحاكم، والحرب إنما صارت بسوء تصرف الحاكم، والحرب والأزمة، إذا كانتا بافتعال الحاكم، فالناس غير مستعدين لبذل أموالهم لأجل شيء مفتعل.

هذا بالإضافة إلى أنَّ الحاكم الإسلامي يجب أن يكون مقيداً بالشريعة، ولا ضرائب في الشريعة، بآستثناء الخُمس والزكاة والجِزية والخراج، وإنْ حدثت أزمة واقعية، فالأخذ يكون للضرورة [والضرورات تُقدّر بقدرها] بالإضافة إلى لزوم اشتراك الناس في حدود الضرورات، لا الإستبداد بالحدود فإن **﴿أمرهم شورى بينهم﴾**.

والتدخل في شؤون الناس المالية ليس خاصاً بأخذ الضرائب الإعتباطية، بل يشمل المصادرة وتقييد التجارة والزراعة والصناعة والعمارة، ونحو ذلك مما يمارسه العديد من حكام البلاد الإسلامية.

وهنا سؤال، هو أنه كيف تقوم الدولة بنفقاتها الكثيرة في العصر الحاضر،

---

(١) سورة النساء: الآية/ ١٤٢.

(٢) سورة الإنعام: الآية/ ١٢٣.

(٣) سورة آل عمران: الآية/ ٥٤.

بدون ضرائب إضافية عمّا قره الإسلام؟، وقد أجبنا عن ذلك في كتاب [الفقه: الاقتصاد] وغيره، بما حاصله يرجع إلى ثلاثة أمور:

الأول: يلزم على الدولة تقليل الموظفين، فلا حاجة إلى كثير منهم، وبذلك يخفّ الحَمْل على كاهل الدولة.

الثاني: تترك الدولة غالب الشؤون على عاتق الأمة، أمثال المستشفيات والمدارس والمواصلات والماء والكهرباء والبريد والهاتف، وغيرها، وإنما تشرف الدولة على الأمور لأجل تكميل النواقص، ولأجل عدم التعدي والإجحاف.

الثالث: إذا اضطرّت الدولة لفرض ضرائب إضافية، تجبيها بموافقة الناس وأخْذ آرائهم، فإن الناس إذا اشتركوا في فهم الإحتياج، وآشتركوا في إعطاء الرأي لكيفية العلاج حقيقة في أجواء حرة، لا صورية بتهيئة الأجواء المكذوبة كما يفعلها الديكتاتوريون من الحكام قبلوا الضرائب بكل ترحاب ولا تكون كَلاً عليهم وثقلا على كاهلهم.

اَلسير في طريق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

لا يمكن إرجاع الاسلام إلى حياة المسلمين ـ بتجميع بلادهم في حكومة واحدة تستوعب ألف مليون مسلم ـ إلاّ بالسير في طريق الرسول ﷺ، فحكومات الإسلام في هذا اليوم، حالها حال القبائل المتنافرة والبلاد المتشتتة في زمان الرسول ﷺ، فقد جمع ﷺ القبائل قبيلة قبيلة، والبلاد بلداً بلداً وحيث رأوا في الرسول خير قائد، وفي الإسلام خير منهج، أسرعوا في الدخول في الإسلام والإنضواء تحت لوائه.

وهكذا اللازم اليوم تجميع الحركات الإسلامية، كالأحزاب والمنظمات والجمعيات والهيئات، واستقطاب النشاطات الإسلامية، كالمكتبات المدارس ودور النشر، والمجلات والجرائد، وغيرها في تيار واحد.

والقول بأن حكومات الإستعمار لا تدع ذلك منقوص بأنه في زمن الرسول ﷺ كانت حكومة الشرق والغرب (الفرس والروم) بمنزلة حكومات الإستعمار في هذا اليوم، هذا بالإضافة إلى ما نرى مِنْ أنَّ الهند والصين مع تعدد حكوماتها، واستعمار المستعمرين لبلادهما، تمكنتا مِن الخروج من نير المستعمرين، ولا نريد بذلك صحة حكومتهما بالنظر الإسلامي، بل نريدُ بيَان إمكان ذلك حتى في العصر

الحاضر، وفي المثال المشهور: [حكم الأمثال فيما يجوز وفيما لا يجوز واحد].

والتمكن من جمع البلاد بحاجة إلى كفاءات كبيرة، وتعقلّ واسع، وحَزْم عميق، وإذا لم يتوفر كل ذلك في الحركة، لم تتمكن من الوصول إلى الهدف.

وبالعكس إذا تمكنت فقد وصلت إلى مبتغاها، كما ظهرت مقدرتها الفائقة، فإن حل الصعاب يظهر قدرة الحلال، وقوة كفاءته.

والأمر المهم أن تتجمع القوى بكل صبر ومثابرة وحكمة، وتَعقل وخُلق حسَن وحَزْم، حتى تصل إلى الهدف، وتنقذ البلاد، وتخلّص العباد.

ومن المهمّ أن نعرف كيف تقوم الدولة وكيف تبقى البلاد تحت حكم الإسلام بعد تغلّبه، وقد نرى في التاريخ القريب أن الأخوند (رحمه الله تعالى) تمكن مِن إنقاذ إيران من الإستبداد لكنّه استشهد، ولم يكن المسلمون مِنْ بعده في مستوى أن يحافظوا على المكسب الكبير الذي حصل، وكذلك نرى أن الشيرازي (رحمه الله تعالى) استطاع إنقاذ العراق مِن الإستعمار البريطاني (حيث كانت بريطانيا أكبر دولة ورائها ألف مليون من البشر وبأحدث الأسلحة وأحسن تنظيم، والعراق نفوسها بضع ملايين، بلا سلاح ولا جيش ولا نظام) لكنّه استشهد (رحمه الله تعالى) والذين أتَوْا مِن بعده لم تسنح لهم الظروف لحفظ الإستقلال، وإنْ جاهدوا لأجله مشكورين في جهادهم وجهودهم حتى أُبعدوا.

ونرى في سيرة الرسول ﷺ:

أولاً: كيف جعل الأَسس للسير البطيء الذي لا يخشى سقوطه بعد الوصول، فإن السير السريع يسرع زواله، وفي المثل: (بطيء النمو بطيء الزوال، وسريع النموُ سريع الزوال)، ولذا اشتغل الرسول ﷺ طيلة رسالته من أوّل يومها إلى يوم وفاته، بتربية الناس لا تربية قولية فحسب، بل عمليّة أيضاً، حتى كوّن (**أمةً وسَطَا**)، و(**خير امة أخرجت للناس**).

وبذلك تمكن ﷺ من جلب ثقة العالم إلى نفسه كرسول، وإلى دينه كمنهاج حياة، فإن الناس إذا عُرِضَ عليهم مبدأ، يجرّبون مَن أتى به، ونفسَ المبدأ، هل الآتي بالمبدأ يصلح لأَنْ ينضوا تحت لوائه؟ وهل مبدؤه يصلح أن يكون بديلاً عما بيدهم من المبدأ؟ لا هذا فحسب، بل اللازم أن يروا الآتي بالمبدأ خيراً ممن هم تحت لوائه الآن، وأن يروا المبدأ خيراً من مبدئهم الذي هو بيدهم الآن، وإلاّ

فأيَّ داع لأن يُغيّر الإِنسان سيده إلى سَيد مساوٍ له؟! وأي داع لأن يغير الإِنسان منهاجه إلى منهاج مساوٍ لذلك المنهاج؟

ولا ينتهي الأمر بخصوص تأييد بعض الغوغاء من يصفقّون له، ويمدحون مبدأه، يتركون السيئات ويذكرون الحسنات.

فإِن الغوغاء والشعار لا يزيدان العقلاء إلاّ بعداً ونفوراً، فإِذا لم يتمكن العقلاء مِنْ هذم المبدأ الجديد ذي الشعارات الزائفة، وإخراج صاحبه ذي التصفيقات الفارغَة، عن الميدان بصورة سريعة، فإنهم يأخذون في هدمهما بكل صبر وتوئدة، فلا يمرّ زمان، إلاّ وترى حامل المبدأ في قائمة العتاة، ومبدأه في قائمة المبادىء المرمية في مجاهل التاريخ.

وثانياً: كيف تمكن مِنْ الإِستيلاء على القبائل والبلاد، حيث حوّل ﷺ قوّته الأخلاقية ومبادءه السامية إلى ترجمة عملية، فتمكّن ﷺ بذلك مِنْ الإِستيلاء أولاً، والإبقاء ثانياً.

فمثلاً: نرى في فتحه ﷺ لمكة أكبر حكمة ممكنة، مما لا يُرينا التاريخ مثل تلك الحكمة، لا قبل الرسول ﷺ ولا بعده، فمكة عاصمة الشرك والعتاة الفجرة، الذين حاربوا الرسول أقسى حرب باردة وحارة منذ إظهاره ﷺ الدعوة إلى يوم الفتح، وقد تمكن الرسول ﷺ مِن الإستيلاء عليها بكل سهولة، وتَمكَّنَ مِن إِبقاء سيطرته عليها، فلم تضطرب مكة مِنْ بعد الفتح أقلّ اضطراب، مع أنَّ الرسول ﷺ لم يجعل فيها حامية، ولم يُسكن في ربوعها جالية، ولم يُبِذْ رجالَها، ولا صادر أموالها.

وإنما كانت الحكمة في ذلك النجاح الهائل بدءاً واستمراراً، رهين حكمة الرسول ﷺ التي تجلت في:

١ ـ أن الرسول ﷺ لما فتح خيبر أرسل بمالٍ كثير إلى مكة ليقسم بين أهلها ـ وهم على حربهم مع الرسول وشركهم ـ.

٢ ـ عفا عن أبي سفيان حين جاء به العباس إلى خبائه قبل الفتح.

٣ ـ جعل ﷺ يوم الفتح يوم المرحمة وحفظ الحرمة، لا يوم الملحمة وسبي الحرمة.

٤ ـ جعل ﷺ دار المناوئين لهم أمناً، وأعطاهم الأمان إذا ألقوا أسلحتهم

ودخلوا دورهم، أو دخلوا المسجد الحرام. وبقي ﷺ على عهده، فلم يغدر بعد أن تسلط بأن ينتقم منهم، كما هي عادة الحكّام. حيث يظهرون العفو، حتى، إذا تم لهم الإستيلاء أخذوا في الإنتقام.

٥ ـ أطلق سراح المجرمين، بكل جلاء فقال لهم: أقول لكم كما قال أخي يوسف لإِخوته لا تثريب عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء.

٦ ـ لم يستردّ دورَ المسلمين التي صادرها الكفّار، وحين قيل له ﷺ ألا تنزل دارك؟ قال: وهل أبقى فلانٌ لنا داراً؟

٧ ـ لم يصادر شيئاً مِن أموالهم.

٨ ـ رَدَّ مفتاح الكعبة إلى ذلك المشرك، لكي يظهر للناس أنّه ﷺ لا يطمع في الإستيلاء على امتيازاتهم.

٩ ـ رَدَّ أسلحة صفوان، مع أنه كان من مجرمي الحروب التي كانت تشنُّ ضد سول الله، فقد كان في مكة بمنزلة وزير الدفاع، حتى أن صفوان بنفسه تعجب من هذا الخلق الرفيع.

١٠ ـ أَعطى زعماء المعارضة الذين كانوا يستحقّون القتل ومصادرة الأموال، وإلغاء الإِمتيازات، شيئاً كثيراً مِن غنائم حنين.

١١ ـ لم يُحمِّلهُم خسارات الحروب التي شنوّها على الرسول، ولا ديّة أصحابه وأقربائه الذين قتلوهم، ولم يكن ذلك لأنهم أسلموا والإسلام يجبّ ما قبله] بل لم يسلم أكثرهم.

١٢ ـ لم يجبْرهم على الإسلام، وعمل بقوله سبحانه: **﴿لا إِكراه في الدين﴾**[(١)].

١٣ ـ أشركهم في الحكم، حيث جعل بعضهم مِن قادة جيشه، حيث توجّه ﷺ ـ مباشرة ـ إلى حنين.

١٤ ـ قال ﷺ لحاكمه عتاب بن أسيد: «أحسن إلى محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم».

---

(١) سورة البقرة: الآية/ ٢٥٦.

ولم يكن ذلك مجرد لفظ، كما اعتاد الحكام أن يطلقوه، ثم يتآمرون في تصفية المناوئين، وذلك لأن يجمعوا بين الإنتقام وبين.اظهار أنفسهم في مظهر الشهم الكريم.

بل كان قوله ﷺ وعمله متطابقين، فقد رأى أسيد كيف عفا ﷺ عن المتآمرين لقتل حمزة [هند] والتي لاكت قلبه، وجعلت أذنيه وأنفه وأصابعه و... قلادة، تفتخر بها على النساء المشركات، وقد رأى اسيد كيف عفا ﷺ عن [هبار] الذي ألقى ببنته [زينب] من الهودج، مما سبَّب قتل جنينها وقَتَلها بعد أن مَرِضَتْ مدة، وألتحقت بعد ذلك بالرفيق الأعلى، إلى غير ذلك.

ألحرب والدولة

ربما يُتوهم أن الحرب حاسمة، فلا بدّ للدولة مِن الحرب، سواء لأجل الوصول إلى الدولة أو لأجل توسعتها، أو لأجل إبقائها. إنه لا شك في أنّ الحرب حاسمة، لكنَّ الكلام في أربعة أمور:

الأول: هل السلاح يأتي إلى يد الحركة الإسلامية بالحرب أو بالتنظيم والتوعية؟

الثاني: هل إذا تمكّنَتْ الحركة الإسلامية مِن قيادة الجماهير، تتمكن من إسقاط النظام السابق بالحرب، أو بشل قوى النظام بدون حرب؟

الثالث: هل إذا اضطرتْ الحركة - ولو بعد الوصول إلى الحكم - إلى الحرب، مع مَن يريد اجتثاث جذوره، الأفضل ألاّ تبدأ بالحرب حتى لا يقال إن الحركة الاسلامية غير محبّة للسلام، حتى تكون السمعة للحركة الإسلامية، أو أن تكون الحركة هي البادئة حتى تظهر بمظهر الظالم المعتدي؟

الرابع: إذا كان لا بدّ مِن الحرب، فهي أضطرار يُقدّر بقدَرِه، فإن ثلاثة أرباع الإنتصارات تعتمد على الأعمال الدبلوماسية، فهل انتزاع الإنتصار بجعل الربع الإخير عملاً حربياً، وثلاثة أرباعها الدبلوماسية أفضل أو جعل الجميع عملاً حربياً؟.

وإذا كانت الأجوبة على هذه الأسئلة واضحة، فالحركة الإسلامية تبدأ بجمع الأنصار والتنظيم والتوعية، ثم تسقط الأنظمة الإستعمارية مباشرة، والأنظمة العملية بالإضرابات والمظاهرات والتمردات، وإذا اضطرت إلى الحرب، تبادر بها هي

هي لكي لا تكون للمعتدي حجة عليها امام العالم، وإنْ أمكن أنْ تدَفع الحرب بالطرق السلمية فذلك خيرٌ، وإذا لم تنفع الطرق السلمية، تجعل العمل الحربي ربعاً للحرب، وثلاثة أرباع للحلول السلمية.

وإلى كل ذلك، تشير سيرة الرسول ﷺ وسيرة علي عليه السلام مما هو معروف للناس.

وبهذه المناسبة لابأس إلى إن نشير إلى أمر آخر، وهو أنَّ اللازم على التيار الإسلامي قبل الوصول إلى الدولة، والدولة الإسلامية، أن يتجنب القتل - بكل قوة - فإن القتل يثير الناس إثارة بالغة، ولا ينسى الناس من قتل أولادهم وأقربائهم وأصدقائهم، وذلك إذا لم يؤثر في الخط القريب أبان قدرة التيار أو قدرة الدولة، فإن ذلك يؤثر في الخط البعيد.

فأولاً: القتل يوجب رد الفعل في سائر الشعوب، حيث يقولون - إن الإسلام دين القتل - فإن الناس يرون عمل حكام كل مبدأ تجربة عملية لذلك المبدأ، ولذا ينظرون إلى النازية والفاشية والشيوعية، بمنظار قتلى هتلر وموسيليني وستالين، وإذا حصل رد الفعل في الشعوب فمن الأكيد أنهم يكيدون لإسقاط مثل هذا النظام، وكيد الشعوب ينتج، وما الداعي لأنْ يعمل الإِنسان عملاً يُوجب سقوطهَ وسقوطَ مبدئه؟

وثانياً: القتل يُوجب تأليب الأمة ضد الحكم القائم، فإنهم وإن كانوا ضعفاء حين قدرة التيار، أو قدرة الدولة، إلا أن الميزان سينقلب، إلى قوة الأمة وضعف التيار والدولة، وحين ذاك يكون السقوط، بل الإبادة الكاملة، كما رأينا كيف أبادت الأمة بني أمية، وغيرهم من الذين اَمتَهنَوا القتل.

ولذا نرى في سيرة الرسول ﷺ وعلي عليه السلام التجنب عن القتل إلى أبعد حد، فقد عفا رسول الله ﷺ عن كفار مكة، وعن الذين تآمروا على قتله في ليلة العقبة، وعلله ﷺ بأنه لا يريد أن يقول الناس أن محمداً قتل أصحابه وعلي عليه السلام قال بعد أن ضُرب وقد تآمر على ضربه جماعة: لا ألفينكم يا بني عبد المطلب تخوضون دماء المسلمين، تقولون قُتل أمير المؤمنين عليه السلام، ألا لا يقتل بي غير قاتلي)[1].

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

وقد ذكر بعض المحققين من المؤرخين أن قتلى الرسول ﷺ في كلِّ حروبه من الجانبين - المسلمين والكفار - ألف وثمانية، وقد كان علي عليه السلام يخطو خطى الرسول ﷺ فعفا عن أهل الجمل والنهروان بعد أنّ ظفر بهم، وكان إذا أخذ أصحاب معاوية حلّفه بأن لا يساعد معاوية، ثم تركه وشأنه، وقضايا عفوه كثيرة.

ولذا تبوَّءَ هذان القائدان الإلهيان، أعظم مكانة في نفوس المسلمين، وفي نفوس سائر البشر، مما أوجب تقدم الإسلام تقدما عظيماً، وقد أحصى بعضهم أن كل الذين قتلهم علي عليه السلام بسبب الجنايات في تلك الدولة الشاسعة الاطراف، - والتي قال بعضهم عنها أنها على خريطة اليوم، تحتوى على خمسين دولة، وكانت أكبر دولة في عالم ذلك اليوم - كانوا زهاء مئة شخص فقط، في مدّة خمس سنوات تقريباً، مع العلم أن الجريمة والفوضى، كانت ضربت بأطنابها في ربوع البلاد الإسلامية من جراء سوء تصرف الحاكم السابق.

ومن هنا نرى بُعْدَ مدى سياسة الرسول ﷺ وعلي عليه السلام في هذا الشأن، كبعدُ مَدى سياستهما في كل الشؤون، كما قال ضرار لمعاوية يصف الإمام علياً علي عليه السلام: (كان والله بعيد المدى)[1] كما يتجلى ذلك في عمق الأشعار التي قالها بعضهم عن لسان النبي وآله:

ملكنا فكان العفو منّا سجية ... ولما ملكتم سال بالدم أبطحُ
وحللّتم قتل الأُسارى وطالما ... ظللنا عن الأسرى نعفّ ونصفحُ
فحسبكُمُ هذا التفاوت بيننا ... وكلُّ إناء بالذي فيه ينضح

ويأتي الكلام أخيراً، في أن التيار الإسلامي أو الدولة الإسلامية، ماذا تعمل بالحدود الشرعية التي فيها القتل؟

والجواب: القَتل غالباً يُمكن تفاديه:

١ - فالقصاص يمكن تفاديه بإِرضاء ذوي المقتول، وقد توسّط الإِمام السجّاد عليه السلام في إرضاء ذوي المقتول.

٢ - واللواط والزنا الموجبان للقتل، لا يحصل الشهود عليهما، (أربعة عدول، رأوا كالميل في المكحلة) إلاّ نادراً ندرة كبيرة وإقرار المرتكب أربع مرات قليِّل نادر جداً.

---

(١) سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٥٧.

٣ ـ والإرتداد لا يُوجب القتل إذا كان عن شبهة، والإتداد لا عن شبهة قليل جداً.

٤ ـ أما أنْ يرتكب إِنسان المعصية الكبيرة مرات ويُحدَّ ثلاث مرات، ثم يعود فذلك إن وقع فهو في غاية الندرة.

٥ ـ والذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً، فللحاكم نفيهم، وتبديل النفي بالسجن، كما ذكرناه في [كتاب الحدود والتعزيزات] وغيرُ هذه الموارد، أقلُّ منها عقوبة كما هو في الفقه.

وربمّا يزعم زاعم أنَّ الرسول ﷺ، لو كان يقتل المنافقين، لم يصل الأمر بعده إلى تلك المشاكل؟ ولو كان يقتل علي عليه السلام المناوئين، لم يتسلط على الأمر من تسلط من بعده؟

وكلا الزعمين لا يصدران إلاَّ عمَّنْ لا اطلاع لَهَ على الأوضاع الإِجتماعية ولا على التاريخ، فإِنَّ قَتْلَ المنافق يولّد منافقين، وأحياناً محاربين وقتل المناوىء يولّد مناوئين وأحياناً مقاتلين.

نعم إذا كان الرسول ﷺ يقتل المنافقين، لتحَطَّمَ الإِسلام في يومه الأول كما أشار إلى مثل ذلك علي عليه السلام حينما قال لفاطمة عليها السلام: «لا تسمعين هذا الإسم» أي [اسم محمد ﷺ] كما أن علياً عليه السلام لو كان يقتل المناوئين، لأبادوا آله في أوّل فرصة، كما أبادوا آل أمية في أوّل فرصة، فلم يصل الأمر إلى وجود الباقر والصادق والكاظم والرضا وغيرهم عليهم السلام وإِلى ذلك إشار بعض الأئمة عليهم السلام في بيان وجه عفو علي عليه السلام عن أهل الجمل.

هذا بالإِضافة إلى أنه لم يكن التاريخ، يضع الرسول ﷺ وعلياً عليه السلام في قمة البشرية المثالية التي ينحدر عنها السيل ولا يرقى إليها الطير.

إذن فمن الضروري على التيار الإسلامي والدولة الإِسلامية، أن يجعلا القتل في قائمة [لا] لا في قائمة [نعم] وبذلك يمكن التقدّم والإِزدهار المطلوبان بإِذن الله تعالى.

نظام الدولة الإِسلامية

وابداء التيار الاسلامي لنظام الدولة الإِسلامية ضروري قبل الشروع في الحركة العامة، فإِن الناس لا ينضوون تحت لواءِ حتى يعرفوا أبعاد التحرك تحته،

فلا ينفع أن يقول الزعماء للناس: إننا نريد توحيد بلاد الإسلام تحت قيادة إسلامية صحيحة، ولا اننا نريد تحرير المسلمين مِن نير الإستعمار والطغيان، فإنهم يتساءلون: وكيف ذلك؟ وكم المدة المترقبة للوصول إلى الهدف؟ وما هو الميثاق الذي تعمل به الحركة إلى حين الوصول؟ فاللأزم أن تَجعل الحركة (المبدء) و(المنتهى) و(الكيفية).

هذا بالنسبة إلى التيار، أما بالنسبة إلى الأطروحة، فالمهمّ أن يبين كيفية الحكم في الإسلام؟ وكيفية الإقتصاد والإجتماع؟ خصوصاً وقد أتهم الإسلام - حتى عند جمهرة من المثقفين المسلمين - بأنه دين الإستبداد واستعباد المرأة ودين القتل والسوط، ودين سلب الحريات، وقد وجد المتهمون تبريرات كافية للإتهام، في أعمال جملة من الخلفاء والسلاطين والأمراء، الذين لوّثوا سمعة الإسلام بأعمالهم الوحشية [اللإنسانية واللإسلامية].

ومِنْ الطبيعي أن الناس لا ينضوون تحت لواء جديد، إلاً بعد أن يتيقنوا أنه أفضل من اللواء القديم.

ومن يراجع التاريخ، يرى أن رسول الله ﷺ كيف تقدم إلى الأمام، حيث عُرف دينه بأنه دين التحرير، ودين التوحيد بين الناس، ودين المساواة أمام القانون، ودين العقل، ودين الرفاه، ودين إعطاء كل ذي حَقٍّ حقه.

وقد طَبق بنفسه ﷺ كل ذلك، حتى صار خير قائد يراه الناس، فلم يكن لهم مانع من أن يستبدلوا قيادته بقياداتهم السابقة.

إذن اللازم أن يكون المنهج بحيث يرى المثقفون في العالم الإسلامي، بل في كل العالم، أن حرياته أفضل من حريات العالم المعاصر، وإنّ حكمه أحسن مِن حكم الديمقراطيين، وإن اقتصاده خير من اقتصاد الشيوعيين والرأسماليين والإشتراكيين، وإن رفاهه أوفر من رفاه ما يسمى بالعالم الحر، هذا من ناحية.

ومن ناحية ثانية، يرون في القائمين بالحركة أنهم يصلحون لأن يكونوا قادة لهم، عِوَض قياداتهم القديمة، وأن يَرَوْا نظام الحكم المترقب يعطي لهم الفرص الكافية لأَن يصعدوا إلى أعلى الدرجات، إذا كان عندهم الكفاية أما أن يَرَوْا أنَّهم سيظلون في الدرجة الثانية، مهما كانوا ذوي كفاءات، فذلك مما يزهدهم في الإقبال على مثل هذه الحركة ومثل هذا النظام.

ولذا فمن الضروري في [الحركة] أن تكون دورية انتخابية، لا أن يظل الرؤوساء رؤوساء، وغيرهم في درجة ثانية، كما أنَّ مِن الضروري أن يكون [الحكم] كذلك، فلا وراثة ولا آستخلاف، كما لا بقاءَ يدوم لأحد في الحكم.

وحينئذ فمِن الضروري أن يكون للأطروحة جهة إيجابية تبيّن محاسن الحكم الإسلامي الذي يُراد تطبيقه، ومساويء الحكم غير الإسلامي الذي يبتدىء بمجلس الأمم المتحدة، مثلاً يقال: أن الأمم المتحدة ـ على اتّفاق الدول في القبول به ـ فيه نقائص مشينة، مثل:

١ ـ إن الدولة الكبيرة ذات الملايين، والدولة الصغيرة ذات ربع مليون متساويتان في الأصوات، مع أن القاعدة العقلانية تقتضي، تساوي البشر، لا تساوي الدول.

٢ ـ اعتراف الأمم المتحدة بالحكم الوراثي، والحكم الإنقلابي، وكلاهما سحق للكفاءات فالإدارة يجب أن تكون هي الحاكمة، لا لأنه قريب فلان، أو لأنَّ بيده السلاح، وأي فرق بين وراثة ولد الطبيب لأبيه الطبيب، وجعل إنسان نفسَه طبيباً لأنَّ له مدفعاً، وبين الحكم، فإن الحكم كفاءة ذاتية واختيار أكثرية الناس للحاكم، كما أن الطب كفاءة، واختيار المريض للطبيب، وهكذا بالنسبة إلى سائر الكفاءات.

٣ ـ اعِطاء حق الفيتو لبعض الدول أو ليس ذلك، اشبه بإعطاء حق الفيتو للتاجر الأكثر مالاً في قبال التجار الذين هم أقل أموالاً؟ وإذا كان هناك فارق فما هو ذلك الفارق؟

٤ ـ قبول جعل التفاوت بين الناس بالولادة، مما لا مدخلية للإنسان فيه، مثلاً في بلد لا يصلح لبعض الوظائف غير العربي، وفي بلد لا يصلح غير التركي إلى غير ذلك من الأمثلة، إلى سائر النقائص الموجودة في القوانين والتي هي خلاف العقل والمنطق.

(٤)

سُبُل آلوصول إلى الحكم

سبل الوصول إلى الحكم في العالمين القديم والحديث، ثلاثة أمور:

١ ـ الحظ كان يولد الإنسان في بيت الملوكية، أو بيت السيادة، والمقصود

بالحكم أعم من الحكم الوراثي والإستخلافي، وسائر مناصب الدولة حيث أن رأي الفرد ـ لا الأمة ـ دخيل في الوصول إلى الحكم، مثلاً ابن الملك يصل إلى الملوكية، ومَنْ يهواه الرئيس ـ من المتملقين له ـ يهيىء الرئيس الأجواء لإيصاله إلى الحكم، حيث أن بيد الرئيس الدعاية والمال والسجن، ومِن الواضح أنّ هذه الأمور كفيلة بإيصال مَنْ يشاء الرئيس إلى ما يشاء، وهكذا بالنسبة إلى سائر مناصب الدولة.

ولا علاج لذلك إلاّ بأن تكون القدرة موزعة بالأحزاب والصحف والإعلام الحر، حتى يقف القادرون أمام قدرة الرئيس، وحين توزيع القدرة، مع وجود المنهاج الصحيح، لا يكون الناس نَهْبَ أوامر الرؤساء، يفعلون ما يشاؤون، تارة باسم (الحق الإلهي)، وتارة باسم (الديمقراطية)، وتارة باسم (انا ربكم الأعلى).

٢ ـ الخداع، بأن يجتمع جماعة مِن العسكريين من إليهم، ثمَّ يقفزون على الحكم بالسلاح ثم يفعلون ما يشاؤون من الإنغماس في الملذات، وقتل الناس، ومصادرة أموالهم، وملء السجون بهم، وخراب البلاد، كما فعله عبد الناصر، وعبد الكريم، وعبد السلام، والبكر، وصدام، وببرك، وأمثالهم من الذين جاؤا إلى الحكم بالسلاح.

وهذا القسم، كان في الزمان السابق متداوّلاً بدون الإستعمار، وفي العصر الحاضر يتعارف ذلك بمعونة الإستعمار في قضايا معروفة، ولا تحصد البلاد من وراء أمثال هولاء الحكام إلاّ الدماء والخراب والقتل والحرب والسجن والتعذيب والإضطرابات، والإضرابات، والمظاهرات والثورات.

وقد يأتي الحاكم إلى الحكم ولما يصل يمهّد الجو لنفسه، ليعمل بعنف يصادر الحريات، ويسلب الأموال، ويملأ السجون، ويحطم البلاد، اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، بتحطيم الكفاءات، واستقطاب الإمعات، ومن الواضح أن الحكم لا يبقى مع العنف، فقد قال علي عليه السلام : «من علائم زوال الحكومات تقديم الأراذل وتأخير الأفاضل».

والسبب واضح، حيث أن (الأمعّة) لا تأتي منه الإدارة، لعدم كفاءته فيأخذ الحكم في الذوبان حتى يسقط.

ولا يخفى أن صفة الحاكم كهذا: أنه يقطع عهده بأصدقائه، ويحاول الإتقام

من المحسنين إليه، ويقتلّ الناس، ويتنكر لعهوده، ويتخلى عن الرحمة، ويسلب أموال الرعية، أما لنفسه إذا كانت له شهوة جمع المال، وأما باسم المشاريع العمرانية أو تحت ستائر أخرى، وترى البلاد في عهده أقرب إلى الشعارات من الحقائق، والكل يسبح بحمده، ويذكرون له ما لا يتصف به، ويحتقرون أعمال الآخرين، إلى غير ذلك من لوازم الفردية.

ولو قرأ الإنسان في العهد البعيد أحوال فرعون وشدّاد، وفي العهد المتوسط أحوال معاوية وهارون، وفي العهد القريب، أحوال أتاتورك وبهلوي وعبد الناصر وستالين وماو، ومن إليهم، رأى كل ما ذكرناه في أحوالهم رأي العين.

ومِنْ لوازم مثل هذه الحالة، أي يصطف في قبال الحاكم الذي يكون هكذا، ذوو كفاءات ينقصونه، ويذكرون مثالبه، ويهيئون الأجواء ضده، حتى يسقطون فتمتلأ الشوارع والأندية، والكتب وغيرها بفضائحه وآثامه.

٣ ـ الكفاءة، ولذلك عند الديمقراطيين شرائط خاصة في الحاكم بالإضافة إلى اختيار أكثر الشعب له، أما عند الإسلام فالأمر أفضل، لأن الإسلام يرى من شرائط الحاكم الخوف من الله تعالى، والعدالة، بالإضافة إلى شرائط خاصة فيه، واختيار الأمة له، ومن الواضح أن من يخاف الله في باطنه لا يظلم ولا يتجاوز عن القانون لأجل مصالحه وأهوائه.

أما ما نرى في بعض الناس من أنهم كانوا يخافون الله ظاهراً، ثم يعملوا بالأهواء، فمن الممكن أنهم كانوا يخشونه سطحياً لا عميقاً، فظهر عمقهم عند الوصول إلى الحكم، كما أن من الممكن أنهم انقلبوا **﴿افأن مات أو قتل انقلبتم﴾**[1].

وعلى أي، فالجمع في [الحاكم] بين رقابة الله ورقابة الناس أفضل من اشتراط (رقابة الناس) فقط.

ثم من علائم الحاكم الكفوء:

١ ـ رفع المعنويات.

٢ ـ تكثير ذوي الخبرات والنابهين.

---

(١) سورة آل عمران: الآية/ ١٤٤.

٣ ـ الإعتماد على الكفاءات، لا على المحسوبية والمنسوبية، والذين يصفقّون له ويسبّحون بثنائه.

٤ ـ السير بالأمة إلى تكامل الماديات.

٥ ـ الإِحسان الدائم، لا باعتبار ان ذلك إحسان وصدقة، بل باعتبار أنه ضرورة وفريضة.

أما الاساءة الدائمة، أو الإساءة ولو مرة واحدة، أو الإحسان في بعض الأحيان، دون بعض، فهو من فعل الديكتاتوريين، حيث يزعم بعضهم أن الشعب يساق كالحيوان، فالمهم الحاكم ومصالحه، ويزعم آخر أن الإساءة مرة واحدة تنسى، غافلاً عن أن الشعب يحصي أعمال الحاكم ويبقى في ذاكرته كل صغيرة وكبيرة، ولكنه يصبر حتى يأتي الزمان المناسب للردّ، وبزعم بعضهم أنَّ الإِحسان في بعض الأحيان يكفي، مع أن الناس ينظرون إلى الحاكم نظرتهم إلى خدمتهم، فكما ينظرون الخادم إذا لم يقم بواجب خدماته، كذلك حالهم مع الحاكم، منتهى الأمر أن سلاح الحاكم يحول دون الطرد بأوّل تكاسل، وإنما يجتمع لديهم السيئات حتى يتمكنوا من الطرد.

والناس أذكياء، فإذا أحسن إليهم الحاكم أيام الشدة، لا يطيعون أمره في قبال إحسانه، فإنهم يعلمون أنه معاملة! وأن إحسانه اشتراء لهم، لأجل نفسه لا لأجلهم، وإنما يتفانون للحاكم إذا رأوا منه الإحسان أيام الشدة وأيام الرخاء على حدّ سواء حتى أنه ورد الحديث، بالنسبة إلى الله سبحانه بذلك، قال عليه السلام: «اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة» أما **﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾**(١) فذلك خداع لا ينطلي على الإنسان، فكيف ينطلي على الله سبحانه؟

والحاكم العاقل ـ فضلاً عَن المسلم ـ يجب عليه أن يخدم الشعب دائماً، وليس لأجل الناس بلْ لأجل نفسك كذلك، إذ خدمته الدائمة هي التي تضَفي عليه حبهم وتفانيهم في سبيله، وخَلاصَه من المشاكل التي تهجم عليه.

ومن الأمثلة الحديثة للحكام الذين أساؤوا إلى الشعب فتركهم الشعب في

(١) سورة العنكبوت: الآية/ ٦٥.

ساعة المحنة [البهلوي] في إيران، حيث إنّه لما دخل الحلفاء من جنوب ايران وشماله، لم يجد البهلوى ولا ناصراً واحداً ينصره، فسقط في أقل من يوم. . . و[الملكيون] في العراق، فإنهم أساؤوا إلى أكثرية الشعب أكبر إساءة، ولذا لمّا قام [قاسم] مع أقل مِن ألف جندي في مهاجمتهم، سقطوا وكان السرور بسقوطهم غامراً.

القمّة والقاعدة

في كل أمة [قمة] تأخذ بزمام الحكم، وقاعدة هي الأمة، والقاعدة يرتفع منها دائماً أفراد يشكلون (الطبقة المتوسطة) وهم الذين يرتبطون بالمال أو بالعلم أو بالسلاح أو بجماعة كالتجّار، والعلماء، وكبار الضباط، ورؤساء العشائر وقادة الأحزاب.

والقمة إنما تتعامل معع القاعدة بطريقين:

الأول: الطريق المباشر.

الثاني: طريق الطبقة الوسطى.

ومن طبيعة الوسط أنه لقدرته:

١ ـ ذو كيد ودهاء من ناحية.

٢ ـ وفيه حالة استغلال من ناحية ثانية.

ومن طبيعة القاعدة أنّها تريد العيش بسلام وألاّ تظلم، وعليها العمل، ومنها مال الدولة وجندها وولاؤها.

وبين الوسط والقاعدة دائما تدافع حيث أن الوسط يريد الإستغلال، والقاعدة تأبى الإستغلال، كما أن بين الوسط والقمة نوع تنافس على القدرة والإستفادة من القاعدة.

واللأّزم على الحاكم أن يلاحظ أمرين:

الأول: أنه يكون له اتصال بهما، لا أن يستقطب أحدهما فقط ويترك الآخر، لأنه لو استقطب الوسط فقط، ظلم الوسط والقاعدة، وانفضت القاعدة من حول الحاكم، وبذلك لا يخدمون البلاد في أيام الرخاء ـ لأنَّ ظلم الوسط لهم وعدم إنقاذ الحاكم اياهم يُوجب برودهم عن التفاني في الإخلاص والخدمة ـ ولا ينقذون

الحاكم أيام الشدة، لأن منطقهم يكون حينئذ (ان من له الغنم فعليه الغرم).

ولو استقطب القاعدة فقط، قام الوسط ضد الحكم وفرق الناس على الحاكم وبذلك يأخذ الناس في الإنفضاض من حوله، فتسقط القمة، كما إذا سَقَطَتْ أعمدة البناء حيث يسقط العرش.

ومن الأمثلة ا لقريبة لكلا الأمرين [مُصَدق] حيث استقطب بعض القاعدة وترك جماهير الوسط يّغضب عليه، حتى رَجَم رجاله سيارة الامام البروجردي (قدس سره) وهددوا العلماء والخطباء وأساءوا التصرف مع أصحاب الأملاك والمعامل ولذا سقط سقوطاً ذريعاً، و[الشاه] حيث استقطب الضباط الكبار، والأثرياء ومَنْ إليهم، وترك أكثرية الشعب يتلوَّوْن تحت وطأة الفقر والجوع والمرض (حتى ان بين كلٍ عدة أطفال في إيران كان يموت طفل منهم) فأثر ذلك على الطبقة المتوسطة، التي لم يتمكن الحكم من استقطابها، كالعلماء والمثقفين - غير المرتبطين بالبلاط - فسقط السقطة المعروفة.

فعلى الحاكم، أن يراعي الطبقة المتوسطة، إلى جانب رعايته للقاعدة، ولا يترك أحدهما اعتماداً على الآخر، فمن ناحية يُصادق الوسط، ويحول دون ظلمه، والغالب أن المتوسط إذا رأى أنه أعطي قدر كفاءاته، لا يفكر في اسقاط الحاكم، لأنَّ خوفَه مِن أن يأتي حاكم آخر أسوأ من الأول - فلا يعطيه حتى قدر كفاءاته - يحولَ دون التفكير في إسقاطه.

ومِنْ ناحية أَخرى يتصل بالقاعدة ويعطيهم حقهم، ويَحُول دون أن يظلمهم أحد، وبذلك يخلصون له ويتفانون في سبيله، ولا يكون هناك انقطاع بين الحاكم وبين القاعدة، فلا يتمكن ذووا الدهاء من الطبقة الوسطىٰ من آثارتهم ضد الحاكم.

ثم إن اتصال الحاكم بِهِمْ، ليس معناه أن يُحضرهم في كل مناسبة ويخطب لهم فحسب، بل معناه الجلوس لهم والسماع منهم وقضاء حوائجهم، كما كان يفعله الرسول ﷺ وعلي عليه السلام.

بين الدين والدنيا

حَكَم جماعة بِأسم الدين، فأكثروا مِن السلب والنهب ومصادرة الأموال والقتل والسجن، وكَبْت الحريات، وخَنْق الأصوات، وتحطيم الكفاءات، وتقديم الإمعات، فزعم البعض أن هذه الأمور هي من لوازم الحكومة الدينية.

كما أن الدين يخالف الخمور والسفور والفجور والقمار، وما أشبه فأتهم الدين بأنه ضد الحريات.

بينما لم يكن عمل أولئك حجة على الدين، كما لم يكن عمل المستبدين الذين حكموا باسم الديمقراطية حجة على الديمقراطية، فالدين من أولئك الحكام براء، بل الدين عبارة عن احترام أموال الناس وحرياتهم ودمائهم وأعراضهم وتقديم الأفاضل وتأخير الأراذل، كما دَلّتْ على ذلك مئات الآيات والروايات، وسيرة الرسول ﷺ وعلي عليه السلام وجملة مِن الحكام الصالحين.

أما مخالفة الدّين للخمور والفجور، فهي مخالفة الفضيلة للرذيلة، فإذا أخذ الدين بالزمام وطارد الرذيلة، لم يكن ذلك نقصاً فيه، بل حاله حال مطاردة القانون للسرقة والقتل والإغتصاب وما أشبه ذلك.

وإذا أخذ الدين بالزمام ـ بمعنى تطبيق قوانينه ـ فالناس متسلّطون على أموالهم وأنفسهم، ولا ضريبة إلاّ الخمس والزكاة والجزية والخراج، (مما لا يكون إلاّ بنَحْوِ الربع في الأرباح) وكانت حريات التجارة والزراعة والصناعة والعمران والكتابة والرأي والتجمع متوفرة، وطورد الفقر والمرض والبطالة والجهل والعزوبة، وأعطى المال والعلم والسلاح والحكم للكل، مما يتبلور في مثل [شورى القيادة] و[تعدد الأحزاب الإسلامية الحرة] وغيرهما وإذ ذاك لرأىٰ الناس من الخير ما لم يروه تحت أي قانون أو مبدأ. وهذا المجمل يجب أن يفرغ في أقوال واضحة المعالم: كيف الضرائب؟ كيف الحريات؟ كيف تقسيم القدرة؟ كيف تأمن البلاد من هروب البضائع إلى الخارج؟ وإسراع بضائع الخارج إلى الداخل، مما يسبب اختلال توازن الإقتصاد، بدون وضع الكمارك أو المكوس؟ كيف يكون حال البلاد الإسلامي، إزاء سائر المسلمين الذين لم تتحرر بلادهم؟ كيف تلغى قوانين الجنسية والهوية والتذكرة والإقامة وبطاقات العمل ونحوها، حتى ترجع إلى الناس حرياتهم؟ كيف يمكن جعل العلم والمال والحكم في متناول الكل، بحيث يتمكن كل ذي كفاءة، أن يأخذ أيها شاء بقدر كفاءته؟ كيف تجرى الحدود الشرعية، بدون أن يكون في اجرائها القسوة، ويجمع بين ذلك وبين مطاردة الجريمة؟ وهكذا.

ولا يخفى، أن مراحل الطريق ثلاث:

الأولى: مرحلة الشرح والتوضيح والمقارنة بين معالم الدولة الإسلامية المرتقبة، وبين الدولة القائمة في عالم اليوم.

الثانية: مرحلة تطبيق القوانين على الخارج المعاش حين تقوم الدولة الإسلامية، ليرى الناس بأعينهم الفارق الكبير بين الدولة الإسلامية، وبين سائر الدول، كما فعله رسول الله ﷺ، حيث أرى العالم الفارق الكبير بين دولته التي أقامها، وبين دولتي الفرس والروم، بل ويرى الناس إلى هذا اليوم الدولة المثالية التي أقامها رسول الله ﷺ مما يتمنى مثلها المسلم وغير المسلم.

الثالثة: مرحلة حفظ تلك الدولة من الإنهيار والتصدع، وهذه المرحلة تحتاج إلى أمرين:

١ - بناء الأمة لتحمل الدولة في شغاف أفئدتها، وتتعلق بها تعلق الحبيب بمحبوبه.

٢ - بناء الجيش الموالي، الحسن التدريب والمال والتوزيع ليكون سوراً لهذه الدولة.

(أ) فالجيش قد يكون موالياً بأن ربى على حسب فكر الدولة، وقد يكون مرتزقاً، والمراد بالمرتزق الأعم من أن يكون استخدم من نفس أبناء الوطن في قبال المعاش، أو استخدم من خارج الوطن في قبال ذلك، فإن الموالي يضحي ويثابر إلى حين النجاح، بينما المرتزق من داخل الوطن إنما يعمل لأجل المعاش، ومَن يعمل لأجل المعاش، يهرب عند أول لقاء، ويُسلق بالسنة حداد عند الرفاه، لأنه ليس مخلصاً، وإنما يخلص للمال، ومن أخلص للمال يتبنى المال من حيث وجد، فيكون سلق اللسان لأجل الإبتزاز والتفاخر في حال الرخاء ويكون خائر العزيمة جباناً عند الشدة.

ومثل هذا الجيش كل على الدولة في كلتا الحالتين.

وإذا كان مرتزقاً مِن خارج الدولة، فإنّه إن انهزم - وهو الأكثر لأنّه ليس بمخلص - كان سقوطاً للدولة، وان ضحى كان سيداً على الدولة، حاله حال المستشارين، وقد رأينا كيف أن [جيش أمريكا] في إيران كان سيداً على البلاد وإن [جيش روسيا] في مصر كان سيداً على البلاد، وإلى غير ذلك من الأمثلة.

وليس من التعقّل أن يُستخدم جيش هو سيىء، على الدولة في كلا الحالين.

والغالب أن الدولة التي لا كفاءة لها تستخدم المُرتزق، إما لأنّه لا كفاءة لها

حيث لا كفاءة لرئيس الدولة، وإما أنه لا كفاءة لها من جهة رئيس الدولة ديكتاتور، والديكتاتور تنفض من أطرافه الكفاءات، فليس له من الأنصار من يتمكن بسببه مِن تدريب الجيش وضبطه.

(٢) والجيش قد يكون حسن التدريب، وقد يكون سيىء التدريب، والجيش السيىء التدريب لا يعتمد عليه، ولا يخفى أن حسن التدريب ليس بالتدريب العسكري فحسب، بل بأن يكون مدرّباً نفساً ونظاماً، فإذا لم يكن تدريبه نفساً ونظاماً لم ينفع، ومن إولى شرائط تدريبه نفساً أن يكون مستنداً إلى الأمة، فإن الجيش عبارة عن أولاد الأمة، فإذا كرهت الأمة الدولة لم تشجع الجيش على حفظ الدولة، وذلك يوجب برود الجيش عن العمل.

وقد تغتر بعض الحكومات الجديدة بجيش من الشباب ذوي حماس واتّقاد لكن هذا لا ينفع، إذ الجيش فن وعلم، وليس الحماس والإتقاد ينفع في هذا الباب فهل ينفع الحماس في باب الطب أو الهندسة، حتى ينفع في هذا الباب؟ ولذا رأينا كيف سقط [قاسم] ولم ينفعه ما أسسه من [المقاومة الشعبية] وكيف سقط [عبد السلام] ولم ينفعه ما أسسه من [الحرس الوطني] وكيف أن [ستالين] التجأ إلى الغرب ضارعاً، لينقذه من [هتلر] الذي وصل إلى [موسكو] بعد أنْ كان يسمي [الأمم المتحدة] بـ [مغارة اللصوص] فاضطر أن يتملقهم، ويقبل شروطهم والتي كان منها [فتح مراكز العبادة] وإجازة الملكية الفردية والسماح بتكوين العائلة وغير ذلك.

وبعد هذه الشروط انقذوا رقبته من حبل النازي، وذلك لأَنَّ جيشه كان غير مدرب نفسياً، مِن جهة عدم دعم الأمة الروسية للجيش فإن الديكتاتورية الشيوعية حالت دون إخلاصهم وتفانيهم.

هذا من ناحية التدريب النفسي، أما من ناحية التدريب العسكري، فالجيش يجب أن يَربّى على الخشونة والطاعة والنظام، وإلاّ لم يتمكن مِن مقابلة الأعداء في الساعة الحرجة، ولذا انهارت فرنسا أما إلمانيا أفظع انهيار في الحرب العالمية الثانية، حيث تمكنت الميوعة من الجيش الفرنسي.

ولا يخفى، أن (التدريب النفسي) يمكن أن يدخل في قسم الولاء، لأَنَّ عدم إسناد الأمة للدولة يوجب عدم ولاء الجيش للدولة.

(٣) والجيش يجب أن تصرف عليه مبائع جيدة تكفيه المؤنة، وإلا لم يضحِّ وهو يرى أنه لا يقدر على مؤنته، فكيف يَراد منه أن يضحّيَ براحته ودمه؟. يضحي وهو يرى أنه لا يقدر على مؤنته، فكيف يراد منه أن يضحي براحته ودمه؟.

فاللازم على الدولة مراعاة الجيش اقتصادياً مراعاة تامة، إلى جانب ضبطه حتى لا يتعدّى، حيث أن السلاح الذي بيده، يوجب له الغرور والظلم للناس والسدور في الغيّ.

ولذا نشاهد أن البلاد التي تقع تحت الإستعمار الخفي، لا يُعتنيٰ بجيشها اقتصادياً، فمثلاً: العراق كان الجندي يتقاضى من الراتب ثُمن راتب المُعَلمٌ، في أيام الملكيين، حيث كان المراد إذلاله، لئلا تقوم له قائمة، ويطالب بالإستقلال.

وفي الحرب العالمية الثانية، حين أتفى الإمامان الأصفهاني والقميّ وسائر العلماء بوجوب إخراج الإنجليز كان الدور الأهم في تلبية النداء للعشائر، أما الجيش فكان خائر العزيمة.

(٤) وأخيراً يأتي دور حسن التوزيع فإن البلاد الكبيرة، والتي منها الدولة الإسلامية، ذات الألف مليون - بإذن الله تعالى - لا بدّ وأن تكون كل أرجائها ذات منعة ودفاع، مِن جهة هجوم الأعداء من الخارج، ومن جهة حفظ البلاد عن المغامرين الذين يدفعهم حبّ السلطة إلى الإنقلاب ضد الحكم القائم.

واللازم على الدولة الإسلامية، أن لا تعتمد على المعادلات الدولية في حفظ نفسها، فإن [الطائر بجناح غيره طائرٌ على جناح السقوط].

ولا يمكن حفظ البلاد من الأعداء والمغامرين إلا بحسن توزيع الجيش وقد رأينا كيف أنَّ بني أَمية ثارت عليهم جيوش بني العباس مِن أقصى شرق خراسان والبعيد عن دمشق عاصمة ملكهم وكيف أن العثمانيين حطّموا من جهة الحجاز، إلى غير ذلك من الأمثلة.

ثم هنا أمور يلزم التنبيه عليها:

الأول: أنَّ حفظ البلاد بالجيش وحده غير ممكن، بل الحافظ الأهمّ - بعد الله سبحانه - هو الأمة، فالأمة غير الراضية توجب سقوط الدولة قريباً أو بعيداً، وقد تغتر بعض الدول، بالإعلام المزيف وبحفنة من الإمعّات المتملقين وبجملة من الشباب المتحمسين، وفي ذلك مقتل الدولة، وقد رأينا [عبد الناصر] كيف لم

يتمكن بـ[خمسين مليون] من الصمود حتى نصف يوم [في حرب ست ساعات] أمام اسرائيل ذات ثلاثة ملايين، وذلك لأن اسرائيل كان يدعمها شعبها، و[عبد الناصر] ديكتاتور، تكرهه الأمة، وكان قد استقطب المُتملّقين الذين لا شأن لهم إلا التصفيق له.

الثاني: الجيش مثله مثل النار، فالنار في نفس الوقت الذي تتوقف الحياة عليها، يلزم أن تزم بزمام شديد، وإلا أورثت ابادة الحياة، فإن الجيش حيث بيده القوة الكبيرة يمكن أن يكون آلة الدمار، كما رأيناه في الانقلابات العسكرية. حيث أن الحكومات التي انقلب الجيش عليها، كانت قليلة الحكمة فلم تحسب لهذا اليوم الحساب الكافي، ولذا كان ما فيه حياتها، فيه هلاكها.

فقادة الجيش إذا لم يكونوا أكفاء، لم يحموا الوطن في قبال الأجنبي، وإن كانوا أكفاء فهم يغامرون بالقفز على السلطة، ولذا فاللازم الجمع بين كفاءة الجيش من جهة القيادة، وغيرها، لحماية البلاد، وبين حفظ السلطة عن أخطار الإنقلاب.

وإنما تحفظ السلطة بأمرين:

١ ـ ان يجعل قادة الجيش بعضهم في قبال بعض، حتى يخشى كلٌّ منهم من رقبائه، ويعلم أنه إذا تحرك لضرب السلطة تحرب رقيبه لضربه.

٢ ـ أن تجعل قوة أخرى في قبال قوة الجيش، كقوة البوليس، أو قوة المقاومة أو ما أشبه، مع ملاحظة جعل الرقباء أيضاً في نفس القوة الثانية حتى لا يخشى من تلك القوة أيضاً.

مع أنه يضاف على ذلك أيضاً، جعل العاصمة قطعاً، بالنسبة إلى قوة البوليس ونحوه، بحيث تكون كل قطعة مستقلة غير مرتبطة بالأخرى، حتى إذا تحركت قطعة لضرب السلطة، تحركت سائر القطع لضربها، وبذلك لا تؤسس نفس في القفز على السلطة.

وإلا فالبلاد معرضة للإنقلابات، خصوصاً والمستعمرون الشرقيون والغربيون كلّ يريد الإنقلاب ليأتي إلى السلطة بعملائه، ولذا حث انقلاب أمريكي في مصر بقيادة عبد الناصر، وآخر بريطاني في العراق بقيادة قاسم، كما حدث انقلاب شيوعي في أفغانستان، وانقلاب صيني في أندونيسيا، وهكذا توالت الإنقلابات، في تركيا واليمن والسودان والباكستان وبنغلادش وغيرها، وكلها كما يعلمه أهل

الخبرة انقلابات استعمارية لا حظ منها حتى بقدر جزء مِن ألف جزء من الواقعية، بَلْهَ الإسلام.

وطابع كل الإنقلابات، السلب والنهب والقتل والسجن والتعذيب والديكتاتورية، ومزيد العمالة للأجنبي، وسحق الإسلام والحريات وتشريد المواطنين، بأسم التقدمية والشيوعية والبعثية والقومية والديمقراطية، وما إلى ذلك، مما ادخره المستعمر في حقائبه لتغرير الجهال.

وما دام الجّهل والغفلة مسيطراً على بلاد الإسلام، فأمثال هذه الإنقلابات تدوم وتدوم، كما أن أمثال العمالات بالحكومات الوراثية تدوم وتدوم، والعلاج وعي شامل، يقطع جذور المستعمرين وعملائهم.

الثالث: يلزم على الدولة الإسلامية، أن تهتم ليكون السلاح من عندها، وإلاً فهي أسيرة لمن يبيعها السلاح، ولا يكفي أنْ نقول إننا نشتري السلاح مِن الأسواق الحرة، إذ مَن يقذف بالسلاح في تلك الأسواق؟ أليس هم المستعمرين؟ وذلك لأمرين:

١ ـ أن يستفيدوا من أرباحها المضاعفة.

٢ ـ أن يأخذوا بأزمة الحرب، فإذا أرادوا إيقافها، لم يوجد السلاح في الأسواق الحرة، حيث يقطعون السلاح عن تلك الأسواق.

الرابع: إن اللازم على الدولة الإسلامية الجمع بين الإستعداد الدائم والتدريب المستمر، وبين كون أفراد الجيش قريبين من أهاليهم، وبالأخص زوجاتهم وأولادهم، إذ عدم تزوج الجيش يوجب الفساد لا محالة، ولذا كان الرسول ﷺ والمسلمون حتى في أسفارهم يستصحبون زوجاتهم، فاللازم أن يكون حال الجيش حال طلاب المدارس، حيث أنهم في أهلهم غالباً، إلا وقت الدراسة.

أما الجيوش في الحال الحاضر، فهم على الأغلب عُزّاب، وغير العزّاب لا يرى زوجته إلاً في الأسبوع يوماً أو ما أشبه، وذلك يُوجب الخطر على الزوجات وعلى نفس الجيش، كما يوجب ضياع الأولاد، ثم إن بقاء الجيش على الأغلب غير متزوج [كما يشجع على ذلك نظام الجنود في الغرب، وتبعته البلاد الإسلامية من غير هدى] يلازم بقاء كثرة من الفتيات بلا أزواج وذلك مَفسدةٌ أخرى.

الخامس: يلزم استعداد الدولة الإسلامية للحرب على الدوام، فإنَّ الحكومة العاقلة هي التي تستعدُّ للحرب، وإلا خسرت الحرب، ولذا قال سبحانه: ﴿**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾[1]٣٠) واللأّزم أنْ يكون الأمر بين الإستعداد الدائم وبين صرف الطاقات للحرب بالقَدَرِ اللأّزم، وصرف بقاياها من سائر الشؤون، إذ صرف كل الطاقات في الحرب معناه عدم الإنتفاع بكثير من الطاقات، إذ الإستعداد لا يستهلك كل طاقات الجيش، فإذا لم تستغل بقية طاقاتهم في سائر الأمور الحيوية، ذهبت تلك الطاقات الباقية هدراً، وصار الجيش باجمعه كلا على الإنتاج، بينما اللأّزم أن ينتج الجيش بقدر إمكانه وبالقدر الناقص مِن إمكانه الإنتاجي يكون مستهلكاً لإِ نتاج غيره، وقد ذكرنا في جملة مِن كتبنا الإسلامية، كيفية الجيش في الاإسلام.

المعرفة والتعقل

يَلْزَمُ على التيار الإسلامي الذي يريد إنقاذ بلاد الإسلام، وتوحيدها تحت حكومة واحدة أن يهيىء لنفسه أكبر قدر من المعرفة حول:

١ ـ وضع جغرافيا البلاد: جبالها، سفوحها، أنهارها، بحارهها، غاباتها، طبائعها.

٢ ـ وخوصيات أهاليها: من العرب والترك والفرس وغيرهم، وألوانهم وغيرها.

٣ ـ والأقليات التي يعيشون فيها من أهل الكتاب وغيرهم، وقدر نشاطهم واتصالهم بالبلاد غير الإسلامية.

٤ ـ سوابق المستعمرين في هذه البلاد، وكيفية استعمارهم، وركائزهم وارتباطهم.

٥ ـ الأعداء المحيطين بالبلاد، مثلاً: حدود إيران مع روسيا، وحدود البلاد الإسلامية مع الدول الغربية، وغير ذلك.

فإن البلد الإسلامي الكبير، حاله حال دار الإنسان وأهله، فإذا لم يعلم عدد أولاده وخصوصياتهم، ولم يعرف خصوصيات داره، وأحوال المجاورين له لم

(١) سورة الأنفعال: الآية/ ٦٠.

يقدر على السير بعائلته إلى شاطىء السلام، وقد ورد في التاريخ التطلع الدائم للرسول ﷺ عن أوضاع وأحوال البلاد، وحركات العدو والإستفسار عَمَّن غاب عن المسلمين بل عن حالات كل مسلم كلما سَنَحَتْ له الظروف بذلك، مثل أنه هل هو متزوج أو لا؟ ماذا يعمل؟ كيف حاله؟ إلى غير ذلك في قصص كثيرة مذكورة في سيرته الطاهرة.

كما أنّ على التيار الإسلامي أن يطالع أحوال العظام والأمم المعاصرة والبائدة ليقتدي بالناجحين، ويعرف أسباب ظهور الأمم، وأسباب فنائهم.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وسر في ديارهم وآثارهم»[١].

وفي كلمة أخرى لهعَلَيْهِ السَّلَامُ: (أعقلُ الناس مَنْ جمع عَقْل الناس إلى عقله) وقد أخذهما عَلَيْهِ السَّلَامُ من قول الله تعالى: ﴿**أفلم يسيروا في الأرض؟**﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿**وأمرُهم شورى بينهم**﴾[٣].

ثم على الدولة الإسلامية بكل سلطاتها الأربع، (شورى الفقهاء، والقوى التشريعية [التطبيقية] والتنفيذية، والقضائية) أن تستقطب أكبر قدر من المثقفين الدينيين والزمنيّين، حيث أن الحياة أصبحت معقدة، فإذا لم تكن حول الحكم جمهرة كبيرة من المثقفين، اختل أمر الدنيا، أو أمر الدين، أو لا أقل من أن سائر أهل البلاد غير الإسلامية ينظرون إلى البلاد الإسلامية بنظر التوحش والتأخر مما ينفر الناس عن الدخول في الإسلام، أو احتذاء بلاد الإسلام في الحكم والإرادة.

فمثلاً: كيف تنفي الدولة الفقر، أو البطالة، أو الإجرام، أو المرض أو الجهل، ومع ذلك يكون طبقاً للإسلام في طريقة علاجها؟ كل ذلك بحاجة إلى جيش من علماء الدين إلى جنب جيش من المثقفين الزمنيين، أما أن تركب الدولة الإسلامية رأسها وتعمل عمل الديكتاتوريين، في علاجاتها للمشاكل فذلك ما يسبب لها الفوضى والبوار، والإحتقار من سائر بلاد العالم وأخيراً الإنهيار،

ثم أن اللازم الأكيد أن تتوسط الدولة الإسلامية في الصفات، لا أن تتطرف حيث أن التطرف الذي يأخذ طريقه إلى الدول المستبدة، يسبب سوء السمعة

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

(٢) سورة يوسف: الآية/ ١٠٩، كُررت الآية/ في سورة الحج والروم وفاطر وغافر.

(٣) سورة الشورىٰ: الآية/ ٣٨.

بالنسبة إلى الدولة وبالأخص الفتية من الدول، وليس المهم أن تمدح الدولة أبواق الدولة، وإنما المهم أن يمدحها عقلاء البلد وعقلاء العالم، وإلا فكل دولة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، لها أبواق تمدحها، كما أن لها عملاء استقطبتهم بالترهيب والتضليل والترغيب.

ومِن معالم التوسط:

١ ـ أن تفكر الدولة فيما يمكن، لا فيما ينبغي، فإنَّ مَنْ يفكر في المثاليات غير الممكنة التطبيق، يفوّته الممكن ولا يصل إلى ما توخّاه.

٢ ـ وأن تأخذ بالتوسط بين الكرم والخسارة، فقد تبذل الدولة ما لا طاقة لها به، سواء في المشاريع أو للأصدقاء، أو للحرب، بعنوان أنها تحب الخير لشعبها، أو أنها كريمة مع أصدقائها، أو أنها تريد تعليم الذي يحاربها درساً لا ينساه، وبذلك تجلس الدمار على نفسها وشعبها، وخير لها ألاّ تكون مغرورة، وقد قال رسول الله ﷺ: «إن الدين رفيق فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[1] كما لا حاجة إلى الظهور بمظهر الكرم الذي يسبّب الخسارة.

٣ ـ وكذلك اللازم أن تتوسط بين الرأفة والنظام، فالرأفة الزائدة على حساب النظام خطأ، كما أن النظام الصارم الذي يوجب القسوة يعقبه الإنهيار فليس البشر، كغابة يدخلها الإنسان فيقطع ما يشاء ويذَر ما يشاء، بل خلق ضعيفاً له عواطفه وحاجاته وتعقلاته، فاللازم مداراته، مداراة غير مُفسدة، ولنعتبر ذلك بالاب إن قسى مع أولاده أفسدهم، وإن تلاطف معهم أفسدهم أيضاً.

٤ ـ وإن تجمع بين الحب والمهابة، فالدولة إذا لم تحبّها الأمة أحتقرتها وأزدرت بها، والإحتقار مِن بوادر السقوط، كما أن الدولة إذا لم تكن مهابة عاشت في ربوعها الفوضى، مما يرفع الثقة بها، وإذا لم تثق الأمة بالدولة انفضت من حولها حتى يكون مصيرها السقوط إن عاجلاً أو آجلاً.

ومن شعب ذلك، ألاّ تكون الدولة مبتذلة، ولا في الأبراج العاجية، فإن الدولة المبتذلة غير مهابة، كما أن سكان الأبراج العاجية لا يعرفون ما يدور في بلادهم، مما يسبب الرشوة والفوضى وانتقام كل مناوىء من مناوئه، وغير ذلك،

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ٨٦ ح ١.

مما يسبب سقوط احترام الدولة وقيام المؤامرات لإزالتها.

٥ ـ ومن أهم ما يلزم على الدولة الإبقاء على الجماهير، وذلك شيء صعب حيث أن الجماهير لها حاجاتها ولها توقعاتها، فإذا لم تتحفظ الدولة على الجماهير بإعطاء الحاجات [الروحية والجسدية] وإبقائها راضية، ابتعدت الجماهير عنها، بما يوجب سقوطها قريباً أو بعيداً.

٦ ـ ولا تزعم دولة تتمكن أن تسحب الناس إلى الشوارع أو إلى حرب الأعداء بأعداد غفيرة، إنها دولة جماهيرية، ما لم يكن ذلك مستنداً إلى الرغبة الصادقة في الناس، وهذا ما يلتبس أحياناً على بعض الدول الدكتاتورية.

فإنك إذا تمكنت من سحبهم إلى الشوارع، وارسالهم إلى جبهات القتال وفي البلاد حرية الإعلام، وحرية الصحافة والتجارة والزراعة والصناعة، فإنك لا شك محبوب وجماهيري، ولا تخاف من سقوط دولتك، أما إذا تمكنت من ذلك والبلاد لها حزب واحد، وأبواب السجون مفتوحة لكل من خالفك، ولا حرية للصحافة ولا لغيرها، فإن الجماهيرية مزعومة والدولة في شرف الإنهيار.

والكل يذكر كيف أن [عبد الناصر] و[قاسم] كانا يتمكنان مِنْ سحب الجماهير، لكن الكلّ يذكر أيضاً كيف انتهت عاقبتهما، وكل دولة ديكتاتورية يجب أن تنتظر نفس المصير لنفسها ولشعبها.

والديكتاتور الذي يتمكن بترغيبه وترهيبه واضلاله من ارسال الجيوش إلى الجبهات يلزم عليه أن ينتظر الفشل الذريع، فالجيش إذا لم يكن مدعوماً مِن الشعب لا يتمكن من إحراز النصر، وقد رأينا كيف سقط هتلر وموسوليني، وكيف سقطت حكومات المواجهة أمام اسرائيل، وذلك لأن حكومات المواجهة كانت ديكتاتورية مع شعوبها، بينما كانت حكومة اسرائيل تراعي ـ نوعاً ما ـ شعبها ونفس هذا المصير الشائن ينتظر كل حكومة غير جماهيرية، وإن ادّعت أنها جماهيرية.

٧ ـ واللازم على الحاكم أن تكون له سعة الصدر، فإن غير واسع الصدر في الدولة الإستشارية لا يصل إلى الحكم، وفي الدولة الإنقلابية والوراثية، إذا وصل ضيق الصدر إلى الحكم فسرعان ما ينفض الناس من حوله، وأحياناً يحاربونه بقوة السلاح إلى أن يسقطوه، ويجعلون مكانه غيره، وقد قال علي عليه السلام «آلة الرئاسة سعة الصدر»[1].

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٧٦.

والمراد بسعة الصدر، السعة في الأمور كلها، لا في الأمور المالية فحسب فيغطي على السيئة، ويبذل مكان البذل، ويعطي الآخرين حقوقهم، ولا يحسد، ولا يظهر شماتة، وإلى غير ذلك، وأحياناً ترى أحدهم يصل إلى الحكم ويستولي على بلاد عريضة، ثم يأبى أن يكون زميله في مكانة مرموقة، تنفيذاً لحقد قديم وحسد سابق، بل أحياناً يبخل حتى عن قبر محترم لإنسان كبير لا يليق به إلا مثل ذلك القبر!

ولا يظن ضيق الصدر أن الأمر يمر بسلام، بل بالعكس يتراكم، وإذا بالتراكم يذهب بالدولة والسمعة إلى الأبد، وقد رأى التاريخ، كيف أن بني أمية منعوا الحسين عليه السلام من الماء وسبوا نسائه، وأحرقوا جسد زيد، ثم سلط عليهم أعدائهم حتى طاردوهم عن البلاد، ومنعوهم عن الطعام والماء، حتى هاموا في الفقار وأكلوا الرمل والطين، وكانوا يبولون في كفهم ويشربون لسد عطشهم وأسروا نسائهم وزنوا بهن، وأطعموا لحومهم الكلاب والهررة - كما في قصة شمر حيث أكلته الكلاب، وذلك الخليفة الذي ألقى لسانه المقطوع إلى الهر فأكله، إلى غيرهما -. وأخرجوهم عن المقابر وجلدوا حتى أمواتهم بالسياط، وأحرقوا جثثهم، ثم بقوا لعنة التاريخ إلى الأبد.

قال علي عليه السلام: «إذا ملكت فأسجح»[1]. وفي القرآن الحكيم ﴿**إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة، فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب**﴾[2].

وفي نهج البلاغة، عنه عليه السلام: «يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم»[3].

إن سمعة الناس، وأموالهم، وأعراضهم، وحقوقهم، ومساكنهم، كلها محترمة، وكل تعد بغير حق على أحدها علامة الحقد والجهل ونحوهما، حتى أنه لو ضرب الحاكم سوطاً لإنسان لا يستحقه، أو أرعب انساناً، أو صاح عليه، كان اللازم أن يقتص منه أو يعطي ارشه، أو يعزل جزاء ما فعله.

---

(١) النهاية: ج ٢ ص ٣٤٢ مادة سجح.

(٢) سورة ص: الآية/ ٢٣.

(٣) نهج البلاغة: قصار الحكم ٢٤١.

ولذا ضرب علي عليه السلام سوطاً لقنبر خادمه حيث ضرب انساناً سوطاً أكثر من حقه، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله مالاً لأجل إخافة خالد بعض الناس بغير حق وعزل علي عليه السلام قاضيه أبا الأسود الدئلي، لأن صوته يعلو صوت الخصمين، إلى غير ذلك من القصص التي تحاول البشرية لأن تصل إليها، ولا يمكن الوصول إلا بشق الأنفس، مما يعتز بها المسلمون أمام العالم منذ أربعة عشر قرناً، ويترقبونها لدولتهم الإسلامية العالمية الشاملة المقبلة ـ بإذن الله تعالى ـ.

وقد يضيق صدر بعض الحكام أن يكبر إلا من هو في خطه، وهذا الحاكم لا يريد إلا نفسه ولو كان يصدق في أنه يريد الهدف ـ والهدف أياً كان، من وطن أو اسلام أو قوم أو. . . ـ لزم عليه أن يهتم بأن يكبر كل ذي كفاءة، فإن الغابة لا تكون غابة إلا بأشجار كبيرة كثيرة، فهل البلد يكون بلداً قوياً إلا بكثرة الكبار والشخصيات؟

وقد كان أحد المراجع يقول أنه يعظم ويكبر كل ذي كفاءة لأنه يريد عظمة الإسلام ووقوف بلاد الإسلام أمام الأجانب، ولا يسنح ذلك إلا إذا كان هناك كثرة من الكبار ذوي الكفاءات الرفيعة.

ولا تتوهم الدولة أنه إذا كبر الكبار عارضوها، بل العكس، إذا كبرتهم الدولة واحترمتهم، كانوا من أنصارها وأعوانها، فإن الإنسان عبد الإحسان، ولقد قال علي عليه السلام : «عجبت ممن يشتري العبيد بماله كيف لا يشتري الأحرار بإحسانه»[1].

٨ ـ يلزم على الحاكم أن يكون صحيح العمل إلى أبعد حدّ، وفيّاً بالمواعيد والعهود، لا يكون غادراً ولا ماكراً ولا خادعاً، ولا متآمراً ضد الناس فإن بعضهم يظهر نفسه بمظهر المسالم المحب للخير، ثم يتآمر مع بعض أعوانه ضد الناس، يريد بذلك أن يجمع بين نظافة مظهره وبين أن يصل إلى مآربه.

فإن المكر والغدر والخدعة والتآمر، كلها لا تفتأ أن تظهر، وبذلك يفقد الحاكم حكمه وسمعته، بل من عادة الناس أنهم إن اطلعوا على مكر الحاكم وخداعه ـ في بعض الأمور ـ ينسبون إليه كل رذيلة، ولا يصدقونه بعد ذلك في

---

(١) غررالحكم ودرر الكلم المفهرس ح ٣٠.

شيء، وقصة ذلك الراعي الذي كان ينادي كذباً [الذئب] حتى لم يصدقه الناس بعد أن رأوا منه الكذب مكرراً، فجاء الذئب وأكل غنمه، وكلما صاح لم يصدقه الناس، وذلك الولد الذي كان يسبح، فينادي غرقت، حتى لم يصدقه الناس، لما رأوا منه الكذب مكرراً، وذات مرة غرق فلما صاح لم يغثه أحد حتى مات، وغيرهما من القصص مشهورة.

وقد زعم بعضهم إن الحاكم إذا لم يكن أسداً كاسراً وثعلباً ماكراً، ومنتهزاً للفرص يغتنمها متى وجدها، ولو بنقض العهود، وحنث الوعود لم يتمكن أن يعيش، وربما سقطت دولته، وعللوه بأن الناس دهماء وأنك إذا لم تتغد بالآخرين تعشوا هم بك، فاللازم عليك أن تكون متآمراً ذا رياء ومكر وخداع، وعلى هذا بنوا قاعدة: [الغاية تبرر الوسيلة] وما هي الغاية؟ إنها وصولك إلى السلطة أو بقائك فيها أكبر مدة.

وهذا الزعم باطل، فإن البشر لا يبنى على الكيد والخداع ونقض العهد ولذا نرى في التاريخ، إن كل من ارتكب ذلك سقطت دولته وظهرت سوءته ووقع فيما زعم أنه فر منه، بل في أسوأ، (كالمستجير من الرمضاءِ بالنار)، فأيهما أكثر سلطة في زمانه، وأحمد عاقبة بعد مماته، هيردوس وجالوت، أم سليمان وداود؟ أبو جهل وأبو سفيان وسائر حكام مكة، أم الرسول ﷺ؟ وعلي عليه السلام أم معاوية؟ المختار أم ابن زياد؟ إلى غير ذلك من الأمثلة.

ثم في الغرب هل حكام الكنيسة، وحكام باستيل، كانوا أهنأ حكماً، وأفضل عاقبة، أم الديمقراطيين الذين جاءوا من بعدهم، وفي الزمن القديم اسبارطه أم أثينا؟ إلى غير ذلك من الأمثلة.

والغالب عند هؤلاء الذين يرون الإِنتهازية إنهم ينظرون إلى حاكم فاشل، وحاكم نجح في السلطة، وينسون أنَّ من فشل، كان ذلك لعدم مؤهلاته لا لبعض فضيلة وجدت فيه. وإذا صحّ ما ذكروا، فلماذا أخرج ستالين من قبره وأحرق؟ ولماذا ثار الناس على الأمويين حتى قتلوهم؟ ولماذا ثاروا على الكنيسة حتى أزالوا حكمها إلى الآن؟ ولماذا؟ ولماذا؟

ثم لماذا أُخرج المستعمرون البريطانيون من الهند؟ والأمريكان مِن فيتنام وفرنسا من الجزائر؟ وهولندا مِن أندونيسيا؟ والروس من آذربايجان ايران - في قصة بيشاوري -؟ إلى غير ذلك من الأمثلة.

وقد يمثل بعض المسلمين لصحة تلك النظرية بعلي عليه السلام والحسن عليه السلام ومعاوية، وبالحسين عليه السلام ويزيد، وبالكاظم عليه السلام وهارون، وكلّ الأمثلة خطأ فعلي عليه السلام حكم أَحَسْن حكم، وسبب سيادة أولاده إلى الأبد، وإستفاد حسن سمعته إلى يوم القيامة، ومعاوية حكم أسوأ حكم حيث كان معرضاً للإهانة والإزدراء والإحتقار، ومات مقتولاً من أثر تلك الضربة التي ضرب بها، وسبب سوء سمعة نفسه إلى الأبد، وأوجب نسف أولاده وإبادتهم إلى اليوم، فأيهما كان أعرف وأفهم أكثر إدارة وأحزم حكماً؟ والحسن والحسين عليه السلام والكاظم عليه السلام، وسائر الأئمة عليهم السلام: هم لم يريدوا الحكم، لعلة ذكرناها في كتاب [ثورة الإمام الحسن عليه السلام] و[تحويل معنوية الاسلام]. . . ثم من غير العادي أن يعطي الحنظل مذاقاً حلواً، وقصب السكر مذاقاً مراً، أليس كذلك؟.

ثم إن الدولة الإستشارية، لا شك أنها تفهم ما لا يفهمه كثير من الناس، من الظروف والملابسات التي تفرض نفسها لاتخاذ المواقف، فاللازم أن تتمسك الدولة بحالة الإقناع الدائم لمواقفها، بسبب مختلف وسائل الإعلام، وبواسطة جملة من المحنكين، من رجال السياسة والإطلاع والإرتباط بالناس، حتى لا يؤدي اهمال أولئك الناقمين إلى تفاقم النقمة وربما وصلت الأمور إلى ما لا يحمد عقباه؟

أما الدولة الديكتاتورية ـ وإن كان لها أجهزة ديمقراطية صورية ـ فإنها بمعزل عن ذلك، فلا ينفع لها أن تكون لها جماعات للتفاهم والإسلام لوجهة نظرها، إذ ذلك فرع على شرعيتها، والحكومة الديكتاتورية لا شرعية لها.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام إلى آخر أيامهما، لهما هذه الحالة الإقناعية، وفوق ذلك، كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أيها الناس اشيروا عَلَي، وقد جعل الإمام عليه السلام، من حق الرعية عليه أنْ يعطوه المشورة، كما في نهج البلاغة، وقد نقل الحرّ العاملي [رحمة الله عليه] في الوسائل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أَحَبُّ إخواني إليَّ مَنْ أهدى إلي عيوبي»[1]. . . وهل يرى الحاكم الإسلامي نفسه خيراً من هؤلاء الأطهار؟.

وقد يخدع بعض الحكام الديكتاتوريين أنفسهم فيقولون: إنّنا نستشير أيضاً،

(١) الوسائل: ج ٨ ص ٤١٣ باب ١٢ من أبواب أحكام العشرة ح ٢.

لأنهم يستشيرون حفنة من الإمعات الذين استقطبوهم حول أنفسهم، لكن هذا الخداع لا ينطلي إلا على أنفسهم، فهل كان ذلك طريقة استشارة الرسول ﷺ؟ أو هل مثل ذلك يشمله كلام الإمام الصادق عليه السلام؟ أو هل ينفع هذا في إرضاء الأمة، وتقليب وجه الرأي والوصول إلى الإصلاح؟.

(٥)

ثبات الدولة

على الدولة أن تكون ثابتة الأركان، لتجلب اعتماد الناس، فيعمل كل عامل عامل بطيب خاطره مما يوجب ظهور الكفاءات، وازدهار البلاد، فإنه إذا كانت الدولة مضطربة، توقف كل عن عمله، فتجمد الكفاءات، ولا يعمل أي عامل، لا في الزراعة ولا في الصناعة ولا في التجارة، ولا في غيرها، وبذلك تزداد الدولة اضطراباً، وكثيراً ما ينتهي مثل هذه الدولة إلى السقوط.

وليس الإستقرار بالإدعاء، والكلمات الفارغة، والخطب التي تلقى مِنْ على منبر الاذاعة والتلفزيون، بل بفتح الجامعات وأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فلا مصادرات ولا إعدامات، ولا ضرائب اعتباطية، ولا يخاف الناس مِن أن يتكلموا، أو أنْ يكتبوا.

والإستقرار داخلي وخارجي، أما الداخلي فلا يحصل إلا برضى الناس عن الدولة، وذلك لا يكون إلا بكون الدولة حرة، ذات انتخابات حقيقية - لا صورية - وحريات مكفولة، وبذلك لا تتشكل جماعات الإغتيال، والأحزاب السرية المناهضة للدولة، لأن البساط مسحوب من تحت قلة مناوئة للدولة، فلا تجد الأنصار لتشكيل الأحزاب السرية، وتكوين جماعات الإغتيال.

وكذلك لا يتجرأ المناؤون حينئذ من المغامرة والتآمر ضد الدولة والإنقلاب عليها، لأنهم:

أولاً: لا يجدون الأنصار بالقدر الكافي، إذ لا شيء يدعو الناس إلى الثورة على الحكومة الإستشارية التي تعطي حاجات الناس بقدر إمكانها.

وثانياً: يخشون عدم استجابة الناس لهم إذا ثاروا أو تسلّطوا على الحكم، لأنّ المتآمرين يعرفون أنهم لا يجدون الإستجابة من الناس، إذا ثاروا، ومن

المعلوم إن الثورة لا تنجح إذا لم تجد استجابة من الناس.

ولذا نجد أن الحكومات الإستعمارية، لا تقوم بتخطيط للإنقلاب إلا في بلاد أخذ كره الشعب لحكامها كل مأخذ، فيستقبل الناس المتآمرين - في لباس الإنقلاب - بالتصفيق والترحيب، وإلاّ كيف تتمكن جماعة من ضباط مصر أو ضبّاط العراق في عهد عبد الناصر وقاسم، إنّ تقلبَ الموازين في بلد نفوسه أكثر من أربعين مليوناً أو اثنى عشر مليوناً، وكذلك في سائر البلاد التي حدثت فيها الإنقلابات.

ولو أمكن الإنقلاب بهذه الصورة، فلماذا لا يحدث الإنقلاب في أوربا أو أمريكا، بل أو حتى اسرائيل؟ إن المتآمرين ومحبي السلطة والمغامرين، موجودون في كل تلك البلاد، لكنهم.

أولاً: لا يجدون الأنصار.

وثانياً: يعلمون بأن شعوب تلك البلاد لا ترحب بالإنقلاب، بل إذا قام بالإنقلاب جماعة أخذوهم وقدموهم إلى المحاكمة، بإضافة إلى أن حكومات تلك البلاد أخذت الإحتياطات الكافية أمام المتغامرين، حتى لا يقدروا على الإستيلاء حتى على الإذاعة أو القصر الجمهوري ولو لمدة ساعات - وقد ذكرنا أسلوب ضبط الحكومة للبلاد أمام الإنقلابات المحتملة، في فصل سابق -.

هذا بعض الكلام في كيفية الإستقرار الداخلي.

أما كيفية الاستقرار الخارجي؟ فهي إنما تكون:

١ - بقوة السلاح والجيش من الداخل.

٢ - رضا الناس عن السلطة.

٣ - كثرة أصدقاء الدولة في خارج البلاد، وذلك يسبب، إن الجيش الأجنبي الذي يريد مهاجمة البلاد، يفكر في قوة جيش البلاد واستمساكه، فلا يغامر بالهجوم.

ثم إنه لا يجد الرتل الخامس الذي يساعده من الداخل، وبدون الرتل الخامس يكون فتح البلاد صعباً، والإبقاء على البلاد تحت الإستعمار أصعب (والذي تعمله الحكومات الإستعمارية، هو تكوين الركائز في داخل البلاد قبل مهاجمتها، وإحداث الإنقلاب فيها).

وأخيراً فإنّ كثرة أصدقاء الدولة في الخارج تقف حاجزاً دون مغامرة الجيش الأجنبي، لأن الجيش الأجنبي، لا يقدم على الهجوم إلاّ إذا وجد من الدول من يؤيده في ذلك، فإذا كان للدولة أصدقاء كثيرين، أحجم الجيش عن الإقدام، ولذا نجد أن امريكا وروسيا وبريطانيا، يبقون في أفلاكهم عدة أقمار، ليصفقوا لهم إذا هاجموا بلداً.

كما صفقوا لأمريكا حين هاجمت فيتنام، ولبريطانيا حين هاجَمَتْ الصين ولروسيا حين هاجمت أفغانستان إلى غير ذلك، ولذا ورد في المثل [ألف صديق قليل وعدو واحد كثير] وتبعاً لذلك نجد أن الحكومات الإستعمارية تصرف المبالغ الطائلة لاستقطاب الأصدقاء، مثلاً: روسيا تدفع لكوبا كل يوم مليون، وأمريكا تدفع إلى بلاد كثيرة المعونات المالية وغيرها، وبريطانيا وفرنسا، تقدمات العون إلى ما يدور في فلكهما من بلاد [الكومنولث].

صحيح أنهم يسترجعون أضعاف ذلك، لكن صحيح أيضاً أنّهم يعرفون كيف يعملون عمل التاجر يشتري البضاعة بأرخص ليبيعها بأغلى، فلهم حالةُ إدارةٍ، لكنّ إدارة استعمارية، لا إدارة صحيحة حسب الكفاءة والعدل والحق.

ولذا نجد الإسلام قد اهتم بتخفيف العداء من الخارج، وبرضا الناس في الداخل، فمثلاً بالنسبة إلى الأمر الأول، قال سبحانه: **﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾**(1).

وقال تعالى: **﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾**(2).

وقال سبحانه: **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾**(3).

وقال تعالى: **﴿ادخلوا في السلم كافة﴾**(4).

وقال سبحانه: **﴿وان جنحوا للسلم فاجنح لها﴾**(5).

---

(1) سورة الإنعام: الآية/ ١٠٨.
(2) سورة المؤمنون: الآية/ ٩٦.
(3) سورة النحل: الآية/ ١٢٥.
(4) سورة البقرة: الآية/ ٢٠٨.
(5) سورة الأنفال: الآية/ ٦١.

وقال علي عليه السلام: «اني أكره أن تكونوا سبابين» إلى غيرها.

وبالنسبة إلى الأمر الثاني، حدث إن غضب مستعطٍ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ غَضَباً بلا مبرر ـ ثم أعطاه الرسول صلى الله عليه وآله ما أرضاه ثم قال له: اذهب إلى أصحابي، وقل لهم أني رضيت عن الرسول، أنه صلى الله عليه وآله أراد بذلك أن يشعر أصحابه بأنه لا يوجد حتى إنسان واحد غاضب عليه.

كما حدث أن طلب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من شخص العمل بالحق، وهو لم يعرف الإمام فدفع الإمام بيده، لكنه لما عرف الإمام اعتذر وطلب من الإمام أن يرضى عنه؟ فقال له الإمام: (ما ارضاني عنك إن أنت أرضيت الناس عن نفسك) وفي رواية: (هل الدين إلا الحبّ؟).

ثم لا يخفى أن الأمور التي يجب على الدولة الإسلامية الإهتمام بها، لأجل رضى الناس:

١ ـ تكثير المؤسسات.

٢ ـ وإعطاء ذوي الكفاءات ما يشغلهم، إذ صاحب الكفاءة إذا لم يجد ما يشغله بما يراه مناسباً له، وصار مبعثاً لنشر الكره والتذمّر بين الناس.

٣ ـ وجعل القضاء نزيهاً إلى أبعد حد.

٤ ـ ومجلس الشورى محبوباً، لا أن يهتموا بوضع القوانين، وتأطيرها بل يختلطوا بالناس ويأخذوا آرائهم ويقضوا حوائجهم، ويحلّوا مشاكلهم.

٥ ـ واحترام الطبقة المتوسطة ـ كما تقدم ـ.

٦ ـ وجعل السلطة العليا [شورى الفقهاء] محل ثقة الشعب وحبّه، فإنها رمز الإسلام، وهم وكلاء الإمام عليه السلام، فإذا كرهها الناس كرهوا الإسلام، وَظَنّوا بقادته الظنون، إلى غير ذلك من ما تقدم بعضها.

لكنّ يلزم أن يعرف الناس أن ليس المراد بما ذكر، أن تعمل الدولة بما يسقط هيبتها فإن الطيبة في غير موضعها، كالخشونة الزائدة، كلتاهما تسببان اهتزاز الحكم، وعدم استقرار الحكم، وفي المثل.. [تتمكن أن تصنع بالحراب كل شيء، لكنك لا تتمكن أن تجلس عليه] وفي الطيب الزائد، تنطبق القاعدة المعروفة [الشيء إذا جاوز حده انقلب ضده].

والمشكلة في الدولة تكمن في أنها وسط بين افراطين، فكل افراط ضاربها سواء كان في هذا الجانب أو في الجانب الآخر، ففي المقام: الإفراط في الخشونة يثير الناس عليها، كما أن الإفراط في الطيبة يطمع الناس فيها.

وليس ذلك في الطيب والخشونة فحسب، بل في سائر الأمور، مثلاً: الدولة بين جيش يرد الخشونة والحرب، لإنه ربّى عليهما، وفيها تظهر مقدرة الجيش وتزيد مرتباته، بينما الشعب يريد السلام والهدوء واللّين، لأَنها توجب له التقدم والرفاه وظهور كفاءاته، والدولة بينهما فيلزم عليها ارضاءهما بنحو لا يسبّب ازعاج الآخر، والأثارة عليها الجيش أو الشعب.

وكذلك الدولة بين جيل الكبار الذين يميلون إلى الإتّزان والهدوء، والتعقّل، وجيل الشباب الذين يميلون إلى النشاط والسرعة والإقدام، فإذا لم تتمكن من إرضاء الطرفين كرهها نصف الشعب، ولا تبقى الدولة مع كره نصف الشعب لها.

وهكذا الدولة بين الداخل الذي له مفاهيم خاصة، والخارج الذي غالباً له مفاهيم أخرى، فإن أرضت الداخل بخطاباتها وأعمالها، كرهها الخارج، والعكس بالعكس، فإن أرضت أحدهما تآمر عليها الآخر.

ومِنْ صغريات ذلك، كون الدولة تسير في تيّار عام، كالجوامع الدولية والوحدات الدولية، وما أشبه، ومِن المعلوم التضارب بين مصلحة الدولة الخاصة، ومصلحة ذلك التيّار.

ومِن أحسن الحلول لمشاكل الدولة المتناقضة، الأحزاب الحرّة، وتبدل الدولة من رأسها كل أربع سنوات مثلاً، إذ الأحزاب الحرّة ـ والتي هي اسلامية في بلاد الاسلام ـ لاختلاف انظارها ومصالحها توجب الضغوط المتكافئة مما يوجب تعديل الدولة.

بينما تبدل الدولة في الفترات المختلفة من الأزمنة، يوجب عدم تراكم الكره، فكل جماعة يجدون بغيتهم في دورة من إحدى تلك الدورات المتبدلة، وبهذين الأمرين [الأحزاب، والتبدل] تسير الدولة سيراً معتدلاً، فلا يصيبها جمود بقاء الدولة، ولا فوضى تبدّل الدولة.

ثم إنه كثيراً ما تزعم الدولة، أن نجاتها يكون في إلقاء الإختلاف بين الناس، على قانون فرعون **﴿ان فرعون علا في الأرض وجعل أهل شيعاً﴾**[1] ومن

---

(١) سورة القصص: الآية/ ٤.

ذلك اشتقت القاعدة المعروفة [فرّق تسد].

لكن هذا من أكبر الاخطاء، فإنه لا يفتأ أن يظهر المفرق، فكلا الطرفين يكرهانه، حال الدولة في ذلك حال الفرد، فكما أنه إذا فعل الفرد تفرقة بين فردين يظهر نفاقه، ويكون مكروهاً من كلا الجانبين، فيكون الطرفان مجتمعين على اقصائه واخراجه من الساحة، كذلك حال الدولة.

ولذا نرى كيف أخرج فرعون **﴿كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾**(1) وحتى الدولة إن كانت مستعمرة تبقى بعد إخراجها وصمة ولعنة، كما رأينا كيف بقيت بريطانيا وصمة ولعنة في الهند، حيث كانت تفرق بين المسلمين والهندوس بذبح البقرة [باسم المسلمين] والقائها في معابد الهندوس، وبتنجيس مساجد المسلمين بالقذارة [باسم الهندوس].

وكذلك في العراق، حيث كانت تؤلف الكتاب ضد الشيعة [باسم السنة] وتكتب على الجدران كلمات ضد السنة [باسم الشيعة] فصارت لعنة لكل من المسلمين والهندوس، ومن الشيعة والسنة، وعرفت باسم [الدولة المنافقة].

وإذا أرادت إشغال الناس عن نفسها، فاللازم:

أولاً: أن تجيد العمل وتسدّ الخلل. ففي الحديث: «من أصلح فاسده أرغم حاسده».

وثانياً: أن تشغل الناس في البناء والتنافس الحر، بل ذلك من أقوى سمات الدولة الصالحة حتى نرى أن الله سبحانه ـ لا لما ذكرناه في باب الدولة بل لأجل اظهار الخير إلى أقصى درجة ممكنة ـ، جعل بين الناس التنافس حتى في الآخرة، قال سبحانه: **﴿استبقوا الخيرات﴾**(2) وقال تعالى: **﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾**(3) وقال سبحانه. **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾**(4).

أمّا ما ذكرناه سابقاً، من لزوم أن تجعل الدولة أمام الجيش البوليس مثلاً ويقسم كلا من الجيش والبوليس قسمة، فذلك لم يكن بقصد القاء الخلاف بل

---

(١) سورة الدخان: الآية/ ٢٦.
(٢) سورة المائدة: الآية/ ٤٨.
(٣) سورة آل عمران: الآية/ ١٣٣.
(٤) سورة المطففين: الآية/ ٢٦.

بقصد توزيع القدرة فإن القدرة مثلها مثل الماء والنار، إن لم يزمّا بزمام من الحكمة فسدا وافسدا، وإن زمّا، انتفع الإنسان بهما بدون ضرر.

ولذا نجد أن الحكومات ذات الحزب الواحد تفسد وتفسد، حيث تتجمع القدرة في يد فئة خاصة، وكذلك الحكومات الوراثية لأن القدرة تتراكم عندها، بدون منافس ومقابل.

بينما الحكومات الإستشارية، ذات الأحزاب المتعددة والتبدل في رؤوساء الحكم تبقى سليمة، كما يبقى الناس تحت ظلها في أمن وسلام.

وافساد تجمع القدرة، بالإضافة إلى إفساد عدم الخبرة، يتجمعان في الحكومات الإنقلابية، حيث أن الجيش الذي يسيطر على الحكم [وإن كان الإنقلاب نابعاً من نفسه، ـ فكيف إذا كان منبثقاً عن الإستعمار؟ ـ] تقع بيده كل القدرة، وبدون الخبرة.

الدولة والعداوات

من أهم ما يلزم على الدولة الإسلامية أن لا تترك العداوات تأخذ سبيلها إلى الظهور، وإذا ظهرت تسرع في إطفائها، فإن ثلاثة صغيرها كبير وقليلها كثير، المرض والنار والعداوة، فربما سببت الحمى الموت، أو فيروس صغير وباءاً كاسحاً، وربما سبب نار ثقاب احرق غابة، وربما سببت عداوة إنسان إسقاط دولة، وقد قيل قديماً: [ومعظم النار من مستصغر الشرر].

وقد يزعم من لا خبرة له من الحكام أن العداوة، والدخول مع الأعداء في حرب توجب رفعة الحاكم، بل أغرق بعضهم فقال يلزم على الحاكم أن يخلق الأعداء، لأجل ذلك، والسؤال: هل إنك مطمئن بإنك تنتصر على عدوك؟ وألم يكن هناك من اطمئنوا ثم ظهر خطأ اطمئنانهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين؟ ثم إنك وإن غلبت، فهل طريق العظمة منحصر بذلك؟ وبعد كل ذلك، فليس العدو ينخر جذور الإنسان حتى يأتي عليه، أو يشغله دائماً بما ليس الإنسان في حاجة إليه؟

ثم اللاّزم أن لا يعادي الإنسان عدوه كل المعادات، كما يلزم أن لا يثق بالصديق كل الثقة [إلا نادراً] فكثيراً ما ينقلب العدو صديقاً، فلا داعي لجعل سوء سابقة كبيرة بينهما، كما أنه ربما انقلب الصديق عدواً، وهو يعرف كل نقاط الضعف، وإلى ذلك أشار الشاعر:

إحـــــذر عـــــدوّك مـــــرّة وأحـــذر صـديـقـك ألـف مَـرَةْ

فـلـربـمـا انـقـلـب الـصـديـق فـكـان أعـلـم بـالـمـضـرّة

ثم إنَّ مَنْ يعادي الدولة في الإبتداء، يمكن استقطابه، بالنسبة إلى الدولة الحازمة، خصوصاً إذا كان للعدو مركز يخشى من سقوطه، ويحتاج إلى بقائه، فإنه إذا استقطبته الدولة، أخلص لها، لمحو سالف العداء، وللإبقاء على مركزه وكذلك إذا كان العدو ينوي الوصول إلى مركز مرموق، وساعدته الدولة في الوصول إلى ذلك المركز.

وأحياناً تكون خدمة مثل هؤلاء الذين أسلفوا العداء، أكثر من خدمة الأصدقاء السابقين، لأن الأصدقاء لا فراغ لهم يريدون ملأه، بخلاف أولئك الأعداء، بشرط أن لا يكون ذلك العدو من قسم الإنتهازيين.

فاللازم على الدولة العاقلة أن تبقى على صداقة الأصدقاء، وتهتم لإستقطاب الأعداء، وكذلك نرى فعل رسول الله ﷺ حيث أبقى على صداقة المهاجرين والأنصار، واستقطب أهل مكة الذين محضوا العداء له مدة عقدين من الزمن، بل لما استولى على يهود خيبر، تودد إليهم، بتزوج إحدى بناتهم [صفية] وترك دورهم لأنفسهم والمقاسمة معهم في أراضيهم الزراعية وبساتينهم.

ومثل هذه الدولة تزداد قوة إلى قوة، وذلك يوجب لها التقدم المطّرد بخلاف الدولة التي تزيد في عداوة الأعداء، وتقلب الأصدقاء أعداءاً، وتوجب التفرقة والإختلاف، وقد ورد في الحديث: «خير الولاة من جمع المختلف، وشر الولاة من فرق المؤتلف».

وعلى الدولة أن تظهر حبها لمن تحب، ليزداد الطرف إخلاصاً، وتخفى غضبها وعدائها ليقل العداء، أو يبقى ـ على الأقل ـ في حده السابق.

واذا اتفقت الحرب على الدولة، كان من أهم الأمور لها، أن تهتم لإبقاء الدول حياداً بالنسبة إليها، إن لم تتمكن من إدخالهم في صفها، فإن دخولهم في صف العدو يخلق للدولة مشاكل جمّة، هي في غنى عنها، وربما أودت المشاكل بالدولة.

وإذا تحاربت دولتان، فمن أهم الأمور على الدولة أن تبقى حياداً بينهما، لأن الدخول في الحلبة مع إحداهما ربما يودى بها، كما أودى ذلك بالإمبراطورية

العثمانية حين دخلت مع إلمانيا في حربها مع بريطانيا. بالإضافة إلى أنّ الوقوف في صف احداهما يشتمل على أحد خطرين:

أن تكون في صف المنتصر في النهاية، أو في صف المنهزم في النهاية، وكلاهما خطر، إذ من ينتصر يأخذه الغرور في أن يستعلي على الحليف، ومن ينهزم بترك حليفه في العراء تحت رحمه المنتصر الذي يعادي الدولة الحليفة لعدوها.

ومن اللازم على الدولة الإسلامية عند قيامها، أن تستقطب الذين كانوا يوالون الحكومات السابقة، فإنهم كما رضوا عن الحكومة السابقة مع عسفها، يرضون عن هذه الحكومة الجديدة، إذا حفظت أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وقالت لهم [اذهبوا فإنتم الطلقاء] ومنت عليهم، ولذا نجد في التاريخ، أن أهل مكة وغيرهم عفا عنهم الرسول ﷺ، وأهل الجمل والنهروان ممن عفا عنهم علي عليه السلام، صاروا مواطنين، ولم يكن لهم من إيذاء، إلا بقدر إذية أي شعب بالنسبة إلى أية دولة، بينما كانت أعمال العنف والخشونة معهم تزيد الأمر إعضالاً.

ويظن بعض الناس أن رسول الله ﷺ، كان إذا قتل معاوية لم يبق حتى يناوىء علياً عليه السلام، والسؤال: هل كان معاوية واحداً، فماذا في طلحة والزبير؟ وماذا في الخوارج؟ وماذا في من جاء بعد: ـ هشام وهارون والمأمون؟ وقد ذكرنا طرفاً من الكلام في هذه المباحث في كتاب [تحويل معنويّة الاسلام].

قلعة الدولة وعملها

قلعة الدولة الاسلامية هي القلوب،فإنها خير قلعة تحتمي الدولة بها، لأجل حفظها حالاً، وبقائها عشرات القرون، وقد ورد في الزيارة خطاباً للإمام الحسين عليه السلام: [وفي قلب من يهولك قبرك] فقد هدم امراء الباطل، قبر الإمام الحسن عليه السلام مرات ومرات، لكن بقي قبره وأثره إلى الآن، بل واتسع واتسع، لأن قبره كان في قلوب الناس.

ولا شك أن قلوب الناس لا تلتف حول الدولة إلا بالعفو عن مسيئهم والإحسان إلى محسنهم ـ كما قاله الرسول ﷺ لحاكمه على مكة المكرمة ـ والأخذ بأيديهم إلى الأمام، والناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ أعداء الدولة.

٢ ـ وأصدقائها السابقون الذين آزروها إلى أن وصلت إلى الحكم.

٣ ـ والمحايدون.

أما الأعداء، فاللآزم استقطابهم كما تقدم.

وأما الأصدقاء فهم من أكثر الناس ضغطاً على الدولة لأنهم كما قاوموا وبشدة الدولة السابقة، لأجل عدم اجرائها للحق والعدل، يسرعون في كره الدولة الجديدة، فاللازم مداراتهم إلى أبعد حدّ ـ كما ذكرناه في فصل سابق ـ.

والمحايدون لا يريدون إلاّ العيش بسلام، فمِن أين تحتاج الدولة إلى صنع القلاع، إلاّ إذا كانت ديكتاتورية تريد الإستئثار بالحكم والمال والسلاح والإمتيازات؟ ومثل هذه الدولة لا تنفعها القلاع أيضاً، لأنَّ الشعب إذا ثار لا يُبقي ولا يذر، ولا تقف دون بغيته القلاع كما لم تقف دون ذلك قلعة المتوكل أو بني أمية، وغيرهم، إذن فالقلعة ـ بلونها القديم أو الجديد ـ دليل كُرْهِ الشعب للحاكم.

نعم، تبقى قلة من المغامرين، لا بد للحاكم أن يتّقي شرهم بِعَددٍ مِن المسلحين، والأمم أذكياء دائماً، يُفرّقون بين الحاكم المحتمي بالقلاع من الشعب والمحتمى بالمسلح من المغامر.

والدولة ـ بدل أن تشغل نفسها بالحروب والعداوات ـ يجب أن تشتغل بالمشاريع الكبيرة، وتقوية الجيش، وجعل الأسس الرصينة للبقاء والرفاه، بتعميم العلم، وتربية النفوس واخراج الكفاءات، بسبب اعطاء الحريات، وتسهيل سبل وصول الناس إلى ما أودع فيهم من دفائن العقول، واعطاء المكافآت اللائقة للمتفوقين، بحيث يتحدث الناس عن تلك المكافآت وتكون محفزة لهم بالسير إلى الكمال.

ومن الضروري في الدولة الإسلامية نشر العقيدة والشريعة في كل الأصعدة والمستويات، والتكثير من مجالس ذكر مصائب أهل البيت عليهم السلام، ونشر حقيقة الإمام المهدي عليه السلام على أوسع نطاق، وهذه الأمور الثلاثة تسبب قوة الأمة أولاً، وتوسعها ثانياً، وذلك لأن المطال، في تاريخ الأمم، يرى أن اضمحلال الأمم وخروجها عن ساحة الحياة، تعلل بإحدى ثلاث:

إما ضعف المبدأ، وعدم مطابقته للبرهان.

وإما انصباب المصائب على الأمم، حيث لا تتحمل الأمة المقاومة، مما يسبب خروجها عن الساحة.

وأما أن الأمة لا أمل لها بالعون والمساعدة والنجدة، ولذا تكون كالجيش المنهزم الذي لا يأمل في الإمداد، فيفر من الميدان.

وحيث أن مبدأ الإسلام ـ عقيدة وشريعة ـ من أقوى المبادىء ويطابق العقل والمنطق في كل بند بند منه، كان نشره يسد هذه الثغرة في قلوب الأمة.

كما أن التفات الأمة إلى المصائب التي وردت على أهل البيت عليهم السلام وأنهم عليهم السلام تحملوها بكل رحابة صدر، يوجب التأسي بهم عليهم السلام وربط قلوبهم وشدة عزيمتهم فلا تسبب المصائب ـ مهما كثرت ـ انهزامهم.

والإمام المهدي عليه السلام أمل المسلمين، حيث يحتمل ظهوره ليشد أزر المسلمين ـ في كل يوم وساعة ـ ولذا فإذا قويت العقيدة به كان صمود الأمة أكثر، ومثابرتهم أقوى، فلا يجد اليأس إلى أنفسهم سبيلاً.

وهذه الأمور الثلاثة، كما هي عامل البقاء كذلك هي عامل التوسع لأن نفس الروح تنفخ في روع من اعتقد بالإسلام ولذا نجد المفكرين من الكفار يحاولون طمس هذه الأمور الثلاثة بمختلف الوسائل والسبل وبشتى الإتهامات والإلصاقات.

ثم من الضروري أن تضع الدولة سياستها ـ دائماً ـ موضع التساؤل والترديد، وذلك لأمرين:

١ ـ احتمال انكشاف الخطأ في السياسة، في المستقبل.

٢ ـ احتمال تبدل الزمان، مما يوجب أن لا يصلح للزمان المتأخر ما كان صالحاً للزمان المتقدم، فإذا جرت الدولة على سياستها التي بنتها، بدون الملاحظة الدائمة، والمراقبة الكافية كانت الدولة معرضاً للضياع، والأمة على شرف الإنهيار.

وقد قال علماء الأخلاق بلزوم المراقبة للفرد، كل ليلة فكيف بلزوم المراقبة على الدولة؟... كما أن اللازم على الدولة ربط الشعب بالأعياد والمناسبات ـ لكن لا ربطاً دكتاتورياً، بل ربطاً اقناعياً ـ وذلك للزوم التجديد في حياة الناس من ناحية، حتى لا تكون الحياة رتيبة مملّلة، ولتكون الأمة نشطة من ناحية ثانية، فإن النشاط بالمناسبات، يؤثر في سائر الحقول، ونشاط الأمة حاله حال نشاط الفرد يؤثر في مختلف حقول الحياة.

وعلى الدولة أن تكون لها مفاجآت تقدمية، مما يوجب شدّ الأمة بالدولة دائماً، وتكون المفاجآت سبب سد الحاجات وملء الفراغات وتقدم الأمة إلى

الأمام، مثلاً اسكان الأمة في دور مملوكة لهم في هذه السنة، وايصال الماء والكهرباء إلى كل القرى في السنة الثانية، وتعميم العلم ومحو الأمية في سنة ثالثة، واخراج الأراضي من اليباب إلى العمران في سنة رابعة، ونصب المعامل التي تعطي الحاجات الصناعية في سنة خامسة وهكذا.

وكل ذلك ممكن إذا لم تبن الدولة على الديكتاتورية، فأطلقت الحريات وأسهمت في تقديم الناس إلى الأمام.

واللازم على الدولة إن كانت مخلصة ـ وهكذا تجب أن تكون الدولة الإسلامية ـ أن تعطي كل ذي حجم، من الأفراد، والأحزاب، والمؤسسات والجمعيات، حجمه الواقعي، بلا زيادة ولا نقيصة، فإن الحجم الواقعي هو المؤثر في الحياة.

أمّا اعطاء تلك على خلاف واقعها، فهو شأن الديكتاتوريّين، الذين يجعلون من أنفسهم المحور، فمن كان في فلكهم أعطوه حجماً متزايداً، ومن لم يكن في فلكهم أعطوه حجماً صغيراً، قال سبحانه: ﴿**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**﴾[1].

فإذا أعطت الدولة الصغيرة حجماً كبيراً بقى الفائض من الأعمال بدون إدارة كما أن اعطاء حجم صغير للإنسان الكبير، يوجب بقاء الكفاءة بدون عمل، وكلاهما يسببان عطب الدولة، وذهاب ريحها، وفشل مشاريعها.

واللازم أن يكون وزراء الدولة، أناساً يفكرون في الأمة، لا في أنفسهم، وهم أحسن دليل على نفسية القائد، فقد ورد في الحديث أن (المرء على دين خليله) وكذلك حال سائر المحتفين بالدولة، فإنهم أحسن دليل على استقامة الدولة أو انحرافها.

(٦)

السلطة العليا، وحَزم الدولة

السلطة العليا في الدولة الاسلامية (سواء كان مرجع التقليد واحداً، إذا انحصرت المرجعية في إنسان واحد، كما صار في زمن صاحب الجواهر والشيخ المرتضى والميرزا الكبير والميرزا الثاني، أو كانوا أكثر، حيث قلنا بلزوم تشكل

(١) سورة الاعراف: الآية/ ٨٥.

المجلس الإستشاري] منهم، لأنهم الزعماء الحقيقيون للأمة، وقد انتخبتهم الأمّة ليكون بيدهم الحكم، كما قال عليه السلام، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، والحكم يشمل أمور الدين والدنيا، وقال صلى الله عليه وآله: «اللهم ارحم خلفائي»[1] وقال عليه السلام (أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا)[2] إلى غير ذلك.

هذه السلطة العليا إنما تكون، يضغط من الأمة فإذا اعتادت الأمة على ذلك، لم يتمكن انتهازي في زي أهل العلم أن يسلبها، ولم يتمكن رجل في السلطة العليا أن يفعل ما يشاء حسب رأيه، كما أن ضغط الشعب في البلاد الديمقراطية، لا يترك الأمر لديكتاتورية حاكم كي يأتي إلى السلطة بإرادته، لا بإرادة الشعب، أو على استخلاف حاكم سابق لمن شاءت له اهواؤه.

وليس ترشيح مثل هذه السلطة (المرجع الأعلى أو شورى المراجع) بيد الدولة، لأن الدولة يلزم أن تكون تحت نظر السلطة العليا، لا العكس، وإنما الأسلوب يبتدأ باختياره الأمة، حسب تقليدهم، مراجع التقليد، وهم يكونون السلطة العليا (شورى المراجع) وهم وسائر أهل الخبرة، يرشحون للأمة مراجع المستقبل، فكلما فقد أحد أفراد السلطة العليا، جاء مكانه أحد هؤلاء، حتى يتلقى الآخرون السلطة من الأولين، وهكذا.

وهذا أمر واقعي، سهل المنال إن وعت الأمة السياسة الدينية، فإن في هذا الأسلوب تحكيم المراجع الذين هم نواب الأئمة عليهم السلام، بمك حرية الأمة، بدون ديكتاتورية ولا تسلط الدولة على المرجعية، وبمعاونة أهل الخبرة الذين تعتمد عليهم الأمة، وبإشارة من السلطة العليا السابقين الذين انتخبتهم الأمة مراجع لها.

وحينئذ لا يكون ضغط في التقليد أيضاً، فإذا أرادت جماعة من الأمة أن تقلد انساناً آخر غير من في السلطة العليا، يكون لها ذلك، بدون مزاحم، نعم إذا حدثت حادثة اختلف فيها رأي السلطة العليا مع رأي ذلك المرجع، يكون انتهاء الأمر إلى رأي السلطة العليا، كما ذكره الفقهاء في مسألة لزوم ترك المجتهد رأيه، إذا تنازع مع مجتهد آخر، في مال أو دم أو زوجة أو ما أشبه، وتراجعا إلى القاضي المجتهد الجامع للشرائط، وأعطى الحكم لأحد المتنازعين، فإن دليلهم

---

(١) الوسائل ج ١٨ ص ٦٥ باب ٨ من أبواب صفحات القاضي: ج ٥٠.

(٢) البحار: ج ٢ ص ٩٠ ح ١٣.

في باب القضاء يأتي في المقام أيضاً بطريق أولى، وقد ألمعنا إلى ذلك في كتاب القضاء وكتاب الشهادات وكتاب احياء الأموات من [الفقه].

١ ـ فالسلطة العليا (شورى المراجع) ترشح، بمعاونة أهل الخبرة من أهل العلم والعدالة.

٢ ـ بدون تدّخل مِن السلطات الثلاث التشريعية [التطبيقية] والتنفيذية والقضائية ـ لأنهم تحت السلطة العليا لا فوقها.

٣ ـ ومن أهل الخبرة زعماء الأحزاب الحرة الإسلامية.

٤ ـ والأمة تختار، وحيث يدخل المراجع في السلطة العليا (المراجع الحالية) لا شق للعصا من أحد، وحيث أن المراجع المستقبلة مستشارون وأهل الخبرة ومرشحون من قبل السلطة العليا والأمة، فلا تنازع أيضاً، ولا يلزم أن يحضروا المجلس الإستشاري، بل يجوز أن يكون أحدهم في خراسان وآخر في قم، وثالث في النجف، ورابع في كربلاء، لكنهم جميعاً، بوكلائهم الذين يحضرون المجلس الإستشاري الفرعي، يدلون بأرائهم ـ حال ذلك حال المجامع الدولية، حيث أن الأعضاء إن شاؤوا حضروا، وإن شاؤوا لم يحضروا ـ.

وحينئذ تكون سلطات الدولة [الثلاث] تحت إرادتهم تلقائياً، بدون أن ينفصل مرجع التقليد عن الدولة، ولا أن تتسلط الدولة على المرجعية، وبدون هذه الصورة التي ذكرناها، يقع أما انفصال الدولة عن المرجعية، وأما أن تتسلط الدولة على المرجعية، وحيث أن الثاني لا يمكن، يكون الأول ويرجع الأمر إلى انفصال السياسة عن الدين، ويفسح المجال لتسلط الشرق والغرب.

ثم على (شورى المراجع) والسلطات الثلاث، أن يستقطبوا جمهرة كبيرة من المستشارين الذين تتوفر فيهم علوم الدين والدنيا مع النزاهة والثقة حتى تسير الأمور بكل صحة واتقان.

واللاّزم على الشورى والسلطات، أن تكون وسطاً، بين حرية الإبتذال وبين التقطيب الموجب للنفاق في استشاراتهم، فإن الحاكم إذا ابتذل في استشارته مع كل أحد صار سبب التجري والإزدراء والتحقير، مما يضعف الحكم، وان تقطب صار سببا لنفاق المستشار، فلا يقول الحقائق التي يعرفها، وإنما يتكلم حسب رضى الحاكم، مما يسبب ضياع الحكم.

فالإستشارة يلزم أن تكون دائمة من أصحاب الفضيلة الموسومين بترجح الرأي والخبرة والديانة، ويلزم أن يكونوا صريحين مع السلطة في اعطاء الرأي، ونقد أعمال الحاكم.

وعلى الحاكم ألاّ يسرع في إعطاء الحكم، لأن المسرع كثيراً ما يخطيء فيقع الحاكم بين أن ينفذ خطأه، وفي ذلك المفسدة وضياع المصلحة، أو أن يرجع عن رأيه، وفي ذلك خور الحكومة، وازدراء الأمة بالحاكم، وإذا فقد الحاكم احترامه فقد الحكم جلاله مما ينتهي إلى ضعف الدولة.

كما أن على الحاكم أن يهتم بالحاضر والمستقبل، لسد الخلل الناشيء من الماضي، وتقديم الأمة إلى الإمام، فإن الأمة إذا شعرت بالحاضر المريح والمستقبل المرفه، لا تصرف عنان نظرها إلى سيئات الماضي، ولا تفكر فيما سبق من النقائص والنواقص.

وعلى الحاكم أن يحسب للعواصف المحتملة [اقتصادية، أو سياسية، أو حربية، أو غيرها] حسابها، حين تجري الرياح رخاءاً، وإلا وقعت الدولة في المشكلة، وربما أوجبت سقوط الدولة، ومن الأمثال القريبة، إن القاجار والعثمانيين، إذا كانوا معتدلين يعملون بالإسلام الصحيح، وكانوا يحسبون حساب المستقبل، فهل كانت تتحطم الدولتان؟ وهل كانت البلاد الإسلامية تقع في نير التجزؤ، وتحت سلطة الأعداء المباشرة وغير المباشرة؟.

وقد يعتذر الحكام عن أخطائهم بالقضاء والقدر، والحال أن القضاء والقدر دائرتهما الأمور غير الاختيارية، أما الأمور الإختيارية فالقدر والقضاء، أن يعملها الإنسان. إن من لا يراجع الطبيب فيموت أو يعطب لا حق له في إلقاء اللوم إلا على نفسه، أما إذا راجع ولم ينفع الطب فمات لم يكن ملوماً، وصح أن يقال أن القدر أماته.

وكذلك الحال في المشكلات العامة، فالدولة التي لا تقيم السدود أمام السيول، والدولة التي لا تواظب على النظافة، حتى تجرف السيول بالبلاد والناس، ويهلك الطاعون والوباء، الناشيان عن القذارة، عشرات الألوف من الناس، لا حق لمثل هذه الدولة أن تنسب الأمر إلى القضاء والقدر، بل المقصر هي ويلزم أن تؤاخذ على إهمالها وعدم رعايتها.

ثم إن على الدولة أن تعرف الظروف، فلكل ظرف عمل، وإلا جرفها السيل فإن الظروف وشرائط الإجتماع، حالهما حال الشتاء والصيف، فإذا لم يعرف التاجر الزمان، فجعل أمواله في صنع الثلج في الشتاء، أو تهيئة الوقود في الصيف خسر وتدمر، كذلك حال الدولة إذا لم تعمل حسب مقتضيات الظروف، فاللازم أن تسير الدولة حسب مجرى الزمان، والأمر عليها الزمان وهي جامدة، ولذا قال الإمام الصادق عليه السلام «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[1].

وهذا غير الإنتهازية، فإنها أنْ تقصد نفسك، والوصول إلى منافعك من دون ملاحظة أن يكون الطريق شريفاً، بينما معرفة الظروف أن تعرف الطرق الشريفة للوصول إلى غاية نبيلة، ولا يهمك بعد ذلك أن تسلك أية من الطرق الشريفة المتاحة إلى تلك الغاية.

وفي الخاتمة: نذكر أن اللازم على القوى الإسلامية أن تتحرك، لتوحيد بلاد الإسلام، وإقامة حكومة واحدة على ذلك البلد الواحد، والسعي لإنقاذ البشر من براثن الخرافة والمشاكل، فإن الظروف مهيئة لذلك.

أما المسلمون فقد ذاقوا من التشتّت والقوانين الوضعية، ما يفوق التصور حيث نهبت بلادهم وجزئت، وسلبت خيراتهم، وسحقت كراماتهم، وهتكت أعراضهم، وأصابهم الضنك الذي أنذر به القرآن الكريم، لمن أعرض عن ذكره.

وأما غير المسلمين فقد وقعوا من جراء اعراضهم عن قوانين الله سبحانه في مشاكل لا تدخل تحت الحصر من الحروب والثورات والأمراض وهدم العائلة، والفقر والخوف، وغيرها، فإذا عمل المسلمون بكل جد وإخلاص لإرجاع الإسلام إلى الحياة، انقذوا أنفسهم، وساهموا ـ بقدر ـ في إنقاذ سائر الناس، والله الموفق المستعان.

---

(١) الكافي: ج ١ ص ٢٧ ح ٢٩.

الفصل الثاني

الحكومة الإسلامية في عهد الرسول(ص)

نذكر هنا مقتطفاً مِن كيفية حكومة رسول الله ﷺ، وعليِّ بنِ أبي طالب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، حيث أنهما أسوة، حتى تعرف الأسس التي يجب أنْ يبتنىٰ الحكم الإسلامي عليها، وأن تبنىٰ الحركة عليها حتى قبل الوصول إلى الحكم عليها.

سعة حكومة الرسول(ص)

فقد حكم رسول الله ﷺعلى رقعة من الأرض تشتمل على أكثر من خمس دول ـ في خريطة عالم اليوم ـ فقد حكم الحجاز واليمن الجنوبية واليمن الشمالية والبحرين وأراضي الكويت ـ حيث كانت مسكناً للقبائل ـ وبعض الخليج، وقد عمل ﷺ أمرين ابان حكومته:

إسقاط الحواجز الجغرافية

الأمر الأول: أنه أسقط الحواجز الجغرافية بين تلك البلاد، فإِن الحواجز الجغرافية كما هي موجودة في هذا اليوم بين الدول كذلك كانت موجودة في ذلك اليوم بين القبائل ونحوها، كما هو معروف في التاريخ فصارت البلاد بفضله ﷺ بلداً واحداً يسافر المسافر فيه من الطائف إلى مكة إلى المدينة إلى غيرها بدون حاجز ولا مانع.

اسقاط الحواجز النفسية

الثاني: إنّه ﷺ أسقط الحواجز النفسية فجعل الكلّ أخوة، بينما لم يكن العربي قبل ذلك أخاً للعربي، نعم أنه يكون أخاً للفارسي والهندي و. . فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم جعل أباذر العربي، وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي

وصهيب الرومي أخوة، كما جعل صفية (اليهودية الأصل)، ومارية (المسيحية الأصل)، وسودة (المشركة الأصل) أخوات.

الرسول(ص) لَم يَتَغير

فقد جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة مُطارَداً مُهاجِراً فقيراً لا يملكُ شيئاً، ولما وَصَلَ هناك بنى مسجده، وبنى حول مسجده غُرَفاً لزوجاته ولأصحابه، وكان يسكن في تلك الغرف المبنية من الطين واللَّبْن، وكانت الغرف صغيرة بحيث لا يتمكن أكثر من عشرة من الواقفين المتلاصقين أنْ يقفوا في الحجرة وأمامهم جنازة، كما يَدُلُّ على ذلك ما ورد من أنه بعدما توفي رسول الله ﷺ وُضعِتْ جنازتُه في حجرته وجاء المسلمون عشرة عشرة يُصلّون على النبي فكانت الغرفة لا تسع لأكثر من عشرة أشخاص واقفين متلاصقين وأمامهم جنازة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم تطورت أحواله ﷺ بعد ورود المدينة فصار رئيس دولة، وصار المال يُجبى إليه من تلك الدولة الشاسعة، ومع ذلك لم تتغير غرفته لتصبح داراً ضخمةً، ولا أثاثه البسيط إلى أثاث راقٍ.

الرسول(ص) يبقى وفيّاً

كما أنه بقي وفياً لأصحابه وفيهم المؤمن والمنافق من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فكان أصحابه عند وفاته هم أصحابه الذين آلتفّوا حوله في مكة المكرمة، كما أنه هكذا كان عليّ عليه الصلاة والسلام، فلم يَبْنِ لنفسه داراً في الكوفة، ولم يهييء أثاثاً جديداً، كما سيأتي الإِلماع إلى ذلك في سيرته، ولم يدّخرْ صفراء ولا بيضاء، وإِنما استشهد في المسجد، ومات في نفس المكان الذي سكنه، حيث جاء مِن المدينة وحوله نفس أصحابه السابقين.

ولنتحدثْ هنا حول مقتطفات مِن حياة هذين القائدين العظيمين اللذين يجبُ أن تتخذهم الحركة العالمية الإِسلامية أسوةً للوصول إِلى حكومة ألف مليون مسلم، بإِذن الله تعالى.

ثم بعد الوصول إلى الحكم يجب أن يكون الحكّام المسلمون على هذه الوتيرة.

شمة من أَحوال رسول الله
(صلى الله عليه وآله)

كان ﷺ دائم الحركة والتنقل في نواحي المدينة، يزور القبائل القاطنة ويجتمع بالناس ويرشدهم، ويصلي بهم في مساجدهم، وفي مسجده، ويعود مرضاهم، ويسير وراء جنائزهم، ويندب مِنْ أصحابه مَنْ يريد، لما يريد مِن مهام الدولة والأمة.

ومن أمثلة ذلك، أنه أرسل واحداً من أصحابه ليكون في (قبا) أثناء غياب جيش المسلمين في بدر، وبعث رجلاً آخر إلى بني عمرو بن عوف القاطنين في المدينة ليقوم بنفس المهمة، وأرسل رجلين في مهمة إلى حوران.

وقد جعل ﷺ للنساء إمام جماعة امرأة فاضلة تُسمى (ام ورقة) تُصلي بهنّ فمن شاءت من النساء جاءت إلى مسجد رسول الله ﷺ للصلاة، من شاءت منهن ذهبت إلى بيت أم ورقة للصلاة معها، كما بنى ﷺ في المدينة ما يقارب خمسين مسجداً، وقد اهتم بعمران المدينة بعد أن أَمِنَتْ تماماً، فحثَّ الناس على البناء والإنشاء، ودعا البدو المحيطين بالمدينة إلى الهجرة نحو المدينة والإستقرار وترك البداوة، وقد قَدِمَ كثير من الأعراب، ونزلوا المدينة وأصبحوا أعضاءاً في أمة الإِسلام، وصارتْ لهم مراكز المهاجرين، وحالَفوا مَنْ شاؤوا من قبائل الأنصار، والكثير منهم دخلوا في حلف رسول الله وبين هاشم.

اتساع المدينة

فاتسع نطاق المدينة وتزايد عدد سكانها، وأخذ الناس يعمرّون الأراضي الواسعة في السهل بدون رادع ولا مانع ولا ضريبة العمارة والزراعة، وقد ذكر المؤرخون أنّ أعداد المسلمين مِنْ سكان المدينة زادتْ بقدر الثلث قبل الخندق أمّا بعد الخندق فقد تضاعف العدد.

وقد كتب رسول الله ﷺ صحيفة بين المهاجرين والأنصار تجعل أهل كلّ حيٍّ من الأنصار مسؤولين عن حيّهم، وعن أمن المدينة من ناحيتهم، فكانت حكومة شعبية زمامها بيد الشعب نفسه وكان استقرار أيِّ مهاجر إلى المدينة يتمُّ على ذلك الأساس، وكان الرسول ﷺ يوزعُ على المسلمين كلما حصل من الصدقة والزكاة والخمس والتبرع والغنيمة.

صفة المسجد

كما أنه صنع صفة كبيرة في مسجده ينزل فيها الذين لا مأوى لهم، ولا مسكن، وقد وصل عددهم كما في بعض التواريخ إلى أربعمائة، وكان هؤلاء من جيش الرسول في وقت الحرب، كما أنهم كانوا من المصطفين خلفه في وقت الصلاة، وكانوا يجلسون تحت منبره في وقت الخطابة، وكانوا ينفِّذون أوامره إلى المسلمين الآخرين في أوقات الحاجة، وكان الرسول ﷺ تدريجياً يزوِّجهم بالنساء المسلمات، ويحصل لهم المسكن والمكسب وما أشبه، وقد شعر الناس بنعمة الإسلام، فاستقاموا على الطريقة.

الرخاءُ يسودُ عاصمة الرسول(ص)

وساد المدينة رخاء لم تعرفه أية جهة من جهات جزيرة العرب قبل ذلك، ولم ير العالم قبل ذلك حكومة كهذه الحكومة، فقد كانتْ حكومة الأكاسرة والقياصرة وما أشبه حكومات بعيدة عن الناس، مترفعة على الشعب، غير مختلطة بهم، وكانوا يأخذون الضرائب الباهظة منهم ويستبدّون بالحكم والأموال.. وكان الفقر والمرض والجهل والفوضى سائدة في الشعوب.

الحكومة المثالية

أما حكومة المدينة وحواليها فقد كانت حكومة مثالية، وعلى الرغم مِنْ أَنَّ المؤرخين أَحصوا ما كان يقع في أيام الرسول ﷺ من الأحداث إلاَّ أننا لم نسمع عن جرائم أو منازعات إلاَّ نادراً، فإن المثال النبَوي ﷺ كان حاضراً في أذهان الناس وكان الناس يقتدون به، فلا شرطة، ولا قوة تنفيذية، ولا ضرائب، ولا مكوس، ولا رِبا، ولا احتكار، ولا استغلال، ولا ماليات عامة إلا الخمس والزكاة والجزية والخراج، فكانت الأمور تسير على أحسن حال، ولذا لم نجد في أيِّ تاريخ أنَّ المدينة اشتكتْ مِن الفوضى، أو مِن قلَّة النظام.

النظام يساوي بين الجميع

والشرع الإِسلامي يُفيد الجميع ويساوي بين الجميع، ويُعطي الأمة القوة الحقيقية، والإطمئنان والإستقرار والثبات والتقدم، وقد كان إيمان الناس بالمثُل الإِسلامية العليا، والتي تتمثل في الرسول ﷺ يسودُ كلَّ شيء، ومن الواضح أن في ظروف كهذه تتضائل المشاكل الفردية والنزاعات الشخصية، ويغلب على الناس

روح الجماعة والإتجاه إلى البذل والعطاء وتحاشي الوقوع في المعاصي والجرائم والآثام كالسرقة والغَصْب والزنا والقتل واللواط والجرح وما أشبه من الجرائم، فقد ظهرتْ على الناس الأخلاق الجميلة، والتي لم يعرفها الناس لا في جزيرة العرب، ولا في غير جزيرة العرب إلى ذلك الحين، فكان الناس يؤثر بعضهم بعضاً في البذل والعطاء في سبيل الله سبحانه وتعالى، والرجل يؤثر صاحبه على نفسه صاحبه على نفسه بالمال، وفي قصة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً﴾**(١) مَثل رائع لذلك.

المسلمون يؤثرون على أنفسهم:

والرجل يسأل عن جاره وأهله قبل أن يسأل عن أهله هو، وأصحاب المال يخرجون المعونة والطعام لأهل الحاجة دون مسألة، ولم يَحتج الرسول إلى جبر أو إكراه ولم يصادر مال أحد، ولا قتل إنساناً قَتْلاً اعتباطياً، وقد أخذتْ تتردد أخبار الجماعة الجديدة والتي عَبّرَ عنها القرآن الحكيم بقوله: **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾**(٢) في أنحاء جزيرة العرب، وفي غيرها من البلاد المحيطة ذات الحضارة العريقة (كما تَدَّعى).

يُطلّ الزمان الجديد:

وقد شعر الجميع بأن زماناً جديداً أطل عليهم فتهافتت القلوب إلى الإسلام، وأخذ الناس يلتفون حوله بالرضا والطاعة، ولذا أخذت القبائل والبلاد والجماعات المحاربة للإسلام تتساقط أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبب شعبية الحاكم وحرية الشعب الممتزجة بالإيمان والفضيلة والتقوى والتعاون، وحب الخير كما قال تعالى: **﴿إذا جاء نصر الله والفتح* ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً* فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾**(٣).

نبذة من سيرة الرسول(ص)

وإليك نبذة من سيرته الطاهرة مما يجب أنْ تجعلَها الحركة الإسلامية التي

---

(١) الإنسان: الآية/ ٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية/ ١١٠.

(٣) سورة النصر.

تريد حكومة البلاد، وإنقاذ العباد أسوةً ويتخذها في كل أمورها سواء قبل الوصول إلى الحكم أو بعده. إنه ﷺ كان شديد التواضع يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب شاته، ويسير في خدمة أهله سيرةً جميلة، يُحبُّ الفقراء والمساكين، ويجلس معهم، ويعود مرضاهم ويشيّع جنائزهم، ولا يحقر فقيراً أوقعه الفقر، ولا يُعظمّ غنياً لغناه، يُقبلُ المعذرة، ولا يقابل أحداً بما يكره، ويمشي مع الأرملة، ومع العبيد، لا يهاب الملوك والأُمراء، ولا يستحقر الضعفاء، يمشي خلف أصحابه، ويقول: (خلّوا ظهري للملائكة الروحانية) وأحياناً يمشي في وسطهم.

تواضع الرسول(ص)

يركب البعير والفرس والبغلة، وَيَعْصّب على بطنه الحجر من الجوع، يبدأ من يَلقاهُ بالسلام، ويطيل الصلاة إذا صلى وحده أما إذا صلى جماعة فيخفف ملاحظة للمأمومين، ويقصر الخطب في الجمعة وغيرها لئلا يملّوا، ويألف أهل الشرف، ويكرم أهل الفضل، ويمزح ولا يقول إلا حقاً، وكان يقول في الشدائد التي تردُ عليه من الجاهليين، (اللّهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون)[1] فلا يدعو عليهم، ولما كُسرتْ رباعيته، وشُجَّ وجهُهُ يوم أُحُد شَقَّ ذلك على أصحابه، وقالوا (لو دعوتَ عليهم يا رسول الله)، فقال ﷺ (إني لم أُبعث لعّاناً، ولكني بُعثتُ داعياً ورحمة، اللّهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون)[2] فقال له أصحابه: يا رسول الله لقد وطيء ظهرك وأدميَ وجهك، وكُسرتْ سنك فأَبيت إلاّ أنْ تقول خيراً، فقلت: (اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).

وهكذا كان ﷺ، فإنه لم يقتصر على السكوت عنهم، بل عفا عنهم وأشفق عليهم ورحمهم ودعا لهم، ثم اعتذر عنهم بقوله ﷺ (فإنهم لا يعلمون) كالأُب الشفيق الرؤوف.

الرسول(ص) الأب الشفيق

وروىٰ بعض أصحابه، أنّه كان واضعاً عليه ذات مرة بُرْدٍ غليظ الحاشية فجذَبَهُ أعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه، ثم قال: يا محمد احمل لي علىٰ بعيريَّ هذين مِنْ مال الله الذي عندك، فإنك لا

(١) البحار: ج ٢٠ ص ٢١.

(٢) أنظر صحيح مسلم: ج ٤ ص ٢٠٠٧ ح ٨٧ والبحار: ج ٢٠ ص ٢١.

تحمل لي مِنْ مالك، ولا مال أبيك، فسكتَ النبي ﷺ، ثم قال: المال مالُ الله، وأنا عبدُه، وهل أقاصّك يا أعرابي ما فعلتَ بي؟

قال الأعرابي: لا.

قال ﷺ: وَلِمَ؟

قال: لأنك لا تكافىء السيئة بالسيئة، فضحك النبي ﷺ ثم أمر أن يحمل له على بعيرٍ الشعيرَ وعلى الآخر التمرَ[1].

الرسولُ(ص) يقابل الأَذى بالرحمة

ولقد آذاه قومُهُ بكلِّ أنواع الإذى من البصق في وجهه، وإفراغ أحشاء الشاة على رأسه، وَوَطْىءِ ظهره، وجعْلِ الأشواك في طريقه، ومصادرة أمواله، وتهجيره، والمؤامرة عليه، وقَتْلِ عمّه وبنته وحفيدته وأصحابه، والإستهزاء به، وقالوا: ساحر ومسحور ومجنون وشاعر وكاهن، مسَّهُ بعضُ آلهتنا بسوء، إلى غير ذلك من الأذى، حتى قال ﷺ: (ما أُوذِيَ نبيُّ مثل ما أُوذيت)[2] فصبَرَ على تلك الشدائد الصعبة إلى أنْ أظهره الله عليهم، وحكّمه فيهم وهم لا يشكّون في استئصال شأفتهم، وإبادة جماعتهم، ومصادة أموالهم.

الرسول(ص) يَصفحُ عنْ أهلِ مكة

فما زاد على أنْ صفح وعفا، وقال لهم: ما تقولون إني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً أخ كريم، وآبنُ أخ كريم.

فقال ﷺ أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اذهبوا فأنتم الطلقاء وعفا ﷺ عن جميعهم حتى عن أشد الأعداء كأبي سفيان وهند.

وقد أباح دم جماعة منهم وأمر بقتلهم، حيث إنهم كانوا جرثومة الفساد وعَيْنَ الإنحراف، لكن بعد ذلك عفا عنهم كعكرمة بن أبي جهل، . وكان يشبه أباه في إيذاء رسول الله ﷺ وعداوته، والإنفاق على محاربته ـ وصفوان بن امية بن خلف، وكان شديداً على النبي ﷺ وكان يُمَوِّن جيوش المشركين بمختلف التموين (مما يصحّ أن يقال له في مثل هذا اليوم بأنّه كان وزير دفاع الكفار).

---

(١) أنظر البحار: ج ١٦ ص ٢٣٠ ح ٣٥.

(٢) كنز العمال: ج ٣ ص ١٣٠ ح ٥٨١٧ ـ ٥٨١٨.

الرسول(ص) يعفو عن قاتل بنته وعمه

و(كهبّار بن الأسود) الذي روّع زينب بنته عليها السلام، فألقت ما في بطنها، وماتت بعد مرض، فأباح رسول الله دمه ثم انه لما عرف أنَّ الرسول يعفو جاء إليه، واعتذر من سوء فعله، وقال: كنّا يا نبي الله على شِركٍ فهدانا الله تعالى بك وأنقذنا مِن الهلكة فاصفح عن جهلي وعَمّا كان يبلغُك عنّي فإني مُقِر بسوء فعلي معترف بذنبي، فقال رسول الله ﷺ: (قد عفوتُ عنك، وقد أحسن الله إليك، حيث هداك إلى الإسلام والإِسلام يجبّ ما قبله).

وكذلك عفا عن (وَحْشي) قاتل حمزة، فإنه روي إنَّه أسلم، وجاء إلى رسول الله بعدَ أنْ أَمِنَ جانبه، فقال له النبيُّ: أوحشي؟ قال: نعم، قال: أخبرني كيف قتلتَ عمّي؟ فأخبره فبكىٰ ﷺ ثم عفا عنه.

الرسول(ص) يعفو عمّنْ هجاه

وكعبد الله بن الزِبَعرىٰ، وكان يهجو رسول الله ﷺ، ويسيىء القول فيه وفي المسلمين، فلما فُتحت مكة هرب، ثم لمَّا عَرَفَ بأنه رسول رحمة وإنسانية رجع إليه ﷺ واعتذر، فقبل رسول الله عُذره، فأسلم، وقال هذا الشعر:

إنـي لـمـعـتـذر إلـيـك مِـن الـذي ... أسـديـت إذْ أنـا فـي الـضـلال أهـيـمُ
فـاغـفـر فـداً لـك والـديّ كـلاهـمـا ... زلـلـي، فـإنـك راحـم مـرحـوم
ولـقـد شـهـدتُ بـأن ديـنـك صـادق ... حـق وأنـك فـي الـعـبـاد جـسـيـم

وكذلك عفا عن هند مع جرائمها الكثيرة.

الرسول(ص) يتحنّن لحنين امرأة كافرة

وحتى إذا كان قد فات الأوان، وقُتل المجرم، كان ﷺ يتحنن إذا عوتب، فإنه لما قَتَلَ النضر بن حرث ـ وهو من المجاهرين بمعاداة رسول الله ﷺ ـ عند رجوعه من بدر (قتله علي عليه الصلاة والسلام) انشدتْ بنته أو أخته أبيات تحسر وتعطف، والتي منها:

أمـحـمـد ولا أنـت نـجـل نـجـيـبـة ... فـي قـومـهـا والـفـحـل فـحـل مُـعـرِقُ
مـا كـان ضـرك لـو مـنـنـتَ وربّـمـا ... مَـنَّ الـفـتـى وهـو الـمـغـيـظ الـمُـحْـنِـقُ
لـو كـنـت قـابـل فـديـة فـلـنـأتـيـنْ ... بـأعـزّ مـا يـغـلـو لـدى ويُـنـفـقُ
فـالـنـضـر أقـرب مـن أصـبـت وسـيـلـة ... وأحـقـهـم إنْ كـان عـتـق يـعـتـقُ

فلمّا سمع النبي ﷺ الأشعار، قال: لو سمعت هذا من قبل أنْ أقتله ما قتلته.

الرسول(ص) يعفو عن قاتله

وأغربُ مِن كل ذلك عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة، حيث طلبها النبي ﷺ، واعترفت، فقد قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: إنَّ رسول الله ﷺ أُتي باليهودية التي سمَّته في الشاة، فقال النبي ﷺ لها: ما حمَلَكِ على صنعتي؟ فقالت: قلتُ إنْ كان نبياً لم يضرّه، وإن كان مَلِكاً أرحتُ الناس منه، فعفا عنها الرسول ﷺ، وتركها وشأنها، مع العلم أن النبي ﷺ كان مِنْ سبب وفاته سمُّ هذه المرأة له.

الرسول(ص) والسخاء

وكان يقول: أنا أديب الله، وعَلي أديبي، أمرني ربي بالسخاء والبر، ونهاني عن البخل والجفاء، وما شيء أبغض إلى الله عز وجل من البخل وسوء الخلق، وأنه ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العَسَل، وكان يُنفق كل شيء له حتى يبقى هو وأهله جائعين.

وقد روى الإمام الصادق عليه الصلاة والسلام: إن رسول الله ﷺ أقبل إلى (الجعرانة)، فقسَّمَ فيها الأموال (أي أموال حنين وكانت كثيرة جداً) فجعل الناس يسألونه فيعطيهم حتى ألجاوه إلى شجرة، فأخذ بُرده وخدش ظهره من آثار الشجرة، حتى أجلوه عنها وهمْ يَسَألونه؟ فقال: إيها الناس ردّوا عَلَيَّ بُردي، والله لو كان عندي نعماً لقسمته بينكم، ثم ما ألفيتموني جباناً ولا بخيلاً.

وقد قال ﷺ في مرض موته للعباس: يا عمَّ رسول الله: تَقبلُ وصيّتي، وتنجز عدتي، وتقضي ديني؟ فقال العباس: يا رسول الله عمُّك شيخ كبير، ذو عيال كثير، وأنت تباري الريح سخاءاً وكرماً، وعليك وعدُ لا ينهض به عَمُّك.

أقول: إن الرسول ﷺ كما ذكر المؤرخون، كان إذا طُلب منه شيء؟ فإذا كان عنده أعطاه، وإذا لم يكن عنده وَعَدَ، ولمّا لم يقبل العباس وصية الرسول هذه عرضها على عليٍّ عليه الصلاة والسلام فقبلها وعمل بها.

وقد قال جابر بن عبد الله ماسُئِل رسول الله ﷺ شيئاً قط، فقال: لا[1].

---

(١) البحار: ج ١٦ ص ٢٣١ ح ٣٥.

الرسول(ص) يَعِدُ ما لا يقدر عليه في الحال

وقد رُوي كثيراً أنه كان يأتيه الرجل فيقول له: إِعطني كذا، فيقول له: ليس عندي، ولكن إِذا جاءنا شيء قضيناه.

وطلب منه رجل شيئاً ولم يكن عنده فوعَدَهُ وكان أحد الأصحاب حاضراً فقال: يا رسول الله ما كلّفك الله ما لا تقدر عليه، فقال الرجل السائل: يا رسول الله (انفق ولا تخش من ذي العرش إِقلالاً).

فتبسم النبي ﷺ، وعرف السرور في وجهه.

وكان من صفاته ﷺ أنه لا يقطب وجهه، وإِذا قال إِنسان شيئاً يكرهه لم يجابهه بذلك، بل كان يقول: ما بال أقوامٍ يصنعون كذا ويقولون كذا؟ فينهي بدون أن يسمي فاعل الأمر.

مِنْ أخلاقيات الرسول(ص):

وقد كان أجود الناس كفّاً، وأكثر الناس صبراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عِشرةً، مَن رآه هابه، ومَنْ خالطه أحبَّهُ وكان يؤلف الناس ولا ينفّرهم، ويكرم كريم كلّ قوم، ويولّيه عليهم، وكان يقول ﷺ: إِذا أتاكم كريمُ قوم فأكرموه[1]، ويتفقد أصحابه، ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه، مَنْ جالسه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومَنْ سأله حاجة لم يردّه إلاّ بها، أو بميسور مِنَ القول[2].

وكان ﷺ يقول: (ردّوا السائل بشيء قليل، أو بقول جميل).

وكان يقول: (خير الولاة مَنْ جمع المختلف، وشرُّ الولاة مَنْ فرّقَ المؤتلِف).

لا ضريبة على الإِرث

وكان ﷺ يقول: (مَنْ ترك مالاً فلأهله، ومَنْ ترك ديناً فعلي والي)[3].

---

(1) البحار: ج ١٦ ص ٢٣٩ ح ٣٥.
(2) البحار: ج ١٦ ص ٢٣٧ ح ٣٥.
(3) البحار: ج ١٦ ص ٢٥٦ ح ٣٦.

وكان يجيب من دعاه، ويقبل الهدية، ولو كانت كراعا، ويكافىء عليها يغضب لربه، ولا يغضب لنفسه، وكان سهل الخلق، لَيّنَ الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخّاب، ولا فحّاش، ولا عيّاب، ولا مدّاح، يتغافل عمّا لا يشتهي ولا يؤيس منه الخير منه مأمول، والشّر منه مأمون، وقد قال سبحانه فيه: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾**[(1)].

وقال تعالى: **﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾**[(2)].

أخلاق الرسول(ص) حتى مع اليهود

وقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، إنه قال: أن يهودياً كان له على رسول الله دنانير، فتقاضاه، فقال له الرسول ﷺ: يا يهودي ما عندي، فقال: إني لا أُفارقك يا محمد حتى تقضيني، فحَبَسَ رسولَ الله ﷺ حتى صلىَ النبي ﷺ في ذلك الموضع الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ الآخرةَ والغداة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يهدّدونه ويتوعَدونه، فنظر رسول الله ﷺ إليهم، فقال: ما الذي تصنعون به؟ فقالوا: يا رسول الله يهوديٌ يحبسك؟ فقال: لمْ يبعثني ربّي عز وجل لكي أظلم معاهداً ولا غيره. فلما علا النهار قال اليهودي أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وشَطْرُ مالي في سبيل الله[(3)].

النبي(ص) دائم الحركة

أقول: النبي ﷺ لمّا كان كثيرَ الحركة، ويتفقد المَحلاّت، فكان ﷺ، يجعل خَلَفاً له في صلاته في المسجد، كلّما ذَهَبَ إلى مكان، فكأنَّ هذه القضية وقَعَتْ، حيث كان رسول الله ﷺ في تلك المحلاّت التي كان يتفقدها، ولا مانع عند النبي مِن أن يساير يهودياً كمِثلِ هذه المُسايرة حتى يظهر له أخلاق الإسلام لا له فحسب، بل لأهل العالم أجمع، ويسبّبُ بذلك انجذاب الناس إليه.

وقد روى بعض خدمه، أنه قال: خدمتُ رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أفٍ قطّ، وما قال لشيء صنعته، لم صنعته؟ ولا لشيء تركته، لِمَ تركته؟.

---

(1) سورة آل عمران: الآية/١٠٩.

(2) سورة القلم: الآية/ ٤.

(3) البحار: ج ١٦ ص ٢١٦ ح ٥.

وكان مِن عادته أنه يجيب الناس الذين ينادونه بأحسن جواب، فكان إذا ناداه أحد قال له: (لبيك).

وعن جرير بن عبد الله قال: ما حَجَبَني رسول الله ﷺ قطُّ منذ أسلمت، ولا رآني إلاّ تبسم، وكان يمازح أصحابه، ويخالطهم، ويحادثهم، ويداعب صبيانهم، ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة مَنْ دعاه، ويعود المرضى حتى في أقصى المدينة، ويَقبل عذر المعتذر، ولا يترفع على أحد حتى على عبيده، وإمائه في مأكل ولا ملبس(١).

الرسول(ص) يَقضي الحوائج

ولا يأتيه أحدُ إلاّ قام معه في حاجته، ولو كان أَمةً، ولا يجلس متكئاً، ولا يُثبتُ بصره في وجه أحد، ويقبل الهدية ولو كانت جرعة لَبَن.

وروى بعض أصحابه، أنه قال: كان ﷺ إذا فَقَدَ الرجل مِنْ إخوانه ثلاثة أيام سأل عنه، فإنْ كان غائباً دعا له، وإنْ كان شاهداً زاره، وإنْ كان مريضاً عاده(٢)، وكان لا يَدَعُ أحداً يمشي مَعَهُ إذا كان راكباً حتى يحمله معه، فإن أبن قال: تقدّم أمامي وادركني في المكان الذي تريد(٣).

الرسول(ص) يَخدِمُ كأحد أصحابه

وكان يتعاون مع أصحابه، كأنه أحدهم لا يترفّع عليهم في قليل ولا كثير. فقد كان في سفر فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله عَلَيَّ ذبحُها وقال آخر عليّ سلخها، وقال آخر: عليّ طبخها، فقال ﷺ: وعليَّ جمع الحطب، فقالوا: يا رسول الله نحنُ نكفيكَ، فقال: قد علمتُ أنّكم تكفونني، ولكني أكره أنْ أتميز عليكم، فإن الله يكره مِن عبده أنْ يراه مميزاً بين أصحابه، ثم قام فجمع الحطب.

الرسول(ص) لا يستخدم أحداً

وكان في سفرة فنزل إلى الصلاة، ثم كَرَّ راجعاً، فقيل: يا رسول الله أين

---

(١) البحار: الآية/ج ١٦ ص ٢٢٧ ح ٣٤.) مكارم الأخلاق: ص ١٩.
(٢) مكارم الأخلاق: ص ٢٢.
(٣) البحار: ج ١٦ ص ٢٣٥ ح ٣٥.

تُريد؟ قال: أعقلُ ناقتي، قالوا: نحن نعقلها، قال: لا يستعين أحدكم بالناس، ولو في قضمة مِنْ سواك.

وكان إذا استمع إلى أحد يدير رأسه حتى يكون الرجل هو الذي يدير رأسه.

وكان إذا أخذ بيده أحد لا يرسل يده حتى يرسل ذلك الإنسان الآخذ بيده، ﷺ يدَه.

وما قعد إلى رجل قط فقام حتى يقوم ذلك الرجل، ولم يُرَ مقدِّماً ركبتيه بين يدين جليس له، وكان يبدأ مَن لقيه بالسلام حتى الأطفال والنساء، ويبدء أصحابه بالمصافحة.

النبي(ص) يبسط رداءه لضيفه

يُكرم مَن دخل عليه، وربما بسط إليه ثوبه ويُؤثره بفراشه الذي كان تحته يكنّي أصحابه، ويدعوهم بأحبّ أسمائهم، تكرمةً لهم، ولا يقطعُ على أحد حديثه.

وقد روى سلمان (رضوان الله عليه) قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ وهو متكيء على وسادة، فألقاها إليّ، ثم قال: يا سلمان ما مِنْ مسلمٍ دخل على أخيه المسلم فيُلقى له الوسادة اكراماً له إلاّ غَفَر الله له.

وإذا كان يصلّي وجلس إليه أحَد خفف صلاته حتى يفرغ منها مسرِعاً ليسأله عن حاجته فإذا فَرَغَ عن جواب السائل عادَ إلى صلاته.

وكان أكثرهم تبسماً، وأطيبهم نَفْساً.

الرسول(ص) مع الخدم

وكان خدم أهل المدينة يأتون إلى رسول الله إذا صلّى الغداة بأوانيهم وفيها المياه ليغمس يده فيها فيتبركون بتلك المياه، فما يؤتىٰ بآنية إلاّ غَمَسَ يَدَه فيها، وربّما كان ذلك في الغداة الباردة فلا يأبى رسول الله أنْ يغمس يده في تلك الأواني.

الصبي يبول في حجر الرسول(ص) فلا يغضب

وكان ﷺ يؤتى إليه بالصبي الصغير فيدعوا له بالبركة، أو يُسميّه، أو يأذن في أُذنه، فيأخذ فيضعه في حِجره تكرمةً لأهله، وربما بالَ الصبيُّ عليه فيصيح

على الصبيّ بعض من كان حاضراً. فيقول ﷺ: لا تزرموا بالصبي فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ لَهُ مِن دعائه أو تسميته أو أذانه، فيبلغ بذلك سرور أهله إلى ما شاء الله، حيث يرون أنه لا يتأذى ببول صبيّهم، فإذا انصرفوا غَسَلَ ثوبه.

وكان إذا جلس إليه أحد تزحزح له شيئاً، وذات مرة قال له رجل: يا رسول الله في المكان سعة، فقال: نعم، لكن إنّ من حقِّ المسلم على المسلم إذا رآه يريد الجلوس أن يتزحزح له[1].

النبي(ص) يجلب رِضا الناس

وكان لا يترك أحداً حتى يُرضيه، وإذا غضب عليه إنسان ثُمَّ رضيٰ عنه كان يطلب منه: أن يعلن لأصحابه أنه رضيٰ عنه.

وقد ورد: أن أعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً، فأعطاه ثم قال له: أحسنتُ إليك؟ قال الأعرابي: لا ولا اجملت، فغضب المسلمون وقاموا إليه، فأشار إليهم ﷺ انْ كفّوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه وزاده شيئاً ثم قال ﷺ: أحسنتُ إليك؟ قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله مِنْ أهل وعشيرة خيراً.

فقال له النبي ﷺ: إنك قلتَ ما قلت، وفي نفس أصحابي مِنْ ذلك شيء فإنْ أحببتَ فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك؟ قال: نعم.

فلما كان الغداة أو العشي جاء فقال ﷺ: إنَّ هذا الأعرابي قال ما قال فزدناه، إنه رضي أكذلك؟ قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

ثم قال ﷺ لأصحابه: مَثلي ومَثَل هذا مَثَلُ رجلٍ له ناقة هربت منه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها خلّوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم، فتوجه لها بين يديها فأخذلها مِنْ قمام الأرض فردّها حتى جاءت واناخت وشدّ عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار.

الرسول(ص) يأمر الناس بالاحسان

وكان ﷺ إذا أساء أحد الأَدب ردَّهُ رداً جميلاً، وقد روي عن العلاء بن

---

(١) البحار: ج ١٦ ص ٢٤٠ ح ٣٥.

الحضرمي، أنه قال للنبي ﷺ: «إِن لي أهل بيت أحسن إليهم فيسيئون وأَصِلهُم فيقطَعون؟.

فقال رسول الله ﷺ: **﴿إدفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾**[1] فقال العلاء: إني قلت شعراً هو أحسن مِنْ هذا قال ﷺ وما قلت؟ فأنشده شعره، فقال النبي ﷺ: (إن من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً، وإن شعرك لحسن، وإن كتاب الله أحسن).

النبي(ص) يجعل من العدو صديقاً

وفي رواية أن أعرابياً من بني سليم جاء إلى رسول الله ﷺ فلما وقف بإزائه ناداه: يا محمد يا محمد، أنت الساحر الكذاب الذي ما أظلّت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة هو أكذب منك، إنك الذي تزعم أن لك في هذه الخضراء، إلهاً بعث بك إلى الأسود والأبيض، واللاتِ والعزى لولا إني أخاف أن قومي يُسَموّنني العجَول لضربتك بسيفي هذا ضربة أقتلُكَ بها فأَسُودُ بك الأوّلين والآخرين، فوثب إليه أحد الصحابة ليبطش به، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إجلس فقد كاد الحليم أنْ يكون نبياً، ثم التفتَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأعرابي، فقال له: يا أخا بني سليم هكذا تفعل العرب؟ يتهجمون علينا في مجالسنا يجابهوننا بالكلام الغليظ؟ يا أعرابي والذي بعثني بالحق نبيّاً إن من ضرّ بي في دار الدنيا هو غداً في النار يتلظى (الحديث).

وفي أخيره أنه أسلم الرجل وصار داعياً إلى الاسلام في قبيلته فكثر فيهم المسلمون حتى وصلوا إلى خمسمائة إنسان، فكان ذلك ببركة أخلاق رسول الله وحلمه وعفوه وصفحه.

الرسول(ص) لا يستمعُ إلى الوشاة

وكان ﷺ يكرّه أنْ يقال عن إنسان سوءاً، وكان ﷺ يقول: (لا يبلغني أحد منكم عن أحد أصحابي شيئاً، فإني أُحبُّ أنْ أخرج إليكم سليم الصدر)[2].

وقد رَوتْ بعض نسائه قالت: دخل يهودي على رسول الله ﷺ فقال: السام

---

(١) سورة فصلت: الآية/ ٣٤.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ١٧.

عليك، ثم دخل يهودي آخر وقال مثل ذلك (السام بمعنى الموت) فَغَضِبَت الزوجة وقالت: عليكم السام، والغضب واللعنة يا معشر اليهود، يا إخوة القردة والخنازير. فقال لها رسول الله ﷺ: (يا فلانة إنَّ الفحش لو كان مثالاً لكان مثال سوء، إن الرفق لم يوضع على شيء قط إلاّ زانه، ولم يرفع عن شيءٍ الا شانه)[1].

عطف الرسول(ص) على الحيوانات

وكان عطفه حتى على الحيوان، فقد وَرَدَ في حديث: أن رسول الله وضع الإِناء حتى يتوضأ، إذْ لاذ به هرٌ في البيت، فعرف النبي أنّه عطشان فأدنى إليه الإِناء حتى شرب منه الهر، ثم توضأ ﷺ بما فضل.

وقال ﷺ: **﴿لا تُمثلوا ولو بالكلب العقور﴾**.

وذات مرة، كان يأكل التمر ويضع النواة في كفه اليسرى، فمرّتْ من هناك عنزة فأشار إليها بأن تتقدم فتقدمت وأخذت تأكل مِنْ يد رسول الله ﷺ النوىٰ.

ودخل ذات مرة بيتاً فَرَأىٰ ديكاً ولا دجاجة له، فقال لصاحب البيت: (هلا اتخذت لَهُ أهلاً).

الرسول(ص) لا يُزعج الهرة

وكان ﷺ ذات مرة جالساً أو نائماً، فجاءتْ هرّةٌ ونامتْ على كُمِّهِ، فلمّا قام لم يُرِدْ إِزعاج الهرّة فقطع القطعة من كُمّه التي كانت الهرة نامتْ عليها.

وقد وَفَدَ وفد للنجاشي إلىٰ النبّي في المدينة، فقام النبي يخِدمهُم بنفسه فقال له أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله؟ فقال ﷺ: (إنهم كانوا لأصحابنا مُكرِمين إني أحبُّ أنّ أكافئهم).

الرسول(ص) يُكرم أباه وأمّه وُأُختَهُ مِن الرضاعة

ولما جاءت إليه أختُهُ مِن الرضاعة (واسمها شيماء)، بَسَطَ لها رداءه وأجلسها عليه، وقال لها: إن أحببتَ أقمتِ عندي مُكَرمّة محببّة أو زودتُك ورجعتِ إلىٰ قومك! فاختارت قومها فأعطاها شيئاً من المال، فرجعتْ مسرورة.

---

(١) الكافي: ج ٢ ص ١١٩ ح ٦.

وذات مرة كان ﷺ جالساً إذ أقبلتْ امرأة حتى دَنَتْ منه، فقام لها وبسط لها رداءه، فجلست عليه، فسأل بعض الصحابة عن بعضهم مَنْ هذه؟ فقالوا: إنَّها أُمَّهُ التي أَرْضَعَتْهُ(١).

ورُوي أنه كان جالساً يوماً فأقبل أبوه من الرضاعة، فوضع له بعض ردائه فَقَعَدَ عليه، ثم أقبلتْ أمُّهُ من الرضاعة فوضَعَ ﷺ بعضَ ردائه الآخر مِن الجانب الثاني لها فجلستْ عليه، ثم أقبل أخوه مِن الرضاعة، فقام رسول الله فأجلسه بين يديه.

الرسول(ص) يَصِلُ مرضعتَهُ

وكان ﷺ من برّه ووفائه يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب (مرضعته) بصلة وكسوة، وحتى أنها لـمَّا ماتَتْ سأل: مَنْ بقيَ مِن قرابتها؟ وكان يريد أن يوصلها فقيل له: لا أحد مِن قرابتها.

كما أنه ﷺ كان يذكر خديجة بعد وفاتها، وكان يذبح الشاة فيهديها إلى أخلاّئها وفاءاً لها، وقد قالتْ خديجة ﷺ له ذات يوم: أبشرْ يا رسول الله، فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم، وتكسي المعْدَم، وتُقري الضيف، وتعين على النوائب.

وكان ﷺ لا يحب تكليف أحد، فلم يكن يريد أن يقوم له أصحابه إذا ورد المجلس.

مجلس الرسول(ص):

كما أنه كان إذا دخل منزلاً قَعَدَ في أدنى المجلس، وكان يجلس على الأَرض، ويأكل على الأرض، ويقول: إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد.

وذات مرة قالت له امرأة بذّية، وهو يأكل جالساً على الحضيض: يا محمد والله إنك لتأكل أكل العبد، وتجلس جلوسه، فقال لها رسول الله ﷺ: أيُّ عبدٍ أعبد مني!(٢).

---

(١) البحار: ج ١٥ ص ٤٠١.

(٢) مكارم الأخلاق: ص١٦.

تواضع الرسول(ص):

وقد قال الإمام الصادق عليه الصلاة والسلام في وصف الرسول ﷺ، كان يُحبّ الركوب على الحمار موكفاً، والأكل على الحضيض مع العبيد ومناولة السائل بيديه، وكان يركب الحمار، ويردف خلفه عبده أو غيره، ويركب ما أمكنه مِنْ فرس، أو بغلة، أو حمار بدون تكلّف[1].

وكان يومَ بني قريضة على حمار موكف بحبلٍ من ليفٍ عليه أكاف من ليف.

الفضل بن العباس مع الرسول(ص):

وفي حديث عن الباقر عليه السلام قال: خرج رسول الله ﷺ يريد حاجة، فإذا بالفضل بن العباس، قال: فقال: احملوا هذا الغلام خلفي، ثم اعتنق رسولُ الله بيده مِن خلفه الغلام، ثم قال: يا غلام خِف الله تجدْهُ أمامَك، يا غلام خِف الله يكفِكَ ما سواه.

الرسول(ص) يخدم بنفسه في داره:

وكان إذا جاء إلى بيته اشتغل في البيت، فكان في مهنة أهله يقطع اللحم ويجلس على الطعام محقراً، وكان يلطَعُ أصابعه ولم يتجشأ قطّ، يحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويعلف البعير ويعقله، ويعلف ناضحه، ويضع طهوره بالليل بيده، ويجالس الفقراء، ويؤاكل المساكين ويناولهم بيده، قد كان يقضي بالحق، ويحكم بالفصل، فيحبّه أعداؤه وأصدقاؤه، وكان أميناً وفياً صادقاً، حتى كان يُسميّه قومه قبل نبوته الأمين.

الرسول(ص) والأمانة

وروي أنه ﷺ لما أراد الهجرة خلف علياً عليه السلام لقضاء ديونه، وَرَدِّ الودائع التي كانت عنده، ولم يَقُلْ إنه يهربُ مِن شرِّهم لأنَهم يريدون قتله، فمالهُم حلال، لأنهم كفار محاربون.

كان(ص) بعيد المدى:

وكان ﷺ بعيد المدى، ولمّا اختلفت قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع

---

(١) البحار: ج ١٦ ص ٢١٥ ح ٢.

الحجر حكموا بأنْ أول يضعه داخل عليهم، فإذا بالنبي ﷺ يدخل وكان ذلك قبل نبوته، فقالوا: هذا محمد الأمين قد رَضِينا به حكماً.

أعداء الرسول(ص) يعترفون بفضله:

ولم تزل قريش نفسها تعترف له بالصدق والأُمانة وكل فضيلة، حتى أن الأخنس لقي أبا جهل يوم بدر فقال له: يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا، تخبرني عن محمد ﷺ صادق أم كاذب؟ فقال أبو جهل: والله أنَّ محمداً لصادق، وما كذب محمدُ قطّ.

وسأل هرقل عنه أبا سفيان، فقال: هل كنتم تتهمونه بالكَذِبِ قبلَ أنْ يقول ما قال؟ قال: لا.

الرسول(ص) يرعى الغنم

ومن وفائه، أنَّ عمار (رضوان الله عليه) قال: كنت أرْعى غَنَمي قبل الاسلام وكان محمد ﷺ يَرعى أيضاً، فقلت: يا محمد هل لَكَ في فخ فإني تركتها برق؟ قال: نعم فجئتها من الغد، وقد سبقني محمد ﷺ وهو قائم يذود غنمه عن الروضة قال: إني كنت وأعدتك فكرهت أن أرعى قبلك[1].

الرسول(ص) ليّن العريكة:

وكان ﷺ لينٌ العريكة يتحرى أفضل السبل إلى الوصول إلى الصلح والهدف والسلام.

وفي قصة الحديبية دعا رسول الله علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال رسول قريش، وهو سهيل: أما الرحمان فوالله ما أدري ما هو، ولكنْ اكتب (بسمك اللهم)، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمٰن الرحيم، فقال النبي لعلّيٍّ عليه الصلاة والسلام: اكتب بسمك اللهم، ثم قال لعلي اكتب: هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: لو كنّا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: إني لرسول الله وإن كذبتموني، ثم أخذ الرسول بنفسه الكتاب ومحا كلمة رسول الله، ثم كتب علي عليه الصلاة والسلام محمد بن عبد الله مكانه.

---

(١) البحار: ج ١٦ ص ٢٢٤ ح ٢٥.

إلى غير هذا كثير مما يدلّ على شعبيته الواسعة، وأخلاقه الكبيرة، وتواضعه ووفائه وحكومته الرشيدة التي لم يعرف التاريخ قبله مثلها ولا بعده إلاّ في زمان علي عليه الصلاة والسلام، ممّا يجب أن يتخذها الحكام أسوة، إذْ كانوا يريدون الله والدار الآخرة.

لزوم التأسّي بالنبي(ص)

وقد قال علي عليه الصلاة والسلام: «فليتأَسَّ متأسٍ بنبيّه، وإلاّ فلا يأمَنَنَّ الهلكة»[1]. نسأل الله أن يوفقنا لحركة إسلامية عالمية، تنتهي إلى حكومة ألف مليون مسلم، بفضل الإقتداء بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله، وما ذلك على الله بعزيز.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

الفصل الثالث

في نبذة مِنْ سيرة عليٍّ(ع) وحكومته الرشيدة وأقواله المأثورة

ونبدأ هذا الفصل بمقتطفات من فلسفة الحكم عند الإمام عليه الصلاة والسلام في عهده لمالك الأشتر النخعي حين ولاَّه مصر، قال في جملة ذلك العهد الطويل المذكور في نهج البلاغة وغيره:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر، في عهده إليه حين ولاه مصر، أمره بتقوىٰ الله، وإِيثار طاعته، واتباع ما أمر به كتابه.

ثم إعلم يا مالك، إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك مِنْ عدل وجور، وإِن الناس ينظرون مِنْ أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه إلى أمور الولاة قبلك، ويقولون، فيك ما كنت تقول فيهم.

فليكن أحب الذخائر إِليك ذخيرة العمل الصالح[1].

الحاكم والرحمة

أشعرْ قلبك الرحمة لهم فإِنَّك فوقهم.

أنصفْ الله، وأَنصف الناس مِن نفسك، ومِن خاصة أهلك، ومَنْ لَكَ فيه هوىً مِن رعيتك، وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضاء الخاصة، وإِن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة.

وليكن أبعد رعيتك منك أقربهم لمعايب الناس.

إِن شرَّ وزرائك مَنْ كان قبلك للأشرار وزيراً، ومَنْ شركهم في الآثام فلا

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

يكونن لك بطعمة، ثم ليكن أثرهم عندك أقولهم بالحق لك وأرفقهم بأهل الورع والصدق، ثم حثّهم على ألاّ يطروك وألاّ يبحجوك بباطل لم تفعله[١].

لا يتساوى المحسن والمسيء

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فإِنَّ في ذلك تزهيداً لأهل الإِحسان في الإِحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على ذلك، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه[٢].

احسان الحاكم إلى الناس

وأعلم أنه ليس شيء أدعى إلى حسن ظنّ والٍ برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤنات عليهم.

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة وصلحت عليه الرعية، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء[٣].

الرعية طبقات

وأعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلاّ ببعض، ولا غنى لبعضها عن بعض، فمنها الجنود، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل وعمال الإنصاف وأهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة، وكل قد سمّى الله له سهمه ووضعه على حده وفرضه في كتابه، أو سنة نبيه[٤].

استقامة العدل

إن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية.

كيف يكون القاضي؟

اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تحكمه الخصوم.

ثم انظر أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.
(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.
(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.
(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

اسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم.

وحجة عليهم إن خالفوا أمرك، ثم تفقد أعمالهم[1].

الرقابة على الموظفين

وأبعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في إصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج.

الاهتمام بالتجار

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوصِ بهم خيراً، وأعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة، فامنع عن الاحتكار فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه من غير اسراف[2].

الطبقة المحرومة

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين اجعل لهم قسماً من بيت المال ولا تشخص عنهم، ولا تصعّر خدك لهم.

وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم ثقتك من أهل الخشية والتواضع ليرفع إليك أمورهم، واجعل لذوي الحاجات وقتاً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه.

وبعد عنهم جندك وأعوانك من حراسك، وشرطتك حتى يكلمك مكلمهم غير متعتع، ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنهم الضيق[3].

الحاكم بدون حاجب

ولا تطوّلن احتجابك عن رعيتك، فالاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

احتجبوا دونه فيشاب الحق بالباطل، وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس من الأمور.

ثم إن للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال.

والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد(١).

الوفاء بالعهد

وحق عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة.

فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود.

ولا تخفر بذمتك، واياك والدماء وسفكها بغير حلها، ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد(٢).

اخلاقيات الحاكم

واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء.

واياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك.

واياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التساقط فيها عند إمكانها فضع كل أمر موضعه.

أنبذ حمية أنفك وسيرة حدك وسطوة يدك وعزب لسانك.

واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار(٣).

كتابه(عليه السلام) إلى رفاعة

وكتب عليه السلام إلى رفاعة لما استقصاه على الأهواز كتاباً فيه: ذر المطامع وخالف الهوى وزين العلم بسمت صالح.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.
(٢) نهج البلاغة: االكتاب ٥٣.
(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

نعم عون لدين الصبر، لو كان الصبر رجلاً صالحاً، اياك والملالة فإنها من السخف والبذاء، لا تحضر مجلسك من لا يشبهك، تخير لودك واقض بالظاهر وفوض إلى العالم ودع عنك الباطن واحسب وأدّ، ليس في الدين أشكال لا تمار فيه سفيهاً ولا فقيهاً، أما الفقيه فيحزنك خيره وأما السفيه فيخزيك شره.

ولا تجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن بالكتاب والسنة، ولا تعود نفسك الضحك، فإنه يذهب البهاء، ويجرأ الخصوم على الأعداء.

تجنب الحاكم الرشوة

أياك وقبول التحف من الخصوم وحاذر الدخلة، من ائتمن امرأة حمق، ومن شاورها فقبل منها ندم، احذر دمعة المؤمن، فإنها تقصف من دمعها، وتطفىء بحور النيران عن صاحبها، لا تبتر الخصوم ولا تنهر السائل، ولا تجالس في مجلس الفقيه غير فقيه، ولا تشاور في القضاء، فإن المشورة في الحرب ومصالح العاجل والدين فليس بالرأي إنما هو الاتباع لا تضيع الفرائض، وتتكل على النوافل، أحسن إلى من أساء إليك.

واعف عمن ظلمك، وارع من نصرك، واعط من حرمك، وتواضع لمن أعطاك، واشكر الله على ما أولاك، واحمد على ما أبلاك.

العلم ثلاثة: آية محكمة، وسنة متبعة، وفريضة عادلة، وملاكهن أمرنا.

شعبية الحاكم

وقد كانت شعبية الحاكم في هاتين الحكومتين إلى أبعد حد يتصور، كما أن حرية الشعب أيضاً كانت إلى أبعد حد تصور، فالشعب كان حراً في تجارته وفي زراعته، وفي صناعته، وفي سفره، وفي إقامته، وفي عمرانه، وفي تجمّعه، وفي ابدائه الرأي، وفي سائر شؤونه، فالأرض لله، ولمن عمرها والمسلمون كلهم عبيد الله، وكان الحاكم يساعد الفقراء والمعوزين في تعمير الأرض: زراعة أو عمارة أو غيرها. ولذا اتسع العمران، ولم يكن هنالك قيد أو شرط، ولا جنسية، ولا جواز، ولا رخصة، ولا هوية، ولا ما أشبه.

الاكتفاء الذاتي في زمن الإمام(ع)

وقد ورد في حديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إني أعطيت كل مَنْ في بلادي المسكن والرزق والماء. وكان ذلك بفضل الحرية الممنوحة مِن

قبل الاسلام التي طبّقها أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، فإذا كانت الأرض لله ولمن عمرها ولم تكن حواجز، فإن كل إنسان يبني لنفسه داراً، إذْ الأجر والجصّ والطين والخشب المحتاج إليها في بناء السقوف والأبواب وما أشبه، كلها من ولائد الأرض وهي سهلة التحصيل وحرية الانسان وعامل الزمن ووجود المواد الأولية ينضم بعضها إلى بعض، وتسبب أنْ يكون لكل إنسان مسكن.

سعة عاصمة الإمام(ع)

ولقد ذكر المؤرخون أن نفوس الكوفة وصلت في أيام الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام إلى أربعة ملايين نسمة.

توسيع البلاد الاسلامية

بينما الكوفة كانت مدينة جديدة البناء لم يَمر على عمرها حتى عشرون عاماً وفي زمان الحجاج بني (واسط)، وصار لهذه المدينة في مدة أقلّ من عشرين سنة ثمانية آلاف شارع، وكانت للبصرة مائة وعشرون ألف نهر، يسقي الأرض.

أمّا بغداد (في عصر الإمام الصادق عليه السلام وما أشبه) فقد كانت نفوسها أكثر من عشرة ملايين، إنَّ مما لا شك فيه أنَّ الحاكم كان جائراً كالحجاج وهارون، لكنَّ القوانين السائدة في البلاد الإسلامية كانت قوانين اسلامية.

دكاكين مجاناً للناس

وقد ورد في التاريخ: إن الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بنىٰ دكاكين في الكوفة، وأعطاها للناس مجاناً بدون أجرة.

أما الرزق والماء فكان كل إنسان يتمكن مِنْ حفر البئر، ومِنْ جَرّ القناة والنهر، كما كان كل إنسان حُرّاً في تجارته يسافر أينما شاء، ويكتسب كيف ما يريد، ويحوز المباحات من معدن وصيد وانتفاع بالأشجار المباحة والغابات وما أشبه، فلماذا لا يكون للناس المسكن والماء والرزق، والوالي لا يتصرف في الأموال حتى بمقدار إنسان عادي.

عليّ(ع) يحكم أكبر دولة في العالم

وهكذا جَرَتْ الأمور بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وَصَلَتْ إلى علي عليه الصلاة والسلام حين كان يحكم أكبر دولة في عالم ذلك اليوم ضاربة من أواسط أفريقيا

إلى أواسط آسيا مما هي في خريطة اليوم عشرات الدول فكانت في تلك الدولة الواحدة الكبيرة: الجنسيات والقوميات واللغات المختلفة وكان البلد في زمان عليه عليه الصلاة والسلام بلداً واحد لا حواجز جغرافية فيه، فكان السائر يسير من مصر إلى الحجاز إلى اليمن إلى العراق إلى الخليج إلى إيران وإلى غيرها، وهو في بلده، والمسلمون كلهم أخوة، أما غير المسلمين فهم نظراؤهم في الخلق.

الامام (عليه السلام) يطلب رضا الله ورضا الناس

وقد كان عليه الصلاة والسلام من أشد الناس مراعاة لرضا الله ورضا الناس، وكان عادلاً عفيفاً زاهداً عن الحطام متخذاً مبدأ الشورى، وإن كان هو خليفة رسول الله حقاً، والمعيّن من قبل الله سبحانه وتعالى صدقاً، لكن مع ذلك لما وصل الحكم إليه لم يقبله إلا بإلحاح من المسلمين واصرار شديد.

الامام (عليه السلام) واختيار الناس

فقد ذكر المؤرخون أنه بعد مقتل الثالث جاءَهُ المسلمون، وفيهم زعماء أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، والذين جاءوا من مصر والكوفة والبصرة وغيرها، فقالوا يا أبا الحسن هل نبايعك؟ فقال عليه السلام: لا حاجة لي في أمركم، فقالوا: ما نختار غيرك فاختلفوا إليه مراراً وتكراراً، وأصروا عليه اصراراً، وخرج عليه السلام إلى السوق فاتبعه الناس وبشّوا في وجهه، وأصرّوا عليه، فدخل حائط بني عمرو وقال لأبي عمرة: أغلق الباب فجاء الناس فقرعوا فدخلوا وفيهم طلحة والزبير، فقالا: يا علي ابسط يدك فبايعه طلحة والزبير وثم الآخرون.

وفي الخطبة الشقشقية تذكير بهذه الحقيقة.

السياسة العامة للإمام(ع)

وقد أوجز الامام سياسته العامة في خطبة خطبها في أوائل استخلافه فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله نزل كتاباً هادياً يبين فيه الخير والشر، فخذوا الخير ودعوا الشر والفرائض أدّوها، واتقوا الله عباد الله في عباده وبلاده فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»[1] وقال للمسلمين عند إصرارهم بأن يبايعوه:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٧.

«دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلين أمراً له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت واعملوا أنّي إن أجبتكم ركبتُ بكم ما أعلم ولم أُصغ إلى قول القائل وعتب العاتب»[1] فلما أصر القوم على مبايعته وقبل دعوتهم وبايعوه، قال عليه الصلاة والسلام: «ذمتي بما أقول رهينة وانابه زعيم إن من صرحت له العِبرَ عما بين يديه من المَثُلات أحجزته التقوى عن تقحم الشبهات، ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم، والذي بعثه بالحق لتبلبلنّ بلبلة، ولتغربلنّ غربلة ولتساطنّ سوط القدر، حتى يعود اسفلكم أعلاكم، وأعلاكم أسفلكم، وليسبقنّ سبّاقون كانوا قد قَصّرُوا، وليقصرن قاصرون كانوا قد سبقوا»[2].

كيف بايعوا الإمام(عليه السلام)؟

وقد وصف عليه السلام في خطبة أخرى كيفية مبايعتهم له، وإصرارهم عليه، وتحقق الشورى بالنسبة إليه بقوله: «وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، ثم تداككتم علي تداك الابل الهيّم على حياضها، وماء وردها حتى انقطع النعل وسقط الرداء ووطىء الضعيف».

وفي خطبة أخرى له: «فما راعني إلا والناس كعرف الضبع ينهالون إلي من كل جانب حتى لقد وطىء الحسنان وشق عطفاى، مجتمعين حولي كربيضة الغنم».

وحتى إن الذين لم يبايعوه كعبد الله بن عمر وغيره تركهم عليه السلام وشأنهم ولم يقل أنه لا بد لهم من المبايعة.

الامام(عليه السلام) لا يقبل الحكم المنحرف

ومن شدة ورعه أنه في الشورى لما أصروا عليه بأن يكون خليفة على شرط كتاب الله وسنة ورسوله وسيرة الشيخين قال: أما كتاب الله وسنة رسوله فنعم وأما سيرة الشيخين فلا، وإنما باجتهاد رأيي.

فقد ترك الخلافة الطويلة العريضة لرفضه شرطاً واحداً هو شرط «سيرة الشيخين»، مع أنه لو كان من أهل الدنيا والمنصب والجاه وما أشبه لكان قبل

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٩.

الشرط ثم تركه، كما هو كذلك بالنسبة إلى كثير من الحكام، بل أقل موظف أحياناً يكذب كذبات للوصول إلى دراهم معدودة وجاه صغير حقير، وقد نرى أن ثالث الخلفاء قبل هذا الشرط الثالث لكنه لم يَفِ به.

الامام(عليه السلام) والخط الصحيح

وحيث رأى الإمام عليه الصلاة والسلام بعد أن بُويع له بالخلافة أن هناك خطين: خط الله والاسلام والقرآن والنبي والأمة، وخط الانحراف الذي حاصله عصيان الله والانحراف عن سيرة الرسول وسحق الضعفاء وتقوية المحتكرين والمستغلين، اختار الخط الأول: مهما جرّ عليه من النوائب والمحن ولذا بقي الإمام عليه الصلاة والسلام شعبياً ـ بالإضافة إلى كونه متّبعاً لمرضات الله سبحانه وتعالى ـ إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم الساعة ولم يُبالِ أن يكون الخط الآخر يحاربُهُ.

الخطوط المنحرفة

(١) ما ظاهره الدين فقط كما في الخوارج.
(٢) أو الدنيا فقط كما في معاوية وأصحابه.
(٣) أو الدين الممزوج بالدنيا كما في أهل الجمل.

الامام(عليه السلام) يعزل قاضيه

وكان عليه السلام حريصاً على العدل حتى أنه عزل قاضيه أبا الأسود الدؤلي مع علمه وعدالته وفضله، وعلّله بأن يعلو صوته صوت الخصمين، فإنه لما عزل أبا الأسود جاءه، وقال يا أمير المؤمنين: لِمَ عزلتني وما خُنت وما جنيت، قال: نعم، ولكن صوتك يعلو صوت الخصمين.

الإمام(عليه السلام) يعاتب واليه

وحتى أنّ واليه على البصرة لما حضر مأدبة بعض فتيانها كتب إليه كتاباً توبيخاً كما يأتي، وكان عليه السلام يراعي رضى الناس إلى أبعد حدّ في إطار رضا الله سبحانه.

أخلاقيات الامام(عليه السلام) في حكومته

وقد كان علي عليه السلام في حكومته يتبع أثار الرسول صلى الله عليه وآله، كما كان قبل حكومته كذلك، فكان علي عليه السلام الحاكم رجلاً عادلاً فاضلاً شعبياً استشارياً إلى

أبعد الحدود، كما أن الشعب في زمان علي عليه السلام - مسلمهم وكافرهم - كانوا في حرية تامة ورفاه شامل من أقصى بلاده عليه السلام إلى أقصى بلاده، وقد تقدم الكلام بأنه كان رئيس أكبر دولة في عالم ذلك اليوم.

نماذج من السيرة العلوية

روى هارون بن عنترة، عن أخيه، عن أبيه، قال دخلت على علي عليه السلام بالخورنق في فصل الشتاء وعليه خلق قطيفة وهو يرعد فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين أنَّ الله جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل هذا بنفسك فقال: والله ما أرزئكم شيئاً وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة.

ويحدث الرواة أن الامام لما دخل الكوفة لم يدخل القصر المبنى للأمراء وإنما آثر أن يسكن مساكن الفقراء.

نعم، بعد ما استتب له الأمر وظهرت الأمور، مداخلها ومخارجها كان يسكن في بيت الامارة، لكن بين الامارة في أيام الامام لا حاجب له، ولا تشريفات، وإنما كانت محلاً لقضاء حوائج الناس.

مَأكل الإمام(عليه السلام)

وروى النضر بن منصور، عن عقبة بن علقمة قال: دخلتُ على علي عليه السلام فإذا بين يديه لبن حامض آذتني حموضته وكسرة يابسة، فقلت: يا أمير المؤمنين أتأكل مثل هذا؟ فقال لي: يا أبا الجنوب كان رسول الله يأكل أيبس مِن هذا، ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه، فإن لمْ آخذ بما أخذ به خفت ألاَّ ألحق به.

عَدْل الإمام(عليه السلام) في المال

وذكر عاصم بن كليب، عن أبي، أنه قال: قدم على علي عليه السلام بمالٍ من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم (لأنه كانت في الكوفة سبع محلات) فوجد فيه رغيفاً فقسمه على سبعة، ودعى أمراء الأسباع فأقرغ بينهم لينظر أيهم يعطي أولا.

وذكر يحيى بن مسلمة: إن علياً عليه الصلاة والسلام استعمل عمرو بن مسلمة على أصبهان فقدم ومعه مال كثير وزقاق فيها عسل وسمن فأرسلتْ إحدى بنات علي إلى عمرو تطلب منه سمناً وعسلاً، فأرسل إليها ظرف عسل وظرف

سمن، فلما كان الغد خرج الامام علي وأحضر المال والسمن والعسل ليقسم فَعَدَّ الزقاق فنقصت زقين، فسأله عنهما فكتمه، وقال: نُحن نحضرهما فعزم عليه إلاَّ ذكرهما له فأخبره فأرسل علي إلى بنته فأخذ الزِقّين منها فرآهما قد نقصاً فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إلى بنته فأخذها منها ثم قسم الجميع.

وروى سليمان: أنّ علياً عليه الصلاة والسلام لم يَبنِ آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة.

الامام(عليه السلام) يمشي لقضاء حاجة امرأة

وعن الإمام الباقر عليه السلام، إنه رجع علي عليه السلام إلى داره في وقت القيض، فإذا امرأة قائمة تقول: أن زوجي ظلمني وأخافني وتعدى عليّ وحلف ليضربني، فقال: يا أمة الله حتى يبرد النهار ثم اذهبُ معك إنشاء الله، فقالت: يشتدّ غضبه وحَرَدُهُ عَلَيَّ فطأطأ عليه السلام رأسه، ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يَؤخذ للمظلوم حقُّه غير مُتَعْتع، أين منزلك؟ فمضى إلى بابه فوقف، وقال: السلام عليكم فخرج شاب، فقال عليٌّ عليه السلام يا عبد الله، اتقِ الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها، فقال الفتى: وما أنت وذاك، والله لأحرقنها لكلامِك، فقال أمير المؤمنين: آمرك بالمعروف، وانهاك عن المنكر وتستقبلني بالمنكر، وتنكرُ المعروف قال: فأقبل الناس مِن الطرق يقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين، فسقط الرجلُ في يديه، وقال: أمير المؤمنين أقلني عثرتي، فوالله لأكونَنّ لها أرضاً تطأني فأغمد سيفه، وقال: يا أمةَ الله ادخلي منزلك، ولا تُلجئي زوجك إلى مثل هذا أو شبهه[1].

الإِمام(عليه السلام) يرعى اليتامى

وروى أبو الطفيل: أن علياً عليه الصلاة والسلام كان يدعو اليتامى فيطعمهم العَسَل، حتى قال بعض أصحابه: لودَدْتُ إني كنت يتيماً، وكان ذلك منه اقتداءاً برسول الله، حيث كان الرسول صلى الله عليه وآله لا تخلو داره على صغرها مِنْ يتيم، وكان يقول: خير بيوتكم بيت فيه يتيم.

---

(١) البحار: ج ٤١ ص ٥٧ ح ٧.

الإمام(عليه السلام) يعفو عن المذنب

وكان ﷺ يدفع السيئة بالحسنة، وقد بعث أمير المؤمنين إلى لَبيدِ بنِ عطارد التميمى (في كلام بلغه) فَمَرَّ به إلى أمير المؤمنين في بني أسد، فقام إليه نعيم الأسدي فافلته، فبعثِ أمير المؤمنين فأتوه بنعيم، وأمرَ به أنْ يضرب فقال له نعيم: إن المُقامَ معكَ لذُلّ، وإنَّ فراقك لكفرٌ فلمّا سمع ذلك منه قال: قد عفونا عنك، إن الله عز وجل ليقول: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾[1] أما قولك إن المقامَ معك لذل فسيئة اكتسبتَها، وأما قولك: إن فراقك لكفر فحسنةً اكتسبتَها فهذه بهذه.

أقول: أخطأ الرجل في زعمه (ان المقام مع علي لذل) فإن الإنسان الذي لا يريد العدالة إذا أرغم على العدالة رآه ذلا، فهل كان من الحق أن يفلت مجرماً؟.

لباس الإمام(عليه السلام) المرقع

وقال عليه السلام في كلمة له: لقد رّقعتُ مدرعتي هذه حتى استحييتِ مِنْ راقعها.

وعن السيد بن طاووس، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: تزوجتُ فاطمة عليها السلام وما كان لي فراش.

وجاء في بعض التواريخ: إن الإمام جاء بالرمل ففرشه في غرفته ليلة زواجه بها عليها الصلاة والسلام.

الامام(عليه السلام) يَعرِضُ سيفَه للبيع لطعامه

وذات مرة عرض سيفه للبيع قائلاً: «من يشتري سيفي، ولو كان عندي عشاء ما بعته». وهو عاصمته في الكوفة والمال يَدُرُّ عليه مِن كل جانب ومكان.

وفي مرة أُخرى عَرَضَ سيفه على البيع، وقال: مَنْ يشتري سيفي ولو كان عندي ثمنُ أزار ما بعته.

الإمام (عليه السلام) لا يضع لبنة على لبنة

وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه ولي خمس سنين ما وضع آجرة ولا لبنة، ولا أقطع قطيعاً، ولا أورث بيضاء ولا حمراء.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية/ ٩٦.

وعن الأصبغ بن نباتة، أنه قال علي عليه السلام لأهل البصرة: دخلتُ بلادكم بأسمالي هذه ورحلي وراحلتي، فإنْ أنا خرجت مِنْ بلادكم بغير ما دخلت فإنني مِن الخائنين.

وفي رواية أُخرى، أنه قال: يا أهل البصرة ما تنقمون منّي إنّ هذا لمن غزل أهلي، وأشار إلى قميصه.

غذاء الامام (عليه السلام)

وفي رواية أنه ترصد عمرو بن حريث غذاءه فأتى له بجراب مختوم فأخرج منه خبزاً متغيّراً خشناً، فقال عمرو لخادمته: يا فلانة لو نَخَلْتِ هذا الدقيق وطيبتيه، قالتْ: كنتُ أفعل فنهاني، وكنت أضعُ في جرابهِ طعاماً طيّباً فختم جرابه. ثم إن أمير المؤمنين فتّهُ في قصعة وصَب عليه الماء، ثم ذَرَّ عليه الملح، فلمّا فرغ من الأكل توجه إلى عمرو قائلاً: فقد خانت هذه ومدّ يده إلى محاسنه وخسرت هذه أن أُدخلها النار مِن أجل الطعام، وهذا يجزيني.

ورأه عَدِي بن حاتم، وبين يديه قراح ماء وكسرات خبز شعير ومِلْح فقال: إني لا أرى لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً، وبالليل ساهراً مكابداً، ثم يكون هذا فطورَك؟ فقال عليه السلام شعراً:

علّم النفس بالقنوع والا ... طَلَبَتْ منك فوق ما يكفيها

الإمام(عليه السلام) يختار الثوب الأرخص

ونظر علي عليه السلام إلى فقير خُرِقَ كم ثوبه، فَخَرَقَ عليه السلام كُم قيمصه وألقاه إليه ـ وكأنه أراد أنْ يُرقعه به ـ.

وفي رواية الامام الباقر: أن علياً عليه السلام أتى البزازين، فقال لرجل: بِعني ثوبين؟ فقال الرجل يا أمير المؤمنين: عندي ما تريد، فلمّا عرفه مضى عنه فوقف على غلام فأخذ ثوبين أحدُهما بثلاثة دراهم، والآخر بدرهمين، فقال: يا قنبر خذْ الذي بثلاثة، فقال قنبر: أنت أولىٰ به، تصعد المنبر وتخطب الناس، فقال: أنت شاب ولك شَرَهُ الشباب، وأنا أستحيي منْ ربي أن أتفضّل عليك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ألبسوهم مما تلبسون، وأطعموهم ممّا تأكلون» فلمّا لبس علي عليه السلام القميص مَدَّ كُمّ القميص فأمر بقطعه واتخاذه قلانس للفقراء، فقال الغلام: هلمّ اكفه ـ أي أخيطه؟ قال: دعه كما هو، فان الأمر أسرع من ذلك فجاء أبو

الغلام البائع للثوب فقال: إنَّ ابني لم يعرفك، وهذان درهمان ربحهَما، فقال: ما كنت لأفعل قد ماكسته وماكسني وأتفقنا على رضا.

لم يشبع الإمام(عليه السلام) قط

ويروي إبن أبي الحديد أنه ما شبع عليه السلام من طعام قطّ، وكان أخشنَ الناس اداماً وملبساً.

وروى عبد الله بن أبي رافع قال: دخلتُ إليه يوم عيد فقدم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابس مرضوض فأكل منه، فقلت: يا أمير المؤمنين، فكيف تختمه؟ فقال: خفت هذين الولدين، أي الحسنين أن يلتاه بسمن أو زيت.

وكان ثوبه مرقعاً بجلد تارة وليف أخرى ونعلاه مِن ليف، وكان يلبس الكرباس الغليظ فإذا وَجَدَ كمَّهُ طويلاً قطعه بشفره، وكان يأتدِم إذا ائتدم بِخَلٍّ أو بملح، فإن ترقيٰ عن ذلك فببعض نبات الأرض، فإن أرتفع عن ذلك بقليل فمن ألبان الابل، ولا يأكل اللحم إلا قليلاً، ويقول: لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوانات.

الإمام(عليه السلام) يأكلُ اللحم كل سنة مرة

وفي رواية أنَّه عليه الصلاة والسلام كان يأكل اللحم كلَّ سنة مرة في عيد الأضحى، ويقول: إني أعلم أن الكل يأكلون اللحم في هذا اليوم، فكان تركه اللحمَ لمواساة المسلمين وسائر من في بلاده.

الإمام(عليه السلام) يخدمُ الضيف

ومِنْ تواضعه عليه السلام أنَّه ورَد عليه أبٌ وابنٌ، فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر المجلس وجلس بين أيديهما، ثم أمر بطعام فأحضر فأكلا منه، ثم جاء قنبر بطشت وإبريق خشب ومنديل لليَبَسِ وجاء ليصبَّ على يد الرجل فقام أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الإبريق ليصبَّ على يد الرجل، فقال الرجل يا أمير المؤمنين الله يَراني وأنت تصبُّ على يدي الماء؟ قال: اقعد واغسل، فإن الله عز وجل يراك وأخوك الذي لا يتميز عنك ولا يتفضل عليك يخدمك، يريد بذلك في خدمته في الجنة، مثل أضعاف عدد أهل الدنيا وعلى حسب ذلك في مماليكه فيها، فقعد الرجل فقال له علي عليه السلام: أقسمتُ بعظيم حقّي الذي عرفته لما غسلتَ مطمئناً كما كنت تغسلُ لو كان الصابُّ عليك الماء قنبر، ففعل الرجل

ذلك، فلمّا فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنيفة، وقال: يا بُنّي لو كان هذا الإبن حضرني دون أبيه لصببت على يده، ولكن الله عز وجل ليَأبىٰ أن يسُوى بين آبن وأَبيه إذا جمعهما مكان، ولكن صَبُّ الأب على الأب فليصبّ الابن على الإبن، فصبَّ محمد بن الحنفية على يد الإبن[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطبُ ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز[2].

الإمام(عليه السلام) يشتري من السوق بنفسه

وروي: أن علياً اشترى تمراً بالكوفة، فجعله في طرف ردائه، فتبادر الناس إلى حمله، وقالوا: يا أمير المؤمنين نحن نحمله؟ فقال عليه السلام: رَبُّ العيال أحق بحمله.

وفي رواية: إنه كان يحمل التمر والملح بيده، وكان ينشد هذا الشعر.

لا ينقص الكامل مِن كماله   ما جَرّ مِنْ نفع إلى عيالِهِ

وكان عليه الصلاة والسلام، كما يروي زيد بن علي يمشي في خمسة مواضع حافياً، ويعلق نعله بيده اليسرى: يوم الفطر، والنَحْر، والجمعة، وعند العيادة، وتشييع الجنازة، ويقول: إنها أحبُّ مواضع لله، وأحبُّ أنْ أكون فيها حافياً.

أقول: الفطر والنَحْرِ والجمعة تواضع لله سبحانه وتعالى، والعيادة وتشييع الجنازة تواضعُ للمؤمن.

الإمام(عليه السلام) يمشي وحده

وكان عليه السلام يمشي في الأسواق وحده، ولا يترك أحداً يمشي معه، وكان يرشد الضال، ويعين الضعيف، وَيمُرَّ بالدكاكين، ويفتح عليهم القرآن ويقرأ يريد بذلك إرشادهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وكان لا يردْ السيئة إلاّ بالحسنة.

الإمام(عليه السلام) مع عثمان

وقد روى قنبر قال: دخلت مع أمير المؤمنين عليه السلام على عثمان فأَحَبَّ

---

(١) البحار: ج ٤١ ص ٥٥ ح ٥.

(٢) البحار: ج ٤١ ص ٥٤ ح ١.

الخلوة فأومأ إليَّ بالتنحّي، فتنحيتُ غير بَعيد، فجعل عثمان يعاتبهُ وهو مطرق برأسه، فأقبل إليه عثمان وقال: مالَكَ لا تُجيب؟ قال عليه السلام: ليس جوابك إلا ما تكره، وليس لك عندي إلاّ ما تُحبّ، ثم خرج قائلاً:

ولـو أنـنـي جـاوبـتـهُ لأمـضّـه نـوافـذ قـولـي واحـتـضـار جـوابـي
ولكنني أُغضى على مَضَض الحشا ولـو شـئـتُ إقـداما لأنـشـبَ نـابـي

الإمام(عليه السلام) وبعض الخوارج

ورُويَ: أنَّ امرأة جميلة في الكوفة مرَّتْ قرب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهو جالس مع جماعة، فرمقها بعض القوم بأبصارهم، فنهاهم أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك قائلاً: أن أبصار هذه الرجال طوامح، وإن ذلك سبب هلاكها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلتمس أهله، فإنما هي امرأة كامرأة، فقال رجل مِنْ الخوارج: قاتله الله من كافر ما أفقهه: فوثب القوم إليه يريدون تأديبه، فقال عليه السلام ناهياً لهم: رويداً إنما هو سَبٌّ بسب، أو عفوٌ عن ذنب، ثم عفا عنه وتركه وشأنه.

الإمام(عليه السلام) وابن كَوّا المنافق

وفي رواية: أنه كان في صلاة الصبح، فقرأ ابن كوا (وكان من المنافقين): **﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين مِن قبلك لَئِنْ أشركتَ ليحبطنّ عملك، ولتكونن من الخاسرين﴾**[1] معرِّضاً بالإمام، وأنه قد أشرك بقبوله التحكيم، كما كان هكذا رأي الخوارج، فأنصتَ علي عليه الصلاة والسلام لقراءة القرآن اتباعاً لقوله تعالى: **﴿وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وانصتوا﴾**[2] حتى فرغ ابن كوّا من الآية، ثم عاد ابن كوا في قراءتها، فأنصتَ الإمام أيضاً، ثم قرأ الإمام فأعاد ابن كوا المرة الثالثة فأنصتَ علي عليه السلام وبعد ذلك قرأ هذه الآية المباركة: **﴿فاصبر إنَّ وَعْدَ الله حقّ ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون﴾**[3].

---

(١) سورة الزمر: الآية/ ٦٥.
(٢) سورة الأعراف: الآية/ ٢٠٤.
(٣) سورة الروم: الآية/ ٦٠.

الإمام(عليه السلام) يرَعى الضعفاء

وفي رواية: أن أمير المؤمنين عليه السلام مَرّ بأصحاب التمر، فإذا هو بجارية تبكي، فقال: يا جارية ما يبكيك؟ فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعتُ مِن هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتيته به أبى أن يقبله، قال عليه السلام: يا عبد الله إنها خادمة وليس لها أمر فأردد إليها درهمها وخذ التمر، فقام إليه الرجل فَلَكَزَ الامام فتوجّه الناس إليه وقالوا: هذا أمير المؤمنين، فاصفّر لون الرجل خوفاً وأخذ التمر ورد إليها درهمها، ثم قال يا أمير المؤمنين: إرض عني، فقال عليه السلام: ما أرضاني عنك إنْ أنت أصلحت أمرَك.

وفي رواية إخرى: إذا وفيت الناس حقوقهم.

الإِمام(عليه السلام) يعفو عِنْ مجرمي الحرب

ولمّا انتهت حرب البصرة، وظفر بعائشة وأصحابها أكرمها وبعث معها إلى المدينة أربعين امرأة من نساء عبد القيس عممهن بالعمائم وقلدهنّ بالسيوف حتى يتصور القوافل أنهم رجال احتراماً لعائشة، ولمّا كانت ببعض الطريق ولم تكن تعلم أنهن نساء تأفّفت قائلة: هَتَكَ ستري، وَوَكَلَ بي الرجال، لكن النساء لم يظهرن لها أنهن نسوة، فلما وَصَلَتْ إلى المدينة ألْقَتْ النساء عمائمهن وقلن لها: إنما نحن نسوة.

ومِنْ هذا الحديث يظهرُ أنهّن في أوقات الصلاة ونحوها كُنَّ يُخفين أنفسهن عنها.

وقد حارَبهُ عليه السلام أهل البصرة ظلماً واعتداءاً وجرّدوا السيوف عليه وسبّوه، فلّما ظفر بهم رفع السيف عنهم، ونادى مناديه في أقطار العسكر: ألا لا يُتْبَعُ مُدْبر، ولا يُجهز على جريح، ولا يقتل مستأسر، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن تحيز إلى عسكري فهو آمن.

ولَمّ يأخذِ الإمام أثقالهم، ولا سَبّ ذراريهم، ولا غَنَمَ شيئاً مِنْ أموالهم بل أبى إلاّ الصفح والعَفْوَ، وقال: مَنَنْتُ على أهل البصرة، كما منَّ رسول الله على أهل مكة.

عَدَمَ اهتمام الإِمام(عليه السلام) بالمال

وكان عدم اهتمامه بالمال شيئاً قل مثيله.

فقد سأله أعرابي شيئاً، فأمر له بألف، فقال وكيله: مِنْ ذهب أو فضة؟ فقال

عليه السلام: كلاهما عندي حَجَر، اعط الأعرابي أنفعهما له.

وقال للامام لآبنُ الزبير: إني وجدت في حساب أبي أنَّ له على أبيك كذا من المال فقال له: إنْ أباك لصادق إن قال هذا، فقضى ذلك، ثم جاءَهُ ابن الزبير قائلاً: غلطت فيما قلت، إنما كان لوالدك على والدي ما ذكرته لك، فقال: والدك في حِلّ، والذي قبضته منّي هو لك.

وكان عليه السلام يكدّ بكد يَدِهِ، ثم إذا جمع مالاً اشترى عبداً فأعتقَهُ في سبيل الله.

الإمام(عليه السلام) يعمل بيده

وروي: أنه كان يسقي بيده النخل لبعض مَن في المدينة حتى مجلت يداه ثم كان يتصدق بالأجرة للفقراء.

وكان يَشُدُّ على بطنه حجراً، كما كان يعمل الرسول صلى الله عليه وآله وقاية مِن المرض، فإن البطن الجائع معرّض للمرض.

احتياط الإمام(عليه السلام) في أموال المسلمين

وكان يحتاط لمال المسلمين إلى حَدٍّ يحدِّثُنا التاريخ أنه دخل عليه عمرو ابن العاص ليلةً وهو في بيت المال، وكان الامام ينظر في أموال المسلمين وحساباتهم، وعنده سراج يضيء بزيت، وقد اشترى زيت السراج من بيت المال، ولما دخل ابن العاص، وأراد أن يتحدث مع الإمام في بعض الشؤون أطفأ الامام السراج، وجلس في ضوء القمر، فلم يستحل أن يجلس في ضوء مصباح زيته من أموال المسلمين بغير استحقاق.

وبنى عليه السلام موضعاً تحبس فيه الإبل والغنم الضالة وسماه المربد، فكان يعلف الحيوانات حتى يجد صاحبها أو يعطيها في سبيل الله إذا لم يجد صاحبها.

شدّة رقابة الامام(عليه السلام) على موظّفيه

وكان مِن شدة رقابته على ولاته وقضاته وعماله أنه رَوَتْ سوَدَةُ بنت عمارة الهمدانية، أنها دخلت على معاوية بعد موت علي عليه السلام فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين، ثم قال معاوية لها: ما حاجتك؟ قالت: إن الله مسائلك عن أمرنا، وما أفترض عليك مِنْ حقّنا، ولا تزال تُقدِم علينا مِن قِبَلِكَ مَنْ يسمو

بمكانك، ويبطش سلطانك فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف، ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا، فإن عزلته شكرناك وإلاّ كفرناك، فقال معاوية: إياي تهدّدين بقومك، يا سودة، وقد هممت أن أحملك على قتب اشوس فأردّك إليه فينفذ فيه حكمه، فأطرقت سودة وأنشدت:

صلى الإله على روح تضمنها قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والايمان مقروناً

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟

قالت: هو والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والله لقد جئته في رجل كان قد ولاّه صدقاتنا، فجارَ علينا، فصادَفْته قائماً يصلّي، فَلَمّا رآني أنفتل مِن صلاته، ثم أقبل علي برحمة ورفق ورأفة وتعطّف، وقال: ألَكَ حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكى، ثم قال: اللّهم أنت الشاهد عَلَيَّ وعليهم، إني لمْ آمرهم بظلم خلقك، ثم أخذ قطعة جلد فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: **﴿قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾**[1] فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك مِنْ عملنا، حتى يقْدمَ عليك مَن يقبضه منك والسلام.

ثم دفع الرقعة إليّ، فوالله ما ختمها بطين ولا خزنها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنّا معزولاً.

الإمام(عليه السلام) كيف كان يجمع الضرائب؟

أما كيفية جمعه للمال الواجب على الناس (وليس ذلك إلا الخراج والزكاة والخمس والجزية) وقد تقدم أنه لا ضرائب في الاسلام اطلاقاً إلا هذه أما الماليات والتي تُسمى اليوم بالضرائب، مما تأخذه الدول قهراً وظلماً من الناس (ومنها الجمارك) فهي محرمة، فقد روي في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال بعث أمير المؤمنين منَ يجمع صدقات الزكاة من الكوفة إلى أطرافها، فقال له:

(١) سورة الاعراف: الآية/ ٨٥.

يا عبد الله انطلق وعليك بتقوى الله وحده لا شريك له، ولا تُؤثِرَنّ دنياك على آخرتك، وكنْ حافظاً لما ائتمنتك عليه مُراعياً لحقِّ الله فيه حتى تأتي نادي بني فلان فإذا قدمت فأنزل بمائهم من غير أنْ تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بِسَكينة ووقار حتى تقوم بينهم وتسلمّ عليهم، ثم قل لهم: يا عباد الله أرسلني إليكم ولي الله لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم مِنْ حُق فتؤدونه إلى وليه؟ فإن قال القائل لك: لا، فلا تراجعه، وإنْ أنعم لك منعم فانطلق معه مِن غير أنْ تُخيفه أو تَعِدَهُ إلاَّخيرا.

فإذا أتيتَ ماله فلا تدخلْه إلا بإذنه، فإنَّ أكثره له فقل: يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالِك؟ فإن أذن لك، فلا تدخله دخول مُتسلِّط عليه فيه، فاصدع المال صدعين، ثم خيره، أيَّ الصدعين يختار؟ فأيهما اختار فلا تعرض له، ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره، فأيهما اختار فلا تعرض له ولا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله تبارك وتعالى في ماله، فإذا قبضته فأت به إلينا، وإن استقالك فأَقله ثم اخلطهما واصنع مثل الذي صنعتَ أولا حتى تأخذ حَقَّ الله في ماله، إلى آخر الحديث.

اَلناس يُعطون الضرائب برضا

وربما يُتوهم أنه إذا كان كذلك فسوف لا يُعطي الناس الأموال؟ والجواب: إن إيمانهم هو الذي يبعثهم على إعطاء المال كما نشاهد الآن بعض الناس يُعطون أموالهم لمراجع التقليد لأن إيمانهم يبعثهم على ذلك، بدون جبر ولا إكراه.

الإِمام(عليه السلام) يوصي لقاتله

وكان مِن شفقة الإِمام عليه الصلاة والسلام على الناس حتى بأعدائه، أنه لما ضربه ابن ملجم أُتيَ به أسيراً فحبس في بعض غرف البيت، وكان الناس يأتون إلى الامام باللّبَنِ (لأنه يدفعَ السمّ) فكان إذا شربه يبقى فيه بقية ويقول: اطعموا أسيركم (يعني ابن ملجم).

وجيء إليه مرة بشربة وكانت قليلة فشربها كلها، فقال لوِلْده: اعلموا أنه شربت الجميع ولم أبْقِ لأسيركم شيئاً مِن هذا، ألا وانه آخر رزقي من الدنيا ثم توجه إلى ولدِهِ فقال: بالله عليك يا بني إلاّ ما سقيته مثل ما شربت. فحمل إليه بقدر ذلك من اللّبنِ فشَرِب.

وصية الإمام(عليه السلام)

وفي وصية الإمام عليه الصلاة والسلام لولديه الحسن والحسين عليهما السلام عند قرب وفاته قال: «أوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا، وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء منهما زوى عنكما، وقولا بالحق، واعملا للآخرة، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءاً فألف بين قلوبكم عليكم بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام، وأن البغض محق الدين، وفساد ذات البين ولا قوة إلا بالله، انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب.

الله الله في الأيتام، لا تغبّوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: مَنْ عال يتيماً حتى يستغني أوجبَ اللهُ له الجنة كما أوجب لأكل مال اليتيم النار.

الله الله في القرآن، فلا يسبقنّكم به غيرَكم.

الله الله في جيرانكم، فإن الله ورسوله أوصيا بهم، ما زال يوصى بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

الله الله في بيت ربّكم، فلا يخلوَنَّ منكم ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا.

الله الله في الصلاة، فإنها خير العمل، وإنها عمود دينكم.

الله الله في الزكاة، فإنها تطفىء غضب ربكم.

الله الله في صيام شهر رمضان، فإن صيامه جنة من النار.

الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والسنتكم، فإنما يجاهد في سبيل الله رجلان أمام هدى ومطيع له مقتد بهداه.

الله الله في ذرية نبيكم، فلا يظلمن بين أظهركم.

الله الله في أصحاب نبيكم الذين لم يحدثوا حدثاً، ولم يؤوا محدثاً، فإن رسول الله أوصى بهم.

الله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معايشكم.

الله الله في النساء وما ملكت إيمانكم، فإن آخر ما تكلم به رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم إن قال: أوصيكم بالضعفين، نسائكم وما ملكت ايمانكم.

ثم قال: الصلاة الصلاة الصلاة، ولا تخافن في الله لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، قولوا للناس حسناً كما أمركم الله عز وجل.

ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهيَ عَن المنكر فيولّى عليكم شرارُكم ثم تَدعون فلا يُستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتبادل والتبار، وإياكم والتقاطع والتدابر والتفرّق، (وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتّقوا الله إن الله شديد العقاب) حفظكم الله من أهل بيت وحفظ فيكم نبيكم[1].

الإمام(عليه السلام) لا يقتل المتآمرين

ثم قال: يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً تقولون: قُتل أمير المؤمنين، الا لايقتلنّ بي الا قاتلي، انظروا إذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»[2].

وفي نهج البلاغة في كلام آخر له عليه الصلاة والسلام: إنه حثهم على أن لا يقتلوا ابن ملجم ويعفوا عنه، وإن كان لهم الحق في ذلك، وقد ألمعنا إلى هذا في مكان آخر من هذا الكتاب.

وفي رواية أخرى، أنه قال لابنه الحسن عليه السلام: يا بني أنت ولي الأمر من بعدي وولي الدم، فإن عفوت فلك: وإن قتلت فضربة مكان ضربة[3].

الإمام(عليه السلام) قريباً مِنْ كل الناس

وكان من شعبية الامام أنه في متناول كل كبير وصغير، يجلس في المسجد ويدور في الأسواق، ويزور ويزار، حتى أن أعداءه كانوا يتمكنون من الوصول إليه، والمخاشنة في الكلام معه، وكان يردهم بكل لطف بدون أن يغضب، أو تأخذه العزة بالإثم، كما هو شأن السلطات الاّ مَنْ عصمهم الله.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٤٧.

لُطف الإِمام(عليه السلام) على أعدائه

فقد روى المؤرخون: أن الحريث بن راشد السامي كان عدوّاً للامام، فجاءه قائلاً له: والله لا أَطعتُ أمرَك، ولا صليتُ خلفَكَ. فلمْ يغضبْ لذلك، ولم يبطشْ به، ولم يأمُر به الى السجن أو العقوبة، وإنما دعاه إلى أنْ يناظره حتى أيهما على الحق، ويبين له وجه الحق لعله يتوب، فقال له الحريث: أعود إليك غداً، فقبل منه الامام فانصرف الرجل إلى قومه ولم يَعُدْ.

وما أشبه الامام برسول الله في شعبيته، وكونه في متناول يدِ الكلّ، وما أشبه هذه القصة بقصة الحارث بن النعمان الفهري، فإنه أتى رسول الله ﷺ بعد أن نَصَّبَ علياً خليفة فقال له: يا محمد (ولم يسمه رسول الله ولم يحترمه وإنما تكلم بكلام خشن) أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أن نصلي خمسا فقبلناه، وأمرتنا ان نصوم شهر فقبلناه، وأمرتنا بالحج فقبلناه، ثم لم ترضَ بهذا حتى رفعتَ بضبعِ ابن عمِّك ففضلته علينا، وقلت: مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم مِن الله عز وجل؟ فلم يأخذ رسول الله الغضب، ولم يأمر بضربهِ وسجنه وتعذيبه، ولم يُخاشن له في القول، بَلْ أجابه بقوله: (والله الذي لا إله إلاّ هو، أنَّ هذا كان مِن الله) ـ وكان الرجل معانداً ـ فولّى يريد ناقته وهو يقول: «اللَّهم إن كان ما يقول محمدُ حقاً فأَمطرْ علينا حجارة مِن السماء، أو ائتنا، بعذاب أليم» ـ الحديث.

الرسول(ص) والامام(ع) يحتاطان في الدماء

وكان عليه الصلاة والسلام مِن أحوط الناس في الدماء، كما كان رسول الله ﷺ كذلك، فقد ذكر المؤرخون: إنَّ كلَّ القتلى الذين قتلوا في حروب رسول الله ﷺ، وفي غير حروبه من المسلمين وغير المسلمين لم يتجاوزوا الألف وثمانية، أما المكثرون منهم فقد أنْهَوا المقتولين مِن الجانبين إلى ألف وأربعمائة.

كما أن علياً عليه الصلاة والسلام حسب ما ذكره بعض المحققين لم يقتل من الذين هم في بلاده الواسعة، مِن الذين أجرموا أكثر من مائة شخص في تمام حكمه الطويل البالغ زهاء خمس سنوات، باستثناء الذين قُتلوا في معاركه الثلاثة).

حروب الرسول(ص) والإِمام(ع) كانت دفاعية

ومن الواضح المعروف، أَن المعارك أشعلها المناوئون له، والذين هم خرقوا الحكم وجاءوا إلى حربه في البصرة أو النهروان أو صفين.

وكان عليه السلام إذا انتهت الحرب عفا عنهم وتركهم وشأنهم.

الإضراب والمظاهرة في زمان الإمام(ع)

وكان عليه الصلاة والسلام لايمنع عن المظاهرات والإضرابات، كما أنه اتفق في زمانه أنّ أغلق أهلُ الكوفة الدكاكين، حيث حَكَمَ بحكمٍ لم يرضَوْا له.

وفي مرّةٍ أُخرى، حيث عزل قاض فلمْ يرضَ بعض أهل الكوفة بعزله وخرجوا في تظاهرة (في قصتين مذكورتين في التواريخ) والإمام لم يتعرّض لهم بسوء، وإنما تركهم وشأنهم بعد أن نصحهم.

القضاة في زمان الإمام(ع)

وكان يشدد احتياطه في الحقوق، فقد أَمَرَ بَعض قضاته أنه لا يحق له إجراء حدٍّ أو قصاص أو ما أشبه، إلاّ أن يرجع إليه.

فقد روى الكليني (رحمه الله) وغيره عن سلمة بن كهيل قال: سمعت علياً عليه السلام يقول لشريح: انظر إلى أهل المعك والبطل ودفع حقوق الناس من أهل المقدرة واليسار ممن يدلي بأموال الناس إلى الحكام، فخذ للناس بحقوقهم منهم وبع فيها العقار والديار، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مطل المسلم الموسر ظلم المسلمين، ومَنْ لم يكن له عقار ولا دار ولا مال فلا سبيل لك عليه.

وأعلم أنه لا يحمل الناس على الحق إلاّ من ردعهم عن الباطل، ثم واسِ بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتى لا يطمع صديقك في حَيفكِ، ولا ييأس عدوك مِن عدلك، ورد اليمين على المدعي مع بينته، فإن ذلك أجلى للعمى، وأثبت للقضاء.

واعلم أن المسلمين عدول بعضهم على بعض إلاّ مجلود في حدٍّ لم يَتُبْ منه، أو معروف بشهادة زور، أو ظنين، وإياك والتضجر في مجلس القضاء الذي أوجب الله فيه الأجر ويحسن فيه الذخر لِمَنْ قضى بالحق.

واعلم أن الصلح جائز بين المسلمين الأصلح حرم حلالاً، أو أحل حراماً واجعل لمن ادعى شهوداً غياً أمداً بينهما، فإن أحضرهم أخذت له بحقه، وإن لم يحضرهم أوجبت عليه القضية، واياك أن تنفذ قضية في قصاص، أو حد من حدود الله، أو حق من حقوق المسلمين حتى تعرض ذلك عليّ انشاء الله ولا تقعدن في مجلس القضاء حتى تطعم».

بل قد ذكروا له عليه السلام في القضاء شيئاً غريباً لم يُعهد إلاّ مِنْ رسول الله قبله.

الإمام(ع) يحضر عند القاضي

فقد روى ابن الأثير في التاريخ (الكامل) أنّ علياً عليه السلام وجد درعاً عند نصراني فأقبل إلى شريح قاضيه وجلس إلى جانبه يخاصم النصراني مخاصمة رجل من رعاياه، وقال: درعي لَمْ أبعْ ولم أَهَبْ، قال شريح للنصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال النصراني: ما الدرع إلاّ درعي، وما أمير المؤمنين بكاذب، فالتفتَ شريح إلى علي عليه السلام يسأله يا أمير المؤمنين هل من بينة؟ فضحك علي عليه الصلاة والسلام وقال: ما لي بينة، فقضى شريح بالدرع للنصراني، فأخذها ومشى وأمير المؤمنين عليه السلام ينظر إليه إلاّ أنّ النصرانّي لم يَخطِ خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أنّ هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يدنيني إلى قاضيه، وقاضيه يقضي عليه، الدرع والله درعُكَ يا أمير المؤمنين.

أقول: هذه القضية رويَتْ أيضاً بشكل آخر، كما يجدُهُ مَنْ أراد الاطّلاع في الكتب الفقهية في كتاب القضاء.

حرّية الرأي في زمان الإمام(ع)

وكان الإمام يُعطي للرأي حريته حتى رأي أعدائه، كما أنه كان يُعطي سائر الحريات للناس.

فقد روى المؤرخون: أنه لمّا ظهر الخوارج وأخذوا ينتقصون الإمام ويكفّرُونه ويقولون: لا حكم إلا لله (وهي كلمة حق يُراد بها باطل، كما قاله الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام) لم يتعرّضْ لهم الإمام بسوء، بل كان (كما في رواية) يجري عليها عطياتهم من بيت المال.

وقد أراد أصحاب الإمام قتال هؤلاء باديء الأمر، ولكن للإمام أبى عليهم ذلك، وأنكره وقال: إنْ سكتوا تركناهم، وإنْ تكلموا حاججناهم، وإنْ أفسدوا قاتلناهم.

فقوله: أن تكلموا حاججناهم، يعني الأمر بحاجة إلى المحاججة، فما دام لا عدوان على نحو الإجرام منهم فهم وشأنهم.

الامام(ع) يعطي الماء لأعدائه

وكان عليه الصلاة والسلام كريماً حتى في حروبه، فقد ورد أن معاوية

وأصحابه في صفين استولوا على الماء، ومَنَعوُا أصحاب الإِمام عن الماء، فأمر الإِمام أصحابه، أن يجلوهم عن الفرات، فانهزمَ أصحاب معاوية، وسيطر أصحاب الإِمام علي على الماء، ولما صار الماء بأيدي أصحاب الإِمام قالوا: لا والله لا نسقيهم، لكن الامام عليه السلام أبي وأرسلَ إليهم أن خذوا حاجتكم من الماء وخلوا بينهم وبين الماء، فإن الله قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم.

ولمّا قالوا له: امنعهم يا أمير المؤمنين مِنْ الماء كما منعوك، فقال: لا، خلّوا بينهم وبيني، لا أفعل ما فعله الجاهلون.

الحسين(ع) يقتدي بأبيه وجدّه[1]

وقد اقتدى بهذا الأمر ولده الحسين عليه الصلاة والسلام، فإنه أعطى الماء للذين جاءوا لقتاله، لكن لما استوْلَوا هم على الماء مَنَعوا الحسين عليه السلام وأهله وأطفاله الماء.

تحنّن الإِمام(ع) على الأيتام والأرامل

وكان تحنّنه على الأطفال والضعفاء والفقراء والأرامل واليتامى شيئاً تحدث به الركبان، وقصته في يتامى (عمّار) مشهورة، فإنه عليه السلام لما رأى يتامى (عمّار) أخذ يبكي ويقول:

ما إن تأوهتُ من شيء رزئت به ... كما تأوهتُ للأَيتام في الصغَرِ
قد مات والدهُم مَن كان يكفلهم ... في النائبات وفي الأسفار والحَضَرِ

وقصة ذهابه في الليالي إلى الخربة لأجل إطعام ذلك الفقير العاجز والتي اكتُشفتْ بعد مقتله عليه السلام، حيث أن الفقير نقل ذلك للإِمامين الحسن والحسين عليهما السلام معروفة.

الإِمام(ع) يحملُ قربة الأرملة

وكذا قصة أخذه القربة من الأرملة وذهابه إلى بيتها وتسجيره التنور لها واطعامه أطفالها، وأمثال ذلك كثيرة، وكلّ ذلك يدلّ على أنَّ الحاكم يجب أن يكون شعبياً إلى هذا الحدّ، وأنّ الشعب يجبُ أن تتوفر له الحرية إلى هذا الحدّ.

---

(١) فان الرسول لم يمنع الماء عن يهود خيبر المحاربين له (ص).

واللازم، أنْ تكون معالم الحكم الاسلامي العالمي لحكومة ألف مليون مسلم هكذا.

ولم يكن كل ذلك إلاّ لأنّ الرسول ﷺ وعلياً عليه السلام كانا يؤمنان بالله واليوم الآخر، إيماناً شديداً، ويخافانه الله سبحانه وتعالى في كل صغيرة وكبيرة.

خوف الرسول(ص) والإمام(ع) مِنْ أصغر معصية

وكان الرسول ﷺ يقول: (ولو عصيت لهويت). وكان يقول في دعائه: (لا تَكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً) وكذلك كان علي عليه السلام، انظروا إلى كلامه في نهج البلاغة، حيث يربط خوفه من الظلم بخوفه من الله سبحانه وتعالى، فيقول في كلا له: «والله لأن ابيت على حسك السعدان مسهدل وأجر في الأغلال مصفدا، أحب إليّ مِن أنْ ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصبا لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلا قفولها، ويطول في الثرى خلو لها».

ثم يذكر الامام قصة طلب عقيل عليه الصلاة والسلام منه شيئاً من بيت المال زائداً على حقّه. إلى أن يقول: «وعاودني مؤكداً وكَرّرَ عليَّ القول مردداً فأصغيت إليه سمعى فظن إني أبيعه ديني، واتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميت له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضج ضجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها، فقلت له: ثكلتك الثوا كل يا عقيل، آتئنَّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نار سجّرها جبّارها لغضبه أتائن من الأذى ولا أتائن من لظى، وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنأتها، كأنما عجنت بريق حية، أو قيئها، فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة، فذلك مجرم علينا أهل البيت؟ فقال لا ذا، ولا ذاك، ولكنها هدية، فقلت: هبلتك الهبول أعن دين الله أتيتني تخدعني، أمتخبط أنت أم ذي جنة أم تهجر؟ والله لو أعطيتُ الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي ولنعيم يفنى، ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين»[١].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٤.

عَدَمُ قبول الإمام(ع) المصانعة

وكان عليه السلام لا يقبل حتى الهدية حتى لا يكون ذلك أحبولة إلى الانحراف عن الأحكام (ولو كان الإمام لا ينحرف حتى قدر شعرة لكنه للتعليم)، انظروا إلى كتابه هذا حيث يؤنب وإليه، مما يدل على أنه عليه السلام كيف كان يواظب على ولاته ألاّ ينحرفوا قدر شعرة، والكتاب مذكور في نهج البلاغة، وفي غيره.

شِدّة رقابة الإمام(ع) على ولاته

فقد كتب إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة حيث قد بَلَغَهُ عليه السلام إنه دعا إلى وليمة قوم مِنْ أهلها فمضى إليها:

(بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد يا ابن حنيف، قد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة أسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت إنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه علمه عليك فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه، ألا وأن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، إلا وأنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنيا كم تبرا، ولا ادخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالى ثوبي طمراً، بلي كانت في أيدينا فدك من كل ما أظللته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، فنعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك؟! والنفس مظانها في غد جدث، حيث تنقطع في ظلمته اخبارها وحفرة لو أوسعتها يداً حافرها لاضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى، لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق، ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءاً أن تبيت ببطنة　　　وحولك أكباد تحن إلى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو

أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، ما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسلة شغلها تقممها، تكترش من أعلافها، وتلهو عما يراد بها، أو اترك سدى، أو أهمل عابثاً، أو اجر حبل الضلالة، أو اعتسف طريق المتاهة، وكأني بقائلكم يقول: إذا كان هذا قوت ابن أبي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الأقران ومنازلة الشجعان، ألا وأن الشجرة البرية أصلب عوداً، والروائع الخضرة أرق جلوداً، والنباتات البدوية أبطأ وقوداً وأبطأ خموداً، وأنى من رسول الله كالصنو من الصنو، والذراع من العضد، والله لو تظاهرت العرب[١] على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها سارعت إليها[٢] وسأجهد أن أطهر الأرض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد، إليك عني يا دنيا، فحبلك على غاربك، قد انفللت من مخالبك، وأفلت من حبائلك واجتنبت الذهاب في مدى حظك، أين القرون الذين غررتهم بمداعبك، أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟ فهاهم رهائن القبور ومضامين اللحود، والله لو كنت شخصاً مرئياً، وقالباً حسياً، لأقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم بالأماني، وأمم ألفيتهم في المهاوي، وملوك أسلمتهم إلى التلف، وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورد ولا صدر، هيهات من وطاء دحضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومن أزور حبائلك وفق، والسالم منك لا يبالي إن ضاق به مناخه والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه، فوالله لا أذل لك فتستذليني، ولا أساس لك فتقوديني، وأيم الله يميناً استثنى فيه بمشية الله لا روضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها، أتمتلىء السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض ويأكل على من زاده فيهجع، قرت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية، طوبى لنفس أدت إلى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت بالليل غمضها حتى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسدت كفها في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم، وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول استغفارهم ذنوبهم ﴿**أولئك حزب الله، ألا ان حزب الله هم المفلحون**﴾[٣]

---

(١) العرب كانوا مثال الشجاعة في ذلك اليوم.

(٢) أي إلى طريق الحق.

(٣) سورة المجادلة: الآية/ ٢٢.

فاتق الله يا بن حنيف ولتكفك أقراصك ليكون من النار خلاصك»[1].

ضرار يصفُ الأمام(ع)

وهنا نذكر وصف بعض أصحاب الامام عليه الصلاة والسلام له، فقد ذكر المؤرخون: ان معاوية بن أبي سفيان، قال لضرار بن ضمرة (وكان من تلاميذ الإمام عليه الصلاة والسلام) صف لي علياً!

قال: اعفني.

قال: لتصفنّهُ.

قال: إذا كان لا بد من وصفه، فإنه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه ايانا، وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين، ويقرب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد الله يا معاوية لقد رأيته في بعض موافقه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه قابضاً على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وهو يقول: يا دنيا غري غيري، أإليّ تعرضت أم إلي تشوقتي، هيهات قد بنتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق.

فقال معاوية: رحم الله أبا الحسن، وكان والله كذلك.

ثم قال: يا ضرار كيف حزنك عليه؟

قال: حزن من ذبح ولدها بحجرها، فهي لا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها.

إلى غير ذلك مِنْ معالم شخصية الإِمام، ومِن معالم حكمه، ومن معالم الشعب في زمانه.

لا تحرير إلاّ بالإِسلام

وأخيراً لا بدّ أن ننوه في سبيل الحركة الاسلامية المنتهية إلى حكومة ألف مليون باذن الله تعالى، والمنتهية أيضاً إلى هداية سائر الناس إلى صراط مستقيم:

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

إلى أنه يجبُ على العاملين أن يعرفوا أن الاسلام هو المُحَرك الوحيد للجماهير لإزالة كل صور الاستعمار، وأشكال الاستغلال، وتسلّط الكفار، وأنه لا نجاة لأفغانستان، وسائر البلاد التي وَقَعَتْ في مخالب الشيوعيين (سواء الروس أو الصين)، وكذلك لا نجاه لفلسطين، ولا لبلاد أرتيريا، ولا لبلاد مورو، ولا لسائر المسلمين الذين وقعوا تحت نير كفار الغرب من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها، إلا بالاسلام، فإن مستقبل الاسلام كماضيه، فقد كان الاسلام وراء كل تحرير في العالم الاسلامي في الزمن السابق، وإنما أنقذ البلاد الاسلامية من يد الكفار والمستعمرين المسلمون المجاهدون في سبيل الله سبحانه وتعالى، فكان الاسلام يمنحهم القدرة على الصمود والمواجهة.

نعم، جملة من الكتاب الذين يقودهم المستعمرون أو خطف أبصارهم بريق الشرق والغرب يحطون من قدر الاسلام وينقصون من شأنه ويتصورون أن الاسلام ليس إلا عقيدة ومسجداً وأنه مرتبط بالله فقط، مصدقين المثل الغربي المشهور: (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) مع أنه ليس كذلك، فالإسلام دين ودنيا.

علماء الاسلام يقودون حركات التحرير

وقد أرانا التاريخ جملة من العلماء الذين كان يحرّكهم الإسلام في نهضتهم وقيامهم، وإنقاذ بلاد الاسلام من أيدي أعدائهم، أمثال: السيد محمد المجاهد، والميرزا الكبير الشيرازي، والآخوند الخراساني، والميرزا الثاني الشيرازي، والسيد حسين القمي، والسيد أبو الحسن الأصبهاني، والميرزا محمد حسين النائيني، والسيد محمد كاظم الطباطبائي، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والسيد جمال الدين، والسيد أبو القاسم الكاشاني، والسيد نواب الصفوي، وغيرهم من علماء المسلمين الذين سببوا يقظة العالم الاسلامي، وتحركوا وأوجدوا قواعد إنقاذ المسلمين، سواء تحركوا حركة عسكرية، أو حركة ثقافية أو ما أشبه.

عملاء أدعياء التحرير

وقد رأينا أنّ دعاة التحرير مِن غير العلماء والصادقين مِن أتباعهم الذين كانوا يدعون إلى الاسلام كانوا عملاء الإستعمار، كأتاتورك، والبهلويين، وأمان الله خان، وعبد الناصر، وعفلق، وعبد الكريم قاسم واضرابهم من البعثيين والشيوعيين والقوميين والديمقراطيين الغربيين، والبدائل الفكرية التي حاولت دفع

الإسلام عن الساحة، وإخراجه من المجتمع، كلها قد جربت في عالم المسلمين، فلم تزدد بلاد الإسلام إلاّ انتكاساً، والأوطان إلاّ تخلفاً وضياعاً وفرقة! والتمزّق الفكري والإختلاف العقائدي، وتوزّع الولاء للشرق والغرب لا يُسبّب إلاّ مزيداً مِن التأخر والفشل، والعدول عن الإسلام لا يوجب إلا مزيداً من الهزيمة، هذه شهادة التاريخ، وأدلة الواقع، فمثلاً: فلسطين ضاعت منذ خمسين سنة تقريباً، وكل البدائل عن الإسلام لم تتمكن أن تنقذ منها حتى شبراً واحداً، وقد قال الرسول ﷺ: «لا يُلدَغُ المؤمنِ من جحر مرتين»(١). فكيف يقال: إن المريدين للإنقاذ كاملوا الإيمان وهم يُلدغون مِن جحر ألف وألف مرة؟ لا شكَّ أن جماعات منهم مسلمون، لكنَّ الكلام في الإيمان الكامل لا يكون إلاّ بسلوكِ منهج الإسلام.

كيف ننقذ فلسطين؟

ومِنْ هنا نستطيع أنْ نؤكّد أنَّ الثورة الفلسطينية، والثورة الأفغانية، والثورة الفليبينية، والثورة الأريتيرية، والثورة العراقية، ضد الحكام الطواغيت من المستعمرين وعملائهم والثورات المخفيّة في سائر بلاد الإسلام التي يحكمها الإستعمار بشكل مباشر، أو غير مباشر، إذا عملت بالمنهج الإسلامي الذي ذكر في هذا الكتاب ـ مِنْ طرح حركة إسلامية كاملة يجعل الشورى والقوانين الإسلامية منهاج الحركة ـ، وجعل الهدف، حكومة ألف مليون مسلم، بأخوة إسلامية صادقة ـ لا بد وأن تنتهي إلى ذلك، وقد الله سبحانه: **﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾**(٢).

وقال تعالى: **﴿ان ينصركم الله فلا غالب لكم﴾**(٣).

نسأل الله الهداية والتوفيق والتقدم، وأن يجعلنا ممن ينتصر به لدينه.

---

(١) الإختصاص: ص ٢٤٥.

(٢) سورة محمد: الآية/ ٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية/ ١٦٠.

حديثان حول كيفيّة عَمِل الحاكم الإسلامي

(١) عهد رسول الله(ص) إلى ولاته:

قال علي عليه السلام: عَهدَ رسول الله صلى الله عليه وآله عهداً كان فيه بعد كلام ذكره:

فيما يجب على الأَمير مِن محاسبة نفسه

أيُّها الملك المملوك: اذكر ما كنت فيه، وانظر إلى ما صرت إليه، وأعتقد لنفسك ما يدوم، واستدل بما كان على ما يكون، وابدأ بالنصيحة لنفسك، وانظر في أمر خاصتك وفي معرفة ما عليك ولك، فليس شيء أدل لأمرىءٍ على ماله عند الله من أعماله، ولا له عند الناس مِن آثاره، فاتق الله في خاصة نفسك، وراقب فيما حملك، وتعبد له بالتواضع إذا رفعك، فإن التواضع طبيعة العبودية والتكبر من أخلاق الربوبية، ولا يَميلنَّ بك عن الصد رتبة تروم بها ما ليس لك ولا تُبطرنّك نعم الله عليك من أعظام حقه، فإن حقه لن يزداد عليك إلا عظما.

ولا تكوننّ كأنك بما أحدث الله عليك من الكرامة ترى أنه أسقَطَ عنك شيئاً مِن فرائضه، وإنك استحققْتَ عليه وضع الصعاب عنك، فتهمك في بحور الشهوات فإنك إن تفعل فسدت وران ذلك على قلبك، وتذمم عواقب ما فاتك من أمرك، فأعرف قدرك وما أنت إليه صائر، واذكر ذلك حق ذكره، وشاعر قلبك الإهتمام به فإنه من اهتم بشيء أكثر ذكره وأكثر التفكر فيما تصنع وفيمن يشاركك فيما تجمع، فإنك لست مجاوزاً في غاية المنتهى أجل بعض أخدانك والساعة تأتي من ورائك، وليس الذي تبلغ له به قضاء ما يحق عليك بقاطع عنك شيئاً من لذاتك التي تحل لك ما لم تجاوز في ذلك قصد ما يكفيك إلى فضول ما لا يصل من نفعه إليك، إلا ما أنت عليه في غاية من الغنى، فتحمل بنفسك ما ليس غايتك منه إلا حظ عينك، وما وراء ذلك منفعة لغيرك، فليقصر في ذلك أهلك وليعظم من عواقبه وجلك.

ذكر ما فيه موعظة الأمير ممن كان قبله

انظر أيها الملك المملوك، أين آباؤك؟ وأين الملوك من أعدائك الذين أكلوا الدنيا منذ كانت؟ فأنما تأكل ما أمسكوا، وتدير ما أرادوا، وأين كنوزهم التي جمعوا؟ وأجسادهم التي نعموا؟ وأبنائهم الذين كرموا؟ هل ترى افل منهم عقباً واخمل منهم ذكراً؟ واذكر ما كنت تأمل من الإحسان أن احسن الله إليك، ولا يغلبنك هواك على حظك، ولا يحملنك رقتك على الولد على أن تجمع لهم ما لا يحول دون شيء قضاه الله عليهم وأراد بلوغه فيهم، فتهلك نفسك في أمر غيرك وتشقيها في نعيم من لا ينظر لك من الأيام، اذكر الموت وما تنظر من فجأة نقماته، ولا تأمن من عاجل نزوله بك، وأكثر ذكرك زوال أمر الدنيا وانقلاب دهرها وما قد رأيت من تغير حالاتها لك، وبغيرك، أنك كنت حديثاً من عرض الناس، وكنت تعيب بذخ الملوك، وتجبرهم في سلطانهم وتكبرهم على رعيتهم، وتسرعهم إلى السطوة، وإفراطهم في العقوبة، وتركهم العفو والرحمة، وسوء ملكتهم، ولؤم غلبتهم وجفوتهم لمن تحت أيديهم، وقلة نظرهم في أمر معادهم، وطول غفلتهم عن الموت وطول رغبتهم في الشهوات وقلة ذكرهم للخطيئات، وتفكرهم في نقمات الجبار، وقلة انتفاعهم بالعبر، وطول بأسهم للغير، وقلة اتعاظهم للواجب، وطول قسوتهم على الضعفاء، والإيثار لخواصهم، والإستيثار والإغماض، ولزوم الإصرار، وغفلتهم عما خلقوا له، واستخفافهم بما أمروا، وتضييعهم لما حلوا فنصيحة كانت عيب ذلك منك عليهم، واستقباحه منهم، أو نفاسة لما كانوا فيه عليهم، فإن كان ذلك نصيحة فأنت اليوم أولى بالنصيحة لنفسك، وإن كانت نفاسة، فهل معك أمان من سطوات الله؟ أم عندك منعة تمتنع بها من عذاب الله؟ أم استغنيت بنعمة الله عليك عن تحري رضاه؟ أو قويت بكرامته اياك على الأصحار بسخطه، والاصرار على معصيته؟ أم هل لك مهرب يحرزك منه؟ أم رب غيره تلجأ إليه؟ أم لك صبر على احتمال نقماته؟ أم أصبحت ترجو دائرة من دوائر الدهور تخرجك من قدرته إلى قدرة غيره؟ فأحسن النظر في ذلك لنفسك، واعمل فيه بعقلك وهمك، وأكثر عرضه على قلبك.

واعلم أن الناس ينظرون من أمرك إلى مثل ما كنت تنظر فيه من أمر من كان في مثل حالك من قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم، انظر أين الملوك؟ وأين ما جمعوا مما دخلت عليهم المعاتب؟ وبه قبلت فيهم الأقاويل، ماذا

شخصوا به معهم منه؟ وماذا بقي لمن بعدهم؟ فاذكر حالك وحال من تقدمك ممن كان في مثل حالك، وما جمع وكنز، هل بقيت ملك الكنوز حين أراد الله نزعها منه؟ وهل ضرك إذ كنت لا كنز لك حين أراد الله صرف هذا الأمر إليك، فلا ترى أن الكنوز تنفعك، ولا تثق بها ليومك فيما نأمل نفعه في غدك، بل لتكن أخوف الأشياء عندك أوحشها لديك عاقبة.

وليكن أحب الكنوز إليك وأوثقها عندك نفعاً وعائدة الإستكثار من صالح الأعمال واعتقاد صالح الإثار، فإنك إن تعمل هواك في ذلك، وتصرفه عن غيره يقل همك، ويطيب عيشك، وينعم بالك.

ولتكن قرة عينك بالزهد، وصالح الإثار أفضل من قرة عيون أهل الجمع بالجمع، عليك بالقصد فيما تجمع، وفيما تنفق، ولا تعدن الإستكثار من جمع الحرام قوة، ولا كثرة الإعطاء من غير حق جوداً، فإن ذلك يخفف بعضه ببعض، لكن القوة والجود أن يملك هواك سخاء النفس بأخذ ما يحل لك، وسخاء النفس بإعطاء ما يحق عليك، انتفع في ذلك بعلمك، واتعظ فيه بما قد رأيت من أمور غيرك، وخاصم لنفسك عند كل أمر تورده وتصدره، خصومة عامد تلحق جهده ينتصف لله وللناس من نفسه غير موجب لها العذر حيث لا عذر ولا منقاد للهوى في ورطات الردى، فإن عاجل الهوى لذيذ وله غب وخيم

في أمر الأُمراء بالعدل في رعاياهم والإنصاف من أنفسهم

اشعر قلبك الرحمة لرعينك، والمحبة لهم، والتعطف عليهم، والإحسان إليهم، ولا نكونن عليهم سبعاً تغتنم زللهم وعثراتهم، فإنهم إخوانك في النسبة ونظرائك في الحق، يفرط منهم الزلل وتعتريهم العلل، ويتوى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك من هو فوقك وفوقهم، والله أبلاك بهم، وولاك أمرهم، واحتج عليك بما عرفك من محبة العدل والعفو والرحمة، ولا تستخفن ترك محبته، ولا تنصبن نفسك لجرمه، فإنه لا يدان لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته.

ولا تعجلن بعقوبته، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت عنها مخرجاً، ولا تقولن اني أمير أصنع ما شئت، فإن ذلك يسرع في كسر العمل، وإذا أعجبك ما أنت فيه، وحدثت لك عظمته، ودخلتك أبهة أبطرتك، واستقدرك على من تحتك

فاذكر عظم قدرة الله عليك، وفكر في الموت وما بعده، فإن ذلك ينقص من زهوك، ويكف من مرحك، ويحقر في عينيك ما استعظمته من نفسك.

واياك أن تباهي الله في عظمته، ولا تضاهيه في جبروته وأن تختال عليه في ملكه، فإن الله مذل كل جبار، ومهين كل مختال، أنصف الناس من نفسك ومن أهلك ومن خاصتك أن لا تفعل تظلم ومن يظلم عباد الله، فالله خصمه دون عباده، ومن يكن الله خصمه فهو له حرب حتى ينزع، وليس سيء ادعى لتغيير نعمة، أو تعجيل نقمة من إقامة على ظلم، فإن الله يسمع دعوة كل مظلوم، وأن الله عدو للظالمين، ومن عاداه الله فهو رهين بالهلكة في الدنيا والآخرة.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأجمعها لطاعة الرب، ورضى العامة، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يحتمل رضى العامة، وليس أحد من الرعية أشد على الوالي في الرضا مؤنة وأقل على البلاء معونة وأشد بغضاً للإنصاف، وأكثر سؤالاً بالإلحاف، وأقل مع ذلك عند العطاء شكراً، وعند الإبطاء عذراً، وعند الملمات من الأمور صبراً من الخاصة، وإنما اجتماع أمر الولاة، ويد السلطان، وغيظ العدو العامة.

فليكن صفوك لهم ما أطاعوك، واتبعوا أمرك دون غيرهم، وليكن أبغض رعيتك إليك أكثرهم كشفاً لمعايب الناس، فإن في الناس معايب أنت أحق من تغمدها وكره كشف ما غاب منها، وإنما عليك أحكام ما ظهر لك، والله يحكم في ما غاب عنك، أكره للناس ما تكره لنفسك، واستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره، واطلق عن الناس عقد كل حقد، واقطع عنهم سبب كل وتر.

ولا تركبن شبهة، ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاش وإن قال قول النصيح، ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يقصر عن الفضل غايته، ولا حريصاً يعدك فقراً، ويزين لك شرها، ولا جباناً يضيق عليك الأمور، فإن البخل والجبن والحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظن بالله.

ثم أعلم إن شر دخائلك وشر وزارئك من كان للإشرار دخيلاً ووزيراً ممن يشركهم في الأثام، وأقام لهم كل مقام، فلا تدخلن أولئك في أمرك، ولا تشركهم في دولتك كما شركوا في دولة غيرك، ولا تعجبنك شاهد ما يحضرونك به، فإنهم

أخوان الظلمة وأعوان الأثمة، وذئاب كل طمع وأنت تجد في الناس خلفاً منهم، فمن له معرفة أفضل من معرفتهم، ونصح أعلى من نصحهم ممن قد تصفح الأمور فأبصر مساويها، واهتم بما جرى عليه منها ممن هو أخف عليك مؤنة، وأحسن لك معونة، وأشد عليك عطفاً، وأقل لغيرك ألفاً ممن لم يعاون ظالماً على ظلم، ولا آثماً على اثم، فاتخذ من أولئك خاصة تجالسهم في خلواتك ويحضرونك في ملاك.

ثم ليكن أكرمهم عليك أقولهم للحق وأحوطهم على رعيتك بالإنصاف وأقلهم لك مناظرة بذكر ما كره لك، وألصق بأهل الورع والصدق، وذوي العقول والإحسان، وليكن أبغض أهلك، ووزرائك إليك أكثرهم لك اطراءاً بما فعلت أو تزييناً بغير ما فعلت، وأسكنهم عنك صانعاً بما صنعت، فإن كثرة الإطراء يكثر الزهو، ويدنى من العزة، وأكثر القول أن يشرك الكذب تزكية السلطان، لأنه لا يقصر به على حدود الحق دون التجاوز إلى الإفراط، ولا تجمعن المحسن والمسيء عندك منزلة يكونان فيها سواء، فإن ذلك تزهيد لأهل الإحسان في إحسانهم، وتدريب لأهل الإساءة في اساءتهم.

واعلم أنه ليس شيء ادعى بحسن ظن والي برعيته بإحسانه إليهم، وتخفيف المؤن عنهم، وقلة الإستكراه لهم، فليكن لك في ذلك ما يجمع لك حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن بهم يقطع عنك هموماً كثيرة، وأن أحق من حسن ظنك به من حسن عنده بلاؤك من أهل الخير، وأحق من ساء عنده بلاؤك، فاعرف موضع ذلك، ولا تنقص سنة صالحة عمل بها الصالحون قبلك، واجتمعت بها الإلفة وصلحت عليها العامة، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي سنن العدل التي سنت قبلك فيكون الأجر لمن سنها، والوزر عليك بما نقضت منها، وأكثر مدارسه العلماء ومناظره الحكماء في تثبيت سنن العدل على مواضعها، وإقامتها على ما صلح به الناس، فإن ذلك يحيي الحق ويميت الباطل، ويكتفي به دليلاً على ما يصلح الناس، لأن السنة الصالحة من أسباب الحق التي يعرف بها، ودليل أهلك إلى السبل إلى طاعة الله فيها[1].

في ذكر معرفة طبقات الناس

اعلم إن الناس خمس طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، فمنهم الجنود

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

ومنهم أعوان الوالي من القضاة والعمال والكتاب ونحوهم، ومنهم أهل الخراج من أهل الأرض وغيرها، ومنهم التجار وذو الصناعات، ومنهم الطبقة السفلى وهم أهل الحاجة والمسكنة، فالجنود تحصين الرعية بإذن الله تعالى عز وجل، وزين الملك، وعز الإسلام، وسبب الأمن والخفض، ولا قوام للجند إلا بما يخرج الله لهم من الخراج، والفيء الذين يقوون به على جهاد عدوّهم، وعليه يعتمدون لما يصلحهم، ومن يلزمهم مؤنته من أهليهم، ولا قوام للجند وأهل الخراج إلا بالقضاة والعمال والكتاب لما يقومون به من أمرهم، ويجمعون من منافعهم، ويأمنون عليه من خواصهم وعوامهم، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما ينتفعون به من صناعاتهم، ويقومون به من أسواقهم، ويكفونهم في مباشرة الأعمال بأيديهم في الصناعات التي لا تبلغها رفقهم.

والطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة بالحاجة إلى جميع الناس وفي الله لكل سعة، ولكل على الأمير حق بقد ما يحق له، وليس يخرجه من حقه ما ألزمه الله من ذلك إلا بالإهتمام والإستعانة بالله عليك، وأن يوطن نفسه على لزوم الحق فيما وافق هواه أو خالفه[1].

ذكر ما ينبغي للوالي أن ينظر فيه من أمر عماله

وَلِّ أمر جنودك أفضلهم في نفسك حلماً، وأجمعهم للعلم، وحسن السياسة، وصالح الأخلاق ممن يبطىء عن الغضب، ويسرع إلى العذر، ويراقب الضعيف ولا يلج على القوى، ممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف والصق بأهل العفة والدين والسوابق الحسنة، ثم بأهل الشجاعة منهم، فإنهم جماع الكرم وشعبة من العز، ودليل على حسن الظن بالله، والايمان به ثم تفقد من أمورهم ما يتفقده الوالد من ولده.

ولا يعظمن في نفسك شيء أعطيتهم اياه، ولا تحقرن لهم لطفاً تلطفهم به فإنه يرفق بهم كل ما كان منك إليهم وإن قل، ولا تدعن لطيف أمورهم اتكالاً على نظرك في جسيمها، فإن للطيف موضعاً ينتفع به، وللجسيم موضعاً لا يستغنى فيه عنه، وليكونوا آثر رعيتك عنك، وأفضلهم منزلة منك، أسبغ عليهم في التعاون، وأفضل عليهم في البذل ما يسعهم، ويسع من ورائهم من أهاليهم حتى

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

يكون همهم خالصاً في جهاد عدوك، وتنقطع همومهم مما سوى ذلك، وأكثر اعلامهم ذات نفسك من الآثرة والمكرمة، وحسن الإرضاء وحقق ذلك بسحن الاثار فيهم.

وأعطف عليك قلوبهم باللطف، فإن أفضل قرة أعين الولاة استفاضة الأمن في البلاد وظهور مودة الأجناد، وإذا كانوا كذلك سلمت صدورهم، وصحت بصائرهم، واشتدت حيطتهم من وراء امرائهم، ولا تكل جنودك إلى غنائمهم، أحدث لهم مغنم عطية من عندك لتستصرفهم بها، وتكون داعية لهم إلى مثلها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأخصص أهل الشجاعة والنجدة بكل عارفة، وأمدد لهم أعينهم إلى صور عميقات ما عندهم بالبذل في حسن الثناء، وكثرة المسألة عنهم رجلاً رجلاً، وما أبلى في كل مشهد واظهار ذلك منك عنه، فإن ذلك يهز الشجاع، ويحرض غيره، ثم لا تدع مع ذلك أن يكون لك عليهم عيون من أهل الأمانة والصدق ويحرضونهم عند اللقاء، فيكتبون بلاء لك امريء منهم حتى كأنك شاهدته.

ثم اعرف لكل امرىء منهم ما كان منه، ولا تجعلن بلاء امرىء منهم لغيره ولا تقصرن به دون بلائه وكاف كل امراء منهم بقدر ما كان منه واخصصه بكتاب بلائه إن كان صغيراً، ولا ضعف امرىء على أن تستخف ببلائه إن كان جسمياً، ولا تفسد أحداً منهم عندك علة عرضت له، أو نبوة كانت منه قد كان له قبلها حسن بلاء، فإن العز بيد الله يعطيه إذا شاء، ويكفه إذا شاء، ولو كانت الشجاعة تفتعل لإفتعلها أكثر الناس، ولكنها طبائع بيد الله ملكها وتقدير ما أحب منها وإن أصيب أحد من فرسانك وأهل النكاية المعروفة في أعداءك فاخلفه في أهله بأحسن ما يخلف به الوصي الموثوق به في اللطف وحسن الولاية لهم حتى لا يرى عليهم أثر فقده، ولا يجدو المصابة، فإن ذلك يعطف عليك قلوب فرسانك ويزدادون به تعظيماً لطاعتك وطيب النفس بالركوب لمعاريض التلف في تسديد أمرك، ولا قوة إلا بالله.

ذكر ما ينبغي أن ينظر فيه من أمور القضاة

انظر في القضاء بين الناس، نظر عارف بمنزلة الحكم عند الله، فإن الحكم ميزان قسط الله الذي وضع في الأرض ونصاف المظلوم من الظالم، والأخذ للضعيف من القوى، وإقامة حدود الله على سنتها، ومنهاجها التي لا يصلح العباد

والبلاد إلا عليها، فاختر للقضاء بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، وأجمعهم للعلم والحلم والورع ممن لا تضيق به الأمور، ولا تحكمه الخصوم، ولا يضجره عي العي، ولا يفرطه جور الظلوم، ولا تشرف نفسه على الطمع، ولا يدخل في اعجاب، يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، أوقفهم عند الشبهة، وآخذهم لنفسه بالحجة، واقلهم تبرماً من تردد الحج، وأصبرهم على كشف الأمور، وإيضاح الخصمين، ولا يزدهيه الإطراء، ولا يشليه الإغراء، ولا يأخذ فيه التبليغ بأن يقال: قال فلان، وقال فلان، فول القضاء من كان كذلك.

ثم أكثر تعاهد أمره وقضاياه، وأبسط عليه من البذل ما يستغنى به عن الطمع، ويقل به حاجة إلى الناس، واجعل له منك منزلة لا يطمع فيها غيره حتى يأمن اغتيال الرجال اياه عندك، ولا يحابى أحداً للرجاء، ولا يصانعه لإستجلاب حسن الثناء، أحسن توقيره في مجلسك وقربه منك وانقذ قضاياه وامضها، واجعل له أعواناً يختارهم لنفسه من أهل العلم والورع، واختر لاطرافك قضاة تجهد فيهم نفسك على قدر ذلك، ثم تفقد أمورهم وقضاياهم وما يعرض لهم من وجوه الأحكام.

فلا يكن في حكمهم اختلاف، فإن ذلك ضياع للعدل وعورة في الدين وسبب للفرقة، وإنما يختلف القضاة لإكتفاء كل امرىء منهم برأيه دون الإمام فإذا اختلف القاضيان فليس لهما أن يقيما على اختلافهما في الحكم دون رفع ما اختلفا فيه من ذلك إلى الإمام، وكل ما اختلف فيه الناس، فمردود إليه ولا قوة إلا بالله.

ذكر ما ينبغي أن ينظر فيه من أمور عماله

انظر في أمور عمالك الذين تستعمل، فليكن استعمالك اياهم اختياراً، ولا يكونن محاباة ولا ايثاراً، فإن الاثرة بالأعمال والمحاباة بها جماع من شعب الجور والخيانة لله، وادخال الضرر على الناس، وليست تصلح أمور الناس ولا أمور الولاة بإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعفة والعلم بالسياسة، والصق بذوي التجربة، والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة أهل الدين والورع فإنهم أكرم الناس أخلاقاً وأشد لأنفسهم صوناً واصلاحاً، وأقل من المطامع اشرافاً، وأحسن في عواقب الأمور نظراً من غيرهم، فليكونن عمالك وأعوانك.

ولا تستعمل إلاّ شيعتك، ثم اسبغ عليهم العمالات، وأوسع عليهم الأرزاق فإن ذلك يزيدهم قوة على استصلاح أنفسهم وغنى من تناول ما تحت أيديهم وهو مع ذلك حجة لك عليهم في شيء إن خالفوا فيه أمرك وتناولوا من أمانتك ثم لا تدع مع ذلك تفقد أعمالهم وبعثة العيون عليهم من أهل الأمانة والصدق فإن ذلك يزيدهم جداً العمارة، ورفقاً بالرعية وكفا عن الظلم تحفظاً من الأعواز مع ما للرعية في ذلك من القوة.

واحذر أن تستعمل أهل التكبر والتجبر والنخوة ومن يحب الإطراء والثناء والذكر، ويطالب شرف الدنيا، ولا شرف إلا بالتقوى، وإن وجدت أحداً من عمالك بسط يده إلى خيانة أو ركب فجوراً اجتمعت لك به عليه أخبار عيونك مع سوء ثناء رعيتك اكتفيت به عليه شاهداً، وبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذت بما أصاب من عمله، ثم بمن نصبته الناس فوسمته بالخيانة وقدرته عار التهمة، فإن ذلك تنكيل وعظة لغيره انشاء الله تعالى.

ذكر ما ينبغي تعاهده من أهل الخراج

تَعاهَدْ أهل الخراج، وانظر كل ما يصلحهم، فإن في مصالحهم صلاح من سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم لأنهم الثمال دون غيرهم والناس عيال عليهم.

وليكن نظرك في عمارة أرضهم، وصلاح معاشهم أشد من نظرك في رجاء خراجهم، فإن الرجاء لا يكون إلا بالعمارة، ومن يطلب الرجاء بغير العمارة يخرب البلاد ويهلك العباد ولا يقيم ذلك إلا قليلاً.

ولكن اجمع أهل الخراج من كل بلد، ثم مرهم فليعلموك حال بلادهم والذي فيه صلاحهم، وصلاح أرضهم ورجاء خراجهم، ثم سل عما يدفعون إليك أهل العلم من غيرهم، فإن شكوا إليك ثقل خراجهم أو علة دخلت عليهم من انقطاع ماء أو فساد أرض علت عليها غرق أو عطش أو آفة محجفة خففت عنهم ما ترجو أن يصلح الله به ما كان من ذلك، وأمرت بالمعونة على استصلاح ما كان من أمورهم مما لا يقوون عليه، إن الله جاعل لك في عاقبة الإستصلاح غبطة وثواباً إن شاء الله فاكفهم مؤنة ما كان من ذلك، ولا تثقلن شيئاً خففته عنهم، وإن احتملته من المؤنات، فإنما هو ذخر لك عندهم يقوون به على عمارة بلادك وتزيين ملكك مع ما يحسن الله به من ذكرك. ويستجمهم به بعدك، ثم تكون مع

ذلك بما ترى من عمارة أرضهم، ورجاء خراجهم، وظهور مودتهم وحسن نياتهم واستفاضة الخير فيهم أقر عيناً وأعظم غبطة وأحسن ذخراً منك بما كنت مستخرجاً منهم بالكدر والإجحاف، فإن حزنك أمر تحتاج فيه إلى الإعتماد عليهم وجدت معتمداً بفضل قوتهم على ما تريد بما ذخرت فيهم من الجمام وكانت مودتهم لك، وحسن ظنهم وثقتهم بما عودتهم من عدلك ورفقك مع معرفتهم بقدرك فيما حدث من الأمور قوة لهم يحتملون بها ما كلفتهم، ويطيبون بها أنفساً بما حملتهم، فإن العمل يحتمل بإذن الله ما حملت عليه، وعمران البلاد أنفع مع عمران الخزائن، لأن مادة عمران الخزائن إنما تكون من عمران البلاد.

وإذا خربت البلاد انقطعت مادة الخزائن فخربت بخراب الأرض، وإنما يؤتى خراب الأرض وهلاك أهلها من اسرافٌ أنفس الولاة في الجمع، سوء ظنهم بالمدة، وقلة انتفاعهم بالغير ليس بهم أن يكونوا يعرفون التخفيف، واستجمامهم بذلك في العام للعام القابل، والإنفاق على ما ينبغي الإنفاق عليهم منها ما هو أرخى لخراجها، وأحسن لاثرهم فيها، ولكنهم يقولون يقول القائل لهم لا تؤخروا جباية العام إلى قابل كأنكم واثقون بالبقاء إلى قابل، ولكفى عجباً برأيهم في ذلك، وبرأي من يزينه لهم، فما الوالي الأعلى أحدى منزلتين، أما أن يبقى إلى قابل فيكون قد أصلح الأرض، واستصلح رعيته فرأى حسناً في عاقبة أثره في ذلك ما تقربه عينه، ويكثر به سروره، ويقل به همومه، ويستوجب به حسن الثواب على ربه.

وأما أن تنقطع مدته قبل القابل فهو إلى ما عمل به من صلاح واحسان أحوج والثناء عليه والدعاء له أكثر والثواب له عند الله أفضل، وإن جمع لغيره في الخزائن ما أخرب به البلاد، وأهلك به الرعية صار مرتهناً لغيره، والاثم فيه عليه، وليس تبقى من أمور الولاة إلا ذكرهم، وليس يذكرون إلا بسيرهم وآثارهم حسنة كانت أم قبيحة.

فأما الأموال فلا بد من أن يؤتى عليها فيكون نفعها لغيره، أو لنائبة من نوائب الدهر تأتي عليها فتكون حسرة على أهلها، وإن أحببت أن تعرف عواقب الإحسان والإساءة وضياع العقول من ذلك فانظر في أمور من مضى من صالح العمال والولاة وشرارهم، وهل تجد منهم أحداً ممن حسنت في الناس سيرته، وخفت عليهم مؤنته إذا سخط بإعطاء حق نفسه أضر به ذلك في شدة ملكه، أو

في لذات بدنه، أو في حسن ذكره في الناس، وهل تجد أحداً ممن ساءت في الناس سيرته واشتدت عليهم مؤنته كان له بذلك من العز في ملكه، مثل ما دخل عليه من النقص به في دنياه وآخرته، فلا تنظر إلى ما تجمع من الأموال، ولكن انظر إلى ما تجمع من الخيرات، وتعمل من الحسنات، فإن المحسن معان، والله ولي التوفيق، والهادي إلى الصواب.

ذكر ما ينبغي أن ينظر فيه من أمور كتابه

انظر كتّابك، فاعرف حال كل امرىء منهم فيم يحتاج إليه منه، فإن للكتاب منازل، ولكل منزلة فيها حق من الأدب، لا يحتمله غيره، فاجعل لولاية عليا أمورك منهم رؤوساء تتخيرهم لها على مبلغ كل امرىء منهم في احتمال ما توليه وول كتابة خواص رسائلك التي تدخل بها في مكيدتك، ومكنون سرك أجمعهم بوجوه صالح الأدب، وأعونهم لك على كل أمر من جلائل الأمور، وأجزلهم فيها رأياً، وأحسنهم فيها ديناً، وأوثقهم فيها نصحاً، وأطولهم عنك لمكنون الأسرار ممن لا تبطره الكرامة، ولا يزدهيه الألطاف، ولا تنجم به دالة عيّن بها عليك في خلاء، أو يلتمس اظهارها في ملاء، واصدار ما ورد عليه مت كتب غيرك عن استعمال معرفة الصواب فيما يأخذ لك ويعطي منك،ولا يضعف عقدة عقدها هالك ولا يعجز عن اطلاق عقدة عقدت عليك، ولا يجهل في ذلك معرفة نفسه، ومبلغ قدره في الأمور، فإنه من جهل قدر نفسه كان بقدر غيره أجهل، وولى ما دون ذلك من كتابة رسائلك وخراجك ودواوين جودك كتباً تجهد نفسك في اختيارهم فإنها رؤوس اعمالك وأجمعها لنفعك ولنفع رعيتك، فلا يكونن اختيارك ولاتها على فراستها فيهم ولا على حسن الظن منك بهم، فإنه ليس شيء أكثر اختلافاً لفراسة أولى الأمر ولا خلافاً لحسن ظنونهم من كثير من الرجال، ولكن اخترهم على آثارهم فيما ولو أقبلك، فإن ذلك من صالح ما يستدل به الناس بعضهم على أمور بعض.

فاجعل لرأس كل أمر من تلك الأمور رئيساً من أهل الأمانة والرأي، ممن لا يقهره كبير الأمور، ولا يتضيع لديه صغيرها، وعليك أن تتفقد أمورهم وتنظر في أعمالهم، وتتلطف في مسألة من غاب عنك من أحوالهم، حتى تعلم كيف معاملتهم الناس فيما وليتهم؟ فإن في كثير من الكتاب شعبة من العز ونخوات واعجاباً وتسرعاً كثيراً من التبرم بالناس والضجر عند المنازعة والضيق عند

المراجعة، ولا بد للناس من طلب حاجاتهم، فمتى جمعوا عليهم الإبطاء بها والغلظة، الزموك عيب ذلك، وادخلوا مؤنته عليك، وفي النظر في ذلك من إصلاح أمورك مع مالك عند الله من الجزاء حظ عظيم انشاء الله تعالى[1].

ذكر ما ينبغي للوالي أن ينظر فيه من أمر طبقة التجار والصنايع

انظر إلى التجار وأهل الصناعات، واستوص بهم خيراً، فإنهم مادة للناس ينتفعون بصناعاتهم، ومما يجبون إليهم من منافعهم ومرافقهم في البر والبحر ومن رؤوس الجبال وبلدان مملكة العدو، وحيث لا يعرف أكثر الناس مواضع ما يحتاجون إليه من ذلك، ولا يطيقون الإيثار به بأنفسهم، فلهم بذلك حق وحرمة يجب حفظهم لها، فتفقد أمورهم، واكتب إلى عمالك فيهم، وأعلم مع ذلك أن في كثير منهم شحاً قبيحاً وحرصاً شديداً واحتكاراً للتربص والغلاء، والتضييق على الناس والتحكم عليهم، وفي ذلك مضرة عظيمة على الناس، وعيب على الولاة، فأمنعهم من ذلك وتقدم إليهم فيه، فمن خالف أمرك فخذ يدك فوق يده بالعقوبة الموجعة، إن شاء أو أبى.

ذكر ما ينبغي للوالي أن ينظر فيه من أمور أهل الفقر والمسكنة

ولا تضيعن أمور الطائفة الأخرى من المساكين وذوي الحاجات، وأن تجعل لهم قسماً من مال الله يقسم فيهم مع الحق المفروض الذي جعل الله لهم في كتابه من الصدقات، وفرق ذلك في أعمالك، فليس أهل موضع أحق به من أهل موضع، بل لأقصاهم من الحق ما لأدناهم وكل قد استرعيت أمره.

فلا يشغلنك عن تعاهد أمورهم النظر في أمر غيرهم، فإن لكل منك نصيباً لا تعذر بتضييعه، وتفقد حاجات مساكين الناس وفقرائهم ممن لا يصل إليك حاجته، وممن تقتحمه العيون، وتحقره الناس عن رفع حاجاته إليك وانصب لهم أوثق من عندك في نفسك نصيحة، وأعظمهم في الخير حسبه، وأشدهم لله تواضعاً، ممن لا يحقر الضعفاء ولا يستشرف العظماء، ومرهم فليرفعوا إليك أمورهم، ثم انظر فيها نظراً حسناً، فإن هزيل الرعية أحوج إلى الإنصاف والتعاهد

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

من ذوي السمانة، وتعاهد أهل الزمانة والبلاء وأهل اليتم والضعف وذوي الستر من أهل الفقر الذين لا ينصبون أنفسهم لمسألة يعتمدون عليها.

فاجعل لهم من مال الله نصيباً تريد بذلك وجه الله والقربة إليه، فإن الأعمال إنما تخلص بصدق النيات(١).

ذكر ما ينبغي أن يأخذ الوالي به نفسه في الأدب وحسن السيرة

ولا بد وان اجتهدت في اعطاء كل ذي حق حقه، أن تتطلع أنفس طوائف منهم إلى مشافهتك بالحاجات، وذلك على الولاة ثقل ومؤنة، والحق ثقيل الا على من خففه الله عليه، ولذلك ثقل ثوابه في الميزان.

فاجعل لذوي الحاجات من نفسك قسماً ووقتاً تأذن لهم فيه، وتتسع لما يرفعونه إليك، وتلين لهم جناحك، وتتحمل خرق ذوي الخرق منهم وعي أهل العي فيهم للا أنفة منك ولا ضجر، فمن أعطيت منهم فأعطه هنيئاً، ومن حرمت منهم فأمنعه بأجمال وحسن رد، وليس من شيء أضيع الأمور الولاة من التواني واغتنام تأخير يوم إلى يوم وساعة إلى ساعة، والتشاغل بما لا يلزم عما يلزم، فأجعل لكل شيء تنظر فيه، وقتاً لا يقصر به عنه ثم أفرغ فيه مجهودك(٢).

جعل بعض الوقت لله تعالى

وامض لكل يوم عمله، وأعط لكل ساعة قسطها، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وان كانت كلها لله إذا صحت نيتك، ولا تقدم شيئاً على فرائض دينك في ليل ولا نهار حتى تؤدي ذلك كاملاً موفراً، ولا تطل الإحتجاب، فإن ذلك باب من سوء الظن بك وداعية إلى فساد الأمور عليك والناس بشر لا يعرفون ما غاب عنهم، وتخير حجابك، واقص منهم كل ذي اثرة على الناس بشر لا يعرفون ما غاب عنهم، وتخير حجابك، واقص منهم كل ذي اثرة على الناس وتطاول وقلة أنصاف، ولا تقطع أحداً من حشمك، ولا من أهلك ضيعة، ولا تأذن لهم في اتخاذها إذا كان يضر فيها بمن يليه من الناس، ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك، فإن في الصلح دعة للجنود، ورخاء للهموم وأمناً

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

للبلاد، فإن أمكنتك القدرة والفرصة من عدوك فأنبذ عهده إليه، واستعن بالله، وكن أشد ما تكون لعدوك حذراً عندما يدعوك إلى الصلح، فإن ذلك ربما كان مكراً وخديعة.

وإذا عاهدت فحط عهدك بالوفاء وأرع ذمتك بالأمانة والصدق.

واياك والغدر بعهد الله والأخفار لذمته، فإن الله جعل عهده أماناً أمضاه بين العباد برحمته، والصبر على ضيق ترجو انفراجه خير من غدر تخاف أوزاره وتباعته وسوء عاقبته.

واياك والتسرع إلى سفك الدماء لغير حلها، فإنه ليس شيء أعظم من ذلك تباعة ولا تطلبن تقوية ملك زائل لا تدري ما حظك من بقائه وبقائك له بهلاك نفسك، والتعرض لسخط ربك.

اياك والإعجاب بنفسك والثقة بها، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه.

اياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، والتواني فيها قبل أبانها وزمانها وامكانها، واللجاجة فيها إذا تنكرت، والوهن إذا تبينت، فإن لكل أمر موضعاً ولكل حالة حالاً[(١)].

(٢) رسالة الإمام الصادق(ع) إلى النجاشي:

عن عبد الله بن سليمان النوفلي قال: كنت عند جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، فإذا بمولى لعبد الله النجاشي قد ورد عليه فسلمّ وأوصل إليه كتابه ففضّه وقرأه، وإذا أول سطر فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، الى أنْ قال: إني بُلِيتُ بولاية الأهواز، فإن رأى سيدي مولاي أن يحدَّ لي حداً، أو يمثل لي مثالاً لاستدل به على ما يقربني إلى الله عز وجل وإلى رسوله، ويلخص لي في كتابه ما يرى لي العمل به، وفيما ابتذله، وأين أن أضع زكوتي؟ وفيمن أصرفها؟ وبمن أنس؟ وإلى من استريح؟ وبمن أثق وآمن وألجأ إليه في سري؟ فعسى يخلصني الله بهدايتك فإنك حجة الله على خلقه، وأمينه في بلاده، لا زالت نعمته عليك؟.

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

قال عبد الله بن سليمان: فأجابه أبو عبد الله عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم: دعاك الله بصنعه، ولطف بك بمنه، وكلاك برعايته، فإنه ولي ذلك.

أما بعد، فقد جاءني رسولك بكتابك، فقرأته وفهمت جميع ما ذكرت وسألت عنه، وزعمت أنك بليت بولاية الأهواز، فسرّني ذلك وساءني، وسأخبرك ما ساءني من ذلك، وما سرني انشاء الله.

فأما سروري بولايتك فقلت: عسى أن يغيث الله بك ملهوفاً خائفاً من آل محمد، ويُعزّ بك ذليلهم، ويكسو بك عاريهم، ويقوى بك ضعيفهم، ويطفي بك نار المخالفين عنهم.

وأما الذي ساءني مِن ذلك، فإن أدنى ما أخاف عليك أن تعثر بوليٍّ لنا، فلا تشم حظيرة القدس، فإني ملخص لك جميع ما سألت عنه إن أنت عملت به، ولم تجاوزه رجوت أن تسلم إنشاء الله.

أخبرني يا عبد الله، أبي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: من آستشاره أخوه المؤمن فلم يمحضْه النصيحة سلبه الله لبه.

واعلم أنّي سأشير عليك برأيي إنْ أنت عملت به تخلصت ممّا أنت متخوفه.

واعلم إن خلاصك مما بك من حقن الدماء، وكفّ الأذى مِن أولياء الله والرفق بالرعية والتأني وحسن المعاشرة مع لينٍ في غير ضَعف، وشدة في غير عنف، ومداراة صاحبك، ومن يرد عليك من رسله وارتق فتق رعيتك بأن توقفهم على ما وافق الحق والعدل إنشاء الله.

واياك والسعادة وأهل النايم، فلا يرقن بِكَ أحد منهم، ولا يراك الله يوماً بليلة وأنت تقبل منه صرفاً ولا عَدْلاً، فيسخط الله عليك ويهتك سترك.

إلى أن قال عليه السلام:

فأما مَن تأنس به وتستريح إليه وتلجيء أمورك إليه، فذلك الرجل الممتحن المستبصر الأمين الموافق لك على دينك، وفي أعوانك وجرّبِ الفريقين، فإنْ رأيت هناك رشداً، فشأنك وإياه.

واياك أن تعطي درهماً، أو تخلع ثوباً، أو تحمل على دابة في غير ذات الله لشاعر أو مضحك، أو ممتزح الا اعطيت مثله في ذات الله[1].

ولتكن جوائزك وعطاياك، وخلعك للقواد والرسل والأخبار وأصحاب الرسائل وأصحاب الشرط الأخماس، وما وددت أن تصرفه في وجه البرّ والنجاح والفطرة والصدقة والحَجّ والمشرب والكسوة التي تصلي فيها وتصل بها والهدية التي تهديها إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ في أطيب كسبك.

يا عبد الله، أجهد أن لا تكنز ذهباً وفضة فتكون من أهل هذه الآية **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم﴾**[2].

ولا تستصغرنّ مِن حلوى ولا من فضل طعام تصرّفه في بطون خالية لتسكن بها غضب الرب تبارك وتعالى.

واعلم: أني سمعت أبي يحدث عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه سمع عن النبي يقول لأصحابه يوماً: ما آمن بالله واليوم الآخر مَنْ بات شبعاناً وجاره جائع. فقلنا: هلكنا يا رسول الله؟! فقال: مِن فضل طعامكم، ومِنْ فضل تمركم ورزقكم وخلقكم وخرقكم تطفئون بها غضب الربّ.

وسأنبئك بهوان الدنيا وهو أن شرفها على من مضى من السلف والتابعين (ثم ذكر حديث زهد أمير المؤمنين في الدنيا وطلاقه لها، إلى أن قال): وقد وجهت إليك بمكارم الدنيا والآخرة عن الصادق المصدق رسول الله ﷺ، فإن أنت عملتَ بما نصحت لك في كتابي هذا ثم كانت عليك من الذنوب والخطايا كمثل أوزان الجبال وأمواج البحار[3]، رجوت الله أن يتجافى عنك جل وعز بقدرته.

يا عبد الله، إياك أن تخيفَ مؤمناً، فإن أبي محمد بن علي حدثني، عن أبيه، عن جَدّه علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه كان يقول: مَنْ نَظَرَ إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله يوم لا ظلّ إلاّ ظِلّه وحشره في صورة الذرّ لحمه وجسده وجميع أعضائه حتى يورده مورده.

وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليه السلام، عن النبي ﷺ قال: مَنْ أغاث

---

(١) أي إذا كان لا بد فكفارته ذلك.

(٢) سورة التوبة: الآية/ ٣٤.

(٣) فإن الذنب ثقله كالجبال، والمراد الذنوب الشخصية.

لهفاناً مِن المؤمنين، أغاثه الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه وآمنه يوم الفزع الأكبر، وآمنه مِنْ سوء المنقلب.

ومَنْ قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة أحداها الجنة، وَمن كسا أخاه المؤمن مِن عُرى كساه الله من سندس الجنة واستبرقها وحريرها ولم يزل يخوض في رضوان الله ما دام على المكسو منه سلك، وَمَنْ أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيبات الجنة، ومَنْ سقاه مِن ظمأ سقاه الله مِن الرحيق المختوم ريه، ومن خدم أخاه خدمه الله من الولدان المخلدين وأسكنه مع أوليائه الطاهرين، ومَنْ حمل أخاه المؤمن مِن رجله حَمَلَهُ الله على ناقةٍ مِنْ نوق الجنة وباهى به الملائكة المقرّبين يوم القيامة.

ومَنْ زوّج أخاه المؤمن امرأة يأنس بها وتشدّ عضدَهُ ويستريُح إليها زوّجه الله من الحور العين وآنسه بمن أحبّه مِن الصديقين مِن أهل بيت نبيّه وأخوانه وآنسهم به.

ومَن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زلة الأقدام، ومَن زار أخاه إلى منزله لا لحاجة منه كُتبَ مِنْ زوّار الله، وكان حقيقاً على الله أن يُكرم زائره.

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليه السلام أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لأصحابه يوماً: معاشر الناس إنه ليس بمؤمن مَن آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه فلا تتّبعوا عثرات المؤمنين فإنه مَنْ تتبّع عثرة مؤمن تتبّعَ الله عثراته يوم القيامة وفضحَهُ في جوف بيته.

وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليه السلام، أنه قال: [1]أخذ الله ميثاق المؤمن ألاّ يصدق في مقالته وألاّ ينتصف من عدوه ألاّ يشفي غيضه إلا بفضيحة نفسه لأن كل مؤمن ملجم وذلك لغاية قصيرة وراحة طويلة، وأخذ الله ميثاق المؤمن على أشياء أيسرها عليه مؤمن مثله يقول بمقالته يبغيه ويحسده والشيطان يغويه ويضله والسلطان يقفوا أثره ويتبع عثراته وكافر بالله الذي هو مؤمن به يرى سفك دمه ديناً، واباحة حريمه غنماً، فما بقاء المؤمن بعد هذا[2].

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليه السلام، عن النبي قال: نزل

---

(١) هذه صفات المؤمنين المجاهدين.

(٢) المراد إن المؤمن يلزم عليه إن لا يهتم بتلك في سبيل الله.

جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: اشتققت للمؤمن اسماً من أسمائي سميته مؤمناً، فالمؤمن منّي وأنا منه، مَنْ استهان مؤمناً فقد استقبلني بالمحاربة.

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن النبي صلى الله عليه وآله قال يوماً: يا علي، لا تناظرْ رجلاً حتى تنظر في سريرته، فإنْ كانت سريرته حسنة فإنَّ الله عز وجل لم يكن ليخذل وليَّه، وإن تكن سريرته رديّة فقد يكفيه مساويه فلو جهدت أن تعمل به أكثر مما عمل من معاصي الله عز وجل ما قدرت عليه.

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن عليٍّ عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنّه قال: أدنى الكفر أن يسمع الرجل مِنْ أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها أولئك لأخلاق لهم.

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليهم السلام، أنه قال: من قال في مؤمن ما رأتْ عيناه وسمعتْ أذناه ما يشينه ويهدم مروّته فهو مِن الذين قال الله وجل: **﴿ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم﴾**(1).

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: مَنْ روى عن أخيه المؤمن رواية يريد بها هَدْم مروته وثلبِهِ أوبقهَ الله بخطيئته حتى يأتي بمَخرجِ مما قال ولن يأتي بالمخرج منه أبداً.

ومَن أدخل على أخيه المؤمن سروراً، فقد أدخل على أهل البيت عليهم السلام سروراً، ومَن أدخل على أهل البيت عليهم السلام سروراً، فقد أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله سروراً، ومَن أدخل على رسوله صلى الله عليه وآله سروراً فقد سَرَّ الله، ومَن سرَّ الله فحقيق على الله عز وجل أن يُدخله جنته.

ثم إني أوصيك بتقوى الله وإيثار طاعته والإعتصام بحبله فإنه من اعتصم بحبل الله فقد هدي إلى صراط مستقيم، فاتق الله ولا تُؤثر أحداً على رضاه وهواه فإنه وصية الله عز وجل إلى خلقه لا يقبل منهم غيرها ولا يعظم سواها.

واعلم: إن الخلائق لم يوكلوا بشيء أعظم من التقوى فإنه وصيتنا أهل البيت، فإن استطعت ألاّ تنال من الدنيا شيئاً تُسأل عنه غداً فافعل.

---

(1) سورة النور: الآية/ ١٩.

قال عبد الله بن سليمان: فلمّا وصل كتاب الصادق عليه السلام إلى النجاشي نظر فيه وقال: صدق والله الذي لا إله إلاّ هو مولاي فما عمل أحدٌ بما في هذا الكتاب إلاّ نَجَا، فلم يزل عبد الله يعمل به أيام حياته(١).

واقعيةُ الحركة والحكومة الإسلامية

يجب أن يُعرف، أنَّ الحركة التي يراد إقامتها لأجل إيجاد التيار العالمي الإسلامي الذي يصل إلى حكومة ألف مليون مسلم، بإذن الله تعالى، يجب أن تكون واقعية، ومعنى الواقعية ألاّ تهتم بالدنيا، وإنما كل اهتمامه للآخرة وانقاذ المستضعفين مِن براثن المستكبرين وتوحيد المسلمين في حركة واحدة وإذا كانت الحركة هكذا (لا تفكّر في نفسها، وفي عنوانها، وذاتها وشخصيتها وسمعتها وما أشبه مما ينافي الموازين الإسلامية) ظَهَرَتْ على الحركة ملامح الواقعية مِن عدم الإعتناء بالمأكل والمشرب والملبس والدار والسيارة والأبهّة ونحوها، وإنما يكون طابعها العام: الصدق والأمانة والوفاء والمروءة، وعدم حب الشهرة، وهكذا ابتدأت حركة الرسول صلى الله عليه وآله حتى انتهت إلى تلك.

الحكومة إما شعبية وإما سلطوية

الحكومة الشعبية غير سلطوية، فإن هناك خطين في الدولة تبتدىء من الحركة أية حركة، وأية دولة: خط شعبي يكون من الناس وإلى الناس، ومع الناس، لا بالإعلام والشعار والدعاية، فلا يجلس الحاكم في برج عاجيٍّ، ويلف حوله جماعة من المرتزقة ويستندُ إلى السلاح والإستخبارات والإعلام، ثم يدّعي أنه شعبي، وإنما يكون الحاكم مع الناس في أحزانهم ومسراتهم، في مأكلهم ومشربهم، بل ربما كان يتمتعُ بأقلّ مما يتمتع الناس.

ولذا ورد: أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أحياناً يشدُّ على بطنه حَجَرَ المجاعة، وقالت زوجة مِنْ زوجاته: كنا نؤكل الناس الأَحْمَرين، ونأكل نحن الأسودين (والمراد بالأحمرين اللحم والحنطة، وبالأسودين الماء والتمر)(٢).

وورد في وصف علي عليه الصلاة والسلام: (يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جَشب).

---

(١) البحار: ج ٧٢ ص ٣٦٠ ح ٧٧.

(٢) البحار: ج ١٦ ص ٢٢٧ ح ٣٤.

وقد تقدم أنه عليه السلام قال: (ولعلّ هناك باليمامة أو بالحجاز مَن لا عهد له بالشبع، ولا طمع له في القرص)(1).

فإذا كانت الحركة هكذا، حركة شعبية تمشي مع الناس، وتجلس مع الناس وتقضي حوائج الناس وتشترك مع الناس في أحزانهم ومسراتهم، وتتلقى ما يتلقاه الناس من الصعوبات، وكل فرد منها يلبس كما يلبسون، ويأكل كما يأكلون. ويتزوج كما يتزوجون. ويسكن كما يسكنون، لا يتفضلّ عليهم، ولا يستغلهم للتصفيق له، ورفع الشعارات في نفعه ولا يستثمرهم لأجله.

فإن هذه تكون حركة شعبية يرجى أن تصل إلى حكومة ألف مليون. فقد قال علي عليه الصلاة والسلام كما في نهج البلاغة: (فلما عرف الله منا الصدق أنزل علينا النصر).

ان الإنسان الذي يطالع جملة من الحركات الإسلامية يجدها أنها لم تبتدىء هكذا، ولهذا لم تنته إلى شيء، فإنَّ الأساس المعوَجّ لا ينتهي إلى البناء السليم المستقيم.

الحركة واقعية شعبية

فإذا اتسمت الحركة بالواقعية والشعبية، لا بدّ وأن تنتهي إلى حكومة واقعية شعبية، فإن هناك الحكومة الشعبية، وهناك الحكومة السلطوية، وهما مزاجان متناقضان إلى أبعد الحدود.

ولا بأس هنا إلى إلفات نظر، وهو أنَّ قسماً مِن غير المتعمقين يقولون: لماذا عَليّ عليه السلام لم يهادن أعداءه؟ ولم يقبل ببقاء معاوية والياً كما كان منصوباً من قبل، مما سبّب أن يَجرّ على نفسه عليه الصلاة والسلام مشاكل جمة عانىٰ منها إلى آخر حياته؟

والجواب واضح، فإن علياً الصلاة والسلام لم يُرد أن تكون حكومته سلطوية، وإنما أراد أن تكون حكومة شعبية، فإن الحكومة السلطوية لا تكون أسوة، ولا تتمكن مِن إنقاذ المستضعفين، لا في زمانه ولا بعد زمانه، ولا يسيطر على القلوب، لا في زمانه ولا بعد زمانه، ولا يمدحه التاريخ.

---

(1) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

فهل يتوقع أحد أنْ يكون عليٌّ كمعاوية، ممن كانت القلوب ضدّه في زمانه ولعنه المسلمون وغير المسلمين بعده وإلى اليوم، بل وإلى يوم الإنقضاء حسب القوانين الإجتماعية؟ والمصانعة والمداهنة والكذب والدجل والخداع وصرف الأموال للنفس وللجماعة الملتّفين حوله، وتقديم المحسوبية والمنسوبية على الكفاءة والواقعية، كل ذلك تنصبّ في التيار السلطوي.

وفي قبال كل ذلك، الحاكم الشعبي الواقعي، فمع قطع النظر عن الاخرة وما أعدّه الله سبحانه وتعالى للمتّقين، إن العقل يقضي أن يكون الحاكم شعبياً مهماً جرت عليه من الويلات والمآسي، لا أن يكون الحاكم سلطوياً، مهما سبب ذلك راحته ولذته.

اثر التيار الشعبي

وكيف كان، فإذا مشت الحركة التي تتبنّى حكومة ألف مليون مسلم في الواقعية الشعبية غير السلطوية سبّبت ألاّ يكون استضعاف في داخل الحركة، فلا طبقة عالية وطبقة سافلة ولا امتيازات وما أشبه، وبذلك يلتفُّ الناس حولها وتتوسع رقعتها، فإذا انتهت إلى الحكم لا بدّ وأنْ تتمكن أيضاً الحكومة المبنية على ذلك مِن إخراج المستضعفين مِن ضعفهم (لا في البلاد الإسلامية، ومن تحت الحكومة الإسلامية فحسب، بل وحتى في سائر البلاد وسائر الحكومات).

الإستكبار والإستضعاف

فإن الإستضعاف والإستكبار، قد صارا طابع العصر، وحتى تجد في أمريكا وهي زعيمة الرأسمالية العالمية ما يقارب من خمسة وعشرين مليوناً من الجائعين، حسب تقرير نفس الأمريكيين، أما في أفريقيا وغيرها، فالفقر والمرض والجهل والإستضعاف قد بلغ حداً كبيراً.

وقد رأيت في تقرير: إن أكثر من ألف مليون إنسان جائعون دائماً، كما رأيت في تقرير آخر، إن خمسين مليوناً من الأطفال يموتون كل عام جوعاً، ولسوء التغذية، وعدم الدواء والعناية الصحية، وتلوّث البيئة وغير ذلك.

فإذا رفعت الحركة والحكومة المترقبة شعار اللاإستضعاف، وعملت هي بذلك، لا بدّ وأنْ يطفح الخير منها إلى سائر جوانب الحياة، فقد قُرِّرَ في علم الإجتماع: أن الخير والشر مَثَلُهما مثل الماء في أواني متعددة متصلة بعضها ببعض، حيث أن الماء لا بدّ وأنْ تتساوي سطوحه في كل الأواني.

وهكذا تكون حال الحركات المستكبرة والحكومات المستكبرة فإنها لا بدّ وأنْ تعطي الإستكبار، كما أنَّ الحركات والحكومات الواقعية الشعبية، لا بدّ وأنْ تعطي الواقعية والإعتدال (فالناس على دين ملوكها) كما في الحديث وفي حديث آخر: (كيف ما تكونوا يُولّى عليكم) فإن هذين الأمرين وجهان لعملة واحدة، فإذا صلحت الحركة صلحت الحكومة المبنيّة عليها، وبصلاحها يرتفع الإستضعاف عن بلاد الحركة، وبارتفاع الإستضعاف عن بلاد الحركة يرتفع الإستضعاف عن سائر البلاد أيضاً تدريجياً بإذن الله تعالى (كما نشاهد ذلك ملموساً في حكومة رسول الله، وحكومة علي عليهما الصلاة والسلام، وقد تقدم الإلماع إلى بعض جوانب هاتين الحكومتين المباركتين).

الحكومة الشعبية تُطلق حريات الناس

وإذا كانت الحركة، ومن بعدها الحكومة، شعبيةً واقعية غير سلطوية، لا بدّ وأن تتاح للناس الحريات، والحرية تسبب أن لا تكون حدود جغرافية، ولا اقليمية، ولا لغوية، ولا عنصرية بين كافة المسلمين، وتسودُ بينهم الأخوّة الإسلامية.

لأنَّه لا تفاضل، ولا إستضعاف، ولا إستثمار، وحينذاك لا تحتاج الحكومة إلى ضرائب باهظة وإلى جمارك مرهقة، لأنَّ الحكومات غير الشعبية والسلطوية هي الحكومات التي تضع الضرائب مما تسبب الضغط على الناس، وكثرة البطالة بين الناس، بينما الحركات والحكومات الواقعية الشعبية غير السلطوية بالعكس من ذلك تماماً (**إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم، يذبح أبنائهم، ويستحيي نسائهم**)[1].

وهكذا تنتهي الحكومات السلطوية إلى ذبح الأبناء، واستحياء النساء، بل وأحياناً إلى ذبح النساء أيضاً كما نشاهد ذلك في الحكومات المعاصرة السلطوية القومية والشيوعية والبعثية وما أشبه.

مِن سمات القوى السلطوية

ومن الواضح، أن من طبيعة القوى السلطوية، سواء كانت في حركة أو حكومة إنها هي التي تحدد كل شؤون الناس حتى علم العلماء، ولذا نجد أن

---

(١) سورة القصص: الآية/ ٤.

السياسيين في الغرب والشرق هم الذين يحددون النموذج العلمي لأسباب سلطوية محضة، مثل ضرورات الردع وشن الحروب وصنع الأسلحة وكسب المزيد من المنافع، وحتى إن صعودهم إلى سطح القمر ليس إلاّ لأجل ذلك بينما تجد البلاد الشيوعية جائعة إلى شحمة آذانها ومحتاجة إلى لقمة الخبز، والبلاد الأمريكية تتفشى فيها البطالة والفقر، وكذلك البلاد الاوربية في حين أنها تصرف مليارات الدولارات للصعود على سطح القمر بقصد المباهات وملىء مشاعر الكبرياء والغرور والوطنية المزيفة والقومية الضيقة، من دون أن يفكر حتى علماء الجانبين في إعطاء حاجات أكثر من ألف مليون جائع، إلا أحياناً بالشعار والمؤتمرات المكذوبة، وذرف دموع التماسيح.

إن السلطة الإستعلائية والشعبية الواقعية صفتان متناقضتان متعارضتان بينهما بون بعيد، ولا يمكن لأحديهما أن تؤدي إلى الأخرى، ولا يمكن للصفات والعمليات الواقعية أنْ تؤدي إلى السلطوية وكذلك العكس.

السلطوية توجب الاختلاف والتجزئة

ومن الواضح، إن الحالة السلطوية تقتضي الإختلاف، فيما بينها أيضاً وهذا هو السبب في نشوب الحروب لأجل السيطرة والسيادة، كما شاهدناها بين النمسا والمانيا وبريطانيا وفرنسا، والغرب والشرق في الحرب العالمية الأولى، والحرب العالمية الثانية، والتي نشاهدها دائماً من الحروب الباردة والحارة، سواء بين الدول الكبار أو الدول الصغار بزعامة الكبار أو تأييدها.

فإن العمل السلطوي لا ينتهي باستضعاف الضعفاء فقط، وإنما يرجع إلى نفسه بالفسخ والتمزق والحروب والثورات.

ولذا نشاهد إنَّ الغرب والشرق غير مستعدّين للتوحيد، في أي جانب من جوانب الحياة لا تحتِ لواء الإسلام فقط، بل تحت أي لواء، لأنَّ مِن طبيعة السلطوية ألتمزيق والتفريق والإستغلال وضرب بعض الناس ببعض، وذلك يقتضي ضرب الإتجاهات الوحدوية أياً كان مصدرها، وهذا هو سبب ما نشاهدُ مِن الفرق بين فرعون وبين محمد ﷺ، حيث أن الأول **﴿جعل أهلها شيعاً﴾**[1] بينما الثاني ﷺ يقول: **﴿وإن هذه أمتكم أمةً واحدة﴾**[2] ويقول تلميذهُ علي عليه الصلاة

(١) سورة القصص: الآية/ ٤.

(٢) سورة الانبياء: الآية/ ٩٢.

والسلام: (الناس صنفان، أَما أَخ لك في الدين، أَو نظير لك في الخلق).

القوى العظمى ضدّ التوحيد والوحدة

وفي التأريخ المعاصر نشاهد إِن الغرب والشرق معارضانِ لأَي تِوحيد، ومساندان لأَية تِجزئة، وحتى لو أرادت الوثنية توحيد القارة الأفريقية، أو أرادت توحيد القبائل، يرى الشرق والغرب وجوب القضاء على تلك الوحدة بل وحتى لو كانت أنظمة الزراعة والأخوة والمواسات والحرية توجب الوحدة، لكان الغرب والشرق أول مقام لتلك الأنظمة.

ولذا نجد أن المستعمرين الأمريكيين والأوربيين والروس والصينيين آجهزوا على كل النظم السياسة والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والتربوية والدينية وغيرها، التي وجدوها في البلاد التي احتلوها سواء في آسيا أو أفريقيا أو أمريكا أو غيرها.

وليس ايجاد المستعمرين الحركة القاديانية في الهند، والبهائية في ايران والوهابية في الحجاز، إلا من هذا المنطلق.

وهكذا جعل المستعمرون الحدود السياسية والجغرافية الطبقية داخل الوطن الاسلامي، فإنها لم تكن فيها حدود تفصل بين بلد وبلد، ولا بين جماعة وجماعة، ولم يكن الناس درجة أولى، ودرجة ثانية، ودرجة ثالثة، وألف وباء وجيم (إلى غير ذلك) قبل دخول المستعمرين بلاد الاسلام.

كما لم تجد قبل دخول المستعمرين بلاد الاسلام الزعامات داخل كل هذه الكيانات الصغيرة، وذلك لتكريس التجزئة (حتى نجد أن الشعب الواحد لغته وثقافته وروابطه كالعرب أو الفرس على سبيل المثال تتعرض للتجزئة وانشاء كيانات قومية ودولية معارضة بعضها لبعض، فهذه مصر، وهذه سوريا، وهذه الأردن، وهذه الكويت، وهذا العراق، وفي جانب آخر هذه ايران، وهذه افغانستان وهكذا، مع العلم أن الدول الأولى كلها لسانها واحد، ودينها واحد ومصالحها مشتركة ومتشابكة، وكذلك بالنسبة إلى ايران وأفغانستان.

قوة قوانين الاسلام في أعماق المسلمين

لكن مِنْ حُسنْ الحظ الذي يشجعنا على تكوين حركة إسلامية عالمية تنتهي إلى حكومة ألف مليون مسلم تنتهي بدورها إلى الغاء الاستضعاف عن الجامعة

البشرية، إن المسلمين يعرفون كل قوانين الاسلام الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، ولذا نراهم لا يرضخون إلاّ تحت الحراب وبقوة السلاح للقوانين المستوردة حتى إذا كان مطبقي تلك القوانين ادعياء الاسلام، فإن المسلمين كافة، الا مَنْ شَذَّ وندر مِن المستغربين منهم يقاومون القوانين الكافرة حتى أصبحت الحكومات التابعة للغرب والشرق ـ اسماً أو واقعاً ـ حقيرة في نظر المسلمين جداً، ولم تفلح تلك الحكومات في انتزاع اعتراف الجماهير المسلمة في بلادها بشرعية تلك الحكومات السياسية ولا بشرعية قوانينها واقتصادها وضرائبها وما أشبه.

ولذا نرى الحرب التي لا هوادة فيها منذ مائة سنة بين المستعمرين وعملائهم في الدول الاسلامية وبين الشعب الاسلامي ذي ألف مليون، وذلك من أقوى الأدلة على أن هذه الحكومات التي هي حكومات قليلة في الأفراد ليست قادرة على إنشاء علاقة وطيدة مع المسلمين، وحتى نرى مثلاً السعودية وهي حكومة تابعة للغرب ـ كما هو واضح ـ على دعاياتها وضخامة أعلامها لم تتمكن من جذب المسلمين حتى في الحجاز، فإن الحجازيين أيضاً يكرهون السعوديين كرهاً كبيراً، وإنما السلطة لها أفراد قلائل يدعمونها بالمال والسلاح والاستخبار، وقد أخفقت هذه الحكومة في انشاء علاقات بينها وبين الأمة الإسلامية.

المسلمون ملتفّون حول الاسلام وحملته

إنَّ مِن طبيعة المسلمين في كلّ بلاد الاسلام، إن يلتفّوا حول العلماء المعارضين للسلطة، وإنْ كانت السلطة تتشدق بالإسلام وتُظهر نفسها أنها حكومة مسلمة، وذلك يدلُ على أن المسلمين بكافتهم يعرفون الاسلام معرفة جيدة، فإنهم كما يعرفون الصلاة والصيام والحج والخمس والزكاة والمسجد والحسينية، كذلك يعرفون الاقتصاد الاسلامي، والسياسة الاسلامية، والاجتماع الاسلامي.

ولذا نجدهم يهربون من قوانين الدول ويخرقونها بكل صراحة، فبينما تجد أن التاجر الفلاني يأتي إلى عالم ويقدم له مائة ألف دينار، تجد نفس هذا التاجر غير مستعد لأن يعطي حتى ديناراً واحداً، للدولة الا تحت ظل الحراب والضغط والارهاب، كما تجد المسلمين يسافرون من بلد إلى بلد من البلاد الاسلامية ويضربون قوانين الحواجز والحدود عرض حائط مهما وجدوا إلى ذلك السبيل، غير آبهين بقوانين الدولة المانعة عن ذلك، كما تجدهم يأخذون المباحات،

ويستولون على الأراضي لاحتياجاتهم مهما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ببناء دورهم ومعاملهم وما أشبه متخذين من قانون: (الأرض لله ولمن عمرها) وقانون: (مَن سبق إلى ما لم يسبق مسلم فهو أحق به) قانونهم الذي يعملون على طِبْقِهِ.

وكَذلَك تراهم يحفظون الأخوة الإِسلامية، فيزوّج عربهم لعجمهم، وعجمهم لهنديهم، وهنديهم لتركيهم، غير آبهين بالقوانين التي تضعها الحكومات المعرقلة لهذه الأخوة، حتى وإن كانت تلك الحكومات تدعي الإسلام في إذاعتها وتلفزيونها وما أشبه، إلى غيرها من حالات المسلمين الشاهدة لذلك.

الشهادتان مفتاح كل خير

ومن خصائص الإِسلام إنَّ معرفة بدائية بجزئه الأهمّ يُعطي للمسلم الوعي الكافي بإِدراك سائر أجزائه: إن قول المسلم: (لا اله إلا الله محمد رسول الله) واعتقاده أن القرآن والسنة والعترة والعلماء هم المحور، يعطي للمسلمين وعياً كافياً، لا في جانب العبادات والمعاملات فحسب، بل في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والعسكرية وغيرها، إنه لا شك أن أفراداً من المسلمين قد يكونون جهلاء، ولكن لا يمكن اقناع الأمة الاسلامية بأكثريتها الكاسحة بأن تقبل ما تقدمه هذه الحكومات التابعة للغرب والشرق - سواء كانت تابعة لها في ظاهرها وباطنها، أو في باطنها - بسن القوانين المخالفة للشريعة الاسلامية، وهذا هو الذي نراه سبباً لفشل جهود الغرب والشرق في سلخ المسلمين عن الاسلام، مهما صبوا من الجهود في هذا الشأن منذ قرنين، أو أربعة قرون من الزمان.

وعلى أي حال، فاعتمادنا نحن على هذه النفسية الاسلامية الرفيعة في كل المسلمين، هو الذي يشجعنا على المُضيّ في تشكيل حركة اسلامية عالمية، لايجاد تيار عام في كافة بلاد الاسلام لأجل النهوض بالمسلمين إلى حكومة اسلامية ذات ألف مليون مسلم. . . نسأل الله ذلك.

اللهم انا نرغب اليك في دولة كريمة، تعز بها الاسلام واهله، وتذل بها النفاق واهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة الى سبيلك وترزقنا بها كرامة الدنيا والاخرة.

وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين، والحمد الله رب العالمين اولا واخيراً والعاقبة للمتقين.

قم المقدسة

محرم ـ ١٤٠٣ هـ

محمد بن المهدى الحسينى الشيرازى

من مؤلّفات الإمام الشيرازي

يمتاز الإمام الشيرازي بتنوّع مؤلّفاته وشموليّتها وكثرتها وتلبيتها لحاجة مختلف المستويات العلميّة والإجتماعية ومواكبتها لمتطلّبات العصر.

فقد كتب في التفسير والحديث والعقائد والكلام والفلسفة والأُصول والفقه والسياسة والإقتصاد والإجتماع والإدارة والحقوق والتاريخ وغيرها.

كتب البحوث المعمّقة والمفصّلة في الفقه والأُصول والفلسفة كما كتب كراسات وكتيبات مبسطة للجيل الناشىء والبراعم المتفتحة.

وكتب للطالب الحوزوي كما كتب للشابّ الجامعي، وقد تجاوزت مؤلفاته في شتّى الحقول ٨٢٠ كتاباً ودارسة وكراساً.

وهذه نماذج من الموسوعات والدراسات:

موسوعة الفقه التي تشكل أكبر موسوعة فقهية إستدلالية كاملة، كتبت للفقهاء والمجتهدين، تضمّ ١٢٥ مجلداً، وتقع في أكثر من ستّين ألف صفحة ـ طبع مرّتين: ايران ولبنان.

الأُصول ٨ أجزاء، طبع ثلاث مرّات.

إيصال الطالب إلى المكاسب ١٦ مجلّداً.

الوصول إلى الرسائل ١٦ مجلّداً، تحت الطبع.

تقريب القرآن إلى الأذهان ٣٠ جزءاً.

توضيح نهج البلاغة ٤ أجزاء.

شرح الصحيفة السجادية.

الدعاء والزيارة.

شرح منظومة السبزواري.
الفضيلة الإسلامية.
المسائل الإسلامية.
جامع مناسك الحج.
السبيل إلى إنهاض المسلمين.
الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرّية والرفاه والسلام.
ممارسة التغيير.
هؤلاء اليهود.
مباحثات مع الشيوعيين.
وقفة مع الوجوديين.
ماذا في كتب النصارى.
ماركس ينهزم.
من أوليات الدولة الإسلامية.
الشورى في الإسلام.
الحرية الإسلامية.
في ظل الإسلام.
ما هو الإسلام؟
إلى الوكلاء في البلاد.
الإقتصاد للجميع.
الإقتصاد الإسلامي المقارن.
كيف عرفت الله؟
نريدها حكومة إسلامية.
الحكومة الإسلامية في عهد الإمام علي عليه السلام.
كيف إنتشر الإسلام؟

العدل أساس الملك.

باقة عطرة في أحوال خاتم النبيّين ﷺ.

الأُصول والفروع في علوم سيّدة النساء عليها السلام.

أحكام مستفادة من حديث الكساء.

وللإلمام بمؤلفات الإمام الشيرازي وبأفكاره وبجوانب من حياته السياسية والإجتماعية وإنجازاته ونشاطاته الدينية في مختلف البلاد الإسلامية، نحيل القارىء الكريم إلى كتاب **الامام الشيرازي فكره ، منهجه ومواقفه**

فهرس الكتاب

مقدمة الناشر ٥
القسم الأول: شؤون الحركة الاسلامية وأسسها الستة ٧
الأساس الأول: التوعية ٩
١ ـ إلى حكومة ألف مليون مسلم ١١
٢ ـ الأمة: بين المأساة والعلاج ١٣
٣ ـ اعطاء الرشد الفكري للأمة الاسلامية ١٥
هكذا تنشر الثقافات المنحرفة ١٦
٤ ـ الحاكم الأعلى بانتخاب المسلمين ١٩
٥ ـ كيف نصوغ الذهنية الاسلامية؟ ٢١
٦ ـ نشر الوعي في البلاد الأجنبية ٢٤
٧ ـ لماذا تحررت البلاد بالأمس وسقطت اليوم؟ ٢٦
٨ ـ لنثقف المسلمين قبل أن يثقفهم غيرنا ٢٩
٩ ـ تحويل الثقافة الجاهلية إلى ثقافة إسلامية ٣٢
١٠ ـ الثقافة تصنع المعاجز ٣٦
١١ ـ اقامة الدولة الاسلامية واجبة ٣٩
الأساس الثاني: التنظيم ٤٣
١ ـ التنظيم: الأرضية الصلبة لحكومة ألف مليون مسلم ٤٥
٢ ـ تنظيم غير المسلمين ٤٨
٣ ـ توحيد الحركات ٥١

٤ ـ التنظيم الإستشاري ٥٤
٥ ـ التنظيم التوعوي ٥٦
٦ ـ التنظيم الحديدي ٥٩
٧ ـ لا لصنمية التنظيم ٦٢
شاهد من التاريخ ٦٣
طريق النصر الالتزام بما نقول ٦٥
٨ ـ جماهيرية التنظيم ٦٦
معنى التنظيم الجماهيري ٦٦
مقومات التنظيم الجماهيري ٦٦
كيف يتعامل التنظيم مع الجماهير ٦٩
٩ ـ إرضاء التنظيم للناس ٧٠
أمير المؤمنين(عليه السلام) والجماهير ٧١
١٠ ـ تنظيم المؤسسات والجمعيات ٧٤
الأساس الثالث: أخلاقيات الحركة الاسلامية ٧٩
١ ـ التعاون الاسلامي الشامل ٨١
تاريخنا يؤكد ضرورة التعاون ٨٢
شاهد آخر وقد حدث في إيران ٨٣
٢ ـ الاستقامة ٨٦
٣ ـ نزاهة القائمين بالحركة ٨٩
٤ ـ الصمود ٩٢
٥ ـ فهم ارتباطات الحياة ٩٦
٦ ـ زهد القادة ١٠٠
٧ ـ عدم حب الشهرة ١٠٥
٨ ـ الاخلاص ١٠٨
٩ ـ العمل الدائب ١١١

١٠ ـ التواضع ١١٣
١١ ـ التأهيل الذاتي للحركة ١١٧
١٢ ـ التحلي بالآداب الرفيعة ١٢٠
١٣ ـ الإبتعاد عن السلطات ١٢٤
١٤ ـ قضاء حوائج الناس ١٢٨
١٥ ـ الإتقان في العمل ١٣٢
١٦ ـ الوفاء ١٣٦
الأساس الرابع: السلام ١٤١
١ ـ الحركة يجب أن تكون سلمية ١٤٣
٢ ـ السلام أحمد عاقبة ١٤٧
٣ ـ السلام.. دائماً ١٥٠
٤ ـ السلام سنة الأنبياء والأئمة(ع) ١٥٣
٥ ـ السلام ضمانة بقاء المبدأ ١٥٦
٦ ـ السلام بين أعضاء الحركة ١٦٠
٧ ـ معطيات السلام ١٦٢
٨ ـ الإتزان ينتهي إلى السلام ١٦٥
٩ ـ مقومات السلام في داخل الحركة ١٦٩
١٠ ـ تلقين السلام ١٧٢
الأساس الخامس: الاكتفاء الذاتي ١٧٥
١ ـ نحو الإكتفاء الذاتي ١٧٧
٢ ـ مقاطعة البضائع الأجنبية ١٨٠
٣ ـ المقاطعة الشاملة ١٨٥
٤ ـ تشجيع الإقتصاد الوطني ١٨٨
٥ ـ إستغلال كل شيء من أجل الإكتفاء الذاتي ١٩١
٦ ـ الإكتفاء الذاتي في مختلف الأبعاد ١٩٤

٧ ـ صب كل الطاقات في روافد الاقتصاد الاسلامي ١٩٧
٨ ـ من الإكتفاء الذاتي جمع الحركة شمل نفسها ٢٠١
الأساس السادس: منهج الحكم الاسلامي ٢٠٥
١ ـ إستيعاب الكل ٢٠٧
٢ ـ العفو عما سلف ٢١٠
٣ ـ الأدلة على عفو الإسلام عما سبق ٢١٣
٤ ـ ملاحظة الكفاءات ٢١٦
٥ ـ منهج الحكم في أبعاده المختلفة ٢١٨
٦ ـ حل مشكلات الحكم ٢٢٢
٧ ـ ملء الفراغ ولو بغير المثالي ٢٢٥
٨ ـ الحكم النموذجي ٢٢٨
٩ ـ حرية العلم والحكم والمال ٢٣٠
القسم الثاني: شؤون الحكم الاسلامي وطريق الوصول إليه ٢٣٥
الفصل الأول: ٢٣٧
١ ـ أقسام الحكم وكيفيته في الإسلام ٢٣٩
٢ ـ صعوبات الحكومة الجديدة ٢٤٢
ـ الدولة الإسلامية الواحدة ٢٤٤
كيفية تعامل الدولة الاسلامية؟ ٢٤٥
٣ ـ الحكومة الاسلامية أفضل الحكومات ٢٤٨
الإحتفاظ بالحكومة الاسلامية ٢٥١
كيف يتعامل الحاكم الإسلامي ٢٥٣
السير في طريق الرسول(ص) ٢٥٦
الحرب والدولة ٢٦٠
نظام الدولة الاسلامية ٢٦٣
٤ ـ سبل الوصول إلى الحكم ٢٦٥

القمة والقاعدة ٢٦٩
بين الدين والدنيا ٢٧٠
المعرفة والتعقل ٢٧٧
٥ ـ ثبات الدولة ٢٨٥
الدولة والعداوات ٢٩١
قلعة الدولة وعملها ٢٩٣
٦ ـ السلطة العليا، وحزم الدولة ٢٩٦
الفصل الثاني: ٣٠١
الحكومة الاسلامية في عهد الرسول(ص) ٣٠١
سعة حكومة الرسول(ص) ٣٠٣
اسقاط الحواجز الجغرافية ٣٠٣
اسقاط الحواجز النفسية ٣٠٣
الرسول(ص) لم يتغير ٣٠٤
الرسول(ص) يبقى وفياً ٣٠٤
شمة من أحوال رسول الله(ص) ٣٠٥
اتساع المدينة ٣٠٥
صفة المسجد ٣٠٦
الرخاء يسود عاصمة الرسول(ص) ٣٠٦
الحكومة المثالية ٣٠٦
النظام يساوي بين الجميع ٣٠٦
المسلمون يؤثرون على أنفسهم ٣٠٧
يطل الزمان الجديد ٣٠٧
نبذة من سيرة الرسول(ص) ٣٠٧
تواضع الرسول(ص) ٣٠٨
الرسول(ص) الأب الشفيق ٣٠٨

الرسول(ص) يقابل الأذى بالرحمة ٣٠٩
الرسول(ص) يصفح عن أهل مكة ٣٠٩
الرسول(ص) يعفو عن قاتل بنته وعمه ٣١٠
الرسول(ص) يعفو عمن هجاه ٣١٠
الرسول(ص) يتحنن لحنين امرأة كافرة ٢١٠
الرسول(ص) يعفو عن قاتله ٢١١
الرسول(ص) والسخاء ٢١١
الرسول(ص) يعد ما لا يقدر عليه في الحال ٣١٢
من أخلاقيات الرسول(ص) ٣١٢
لا ضريبة على الارث ٣١٢
أخلاق الرسول(ص) حتى مع اليهود ٣١٣
النبي(ص) دائم الحركة ٣١٣
الرسول(ص) يقضي الحوائج ٣١٤
الرسول(ص) يخدم كأحد أصحابه ٣١٤
الرسول(ص) لا يستخدم أحداً ٣١٤
يبسط النبي(ص) ردائه لضيفه ٣١٥
الرسول(ص) مع الخدام ٣١٥
الصبي يبول في حجر الرسول(ص) فلا يغضب ٣١٥
النبي(ص) يجلب رضا الناس ٣١٦
الرسول(ص) يأمر الناس بالاحسان ٣١٦
النبي(ص) يجعل من العدو صديقاً ٣١٧
الرسول(ص) لا يستمع إلى الوشاة ٣١٧
عطف الرسول(ص) على الحيوانات ٣١٨
الرسول(ص) لا يزعج الهرة ٣٨٨
الرسول(ص) يكرم أباه وأمه وأخته من الرضاعة ٣١٨

الرسول(ص) يصل مرضعته ٣١٩
مجلس الرسول(ص) ٣١٩
تواضع الرسول(ص) ٣٢٠
الفضل بن العباس مع الرسول(ص) ٣٢٠
الرسول(ص) يخدم بنفسه في داره ٣٢٠
الرسول(ص) والأمانة ٣٢٠
كان (ص) بعيد المدى ٣٢٠
أعداء الرسول(ص) يعترفون بفضله ٣٢١
الرسول(ص) يرعى الغنم ٣٢١
الرسول(ص) لين العريكة ٣٢١
لزوم التأسي بالنبي(ص) ٣٢٢
الفصل الثالث: ٣٢٣
في نبذة من سيرة علي(ع) وحكومته الرشيدة وأقواله المأثورة ٣٢٣
الحاكم والرحمة ٣٢٥
لا يتساوى المحسن والمسيء ٣٢٦
احسان الحاكم إلى الناس ٣٢٦
الرعية طبقات ٣٢٦
استقامة العدل ٣٢٦
كيف يكون القاضي؟ ٣٢٦
الرقابة على الموظفين ٣٢٧
الاهتمام بالتجار ٣٢٧
الطبقة المحرومة ٣٢٧
الحاكم بدون حاجب ٣٢٧
الوفاء بالعهد ٣٢٨
اخلاقيات الحاكم ٣٢٨

كتابه(ع) إلى رفاعة ٣٢٨
تجنب الحاكم الرشوة ٣٢٩
شعبية الحاكم ٣٢٩
الاكتفاء الذاتي في زمان الامام ٣٢٩
توسيع البلاد الاسلامية ٣٣٠
سعة عاصمة الامام (ع) ٣٣٠
دكاكين مجاناً للناس ٣٣٠
علي(ع) يحكم أكبر دولة في العالم ٣٣٠
الامام(ع) يطلب رضا الله ورضا الناس ٣٣١
الامام(ع) واختيار الناس ٣٣١
السياسة العامة للامام(ع) ٣٣١
كيف بايعوا الامام(ع)؟ ٣٣٢
الامام(ع) لا يقبل الحكم المنحرف ٣٣٢
الامام(ع) والخط الصحيح ٣٣٣
الخطوط المنحرفة ٣٣٣
الامام(ع) يعزل قاضيه ٣٣٣
الامام(ع) يعاتب واليه ٣٣٣
أخلاقيات الامام(ع) في حكومته ٣٣٣
نماذج من السيرة العلوية ٣٣٤
مأكل الامام(ع) ٣٣٤
عدل الامام(ع) في المال ٣٣٤
الامام(ع) يمشي لقضاء حاجة امرأة ٣٣٥
الامام(ع) يرعى اليتامى ٣٣٥
الامام(ع) يعفو عن المذنب ٣٣٦
لباس الامام(ع) المرقع ٣٣٦

الامام(ع) يعرض سيفه للبيع لطعامه ٣٣٦
الامام(ع) لا يضع لبنة على لبنة ٣٣٦
غذاء الامام(ع) ٣٣٧
الامام(ع) يختار الثوب الأرخص ٣٣٧
لم يشبع الامام(ع) قط ٣٣٨
الامام(ع) يأكل اللحم كل سنة مرة ٣٣٨
الامام(ع) يخدم الضيف ٣٣٨
الامام(ع) يشتري من السوق بنفسه ٣٣٩
الامام(ع) يمشي وحده ٣٣٩
الامام(ع) مع عثمان ٣٣٩
الامام(ع) وبعض الخوارج ٣٤٠
الامام(ع) وابن كوا المنافق ٣٤٠
الامام(ع) يرعى الضعفاء ٣٤١
الامام(ع) يعفو عن مجرمي الحرب ٣٤١
عدم اهتمام الامام(ع) بالمال ٣٤١
الامام(ع) يعمل بيده ٣٤٢
احتياط الامام(ع) في أموال المسلمين ٣٤٢
شدة رقابة الامام(ع)على موظفيه ٣٤٢
الامام(ع) كيف كان يجمع الضرائب؟ ٣٤٣
الناس يعطون الضرائب برضا ٣٤٤
الامام(ع) يوصي لقاتله ٣٤٤
وصية الامام(ع) ٣٤٥
الامام(ع) لا يقتل المتآمرين ٣٤٦
الامام(ع) قريباً من كل الناس ٣٤٦
لطف الامام(ع) على أعدائه ٣٤٧

الرسول(ص) والامام(ع) يحتاطان في الدماء ٣٤٧
حروب الرسول(ص) والامام(ع) كانت دفاعية ٣٤٧
الإضراب والمظاهرة في زمان الامام(ع) ٣٤٨
القضاة في زمان الامام(ع) ٣٤٨
الامام(ع) يحضر عند القاضي ٣٤٩
حرية الرأي في زمان الامام(ع) ٣٤٩
الامام(ع) يعطي الماء لأعدائه ٣٤٩
الحسين(ع) يقتدي بأبيه وجده ٣٥٠
تحنن الامام(ع) على الأيتام والأرامل ٣٥٠
الامام(ع) يحمل قربة الأرملة ٣٥٠
خوف الرسول(ص) والامام(ع) عن أصغر معصية ٣٥١
عدم قبول الامام(ع) المصانعة ٣٥٢
شدة رقابة الامام(ع) على ولاته ٣٥٢
ضرار يصف الامام(ع) ٣٥٤
لا تحرير إلا بالاسلام ٣٥٤
علماء الاسلام يقودون حركات التحرير ٣٥٥
عملاء أدعياء التحرير ٣٥٥
كيف ننقذ فلسطين؟ ٣٥٦

حديثان حول كيفية عمل الحاكم الاسلامي

....
عهد رسول الله(ص) إلى ولاته ٣٥٧
فيما يجب على الأمير من محاسبة نفسه ٣٥٧
ذكر ما فيه موعظة الأمير ممن كان قبله ٣٥٨
في أمر الأمراء بالعدل في رعاياهم والإنصاف من أنفسهم ٣٥٩
في ذكر معرفة طبقات الناس ٣٦١

ذكر ما ينبغي للوالي أن ينظر فيه من أمر عماله ٣٦٢
ذكر ما ينبغي أن ينظر فيه من أمور القضاة ٣٦٣
ذكر ما ينبغي أن ينظر فيه من أمور عماله ٣٦٤
ذكر ما ينبغي تعاهده من أهل الخراج ٣٦٥
ذكر ما ينبغي أن ينظر فيه من أمور كتابه ٣٦٧
ذكر ما ينبغي للوالي أن ينظر فيه من أمر طبقة التجار والصنايع ٣٦٨
ذكر ما ينبغي للوالي أن ينظر فيه من أمور أهل الفقر والمسكنة ٣٦٨
ذكر ما ينبغي أن يأخذ الوالي به نفسه في الأدب وحسن السيرة ٣٦٩
جعل بعض الوقت لله تعالى ٣٦٩
رسالة الامام الصادق(ع) إلى النجاشي ٣٧٠
واقعية الحركة والحكومة الاسلامية ٣٧٥
الحكومة إما شعبية وإما سلطوية ٣٧٥
الحركة واقعية شعبية ٣٧٦
أثر التيار الشعبي ٣٧٧
الاستكبار والاستضعاف ٣٧٧
الحكومة الشعبية تطلق حريات الناس ٣٧٨
من سمات القوى السلطوية ٣٧٨
السلطوية توجب الاختلاف والتجزئة ٣٧٩
القوى العظمى ضد التوحيد والوحدة ٣٨٠
قوة قوانين الاسلام في أعماق المسلمين ٣٨٠
المسلمون ملتفون حول الاسلام وحملته ٣٣٨١
الشهادتان مفتاح كل خير ٣٨٢
الفهرست ٣٨٩